

لوط عليه السلام

وَدَعَوْتُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْفَسَادِ وَالشُّذُوزِ الْمَحْسِيِّ

♦ وَعِظَابُ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ ♦

﴿لُوطًا أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْتِثَ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٧٤

تَأْلِيفُ

د. علي محمد محمد الصَّلاَّبِي

دار البزك شير

لَوْ طَعَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَدَعَوْتُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْفَسَادِ وَالشُّذُوزِ الْجَنَسِيِّ

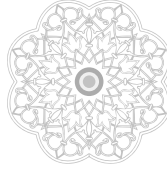
♦ وَعِغَابُ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ ♦

تَأَلَّفُ

د. عَلِي مُحَمَّد مُحَمَّد الصَّلَاحِي

رَأَى الْبُكَشِيرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الدُّعَاءُ

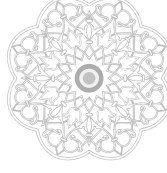
* إِلَى حَمَلَةِ رَسُولَةِ الْحَقِّ ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَإِفْرَادِهِ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ .
* إِلَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ النَّيِّرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْإِنْسَانِيَةِ .
* إِلَى أَصْحَابِ الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ وَالْقُلُوبِ النَّقِيَّةِ .
* إِلَى الرَّافِضِينَ وَاقِعِ الْإِنْحِلَالِ الْأَخْلَاقِيِّ وَالرُّوحِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ السَّائِدِ فِي
عَصْرِنَا .
أَهْدِي هَذَا الْكِتَابَ .

سَائِلًا الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعِينَنَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَبِذَلِكَ الْجُهُودِ لِنُصْرَةِ دِينِهِ ،
وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ ، وَإِصْلَاحِ الْمَجْتَمَعَاتِ وَالْأَفْرَادِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

صدق الله العظيم



تَقْدِيمٌ (١)

بقلم

أ.د. علي محيي الدين القره داغي
رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو سجل شامل لجميع مظاهر الصلاح والإصلاح، وللنماذج الرائدة في تحقيق الخيرات، والرائعة في تحقيق الحضارات، وديوان كامل لقصص الفساد، والطغاة، والعدوان وعواقبها الوخيمة، وآثارها المدمرة على الحضارة والبشرية، فهو حقاً تبيان لكل شيء، وشفاء ونور وهداية.

وأن منهج القرآن معجز حقاً، حيث يعالج بعض القضايا من خلال الأوامر والنواهي المباشرة، وقد يعالج بعضاً آخر من خلال القصص التي تستفاد منها الأحكام والسنن، والعبر والعظات. وإذا كان الموضوع مهماً أو في غاية الأهمية فإنه يجمع بين الأسلوبين، أسلوب الأوامر والنواهي المباشرة، وأسلوب القصص الدالة على هلاك من ارتكب تلك المنهيات، ونجاة من التزم بأوامر الله تعالى وابتعد عن تلك المهلكات، وهذا ما نراه في قصة لوط (عليه السلام)، حيث إن الموضوع يتعلق بالأسرة والفطرة السليمة، وبقاء النوع الانساني؛ ولذلك أولى له القرآن الكريم العناية القصوى، حيث لا تجد موضوعاً في عالم

المعاملات مثل موضوع الأسرة، فصل فيه القرآن الكريم، وبين جميع الجوانب المتعلقة به سلباً وإيجاباً، نهياً وأمراً.

ومن جانب آخر فإن كلمات القرآن حيّة متحركة، وقصصه تتجدد وتتحرك مع مرور الزمان، فكأنها نزلت لعصرنا، وكأن القصة قصة معاصرة مشاهدة لنا اليوم، ولو لم نر في عصرنا الحاضر دفاع العالم الغربي عن الشذوذ الجنسي، وتقنين القوانين الصارمة لحمايته، وعدم النيل منه، وتجريم من ينتقده ربما كان إدراكنا لقوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ آلُ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْطَهَرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، كان غير مستوعب بالصورة المطلوبة، كما أنه كان يمكن أن يتبادر إلى الذهن: سبحان الله هل تصل الإنسانية إلى هذا المستوى من الانحطاط الأخلاقي، وانهيار القيم، ليكون الالتزام بالطهر والعفاف عيباً، بل جريمة يستحق فاعله العقوبة بالإخراج والنفي، وسلب الحقوق الطبيعية عنه؟!!!

ولكن ما نشاهده اليوم من تقنين الشذوذ الجنسي، وتجريم كل ما يمسه من قريب أو بعيد، وإقرار قانون حماية زواج المثليين في أمريكا، وبريطانيا، ومعظم الدول الأوربية تجاوز الحدود، كما أنها أقرت قوانين أخرى بأن منع الشذوذ الجنسي من التمييز الجنسي الممنوع... إلخ.

ولذلك فإن القرآن الكريم هياً الأجواء والنفوس لمعالجة هذه الأفكار الشاذة، وكيفية محاربتها، بجميع الوسائل المتاحة.

إن سيرة هؤلاء الأنبياء جميعاً قدوة للمسلمين وعظة وعبرة يستفيدون منها في مسيرتهم، ويأخذون منها العبر والعظات، ويطبقون في حياتهم الحكم والهداية التي امتاز بها هؤلاء الأنبياء، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهِهِمْ آتَدَتْهُ قُلُوبٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾



فمثلاً إن في قصة قوم لوط عليه السلام بياناً لمخاطر الانحراف عن الفطرة، حيث يترك أصحابه معاشرة النساء، ويعاشرون الرجال، فيصادمون به الحياة الطبيعية، ويكوّنون البيئة المريضة، والبيئة الخبيثة التي لا تكون صالحة لإنبات بذور الحياة من جديد، وإنمائها، فتقوض الحياة الإنسانية، وتفكك خلاياها، وتجلب لها الضنك والضييق، وغضب الله تعالى، فهي حقاً انتكاسة خطيرة عن الطبيعة البشرية تستحق أشد العقوبات.

ولكن للحق نقول: إن عمل قوم لوط - مع بشاعته ومخالفته للفطرة - كان من جانب الرجال فيما بينهم فقط، ولم يكن عاماً للإناث فيما بينهن، كما هو الواقع اليوم في الحضارة الغربية، حيث عمّ الشذوذ النساء أيضاً، فتختار المرأة امرأة أخرى لتكون معها في العشرة، بل تجيز القوانين الغربية زواج المرأة من المرأة مثلما تجيز زواج الرجل من الرجل، وبذلك أصبح الشذوذ اليوم أشد خطراً مما كان عليه قوم لوط.

وإن قصة لوط تدل على أن الزواج الشرعي الطبيعي وتيسيره، والتشجيع عليه هو الحل لمشكلة الشذوذ، وأن الزواج هو التوجه النفسي السوي الذي يحقق الطهر والعفاف، كما أن قصة قوم لوط تدل بوضوح على أن هلاك الأقسام الذين يسرون عكس الفطرة، ويجعلون الحق باطلاً، والطبيعة مقلوبة، سينالهم الهلاك السريع، وأن ذلك من سنن الله تعالى القاضية.

ولذلك شدّد الإسلام في مخاطر هذه الجريمة وسماها بالخبائث، وفي عقوبتها الدنيوية والأخروية، ووضع لها وسائل لمنعها داخل المجتمع بدءاً بالتربية الإيمانية داخل البيوت، والتربية المدرسية، والتزكية القوية، والردود على الأفكار الغربية المتظاهرة بالحرية ردوداً علمية وفطرية، وردوداً طبية واقتصادية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن للقوانين والتشريعات التي تجرّم هذه الفاحشة، وتضع لها عقوبات رادعة، دوراً كبيراً في تطهير المجتمع، وحمايته.

الكتاب جاء في وقته: فقد قرأت الكتاب واستفدت منه، واستمتعت بقراءته، حيث لم يكن مجرد سرد للقصة - على الرغم من أهميتها، وإنما كان تفسيراً دقيقاً لجميع الآيات التي تناولت هذه القصة في أربع عشرة سورة، فأفاض في تفسير كلماتها بدقة، ومقاصدها والدروس المستفادة منها، وهذه الإفاضة في حد ذاتها فائدة كبرى، كما أنه ربط بين قصة لوط وما يقع اليوم من الشذوذ الجنسي، وبين الآثار السلبية الخطيرة على المجتمعات الإسلامية، بل والإنسانية، وأكد على أن مفسدي الأرض اليوم يتجهون إلى إشاعة الشذوذ الجنسي الشامل للجنسين بجميع الوسائل المتاحة، بما فيها الإغراءات الاقتصادية والسياسية لكل دولة تتبنى الشذوذ الجنسي، حتى جعلوا ذلك معياراً للقرب أو البعد، وللدعم أو عدمه، كما أنهم يحاربون الأقلية المسلمة في الغرب من خلال نشر الشذوذ وتقنيته، وتجريم كل من يقف ضده ووضعه ضمن البرامج والمناهج، بل والتشجيع عليه، وأن من يقف ضد ذلك فسيكون مصيره الطرد، أو سحب أولاده منه، وتركهم مع الشاذين ليصبحوا مثلهم - كما حدث في بعض البلاد مثل السويد مع الأسف الشديد..

بل إن معظم القوى العظمى لا تكتفي بما تفعله داخل بلادها، وإنما تحاول فرض قوانين تجيز الشذوذ الجنسي، والزواج المثلي، وقد بدأ ذلك من خلال وثيقة بكين عام ١٩٩٥م، التي تمخضت عن مؤتمر كبير باسم المؤتمر العالمي للمرأة.

وقد خلاص الكتاب إلى بيان أهمية العناية القصوى بترية الأولاد، وبالمناهج والمدارس لصناعة الجيل المؤمن القوي المتخلق بأخلاق الرسول - ﷺ - وبالصبر والعزيمة، والطهر والعفاف ومكارم الأخلاق، ومنع الرذائل والمخدرات، والشبهات والشهوات، وانتهى الباحث إلى جملة من التوصيات المهمة والنافعة.



فإذا كانت أمتنا اليوم تتصدى للصهاينة ومن معهم في فلسطين، وخاصة في غزة، فإن من أهم أسباب نجاحنا هو النجاح في بناء الجيل القادر على المواجهة، وهذا لن يتحقق إلا بالتربية الإيمانية والأخلاقية القوية والقويمة بجانب الإعداد العسكري والمادي، فإن شرط الانتصار هو بناء جيل ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥].

إن العالم اليوم أمام أكبر تحدٍّ يصطدم مع الفطرة السليمة، ويتعارض مع بقاء الجنس البشري، ويتناقض مع القيم السامية ومكارم الأخلاق، وهو فرض الشذوذ الجنسي وتقديسه، وتقنيته، ومع الأسف الشديد فإن معظم المؤسسات الكنسية في العالم الغربي تقف مع هذه الموجهة الخطرة بالتأييد، بل بعقد الزواج المثلي في بعض الكنائس.

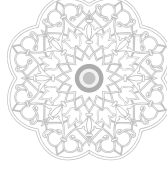
وأمام هذه المخاطر المتعلقة بالحياة الإنسانية لم يبق إلا الإسلام ليبين للناس أجمعين مخاطر هذه الظاهرة الخبيثة، وأضرار هذه الفاحشة المدمرة، من خلال التوعية والإعلام الموجّه، والمؤتمرات والندوات العلمية لبيان مخاطر هذا التوجه على مستقبل الإنسانية.

وفي الختام أقول بكل ثقة: إن فضيلة أخي الحبيب المفسر المدقق، والمؤرخ المحقق: الدكتور علي محمد الصلابي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قد أطلال النفس في هذه القصة من كل جوانبها، فأفاض، وأفاد، وعلينا واجب الاستفادة منها، فجزاه الله تعالى خيراً، ونفع به الأكثر والأكثر في عالم الإسلام والمسلمين، آمين يارب العالمين.

كتبه الفقير إلى ربه

أ.د علي محيي الدين القره داغي

الدوحة، ٦ شوال ١٤٤٥هـ / ١٥ أبريل ٢٠٢٤م



تَقْدِيمٌ (٢)

أ.د. فضل مراد

الأمين العام المساعد للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
أستاذ الفقه والقضايا المعاصرة بجامعة قطر
مؤسس مشروع فقه العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على الرسول الكريم ، وبعد :
قرأت كتاب نبي الله لوط (عليه السلام) لمؤرخ الإسلام في هذا العصر الشيخ
الدكتور علي محمد الصلابي الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .
ولا شك أن الكتاب هو إضافة نوعية للمكتبة التاريخية الإسلامية والإنسانية
عموماً ، وللتفسير الموضوعي وأهل العلم والتخصص خصوصاً .
إن يراع الشيخ علي الصلابي ملأَتْ المكتبة الإسلامية بتجديد معاصر في هذا
الباب ، وإننا بحاجة لمثل هذه المشاريع العلمية التي تشكل المدماك البنائي في
مشروع الإحياء الحضاري لديننا الإسلامي .
التاريخ مدرسة لا شك في ذلك ، لكنه يجب أن يكون صادقاً حقيقياً ، وهنا
يأتي هذا المؤلف لأنه مستمد من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومن أوثق كتب
التفسير .

ولقد سطر الشيخ علي موسوعات تاريخية حضارية ستسهم في نهضة الأمة وثقافتها ودينها، وهو يفاجئنا بالجديد والتجديد في مشروعه التاريخي الكبير الذي هو مشروع إحياء كما قلنا، وهو مشروع بناء وقيم.

ولقد هياها الله لهذا المشروع، وأنعم الله عليه بمثل هذه المهمة، وها هو الآن أميناً عاماً للاتحاد، نسأل الله أن يعينه على هذه المهمة، وإضافة لمهمة استكمال المشروع الذي أثمر وأينع. وكنت اقترحت عليه أن تكون الخطوة القادمة لهذه الموسوعات تقريبها وتزويدها بالخرائط والصور التاريخية والتشجير المعرفي ليسهل على جيلنا الناشئ معرفة حضارتهم، وتاريخ دينهم، وتاريخ الأنبياء العظام، والحاضرة الإنسانية من خلال القرآن والسنة.

كما لا أنسى للشيخ علي تنويهه بمشروعي التجديدي فقه العصر والتعريف به، وبيان ما له من أهمية بالغة في عصرنا، وما له من أثر تجديدي معاصر، فنسأل الله أن يجزيه الخيرات العظيمة.

وفي موضوع سيدنا لوط الذي هو موضوع الكتاب أقول: إنه يعالج معضلة من معضلات العصر أبينها فيما يلي: من أنت؟

هذا سؤال الهوية التي يجيب عنها كل فرد حسب بطاقته الشخصية، وهي ما تسمى بالهوية الوطنية.

إن الهوية مبنية على عمودين المجتمع والدين، ومن المجتمع الثقافات والعادات واللغة، ومن الدين التوحيد والتصور العقائدي عن الحياة والخلق، والقيم التأسيسية، والتقويمية، ومعنى التأسيسية، والتي انفراد الشرع بتأسيسها ابتداء كالزكاة من الغني للفقير أو بالغائها لانحرافها الكلي كالربا؛ لأنه ظلم محض وأكل الأموال وقطع الأرحام وقتل النفس، والتقويمية التي كان دوره متمثلاً في تقويمها وتهذيبها من القيم المجتمعية، والهوية المجتمعية والشعبية



لا تكفي لصناعة حضارة إصلاحية في الأرض، بل قد تؤسس لصراع بين الحضارات والأمم والشعوب على مستوى الدول الكبرى قديماً وحديثاً، وعلى مستوى القبائل كما كانت العرب قبل الإسلام، فلم تفدهم الهوية القبلية ولا اللسانية ولا العادات والثقافات، بل أسست هذه لصراع دموي طويل، وبالهوية الشعبوية العرقية قال اليهود: أنا خير منك، وقالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَبِيلٌ﴾.

ويقصدون بالأميين العرب لغلبة الأمية عليهم، أي لا حرج فيما عملنا في العرب وأموالهم ودمائهم وأعراضهم، ولذلك كان أهم عنصر للهوية هو الدين الضابط؛ لهذا كله صنع الأخلاق والقيم، وأوجب العدل والإحسان، وحرّم الظلم والبغي والعدوان. وقد جمع الله ركنا الهوية في آية فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾.

أمريكا مثلاً والاتحاد الأوروبي هويتها الدولة والفردانية:

وليس هناك هوية اجتماعية مبنية على القيم، وليست هناك هوية دينية تضبط وتقوّم، وجعل الدولة والفردانية هوية مع تجريد المجتمع من سلطانه والأسرة من قوانينها التربوية، يعرّض الأمة للتفكك والفناء في أي عارض يهدد الدولة، ويضعفها لذلك حينما يغيب القانون على بقعة هناك لا تجد سوى القتل والمخدرات والجريمة.

وفي جائحة كورونا هزت الدول الأوروبية وأمريكا، ورأينا كيف صارت الهوية الفردية هي الحاكمة، واقتحمت المتاجر والأسواق، وصدقوني لو حصل ثورات كالربيع العربي هناك لتحولت تلك البقعة إلى خراب وبياب.

إن الدولة فقط هي التي تمثل الهوية لا دين لهم، ولا مجتمع، ولا قيم؛ لهذا اختاروا العلمانية للدولة، وإن كانت واقعاً لا تقبل أن يرأس مسلم دولة هناك أو حتى منصباً هاماً، وإذا ضعفت الدولة هناك كان البدل هو الجريمة، وانظر في عالمنا الإسلامي على ضعفه، تجد هناك هوية مجتمعية متماسكة وعادات

وثقافات، وهناك دين في قلب كل إنسان. حصلت ثورات الربيع، وسقطت دول، ولم نشهد عدواناً مماثلاً لذلك في أمريكا وأوروبا، ولذلك فالمجتمع والدين هما ركنا الهوية، والصراع المختلف بين العادات المجتمعية والدين عند بعض الكتاب الفيسبوكيين، وغيرهم هو من معاول إضعاف ركني البناء والهوية المجتمع والدين.

وكانت التجربة العلمانية في العالم الإسلامي لا تتناسب أبداً؛ لأن سببها هو انعدام الهوية أصلاً بركنيها المجتمعي والديني، فاستبدال الدين بالعلمانية مشاغبة فارغة سطحية غير مدروسة العواقب، العلمانية لا علاقة لها بفقر أو غنى أو تطوير لأن هذه عوامل نهضة تقوم على أدوات سببية متاحة لأي أمة، ولكنها نظام يجمع الأشتات الذين لا هوية لهم في هوية الدولة، وحينما تكون هوية الشعب هي هوية الدولة يكون على شفاهاوية لأن الدول لا بقاء لها، ولكن المجتمع والدين هوية باقية مهما سقطت الدول، وتعاقت بقية الشعوب على قيمها ودينها.

إن الحداثة تحاول اليوم إيجاد مصادر جديدة للهوية، كالعولمة لتذويب المجتمعية والشعوبية والدين، وحاولت أن توجد مجتمعات جديدة بهوية جنسية، ولا يمكن للجنس أن يشكل هوية أو يحدث حراكاً شعبياً أو حضارة.

إن الجنس لحظات حيوانية لنقل الجين البشري، ولولا أنه رُبط بشهوات عارمة طبيعية لما أقدم شخص على هذا التعب والعنت، ولكنها وضعت بحكمة إلهية ليَجبر الإنسان على ذلك، وحتى لا يتحول عن مقصده؛ إلى فوضى تعود على استئصال الجنس البشري، وجعله الإسلام عقداً مقدساً يقوم على الأسرة بين ذكر وأنثى، ويستجيب لداعي الفطرة الداخلي المكنوز فيه.

ولو ترك فوضى لقضى كل شخص مأربه مع من يشاء، مع التخفف من تبعات الأسرة، ومسؤوليات الأولاد.



وهذا الأخير هو ما يؤدي إلى انقراض البشرية لو كان، وهو بعينه ما يمارسه الغرب حتى قل النسل، وسميت القارة العجوز، ولهذا كانت الأسرة من الشريعة، وبروتكولاتها من الشريعة، وحمايتها من الشريعة.

إن أعظم نعمة على الأمة الإسلامية هي هوية المجتمع وهوية الدين الإسلامي، ولهذا لا يمكن أن يكون الجنس هوية، فقامت الثورات الحداثية من ستينيات القرن الماضي بمحاولة إيجاد مصادر جديدة للهوية وصلت إلى مجتمع المثلية، ولاحظ التسمية بمجتمع لأنه لا يمكن تشكيل الهوية بالجنس فقط.

الذكورة والأنوثة طبيعة وطباً وصناعة للمعايير:

يقوم الغرب بكل وضوح وصفاقة ليقول لك قانونياً إن ولد لك مولود بأعضاء تناسلية ذكرية أو أنثوية إن هذا لا يحدد جنسه، فلا يكون ذكراً أو أنثى إلا بمعايير محددة، فبدؤوا رحلة بحث الشهوات، فوجدوا أنه لا يمكن تجاوز المعايير التي خلقها الله، وهي كما تقرر الفطرة والطب بالإجماع:

- الأعضاء التناسلية الظاهرة.

- الأعضاء التناسلية الباطنية كالمبيض والبروستات.

- الكروموزومات، فكل ذكر yx ، وكل أنثى xx .

- الهرمونات الأنثوية، وهي البرجسترون.

- الهرمونات الذكورية، وهي التستوستيرون، التي يبدأ بإنتاجها الجسم في الأسبوع الثامن للجنين، أي في الشهر الثاني، حسب موقع الطبي. وهذه المعايير الطبية الصارمة التي خلقها الله.

لكن أرادت أطراف غربية أن تحول هذا المعيار، فأضافت المعيار الشعوري العاطفي، وهو ما يسمى حقيقة بالإحساس باشتهاء الجنس المماثل، وهو ما يسميه العقل البشري على مر التاريخ بالفاحشة، وهو ما عمله قوم لوط فبعث

الله لهم رسولاً فحاربوه وآذوه، فخسف الله بهم، ورجمهم بحجارة من السماء .
 إن الأمم المتحدة تقول للعالم، وتشرع للإنسان كيف تحدّدون أنكم ذكوراً
 أو إناثاً، وإن هذه المعايير تحكمها الميول أو ما يسمى معيار الجنس النفسي
 والجنس الاجتماعي بمجرد انخراط الفرد في الجنس الآخر، وميوله له (كتاب
 أحكام التحول الجنسي ماستر قانون الجزائر).

وإذا المعايير التي تتجه إليها المنظمات الدولية منذ منتصف القرن السابق هي
 المعايير النفسية والميول الجنسية وليس الخلق الطبيعي الذي خلقه الله عليه،
 ولذلك يعرف قاموس التراث الأمريكي (الطبعة الخامسة) مفهوم الجندر بنفس
 الطريقة التي يعرف فيها مفهوم الجنس البيولوجي، لكنه يضع تعريفاً آخر
 بالاستناد إلى هوية الفرد الذي «لا يكون أنثى بالكامل أو ذكراً بالكامل».

وتتميز منظمة غلاد (تحالف المثليين والمثليات ضد التشهير سابقاً) بين
 الجنس والجندر في الدليل المرجعي لوسائل الإعلام الذي نشرته مؤخراً: يُعتبر
 الجنس «تصنيفاً للأشخاص على أنهم ذكور أو إناث» عند الولادة، إذ يستند
 مفهوم الجنس إلى الخصائص الجسدية مثل الكروموسومات والهرمونات
 والأعضاء التناسلية الداخلية والأعضاء الجنسية؛ بينما تتجسد الهوية الجندرية
 في «إحساس الفرد الداخلي بأنه رجل أو امرأة (أو فتى أو فتاة)».

جهود الأمم المتحدة في مسح العالم:

في يوليو ٢٠١٣، أطلق مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق
 الإنسان (OHCHR) برنامج الأمم المتحدة Free & Equal - وهي حملة إعلامية
 عالمية غير مسبقة للأمم المتحدة تهدف إلى تعزيز المساواة في الحقوق
 والمعاملة العادلة للأشخاص المثليين وثنائيي الجنس والمتحولين جنسياً
 والشخصيات والمتحولين جنسياً، ووصلت في النهاية إلى ٢,٤ مليار موجز
 على وسائل التواصل الاجتماعي . حول العالم وإنشاء دفق من المواد المشتركة

على نطاق واسع، بما في ذلك بعض مقاطع الفيديو التي تصنف بين أكثر مقاطع الفيديو مشاهدة من قبل الأمم المتحدة^(١).

وتشمل الالتزامات القانونية الأساسية الواجبة على الدول لحماية المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغاييري الهوية الجنسية الالتزامات التالية:

١ - حماية الأفراد من العنف القائم على كره المثليين ومغاييري الهوية الجنسية.

٢ - منع التعذيب والمعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة.

٣ - إبطال القوانين التي تجرم العلاقات الجنسية المثلية ومغاييري الهوية الجنسية.

٤ - حظر التمييز على أساس الميل الجنسي والهوية الجنسية.

٥ - حماية حرية التعبير، وتكوين الجمعيات، والتجمع السلمي للمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغاييري الهوية الجنسية وحاملي صفات الجنسين.

وقد عززت دول كثيرة في السنوات الأخيرة حماية حقوق الإنسان للمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغاييري الهوية الجنسية وحاملي صفات الجنسين، بما في ذلك:

١ - عدم تجريم العلاقات الجنسية المثلية.

٢ - اعتماد قوانين تحظر التمييز.

(١) انظر:

٣- المعاقبة على جرائم كره المثليين .

٤ - الاعتراف بالعلاقات الجنسية المثلية عبر الهوية الوطنية بدون شروط تعسفية .

٥ - تنفيذ برامج تدريبية للشرطة وموظفي السجون والمدرسين والعاملين الاجتماعيين ومقدمي الرعاية لخدمة مجتمع المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وحاملي صفات الجنسين بطريقة أفضل .

٦ - اتخاذ مبادرات لمكافحة التنمر في العديد من المدارس^(١) .

تغيير الجنس أحكام وآثار:

إننا أمام لوبيات تروج لهذه الثقافة الانحلالية ، ولذلك فإن الواجب الشرعي على كل مسلم بل على كل إنسان حماية الإنسانية من هذه الداهية التي تعتبر من جرائم الفساد الكبرى على الإنسانية والبشرية ، وتهدد الوجود الإنساني والحضارة ، وتصنف من أعظم الجرائم ضد الإنسانية على الإطلاق عملية التمسيح البشرية جنائية جسمية على الفطرة والإنسان والوجود والحضارة ، وعملية التمسيح توصيف مناسب أطلق عليها القضاء المصري في قضية الطالب سيد الذي غير اسمه إلى سالي ، واستمرت القضية من عام ١٩٨٨ إلى عام ٢٠٠٠ حيث فصل فيها القضاء بالتجريم ، وعدم إقامة أي اعتبار لهذا التحويل ، وتجريم كل من فعل ذلك ، وإسقاط عضوية الطبيب ومعاونيه من النقابة ، وسحب رخص المزاولة ومنعه من أي عمل طبي .

(١) <https://www.ohchr.org/ar/sexual-orientation-and-gender-identity/about-lgbti-people-and-human-rights>

كذلك هناك خلاف بين أهل الشهوات في تحديد الجندر والجنس يراجع في:

<https://ifpo.hypotheses.org/11249>.



ومن الأحكام المتعلقة بهذه العمليات :

- ١ - تعتبر عملية التحول البشري عملية جنائية في الفقه الإسلامي ، يعتبر فيه الطبيب ضامناً ومساءلاً مسؤولاً جنائية ، والمجني عليه متواطئاً في جريمة منكرة .
- ٢ - لا يحق للشخص أن يبيع لأحد أن يقطع عضواً من جسده ؛ لأن جسده هبة من الله يتصرف بها حسب الإذن الإلهي ، ولم يأذن الله بالتغيير والعبث بل جعله من عمل الشيطان .
- ٣ - لا ينبغي على عملية التحويل أي أحكام ، بل يظل الرجل رجلاً ولو تحول والمرأة امرأة .
- ٤ - لو تحول الزوج إلى أنثى فللزوجة أن تفسخ عقد النكاح دفعاً للضرر ويبقى نسب أولاده قبل التحول إليه ، ولو تزوج رجلاً فهو يمارس فاحشة قوم لوط ، وقد أجمع الصحابة على الحد قتلاً .
- ٥ - المرأة إذا تحولت لرجل فلا أثر لهذا التحول في تغيير أحكامها ، لكن إن كانت زوجة فيفسخ الزوج نكاحها للضرر الفادح ، وتبقى أمّاً للأولاد قبل التحويل ، ولا يحق لها طلب الحضانة لأنها مختلة عقلياً ، ودفعاً للضرر البالغ عن الأولاد .
- ٦ - المتحول لا ينجب بعد التحول لأنه يصير مسخاً .
- ٧ - امرأة اكتشفت أن زوجها متحول ولهما أطفال ، والجواب أن المتحول لا ينجب ، فتكون هذه المرأة قد أنجبت بشراء النطف من الغير كما هو معروف في الغرب ، فيكون الولد ولدها لا ولد زوجها ، وحكمهم حكم ولد الزنا في ثبوت نسبه من أمه .
- ٨ - من عنده ميول أنثوية فعليه بالعلاج الطبي والنفسي لإزالة ذلك ، ولا يعالج هذا بالتحول ، بل إن التحويل يزيد من الحالات النفسية وينتهي بالاكئاب حسب الدراسات ، وقد يؤدي للانتحار .
- ٩ - من كان عنده أعضاء ذكرية مخفية فهذا بعد التحقق من الصفات الباطنة

في الكروموزومات، وجميع العلامات الذكرية، يمكن أن تعمل عملية تسمى عملية تثبيت الجنس لا تصحيح، ولا تحويل، والتثبيت مصطلح يدل على أنه الجنس الذي خلقه الله عليه بأعضائه الذكرية.

١٠ - تغيير المصطلحات جانب مهم لتغيير التفكير ودرجة التعامل قبولاً ورفضاً، ولذلك أطلق على هذه الجريمة مجتمع الميم أو المثلية. وهي في كل شرائع المرسلين جريمة نكراء وفاحشة وانحراف خطير يجب أن تقف البشرية أمامه.

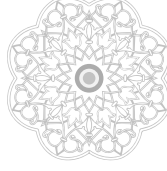
١١ - ديزني التزمت أن تنشر هذا الفكر عبر شخصيات الأبطال المعروفين في أفلام الكارتون لتظهرهم بشكل أبطال مخانيث، لتعطي الطفل جرعة نفسية وفكرية أن هؤلاء الأبطال هم الذين يمارسون ذلك.

١٢ - يجب على كل والد ووالدة وأخت وأخ وقريب، وكل المجتمع حماية الفطرة، والدين، والأخلاق، والوقوف أمام التآمر الخطير على الإنسان والدين.

١٣ - أرادت المافيا العالمية «السياسية» إدخال العالم العربي في حروب لإبادتهم، وإنقاص نسلهم، والقضاء على أجيالهم، والآن أضافوا لذلك هذه القضية الأخلاقية الخطيرة التي تهدد الدين والقيم والمجتمع والإنسانية.

١٤ - تنبهوا العمل بعض المنظمات التي هي أداة الفعل لممارسة هذه الأعمال، والقاعدة تقول: التصرفات الظاهرة دليل المقاصد الباطنة، والله سبحانه يقول: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾. ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

الخلاصة: إن موضوع رسالة سيدنا لوط عليه السلام هو موضوع العصر لذلك، فهذا الكتاب يعد علاجاً، وبلسماً، وصرخة للأجيال تحذيرية من هذه الجريمة الشنعاء.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَغِيثُهُ وَنُسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا.

أَمَّا بَعْدُ :

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي يَحْمِلُ اسْمَ «لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدَعْوَتُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْفُسَادِ وَالشُّذُوزِ الْجَنَسِيِّ، وَعِقَابِ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ»، هُوَ ضِمْنِ مَشْرُوعِ سُلْسِلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالتِّي صَدَرَ مِنْهَا حَتَّى اللَّحْظَةُ :

- مَوْسُوعَةُ «نَشْأَةِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الْأُولَى وَقَادَتِهَا الْعِظَامُ: آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ (عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ)».

- «النَّبِيُّ الْوَزِيرُ يُوسُفُ الصَّدِيقُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ إِلَى التَّمَكِينِ».

- «الْأَنْبِيَاءُ الْمَلُوكُ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهَيْكَلُ سُلَيْمَانَ الْمَرْعُومِ».

هَذَا، وَإِنَّ قِصَّةَ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِصَّةٌ أَصِيلَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَا وَجُودَ لَهَا فِي التَّوْرَةِ، أَوْ فِي الْكِتَابَاتِ الْغَرِيبَةِ، مِنْ نَاحِيَةِ الدَّقَّةِ وَالصَّوَابِ، وَالْبُعْدِ عَنِ التَّحْرِيفِ وَالتَّزْيِيفِ وَالْأَبَاطِيلِ.

فالقرآن الكريم، وما ثبت من حديث النبي ﷺ، حفظ لنا هذه القصة لكي تستفيد الإنسانية من تاريخها المليء بالدروس، والعبر، والعظات، والسُّنن، والابتلاءات.

وقد حرصتُ على ترتيب هذا الكتاب وتبويبه، فجاء في ستّة مباحث، هي على النحو الآتي:

المبحث الأول: يتحدّث عن لوط عليه السلام؛ اسمه، ونسبه، ومولده، وعصره، وذكرتُ فيه كم مرّة ورد اسم لوط في القرآن الكريم، ومعنى هذا الاسم عند أهل اللّغة، والفرق بين اسم لوط واللواط. وبيّنت نسبه عليه السلام، ومولده، وعصره، والحياة الدينية، والاجتماعية، والسياسية، وطُقوس الزّواج، وروابط الأسرة، وإقامة الأعياد، والاهتمامات العلمية والسياسية في ذلك الزمن. كما تناولتُ تفاصيلَ هجرته مع عمّه إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: تحدّثت فيه عن لوط عليه السلام في موكب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وعن مفهوم النّبي والرّسول في الاصطلاح، وحقيقة النّبوة والرّسالة، والحكمة من بعث الرّسل؛ المتمثّلة في حاجة الخلق إليهم، ودعوة الناس إلى عبادة الله، وإقامة الحجّة على البشر. فالأنبياء هم الطريقُ الهادي لمعرفة حقيقة العبودية لله، والعقائد الغيبية، وحاجة الخلق للقدوات الحسنة، وإصلاح النفوس وتركيتها، وتحقيق غايات عظمى، ووظائف كبرى أتيتُ على ذكرها وشرحها بجلاء مبين.

وتكلّمت في هذا المبحث عن خصائص الأنبياء والمرسلين، كاصطفائهم بالوحي، وعصمتهم، وكونهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وتخيرهم عند الموت، ودفنهم حيث يموتون، وأنّ الأرض لا تأكل أجسادهم... إلخ. وأنّ دين الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام واحد، ودعوتهم واحدة، وأنّ الإيمان بهم أحدُ أركان الإيمان الستة، وأنّ الإسلام دينُ الأنبياء جميعاً،



وأوضحت أن أول عقيدة في الأرض هي عقيدة التوحيد، ودعوة الأنبياء والمرسلين واحدة تسير وفق نهج مستقيم. كما وضحت ما قام به لوط عليه السلام من دعوته لتوحيد الله، وإفراده بالعبادة، ونهيه عن المنكر، ومحاربة الشرك.

المبحث الثالث: ذكرت قصة لوط عليه السلام في سورة هود والحجر والعنكبوت والذاريات، وذكرت تفسير الآيات القرآنية متكئاً على آراء علماء التفسير المتقدمين والمتأخرين (رحمهم الله تعالى) وفهمهم العميق؛ وفق منهج وسرد علماء التفسير في التفسير الموضوعي، مع الاستفادة مما تحدثت عنه الآيات الكريمات في فقه السنن الإلهية، وقضايا التوحيد والعقائد والأخلاق والقيم والمبادئ، وسرت على هذا المنهج في شرح كل الآيات التي تحدثت عن لوط عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: ذكرت قصة لوط عليه السلام كما جاءت في سورة الأعراف، والأنبياء، والشعراء، والنمل، والصافات، والقمر، والتحريم، وأشارت إلى حديث القرآن عن الإشارات التي ذكرت للاعتبار والاتعاظ، وربط قصة قوم لوط بالسنن الجارية في المجتمعات التي انحرفت عن شرع الله عز وجل وصراطه المستقيم، كما جاء ذلك في سورة التوبة، والحج، والفرقان، وص، وق، والنجم، والحق.

المبحث الخامس: ذكرت فيه أسباب هلاك قوم لوط عليه السلام، وأسباب نجاته. وجاء ذكر أسباب هلاك قومه كالاتي:

١- الشرك.

٢- الظلم.

٣- الإجرام.

٤- تكذيب لوط .

٥- الفسق .

٦- الإفساد .

٧- إيذاء لوط عليه السلام .

٨- كفرهم بنعم الله عليهم .

٩- المجاهرة بالذنوب والخطايا والفواحش .

١٠- سنة الاستبدال .

١١- سنة الأجل الجماعي .

١٢- سنة الهلاك .

١٣- سنة الخسران .

١٤- الغفلة عن أسباب الهلاك .

وأما أهم أسباب نجاة المؤمنين من قوم لوط عليه السلام، فقد ذكرت منها: إيمانهم بالله عز وجل، وتقواهم، وطاعتهم، وتحقيق توحيد الله في فكرهم وواقعهم، وإفراده سبحانه بالعبادة، ومحاربة الشرك بأنواعه، والسير وفق شرع الله وهدايته سبحانه وتعالى، والالتجاء إليه بالدعاء: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

وفي هذا المبحث ذكرت أيضاً أهم صفات لوط عليه السلام، وهي:

١- المؤمن المهاجر في سبيل الله .

٢- رسول أمين .

٣- الإخلاص .



٤- طهارته .

٥- توكله على الله .

٦- كرمه .

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٨- العلم والحكمة .

المبحث السادس: وهو المبحث الأخير، وتكلّمت فيه عن الشُّذوذ الجنسي في الوقت الرَّاهن، وعن أسبابه وعلاجه، وعن فكرة الزَّواج المثلي، والقوانين الشَّيطانية في هذا الزواج، وعن تعريف الزَّواج المثلي في الاصطلاح، والألفاظ ذات الصِّلة به؛ كاللواط، والسَّحاق، والشُّذوذ الجنسي، والمثلية الجنسيَّة، وتاريخ الزَّواج المثلي، وموقف الشَّريعة الإسلاميَّة منه، ومقاصد الزَّواج في الشَّريعة الإسلاميَّة؛ كمقصد التناسل، وطلب الولد، والمحافظة على الأنساب، والسكن النَّفسي، والتَّودد، والتَّعارف بين النَّاس، وتقوية آصرة المودَّة والمحبة بينهم .

كما بيَّنت عقوبة اللّواط والسَّحاق في الشَّريعة الإسلاميَّة، والأضرار المترتبة على حياة النَّاس من هذه الفواحش؛ كالأضرار الدينيَّة، والخُلقيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والنفسية، والصحيَّة .

وأشرتُ إلى أسباب الوقوع في الفواحش والشُّذوذ الجنسي؛ كضعف الإيمان، والتَّقصير في تربية الأبناء، والرَّفقة السيئة، والخلطة الفاسدة، وتعاطي المخدَّرات، والتَّبَرج، والاختلاط، وتعسير الزَّواج، وإطلاق النَّظر في الحرام، وصحبة المُردان والنَّظر إليهم، والعشق، ودور الشَّيطان، ووسائل الإعلام، والمكر اليهودي والصَّليبي .

كما أنَّني تناولتُ سُبُل الوقاية والعلاج من فاحشة قوم لوط، وذكرتُ أهمَّ الأمور وأعظمها؛ كمعرفة الخالق العظيم، والإيمان به، والإيمان باليوم الآخر،

وتزكية الأرواح بأنواع العبادات، والتربية على مكارم الأخلاق؛ كالصبر، والإخلاص، والتوبة النصوح، وأهمية الزواج، وغض البصر، والعناية بتربية الأبناء، والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسلطة الدولة، وتفعيل المؤسسات التعليمية، والمراكز الصيفية، والمؤسسات الأمنية، وتفعيل دور شرطة الآداب، وكذلك المؤسسة القضائية، ووسائل الإعلام، والدعوة لتكاتف الدول الإسلامية مع الشعوب، والدول الرافضة لطمس الفطرة الإنسانية، والقوانين المشرعة للشذوذ الجنسي، وتجريم المثلية لمناقضتها الصريحة لتعاليم الإسلام والفطرة الإنسانية. وهذا العمل يفتح مجالاً واسعاً لتفعيل سنة التدافع بين الثقافات والحضارات والخير والشر، والفطرة السليمة والمنحرفة، والقرب من الله وشرعه، والابتعاد عن غضبه وسخطه.

إنَّ تكاتفَ أفراد الأسرة والمجتمع، وحكومات الدول والمؤسسات الإنسانية، كقيلٍ بنشر الوعي، والكشف عن خطورة هذه الفاحشة التي يعمل إبليس وأتباعه على ترويجها بين الناس.

انتهيتُ من هذا الكتاب يومَ الجمعة بعد صلاتها، في تمام الساعة الثانية والنصف، بمدينة الدوحة العامرة (حفظها الله بحفظه، وسائر بلاد المسلمين)، وذلك في تاريخ: (١٧ محرم ١٤٤٥هـ / ٤ أغسطس ٢٠٢٣م).

والحمد لله على فضله ومنه، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يبارك فيه، وينفع به الإنسانية، وأن يكرمنا برفقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ومع إخوتي الذين ساعدوني في إتمام هذا الكتاب.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقفَ بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم، معترفاً بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حوّلي وقوتي، ملتجئاً إليه في كلّ حركاتي وسكناتي، وحياتي ومماتي.

فالله العزيز الحكيم، الخلاق العليم، الرؤوف الرحيم هو المتفضل، وربّي



الكريم وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخلّى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي؛
لتبدّل منّي العقل، وغابت الذاكرة، ويبست الأصابع، وجفّت العواطف،
وتحجّرت المشاعر، وعجز القلم عن البيان.

اللّهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك وعلى طاعتك.

اللّهم إنّي أعوذ بك من سوء الأخلاق والأعمال والأهواء وطريق الغواية.

اللّهم بصّرني بما يرضيك، واشرح صدري، وجنّبي اللّهم ما لا يرضيك،
واصرفه عن قلبي وتفكيري.

وأسألك يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، أن تُثيبي وإخواني الذين
أعانوني على إتمام هذا الجهد.

اللهم اجعل هذا العملَ لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، واطرح فيه البركة
والقبول والنفع العميم.

ربّ اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات.

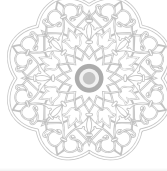
ولي رجاء من كلّ من يطّلع على هذا الكتاب، ألا ينسى العبدَ الفقير إلى عفو
ربه ومغفرته ورحمته ورضاه من دعائه، قال الله تعالى:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

والحمد لله ربّ العالمين

الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصّلابي



المبحث الأول

لوط عليه السلام؛ اسمه، ونسبه، ومولده، وظروف عصره

أولاً: لوط عليه السلام: اسمه، ونسبه:

١ - اسم لوط عليه السلام في القرآن الكريم :

ورد ذكر لوط عليه السلام تسعاً وعشرين مرة ، وفيما يأتي أسماء السور التي ذكر فيها ، وعدد مرات ذكره فيها عليه السلام :

- سورة الأنعام : مرة واحدة .

- سورة الأعراف : مرة واحدة .

- سورة هود : خمس مرات .

- سورة الحجر : مرتان .

- سورة الأنبياء : مرتان .

- سورة الحج : مرة واحدة .

- سورة الشعراء : ثلاث مرات .

- سورة النحل : مرتان .

- سورة العنكبوت : أربع مرات .

- سورة الصافات : مرة واحدة .

- سورة ص : مرة واحدة .

- سورة ق : مرة واحدة .

- سورة القمر : مرة واحدة .

- سورة التحريم : مرة واحدة .

وتمحور ذكر قصّة لوط عليه السلام في القرآن الكريم على ثلاث حالات :

الحالة الأولى : ذكرُ بعض التفاصيل لقصته مع قومه ، من خلال بيان انحرافهم وشذوذهم ، ودعوة لوط عليه السلام ، ثم إيقاع العقاب والعذاب عليهم .

الحالة الثانية : ذكرُ بعض الإشارات السريعة عن قصته .

الحالة الثالثة : ذكرُ اسم لوط عليه السلام ضمنَ ورود أسماء بعض الأنبياء ^(١) .

أمّا تفاصيلُ هذه الحالات الثلاثة فسيأتي - بإذن الله تعالى - في صفحات هذا الكتاب .

٢ - اسم لوط عليه السلام عند أهل اللغة :

اختلف أهل اللغة في اسم (لوط) عليه السلام هل هو مشتق ، أو غير مشتق ؟

فقال الفراء : لوط مشتق من قولهم : هذا أليط بقلبي ، أي ألصق . وهذا المعنى الذي قال به الفراء ، هو أحد الاشتقاقات لكلمة (ألاط) ^(٢) . فيقال : لاط الشيء بالشيء ، أي ألصقه به ، و لاط الشيء بقلبي ، أي ألصق به وأحببته ^(٣) .

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ، صلاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق - الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م ، ١ / ٤٧٤ .

(٢) فتح القدير ، الشوكاني ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ٢ / ٢٢٢ .

(٣) القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ ، ٢ / ٦٨٨ .



وقال الرَّاعِب: لوط اسم علم، واشتقاقه من لاط الشيء بقلبي يلو ط لَيْطاً^(١). ومادة (لاط) في اللغة لها اشتقاقات كثيرة، وأغلبُ معانيها تدلُّ على إصاق الشيء بالشيء^(٢).

وأما الزَّجَّاج: فخطأ قول من قال: إنَّ اسم (لوط) مشتق من لَطْتُ الحوض. قال: وهذا غلط؛ لأنَّ لوطاً من الأسماء الأعجمية، وليس عربياً^(٣). وقال: فأما لَطْتُ الحوض، وهذا ألوط بقلبي من هذا؛ فمعناه: ألصق بقلبي، وهذا صحيح في اللغة^(٤). ولكن الاسم الأعجمي، كإبراهيم وإسحاق، مثلاً: فلا نقول أنه مشتق من السُّحْق، وهو البعد.

وكذلك قال النَّقَّاش: (لوط) من الأسماء الأعجمية، وليس من العربية، فأما لَطْتُ الحوض، وهذا أَلِيطُ بقلبي من هذا؛ فصحيح، ولكنَّ الاسم أعجمي، كإبراهيم وإسحاق.

وقال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية، إلا أنها خفيفة، فلذلك صُرِفَتْ. وفي معجم الصَّحاح: لوط اسم ينصرف مع العجمة والتعريف، وكذلك نوح، وإنما ألزموهما الصرف؛ لأنَّ الاسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن وهو على غاية الخفَّة، فقاومت خفته أحد السببين.

(١) المفردات في غريب القرآن، الرَّاعِب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار

القلم، دمشق، الدار الشَّامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ٤٥٦.

(٢) لوط وقومه على ضوء الكتاب والسنة، ناصر أحمد نصَّار، جامعة أم القرى مَكَّة المكرمة، كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الكتاب والسنة، ١٤٠٥

١٤٠٦هـ، ص ٢٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده

شليبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣٨٩/٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد الأنصاري شمس الدين القرطبي

(ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية،

ط ٢، ١٩٦٤م، ٢٤٣/٧.

ومما سبق، يظهر أنَّ اسمَ (لوط) أعجميٌّ، والأسماء الأعجمية لا تُشتقُّ، كما قال الزجاج وغيره من أهل اللغة^(١). وأمَّا كلمة (لاط) فلها اشتقاقٌ ومعانٍ في اللغة مختلفة، ولكن كلمة (لوط) التي هي علَم لهذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فليست داخلية في اشتقاقات هذه المادة^(٢).

٣- الفرق بين اسم لوط واللواط :

يقولُ الشيخُ الدكتور صلاح الدين الخالدي (رحمه الله): من خلال حديث القرآن عن قوم لوط أنَّهم كانوا يرتكبون فواحش كثيرة، من أسوئها وأشنعها وأقبحها: فاحشة إتيان الرجال شهوةً من دون النساء، ولم تكن هذه الفاحشة موجودةً فيمن كان قبلهم. هذه الفاحشة التي عُرِفَت فيما بعد باسم (اللواط)، ويعبَّر عنها في هذا العصر باسم (الشذوذ الجنسي أو المثلية الجنسية)، وقد يقرن بعضهم بين اسم (لوط) عليه السلام وبين فاحشة (اللواط)، ويظنُّ أنَّ هذا الاسم مشتقٌّ من اسم لوط؛ لأنَّ الفاحشة ظهرت في قوم لوط، وهذا الربطُ غير سليم؛ وذلك لما بيَّنا من أنَّ الكلمتين ليستا من أصل لغوي واحد.

إنَّ اسم (لوط) علَمٌ أجنبي غير عربيٍّ، سُمي به ذلك النبيُّ الكريم عليه الصلاة والسلام، فهو اسمٌ غير مشتق، فلا نبحث عن مادة اشتقاقه في العربية، ولا عن جذره الثلاثي، فهو أعجمي، مثل: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وأنبياء ورُسل غيرهم عليهم الصلاة والسلام، فهي أسماء أنبياء من غير العرب، بُعثوا إلى أقوام من غير العرب، كانوا يتكلمون بغير العربية، وهي أسماء أعجمية، على الرغم من ورودها في القرآن الكريم، ولا تتعارض عربية لغة القرآن مع وجود أسماء أعلام أعجمية فيه مترجمة إلى العربية، ومكتوبة بالحروف العربية.

(١) لوط وقومه على ضوء الكتاب والسنة، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١.



واسم (لوط) مصروفٌ، وليس ممنوعاً من الصَّرف كباقي أسماء الأعلام الأجنبية، لأنَّه ثلاثي ساكن الوسط، مثل اسم: (نوح).

أما (اللواط) فهي كلمة عربيَّة مشتقة، لها صورة فعلية ومصدرية، تقول: لاط، لوطاً، ولوطاً.

قال ابنُ فارس في «مقاييس اللغة»: (اللواط): كلمة تدلُّ على اللصوق، يقال: لاط الشيء بقلبي؛ إذا لصق.

وفي الحديث: «الولد ألوطٌ بالقلب»؛ أي: ألصق بالقلب، وتقول: لُطْتُ الحوض لوطاً، إذا طينته بالطين^(١).

ويبدو أنَّ العرب عندما سمَّوا الفاحشة القبيحة لواطاً، ما أرادوا أخذ الاسم من لوط عليه السلام، وإنما أخذوه من معنى الكلمة في اللغة، فإذا كان اللواط يدلُّ على اللصوق، فقد سموا إتيانَ الرجل للرجل لواطاً؛ لأنهما يلتصقان معاً عند ارتكابهما تلك الفاحشة^(٢).

وقال الشيخُ الدكتور فضل حسن عباس (رحمه الله): كثيرٌ من الناس ينسبون الذين يفعلون هذه الفاحشة الشَّنيعة، فيقولون: فلان لوطيُّ، وهؤلاء قوم لوطيُّون، ولا أرى هذه النسبة مقبولة؛ فاللوطيُّ نسبةٌ إلى لوط، كما أنَّ المحمديَّ والإبراهيميَّ نسبةٌ إلى محمد وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام، والهاشمي نسبةٌ إلى هاشم، فالصَّحيح أن يقال في نسبة أولئك: (الذين يفعلون فعلة قوم لوط)، بدلاً من أن يقال: (لوطيُّون)^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرَّازي (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٩٧٩م، ٤٨٠/٥.

(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق - الدار الشَّامية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤٨٠/١.

(٣) المصدر السابق، ٤٨٠/١.

وقال الأستاذ خالد محمد أحمد: «(لوط) لفظٌ عربيٌّ، وهو نبيُّ الله تعالى، واسمه عربي قديم معناه من (لطي)؛ أي الذي طريقته: أن يستعيز ويلوذ دائماً بالله تعالى، و(لطي) في المعجم: كَمَنَ واختبأ»^(١).

٤ - نسبُ لوط عليه السلام:

هو لوط بن هارون بن آزر، آمن بدعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام، وتبعه، وهاجر معه، فاتاه الله حكماً وعِلماً، وأوحى إليه، وجعله نبياً، وبعثه إلى سدُوم وأعمالها^(٢).

وقال الحاكم: «فقد اتفقت الروايات أنَّ سيدنا لوطاً هو من بيت إبراهيم، لكنهم اختلفوا أهو من ولده أو من ولد أخيه»^(٣).

وذكر المؤرِّخون عدة أقوال في علاقة سيدنا لوط عليه السلام بإبراهيم، وقد ذكر مجموعة من المفسرين أنَّ سيدنا لوطاً هو ابن أخ إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو القول الذي رجَّحه جمعٌ من العلماء، منهم البغوي (رحمه الله) في قوله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...﴾ [الأعراف: ٨٠]، قال: لوط بن هارون ابن أخي إبراهيم^(٤).

-
- (١) القصص القرآني، المصدر السابق، ١/ ٤٨٠.
- (٢) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٥/ ٣٥٤.
- (٣) المستدرک على الصَّحَّاحين، الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ٢/ ٦١١.
- (٤) تفسير البغوي «معالم التنزيل»، البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الرياض، ط ٣، ١٤١٦هـ، ٣/ ١٦٥.



وقال القرطبي: بعثه الله تعالى إلى أمة تُسمى (سَدُوم)، وكان ابن أخي إبراهيم^(١).

وأخرج السيوطي (رحمه الله) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كان إبراهيم خليل الرحمن عمّ لوط بن هارون بن تارح^(٢).

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولوط النبي ﷺ كان ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام^(٣).

إنَّ صلة القرابة بين سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام، هي أنَّ إبراهيم عمُّه، ولوطاً ابن أخيه هاران، وقد نقل علماء التاريخ والسير أنه وُلد لهاران لوط، وأن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي وُلد فيها، وهي أرض الكلدانيين بأرض بابل^(٤)، وهو قولُ أكثر العلماء مثل: القرطبي والبغوي والسيوطي وغيرهم كثير^(٥).

ثانياً: مولد لوط عليه السلام، وعصره، ومدة هجرته:

وُلد لوط عليه السلام في أرض الكلدانيين بالعراق، وتحديدًا في منطقة بابل. ونشأ عليه السلام في بيئة تعبد الأصنام، متوسطة الحال، حيث كان جدُّه - والد إبراهيم عليه السلام - نجاراً ماهراً يصنع الأصنام ويتاجر فيها، فهي رزقه في هذا المجتمع الوثني. وكان لوط متأثراً بدعوة عمِّه إبراهيم كثيراً، إذ لم يعبأ

(١) تفسير القرطبي، ٢٤٣/٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٤٣١هـ، ٤٩٥/٣.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، ٦٦١/٢، إسناده صحيح.

(٤) الآيات والأحاديث والآثار في نبي الله لوط، أشواق بنت صالح محمد حمصاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، الدراسات العليا، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٤هـ - ١٤٣٥هـ، ص ٣٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٢.

بما عليه جدُّه ووالده، بل المجتمع بأكمله، ورأى في عمِّه قدوةً حسنة، فسار على نهجه، وتربَّى على يديه، واستفاد من علمه، وآمن بدعوته، ولم يتزعزع في ذلك، حتى في أحلك الظروف والتحديات التي حلت بعمِّه من قبل ذلك المجتمع الوثني^(١).

١ - الحياة الدينية :

نشأ لوط عليه السلام في المجتمع الذي وُلد فيه إبراهيم عليه السلام، وكانت تسود فيه عبادة الكواكب والأصنام، وهو مجتمع يسجد الناس فيه للملوك والحكام من دون الله عزَّ وجلَّ.

وسار لوط عليه السلام على نهج عمِّه إبراهيم عليه السلام؛ الذي كانت حياته تُمثِّل دعوة التوحيد لله عزَّ وجلَّ وإفراده بالعبادة الخالصة لوجهه الكريم.

وكانت بلاد الرافدين موطناً لكثير من القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية وغيرها؛ وذلك لخصوبة أرضها، ويُسر الحياة فيها، لكن تعددت فيها العبادات، وتنوعت المعتقدات، لأنَّ النازحين إليها كانوا ينقلون معهم معبوداتهم وعقائدهم الباطلة؛ مثل عبادة الأصنام^(٢)، وعبادة الكواكب، وتقديس الملوك، وعبادة الظواهر الكونية^(٣). وقد فصلت ذلك في كتابي (إبراهيم خليل الله عليه السلام؛ داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة) فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

(١) لوط وقومه في الكتاب والسنة، ص ٤٧.

(٢) إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد، فاطمة بنت خالد درمان، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٢١هـ، ص ٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٩ - ٦٣.



٢- الحياة الاجتماعية والسياسية :

يتألف المجتمع في بلاد ما بين النهرين من ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : طبقة الأحرار :

تتكوّن طبقة الأحرار من الفئة الحاكمة ، وفي مقدمتهم الأسرة المالكة التي تحتلّ مكانةً مقدسة واحتراماً من نوع خاص ، وذلك للمنزلة التي كان يتمتع بها الملك وأسرته لدى الناس عامة ، حيث يعدّون الملك ممثلاً للآلهة على الأرض ونائباً عنها ، كما تشمل هذه الطبقة أبناء الوجهاء والسُّفراء والمشرفين على المعابد ، وقادة الجيش ، وموظفي الضرائب والكهنة^(١) .

الطبقة الثانية : الطبقة الوسطى وتسمى (المسكينوم) :

تتكوّن من أبناء الطبقة المتوسطة الذين يؤلّفون الكتائب العسكرية ، ويكونون مزوّدين بالأسلحة ، وذلك للعمل في المعسكرات ، ويعاملون معاملةً واحدةً أمام القانون ، ويتمتعون بالحقوق والواجبات إلا إذا نصّ القانون على خلاف ذلك . وكانوا جميعاً أحراراً من الوجهة النظرية ، ولكن في الواقع كانت حريّة نسبة كبيرة منهم مقيّدة ، نظراً لظروفهم الاقتصادية الصّعبة .

الطبقة الثالثة : طبقة الأرقاء والعبيد :

تتكوّن هذه الطبقة من أسرى الحروب والسّبي ، ومن يُباعون في أسواق العبيد . هذا ، وقد يُعد الفرد الذي من الطبقة الوسطى من طبقة الأرقاء في حالات وظروف معينة ؛ مثل اقترافه جرائم معيّنة نصّ عليها القانون ، أو في حالة عجزه عن سداد دينه ، أو أن يُنكر المتبني من يتبنّاه ، كذلك تصبح الزوجة من طبقة الرقيقات ، إذا تنكّرت لزوجها ، أو أنكرته .

(١) إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود، ص ٦٤ .

وهذه الطبقة لم يكن لها تأثيرٌ في المجتمع، ولم يُنظر إلى أفرادها على أنهم بشر، بل عُومِلوا معاملة المتاع، فكانوا يُعرفون بأسماء أصحابهم، وإن وقع عليهم الضرر يُدفع التعويضُ لمالكهم، ويُميزون عن بقية أفراد المجتمع إما بقصّ شعورهم، أو بوضع علاماتِ العبوديّة على أجسادهم؛ لتكون شاهدةً عليهم، ومميّزة لهم من بين مجموع الأفراد في المجتمع^(١).

أ- الزّواج والأسرة:

كان الزّواجُ يقومُ في بلاد العراق في زمن سيدنا لوط عليه السلام على مجموعة من الأسس والأعراف، منها أن يكون بموجب عقدٍ صريحٍ مُدَوّنٍ ومُصدّقٍ عليه بالشهود الثقات، ولا يُعترف بالزّواج إلا إذا تمَّ بموجب هذا العقد الذي يُشترط فيه موافقة والدي الخاطب (الرجل)، والدي المخطوبة (الفتاة)، كما كان للوالدين دورٌ كبيرٌ في اختيار الفتاة المناسبة لابنهما. وحتى يتمّ الاتفاق بين الأسرتين على الزّواج يرسل الخاطبُ مقدمة المهر (الترخانو) إلى والد العروس، ثمَّ يدفع بقيّة المهر بعد ذلك. وإذا عمل الخاطب على تنفيذ إجراءات الزواج لا يحقُّ له استرجاع المهر، أما إذا كان الرّفْضُ من طرف أسرة الزوجة فيجب عليها أن تعيدَ جميعَ ما جمعه الزوج وقَدَّمه إليها.

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ المجتمع البابليّ كان يسمح قبل الزّواج بإقامة علاقات جنسية بين الذكر والأنثى، وهو ما يُعرف في بابل (الدعارة المقدسة). يقول (ول ديورانت): «وكان يُسمَحُ للبابليين - عادةً - بقسط كبير من العلاقات الجنسية قبل الزواج، ولم يكن غريباً على الرجال والنساء أن يتّصلوا اتصالاً غير مرخص به (زيجات تجريبية)، وتنتهي متى شاء أحد الطرفين أن ينهيها»^(٢).

(١) مصر والشرق الأدنى القديم مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة، نجيب ميخائيل إبراهيم، المكتبة التاريخية، ط٤، ١٩٦٣م، ص ٣٠.

(٢) قصّة الحضارة، ول ديورانت، دار الجبل، ط١، ٢٠١٣م، ٢٣١/١.



وقد كانت القوانين والتقاليد تُقرُّ منح الزوجة جاريَّتها لزوجها من أجل الحصول على الأولاد، وتنالُ الأمّة حريَّتها بعد إنجابها. وقد يُسمح للفرد أن يتبنّى الأطفال الذكور أو الإناث وفق عقدٍ مدوّن بين طالب التبنّي ومن قاموا بتربية الطفل، وذلك وفق شروط عديدة، وهي:

- أن يقوم المتبني بالتزاماته تجاه الابن المتبنّي، فكان على المتبنّي أن يعامل الابن المتبني كأحد أبنائه الطبيعيين.

- أن يقوم الأب المتبني بتعليم الابن المتبني، وثقيفه كما لو كان ابنه الحقيقي.

- أن يوصي الشخص المتبنّي بتوريث الابن المتبني مثل توريثه لأبنائه الحقيقيين.

وبالمقابل، كان على الابن المتبني أن يطيع والديه اللذين تبنّياه، ويعدّهما كوالديه الحقيقيين، وإذا تناول عليهما أو أنكرهما، فلهما ضربه وتقريره أو استعباده^(١).

ب- إقامة الأعياد:

من المظاهر الاجتماعية التي كانت حاضرة في عصر إبراهيم عليه السلام: إقامة الأعياد والاحتفالات الاجتماعية والدينية الطقسية، ومن أهم تلك الأعياد: أعياد الآلهة، حيث كان لكل إله من آلهتهم أعياده الدينية الخاصة به، كما كانوا يحتفلون عند كل سنة جديدة بعيدٍ يُعدّ من أكبر أعيادهم، وذلك بدعوة من جميع الآلهة - على حدّ زعمهم - ويخرج إلى هذا العيد جميع أهل المدن من الرجال والنساء والأولاد، وذلك للمشاركة في الاحتفالات يتقدمهم الملك؛ حيث

(١) تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، العراق القديم، د. صالح أحمد العلي، ص ١٩٢.

يقومون بأداء الطقوس الدينية من الأدعية والصَّلوات والابتهالات، وتقديم القرابين وغيرها من الطقوس إلى أكبر آلهتهم (مردوح)، ويستمترون في تأدية طقوسهم الدينية لعدة أيام^(١).

ولعل هذا العيد هو العيد الذي خرج قوم إبراهيم عليه السلام إليه، وطلبوا من إبراهيم عليه السلام الخروجَ معهم للمشاركة في احتفالاتهم، ولكنه عليه السلام لم يجبهم إلى طلبهم، وانتَهز فرصة خروجهم وانشغالهم بطقوس عيدهم، فذهب إلى معبدهم وحطَّم أصنامهم، كما قال تعالى: ﴿فَرَأَى إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا بِالْأَيْمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩١-٩٣].

ج- الحياة التعليمية :

كان التعليمُ في عهد لوط عليه السلام متاحاً للجميع، وكانت المدارسُ الخاصة بالمعابد منتشرةً في كلِّ مكان، لتعليم الناس العلوم المختلفة، كالقراءة والكتابة، حيث كانوا يكتبون بأقلام من القصب على ألواح من الطين الرطب. كذلك اهتمَّ الناسُ في عصره بعلم الفلك، وبدا ذلك واضحاً من خلال بناء الصُّروح العالية لمراقبة الأجرام السماوية التي تعينهم على التنبؤ بمستقبل الناس، والتكهُّن بمصائرهم^(٢).

ومن العلوم التي كانت منتشرةً في عصر لوط عليه السلام: علمُ الحساب، فكان الناس يهتمون بهذا العلم اهتماماً عظيماً، من أجل معرفة الأعداد، وغير ذلك من الأمور الحسابية. وكانوا يحفظون الكتب في المعابد والقصور الملكية إلى جانب وثائقهم الرسمية، وهذا يشير إلى اهتمام الناس الكبير في عصر لوط عليه السلام بالناحية التعليمية، إذ كانوا بعد تخرُّجهم من المدارس يلتحقون

(١) الدِّيانات الوضعية المنقرضة، محمد العربي، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥م، ص ٨٩.

(٢) إبراهيم عليه السلام خليل الله، علي الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م، ص ٦٧.



بخدمة المعابد والقصور الملكيَّة وهناك يطلعون على علوم كثيرة كانت سائدة في عصرهم^(١).

ومما سبق عرضه نستطيع القول بأنَّ البيئة الاجتماعية في عصر إبراهيم عليه السلام كانت تتلخَّص ملامحها بالنقاط الآتية:

- هي بيئة ذات حضارة عميقة، ومُبدعة، ولها تشريعات وأحكام وقوانين ونُظم، يُنظَّم فيها الناس شؤونهم الاجتماعية.

- وهي بيئة ذات حضارة ماديَّة، حيث برعوا في علم الفلك، وشيّدوا الصُّروح العالية لرصد الكواكب، كما اهتموا بدراسة الحساب والقراءة والكتابة وغيرها من العلوم، وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على ما كانوا يتمتعون به من الغنى ورغد المعيشة.

- وكان يسودها الفسادُ الأخلاقيُّ بكلِّ صوره، حيث كانوا يتردّون في مستنقعات الرذيلة، والعُهر الاجتماعي، والانحطاط الأخلاقي دون رادع من ضمير، أو وازع من اعتقاد^(٢).

- وكان الدينُ منفصلاً عن الأخلاق والقيم، وبعيداً عن الحياة والواقع، إذ كان إتيان الفواحش جهاراً نهاراً أمراً لا يُستحيا منه، بل أُعطيت تلك الفواحش غطاءً دينياً، حيث ربطوا العهر بالدين، وجعلوه وسيلة يتقرب بها المرء من الآلهة^(٣).

وقد صوّر (ول ديورانت) هذا الوضع المزري والشائن بقوله: «ينبغي لكل امرأة بابلية أن تجلسَ في هيكل الزهرة مرة في حياتها، وأن تضاجع رجلاً غريباً.

(١) إبراهيم عليه السلام، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد، ص ٧٤.

(٣) إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، أحمد البراء الأميري، ص ٤٦.

وظلت (الدعارة المقدسة) عادةً متبعةً في بلاد بابل حتى ألغاهما قسطنطين حوالي عام (٣٢٥ ق.م)، وكان إلى جانبها (عهد مدني) منتشر في حانات الشراب تُديرها النساء، وكان يُسمح للبابليين - عادة - بقسط كبير من العلاقات الجنسية قبل الزواج»^(١).

هذه صورةٌ موجزةٌ عن الحال في زمن إبراهيم عليه السلام، حيث نرى فيها البونَ الشَّاسِعَ بين ما دعا إليه من رفعة الإيمان والتوحيد، وما كان الناس فيه من وهدة الجاهلية والخطايا^(٢).

د- الحياة السياسيّة :

كانت مصرٌ وبابل دولتين مزدهرتين، قامت فيهما أرقى حضارات العصور القديمة، وقد تأثرت أرضُ كنعان في بلاد الشَّام بنتائج الحروب والصِّراعات بين الدولتين، وكانت السيطرةُ على أرض الشَّام وسكانها للغالب منهما. ويُستنبط من الآثار البابلية أن بابل كانت تسيطر على أرض كنعان في الألف الثالثة قبل الميلاد، ولذلك تأثرت حضارة الكنعانيين بحضارة بابل، وحدث تمازج حضاري أكيد^(٣).

وتذكرُ بعضُ المصادر التاريخية أنَّ إبراهيم عليه السلام وُلد في عهد نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، الذي كان حاكماً مستبدّاً جباراً، استخف قومه فنصَّب نفسه إلهاً لهم، فأطاعوه، إضافة إلى عبادة الأصنام والتمثيل المنتشرة بين أفراد المجتمع^(٤).

(١) قصّة الحضارة، ٢/ ٢٩٩.

(٢) إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، ص ٤٦.

(٣) مقارنة الأديان «اليهودية»، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٩،

١٩٩٠م، ص ٤٤.

(٤) تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ١/ ١٤٢.

ومن الطَّبِيعِي أَنْ يَكُونَ حَاكِمُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ أَوْ مَلِكُهَا الْعَبَّارُ الْمَتَّالَهُ طَاغِيَةً مِنْ طَوَاغِيَتِ عَصْرِهِ، كَيْفَ لَا، وَقَدْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ جَدًّا أَنْ يُصْدَرَ أَمْرًا بِإِحْرَاقِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

كَيْفَ لَا وَبِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْبِلَادِ، وَفَوْقَ هَذَا وَذَاكَ فَقَدْ ادَّعَى الرَّبُّوبِيَّةَ وَالْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ^(١).

ثالثاً: هجرة لوط عليه السلام مع عمِّه إبراهيم عليه السلام:

آمَنَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَبْوَةِ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَهُ لِلْأَسْبَابِ نَفْسَهَا الَّتِي حَمَلَتْ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنْ وَطَنِهِ، وَمَسَقَطَ رَأْسِهِ بِالْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ ^(٢).

١ - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]:

كَانَتْ دَارُ هَجْرَةِ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَالْبَرَكَةُ الرَّبَّانِيَّةُ كَامِلَةٌ وَشَامِلَةٌ لِكُلِّ مَجَالَاتِ الْبَرَكَةِ وَأَلْوَانِهَا؛ إِنَّهَا بَرَكَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ وَاقْتِصَادِيَّةٌ وَسِيَاسِيَّةٌ وَعِلْمِيَّةٌ وَحَضَارِيَّةٌ وَجِهَادِيَّةٌ، وَتَقَرَّرُ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَكَةَ الرَّبَّانِيَّةُ الشَّامِلَةُ فِي فِلَسْطِينَ؛ (لِلْعَالَمِينَ).

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

آمَنَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَبْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ أَنْ رَأَى مُعْجَزَةَ النَّارِ الَّتِي لَمْ تَحْرِقْ خَلِيلَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَيَقَّنَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الَّذِي حَصَلَ لَمْ يَكُنْ حَدَثًا عَابَرًا، وَإِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً صَنَعَتْهَا يَدُ الْخَالِقِ

(١) إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصَّلَاحِيُّ، ص ٦٩.

(٢) الْهَجْرَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَحْزَمِي سَامِعُون، ص ١٩٧.

العظيم . وفي هذا إشارة للناس عامة وللمؤمنين خاصة ، في أن الله عز وجل يخرج الفرج من بين أنياب الضيق ، فحاكم العراق آنذاك وحاشيته أرادوا حرق النبي الخليل إبراهيم عليه السلام ، لكن إبراهيم عليه السلام كسب دعماً جديداً من مؤمن جديد بعد إيمان سارة زوجته .

قال الإمام القرطبي (رحمه الله) في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّنَ لَّمْ يُؤُوتْ ﴾ : إِنَّ لوطاً أول من صدق إبراهيم حين رأى النار عليه تحوّلت برداً وسلاماً^(١) .

وقال الشعراوي (رحمه الله) : ﴿ فَأَمَّنَ لَّمْ يُؤُوتْ ﴾ : جاءت جملة اعتراضية في قصّة إبراهيم عليه السلام ، لأنّ المحصلة في النهاية هي دعوة إبراهيم في قومه ؛ ولذلك يعود السياق مرة أخرى إلى إبراهيم عليه السلام^(٢) .

- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ ؛ أي : إني مهاجرٌ إلى حيث أعبدُ ربي بحرية ، وأستأنسُ بطاعته ، فلا أستوحشُ برؤية أصنامكم وأوثانكم ، ولا أعاني من أذاكم^(٣) .

﴿ إِنِّي رَبِّي ﴾ لا غيره ، بل إلى عبادته ، وإقامة شعائر دينه ، والقيام بدعوة الخلق إلى الحق من شرّعه وتوحيده^(٤) . وإنما هاجر إلى ربّه ليكونَ متقرباً إليه ، ملتجئاً إلى حمّاه ، هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه ودمه ، هاجر إليه ليخلص له عبادته ، ويخلص له قلبه ، ويخلص له كيانه كلّ في مهجره ، بعيداً عن مواطن الكفر والضلال ، بعد أن يبقى رجاء أن يفني القوم إلى الهدى والإيمان^(٥) .

(١) تفسير القرطبي ، ٣٣٩ / ١٣ .

(٢) تفسير الشعراوي ، ١٨ / ١١١٣٢ .

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ٦ / ٣٨٣ .

(٤) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، ١٣ / ١٤٧ .

(٥) في ظلال القرآن ، ٥ / ٢٧٣٢ .

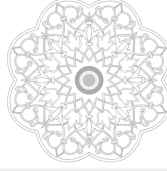


إِنَّ هَجْرَةَ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي بِلَدٍ لَا يَتِمَكَّنُ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَى بِلَدٍ يَتِمَكَّنُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نَجَاحِ دَعْوَتِهِ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَبَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْظَمَ الدَّعَاةِ، بَعْدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ هَذِهِ الْوَسِيلَةَ لِنَجَاحِ دَعْوَتِهِ، فَقَدْ هَاجَرَ مِنْ بِلَادِهِ، وَتَرَكَ وَطَنَهُ، وَرَغِبَ عَنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ مُهَاجِرًا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ لُوطٌ وَامْرَأَتُهُ سَارَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِيَتِمَكَّنَ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ. وَخَرَجَ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ حَيْثُ تَرَكَ فِيهَا ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجِرَ، كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ مَعْلُومٌ. وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِي (إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، دَاعِيَةُ التَّوْحِيدِ وَدِينُ الْإِسْلَامِ وَالْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ)، وَلَمَّا هَاجَرَ هَذِهِ الْهَجْرَةَ، رَزَقَهُ اللَّهُ أَوْلَادًا صَالِحِينَ، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ^(١).

وَقَدْ اسْتَفَادَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَجْرَتِهِ مِنْ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَتَلَمَذَ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَشَرَّبَ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ، وَاخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلنَّبُوَّةِ وَدَعْوَةِ قَوْمِ لُوطٍ - كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ - وَقَدْ ذَكَرْتُ كِتَابَ السِّيرِ وَالتَّارِيخِ مَا رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي هَجْرَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَزَوْجَتِهِ رُقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَبَشَةِ: «إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ»^(٢).

* * *

(١) الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، مُحَمَّدٌ سَيِّدِي بْنُ الْحَبِيبِ، ص ٤٦٥.
 (٢) سَبِيلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ، الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الصَّالِحِي، ٢/ ٤٨٥،
 السَّنَةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ، ص ٥٩٢، مُوسَوَّةُ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، أَبُو هَاجِرٍ
 مُحَمَّدٌ بَسْيُونِي زَغَلُول، ٣/ ٣٤٨.



المبحث الثاني

لوط عليه السلام في موكب النبيين والمرسلين

عرض القرآن الكريم موكب الإيمان الجليل ، يقوده ذلك الرهط من الرُّسل ، من نوح إلى إبراهيم إلى خاتم النبيين (صلوات الله وسلامه عليهم) ، ويعرض السياق هذا الموكب ممتداً موصولاً ، ولا يُراعي التسلسل التاريخي في العرض ، لأنَّ المقصود هنا هو الموكب بجملته ، لا تسلسله التاريخي ، قال تعالى :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَفْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٩٠] .

- وقال تعالى : ﴿إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء :

١٦٦- ١٦٢] .

- وقال تعالى : ﴿وَإِن لُّوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الصافات : ١٣٣] .

في حديث القرآن الكريم عن موكب الأنبياء والمرسلين في الآيات الكريمة في سورة الأنعام؛ كانت التعقيبات على هذا الموكب المبارك في الذكر الحكيم في قوله تعالى:

- ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

- ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

- ﴿وَأَجْنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

هذه كلها تعقيبات تقرّر إحسان هذا الموكب الكريم، واصطفاء الله له، وهدايته إلى الطريق المستقيم. واستعراض صورة هذا الموكب العظيم كلها تمهيداً للتقريرات التي تليه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ وهذا تقريرٌ لينابيع الهدى في الأرض، فهداية الله للبشر تتمثل فيما جاءت به الرسل، ولا واهب سواه، لأن الله تعالى هو الذي قرره، وهدى إليه عباده.

ولو أنّ هؤلاء العباد المهتدين حادوا عن توحيد الله، وانحرفوا عن المصدر الذي يستمدّون منه الهدى، وأشركوا في الاعتقاد أو العبادة أو التلقي، فإن مصيرهم أن يحبط عملهم؛ أي أن يذهب ضياعاً، ويهلك كما تهلك الدابة التي ترعى نباتاً مسموماً، فتفتتح ثم تموت، وهذا هو الأصل اللغوي للحبوط.

وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؛ هذا التقرير الثاني، فقرّر في الأول مصدر الهداية، وقصره على هدى الله الذي جاءت به الرسل، وقرّر في الثاني أنّ الرسل الذين ذكرهم وأشار إليهم، هم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والسلطان والنبوة.

إنّ لفظ كلمة (الحكم) يجيء بمعنى الحكمة، كما يجيء بمعنى السلطان

كذلك، وكلا المعنيين محتملٌ في الآية، فهؤلاء الرسلُ أنزل الله على بعضهم الكتاب، كالثَّوراة مع موسى عليه السلام، والزَّبُور مع داود عليه السلام، والإنجيل مع عيسى عليه السلام، وبعضهم آتاه الله الحكمة كداود وسليمان عليهما السلام، وكلهم أُوتي السلطان على معنى أن ما معهم من الدِّين هو حُكْمُ الله، وأن الدِّين الذي جاؤوا به يحملُ سلطان الله على النفوس وعلى الأمور. فما أرسل الله الرسلَ إلا ليطاعوا بإذنه، وما أنزل الكتاب إلا ليحكمَ بين الناس بالقِسْط - كما جاء في الآيات الأخرى - وكلهم أُوتي الحكمة، وأُوتي النبوة، وحمل دينَ الله إلى الناس، وقام عليه، وآمن به، وتمسَّك به، وحافظَ عليه، فإذا كَفَرَ بالكتاب والحكمة والنبوة مشركو العرب (هؤلاء)، فإن دين الله غنيٌّ عنهم، وهؤلاء الرهطُ الكرام، والمؤمنون بهم، هم حسب هذا الدِّين^(١).

إنها حقيقةٌ قديمة امتدَّت جذورها، وتفرعت أغصانها، وموكبٌ موصولٌ تماسكت حلقاته، ودعوة واحدة حملها رسولُ الله، وآمن بها، وهو تقريرٌ يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلوب العُصبة المسلمة أيًّا كان عدُّها. وإنَّ هذه العُصبة ليست وحدها، وإنها ليست مقطوعةً من شجرة، بل إنها فرعٌ منبثق من شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصولة له أسبابه بالله وهده. والإنسان المؤمن في أي بقعة من بقاع الأرض كانت هو فرعٌ من هذه الشجرة المتينة الضاربة بجذورها في أعماق الفطرة الإنسانية منذ أقدم الأزمنة^(٢).

- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَرُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ وهو التقريرُ الثالث، فهؤلاء الرهطُ الكرام الذين يقودون موكبَ الإيمان هم الذين هداهم الله، وهُداهم جاءهم من عند الله، وفيه القدوة

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٤٤/٢.

(٢) المصدر السابق، ١١٤٤/٢.

رسولُ الله ﷺ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، فهذا الهدى وحده، وهو الذي يحتكم إليه، وهذا الهدى هو الذي يدعو إليه، ويبشّر به قائلًا لمن يدعوهم: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ لا يختصُّ به قوم ولا جنس ولا قريب ولا بعيد، فهو هدى الله لتذكير البشر كافة، ومن ثم فلا أجر عليه يتقاضاه، وإنما أجره على الله^(١).

أولاً: النبي والرسول والنبوة والرسالة:

١ - النبي في الاصطلاح: هو من بُعثَ لتقرير شرع من قبله.

٢ - الرسول في الاصطلاح: هو من بُعثَ بشرع جديد. وعن هذا قال الإمام الشوكاني في تعريف النبي والرسول الذي بيّن فيه الفرق بينهما؛ فالرسول: من بُعثَ بشرع، وأمر بتبليغه. والنبي: من أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، ولم ينزل عليه كتاب، ولا بدّ لهما جميعاً من المعجزة الظاهرة^(٢).

إذاً هناك فرقٌ بين النبي والرسول كما تبين في تعريفهما الاصطلاحيّ، فالنبي جاء لتقرير شريعة من قبله، أما الرسول فهو من اختصَّ بشريعة جديدة، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

٣ - حقيقة النبوة:

إنَّ النبوةَ اتصالٌ بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين المالك الواحد الأحد وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمةٌ مهداة من الله تبارك وتعالى إلى عبيده، وفضلٌ إلهي يتفضّل به عليهم، وهذا في حقّ المرسل إليهم، وأما في حقّ المرسل نفسه فهي امتنانٌ

(١) في ظلال القرآن، المصدر السابق، ٢/ ١١٤٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٤٦١.

من الله يمتنُّ بها عليه، واصطفاء له من الرب من بين سائر الناس، وهبة ربانية يختصُّه الله بها من بين الخلق كلهم، ولا تُنال النبوة بعلم ولا رياضة، ولا تُدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها - كما يظن من في عقله بلادة - وإنما هي محض فضل إلهي، واصطفاء رباني، فهو جلّ وعلا كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

إنَّ النبوة لا تأتي باختيار النبي، ولا تُنال بطلبه؛ ولذلك لما قال المشركون: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. فأجابهم الربُّ تبارك وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك، ويتفضل به على من يشاء من الناس، ويصطفي من يشاء من عباده، ويختار من يشاء من خلقه، ما كانت الخيرة لأحد غيره، وما كان الاجتباء لأحد سواه^(١).

وإنَّ الإيمان بالنبوة هو الطريق المؤدي إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ ومحبته، والمسلك المفضي إلى رضوان الله وجنته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته^(٢).

يقول ابنُ تيمية: إنَّ الإيمان بالنبوة أصلُ النجاة والسعادة، فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه بابُ الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب^(٣). وإنَّ حاجة العباد إلى الإقرار بالنبوة أشدُّ من حاجتهم إلى الهواء الذي يتنسمونه، وإلى الطعام الذي يأكلونه، وإلى الشراب الذي يشربونه، إذ مَنْ فقد أحدها فقد الدنيا، أما من عُدَّ الإقرار بالنبوة فخرارته أشدُّ وأنكى، إذ

(١) كتاب النبوات، ابن تيمية، ٢٠/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٠/١.

(٣) نوح عليه السلام والطوفان العظيم، الصلابي، ص ٧٩.

خسر الدنيا والآخرة عياداً بالله تعالى . ومن حكمة الله تعالى أنه كلما كان الناس إلى معرفة شيء أحوج ، جعله سهلاً ميسراً غير ذي عوج .

وإن حاجة الناس إلى معرفة النبوة ، والإقرار بالرسول وضّحها المولى جل وعلا في كتابه توضيحاً أعظم من أن يشرح في هذا المقام ، إذ الشرح يطول . وهنا يقول ابن تيمية : فتقرير النبوات من القرآن الكريم أعظم من أن يُشرح في هذا المقام ، إذ ذلك هو عماد الدين ، وأصل الدّعوة النبوية ، وينبوع كل خير ، وجماع كل هدى^(١) .

وإن للإمام الشيخ ابن تيمية كلاماً رائعاً نفسياً يُجمل فيه ما تقدّم بيانه يقول فيه : «إن الله سبحانه وتعالى جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم ، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم ، وبعثوا جميعاً بالدّعوة إلى الله ، وتعريف الطّريق الموصل إليه ، وبيان حالهم بعد الوصول إليه .

- الأصل الأول : يتضمّن إثبات الصفات والتوحيد والقدر ، وذكر أيام الله في أوليائه ، وأعدائه ، وهي القصص التي قصّها على عباده ، والأمثال التي ضربها لهم .

- الأصل الثاني : يتضمّن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة ، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه .

- الأصل الثالث : يتضمّن الإيمان باليوم الآخر ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب .

وبناء على هذه الأصول الثلاثة يكون مدار الخلق والأمر ، والسعادة والفلاح موقوفة عليها ، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل ، فإنّ العقل لا يهتدي

(١) كتاب النبوات ، ١ / ٢١ ، مقدمة المحقق .

إلى تفاصيلها، ومعرفة حقائقها، وإن كان يُدرك وجه الصّرورة إليها، من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب، ومَنْ يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، ووصف الدواء له، وحاجة العباد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطبّ، فإن آخر ما يقدر بعلم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها؛ مات قلبه موتاً لا تُرجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً، فلا فلاح إلا باتباع الرسل»^(١).

ثانياً: الحكمة من بعث الرسل:

١ - حاجة الخلق إليهم:

إنّ الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق، والخلق بحاجة إليهم؛ ليلّغوهم ما يُحبه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عليهم السلام، فكيف تكون الحال لو لم يرسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين؟!

فقد بُعث الرسل يُهذّبون العباد، ويُخرجونهم من عبادة العباد وشهوات الدنيا وزُخرفها إلى عبادة ربّ العباد، والعمل للآخرة لنيل مرضاة الله ودخول جنته بسلام، وليحرّرونهم من رقّ عبودية المخلوق إلى حرية عبادة ربّ العالمين، الذي أوجدتهم من العدم، وسيُفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء؛ ليكونوا إمّا أشقياء، وإمّا سعداء، ولو تُرك الناس هملاً دون إنذار وتخويف لعاشوا عيشة ضنكاً في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة، وأصبحت الحياة مجتمع غاب، القوي فيهم يأكل الضعيف، والشريف فيهم يذلّ الوضيع، وهكذا... فاقترضت حكمته جلّ وعلا ألا يخلق عباده سُدى، ولا يتركهم هملاً، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ [القيامة: ٣٦].

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ، ٩٦/١٩-٩٧.

إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ جَلٍّ وَعَلَا أَنْ مَنْ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مَبْشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ رَبِّهِمْ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ، وَيُؤْشِرُونَهُمْ إِلَى مَصْدَرِ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

٢- دعوة الناس إلى عبادة الله :

إِنَّ الْغَايَةَ الْعَظْمَى الَّتِي أَوْجَدَ اللَّهُ الْخَلْقَ لِأَجْلِهَا هِيَ عِبَادَتُهُ وَتَوْحِيدُهُ، وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَاجْتَنَابِ الْمَعَاصِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْرِفَ الْعِبَادَةَ، مَنْ فَعَلَ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَتَرَكَ مَا يَكْرَهُ وَيَأْبَاهُ؛ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرِّسَالِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَهُمْ مُبَرِّئِينَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ مُشِينٍ، وَمِنْ كُلِّ خُلُقٍ مُعِيبٍ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَثَبَّتَهُمْ بِالْحُجُجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْبَيِّنَاتِ، وَالْهُدَى، وَعَرَّفَهُمْ بِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ حَقَّ الْعِبَادَةِ^(١).

٣- إقامة الحُجَّة على البشر بإرسال الرسل :

- قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

وهكذا أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ليقطع دابر الكافرين، فلا يمكنهم أن يعتذروا عن كفرهم بعدم مجيء النذير، والله تعالى يعلم علماً كلياً، محيطاً،

فسبحانه يعلم بالعلم الأزلي من يطيعه ومن يعصيه، ليقيم على عباده الحجة الدامغة؛ فيحيا من حيٍّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بيان وبرهان.

٤- الأنبياء هم الطريق لمعرفة العقائد الغيبية:

لا يدرك البشرُ بعقولهم الأمور الغيبية، فهم بحاجة لمن يُعلّمهم ذلك، مثل معرفة أسماء الله جلَّ وعلا وصفاته، ومعرفة الملائكة والجن والشياطين، ومعرفة ما أعدَّ الله للطائعين في دار رضوانه وكرامته، وما أعدَّ للعاصين في دار سخطه وإهانته، ولذلك فإن حاجتهم إلى مَنْ يُعلّمهم هذه الحقائق، ويُطلعهم على تلك المغيّبات ضرورة.

وقد امتدح الله تعالى عباده الذين يؤمنون بالغيب؛ فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ مِمَّا دُونِهِ فَذَلِكَ نُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَيُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَغْفِرُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧٦-١٧٩]، فلو لم يبعث الله الرسل لما عرف الناس هذه الأمور الغيبية، ولما آمنوا إلا بما يدركون بحواسّهم، فسبحان الخلاق العليم الذي منّ على عباده ببعثة الأنبياء والمرسلين.

٥- حاجة الخلق للقدوة الحسنة:

كَمَل الله الأنبياء بالأخلاق الفاضلة، وعَصَمهم من الشبهات والشّهوات النَّازلة، فهم نبراسُ الهدى، ومصابيح الدُّجى، يقتدي بهم الخلق، ويتخذون من سيرتهم وحياتهم قدوة يسرون على منوالهم حتى يصلوا إلى دار السلام، ويحطّوا بحالهم في ساحة ربّ الأنام.

والأنبياء والرسل: هم قدوة الأتباع والأسوة الحسنة، لمن أطاع في العبادات والأخلاق والمعاملات، والاستقامة على دين الله. ومن الآيات التي ورد فيها الاقتداءُ بهدي الأنبياء قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ

وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَعْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [الممتحنة: ٤].

ومن الآيات الواردة في الأمر بالاهتداء بهدي الأنبياء ما شرعه الله عز وجل في سورة الفاتحة في كل صلاة، أن ندعوه سبحانه بأن يهدينا صراطهم المستقيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿الفاتحة: ٦-٧﴾، وأول من يدخل في صف المُنعم عليهم هم أنبياء الله تعالى وأتباعهم، وذلك لقوله تعالى بعد أن ذكر جُملةً من الأنبياء الكرام في سورة مريم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿مريم: ٥٨﴾.

إنَّ حياة الأنبياء عليهم السلام هي الحياة المعصومة، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة، وما أمروا بتبليغه؛ وذلك لأن الله تعالى اجتباهم واصطفاهم عن علم وحكمة، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا﴾ ﴿مريم: ٥٨﴾، وقال سبحانه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿إِنَّا أَخَصَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الْدَّارِ﴾ ﴿١٢٤﴾ وَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿ص: ٤٦-٤٧﴾، وقال عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وقال سبحانه عن علمه بمن يختار من رسله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وإن الآيات في ذلك كثيرة، والحاصل منها أنَّ من اصطفاه الله عز وجل واجتبا لرسالته هم أولى بالاتباع والافتداء؛ وذلك لحفظ الله عز وجل لهم، وعصمته لهم من الزلل والانحراف، ولو وقع منهم الخطأ لم يُقَرَّوا على ذلك، كما حدث مع آدم حين أكل من الشجرة التي نُهي عنها، ومع نوح حين سأل ربه أن ينجي ابنه، فقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فحريَّ بمن

هذه صفاتهم أن يُقتدى بهم، وتُدرس حياتهم، ويُتعرّف على هديهم، وذلك لضمان الاهتداء وعدم الانحراف؛ لهداية الله عزّ وجلّ وعصمته لهم؛ فيتّم الاقتداء من المقتدين وهم في غاية الاطمئنان على صحة ما يأخذونه، ويقتدون به، وسلامته من الانحراف^(١).

٦- إصلاح النفوس وتزكيتها:

جاء الرُّسل عليهم السلام لإصلاح النفوس وتزكيتها وتطهيرها وتحذيرها من المعصية، فهم بُعثوا للدلالة الخلق على الطريق المستقيم، وإرشادهم إلى المنهج القويم، وتوجيههم نحو الأخلاق الحميدة، وتنفيرهم من المساوئ الذميمة، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقد أوضح الشيخ ابن تيمية حاجة العباد إلى بعثة المرسلين في مواضع شتى من مؤلفاته وتصانيفه، ومن ذلك قوله: «الرسالة ضرورة للعباد، ولا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كلّ شيء. والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأى إصلاح للعالم إذا عُدِمَ الروح والحياة والنور؟! والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمسُ الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمسُ الرسالة، ويناله من حياتها وروحها؛ فهو في ظلمة، وهو من الأموات، وقد قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ فهذا وصف المؤمن، كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في النَّاسِ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات»^(٢).

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٣/١٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٩٩/١٩-٢٠٠.

وإنَّ الرسالةَ ضروريَّةٌ لإصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودينه إلا باتباع الرسالة، فإن الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفع الإنسان ويضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحِصنه الذي مَنْ دخله كان آمناً. وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحسّ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العُجم، فإن الحمار والجمل يميّز بين الشعير والتراب، بل التمييز بين الأفعال التي تضرّ فاعلها في معاشه ومعاده كنفع الإيمان، والتوحيد، والعدل، والبر، والتصديق، والإحسان، والأمانة، والعفة، والشّجاعة، والحلم، والصّبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبرّ الوالدين، والإحسان إلى المماليك والجار، وأداء الحقوق، وإخلاص العمل لله، والتوكل عليه، والاستعانة به؛ والرّضا بمواقع القدر به، والتسليم لحكمه، والانقياد لأمره، وموالة أوليائه ومعاداة أعدائه، وخشيته في الغيب والشهادة، والتقرب إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه، واحتساب الثواب عنده، وتصديقه وتصديق رسله في كلّ ما أخبروا به، وطاعته في كلّ ما أمروا به مما هو نفع وصلاح للعبد في دينه وآخرته، وفي ضد ذلك شقاوته ومضرّته في دينه وآخرته.

ولولا الرسالة لم يهتدِ العقل إلى تفاصيل النّافع والضّار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده، وأكثرها فضلاً عليهم أن أرسلَ إليهم رُسله، وأنزل عليهم كتبه، ويبيّن لهم الصّراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أسوأ حالاً منها، فمن قبل رسالة الله، واستقام عليها فهو من خير البريّة، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شرّ البريّة، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم^(١).

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٩/١٠٠.

وإنَّ حاجةَ النَّاسِ إلى الرُّسُل لا تماثلُها حاجة، واضطرارهم إلى بعثتهم لا يفوقُه اضطرار، فهم في أشدِّ حاجة، وأعظم ضرورة^(١)، وهذا ما وضَّحه ابنُ تيمية بقوله: «وليست حاجة أهل الأرض إلى الرُّسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، وكحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوءها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشدَّ حاجة من كلِّ ما يُقدَّر ويخطر بالبال، فالرُّسلُ وسائطُ بين الله وبين خَلْقِه في أمره ونهيه، وهم السفراءُ بينه وبين عباده»^(٢).

فاضطرارُ العباد إلى المرسلين لا يُعادلُه اضطرار، وحاجتهم إلى المبرِّرين والمنذرين لا تماثلُها حاجة^(٣). وهذه حقيقة أن دعوة الأنبياء هي دعوة خالصة لله في إفراده بالعبودية، وبأنها جاءت إلى البشر كاختبارٍ لصدق نواياهم، وتحملهم لمهام العبودية وتوحيد الله، وتعمير الأرض، والسعي في منابها، للدعوة إلى الله وحده لا شريك له، إلهاً خالقاً مالِكاً، رازقاً مبدعاً، وإخراج النَّاس من الضلالة والسوء إلى الهدى والخير، ومن دياجير الظلام إلى أضواء الحق والإيمان.

وقال ابنُ قيِّم الجوزيَّة: «فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرُّسل، ولا سبيلَ إلى معرفة الطَّيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتَّة إلا على أيديهم؛ وبمتابعتهم يتميِّز أهلُ الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. وما ظنُّك بمن إذا غاب عنك هديه، وما جاء به طرفه عين، فسَدَّ قلبك، وصار كالحوث إذا فارق الماء ووُضع

(١) كتاب النبوات، ابن تيمية، ٢٧/١.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠١/١٩.

(٣) كتاب النبوات، ابن تيمية، ٢٧/١.

في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرُّسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلا قلب حيٍّ، وما لجرح بميتٍ إيلاً^(١).

وإن الرُّسل هم قادة للبشر يسرون بهم على طريق الخير، ويهدونهم إلى سبيل الرِّشاد، ويُجنبونهم سُبُلَ الغواية والضلال، وهم قدوة للناس في أخلاقهم وعبادتهم وطريق حياتهم، وقد أمر الله سبحانه باتباعهم، والسَّير على طريقهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] ^(٢).

٧- تحقيق غايات عظمى ووظائف كبرى:

كلَّفَ الله عزَّ وجلَّ الأنبياء والمرسلين؛ لتحقيق غاياتٍ عظمى، ووظائف كبرى، وأهدافٍ سامية، وإنَّني أجمل بعضها في الأمور الآتية:

أ- دعوة النَّاس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والطاغوت: كلُّ ما عُبد من دون الله، وأتبع على غير بصيرة، سواء كان ذلك المعبود إنساناً أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كاهناً...

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ يا محمد ﴿مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ إلى أمة من الأمم ﴿إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ﴾ لا معبود في السموات والأرض تصلح العبادة له سواي ﴿فَاعْبُدُونِ﴾، يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢٨، ١٤١٥هـ، ١/٦٩.

(٢) رسالة الأنبياء من شعيب إلى عيسى، عمر أحمد عمر، دار الحكمة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، ٧/١.

ب - تبليغ الشريعة الربانية إلى الناس :

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

ج - تبين ما أنزل من الدين :

قال تعالى : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .

والبيّنات : هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم ، وشاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله .

والزبر : هي الكتب ، جمع زبور .

د - تبشير وتحذير العباد :

يكون ذلك بدلالة الأمانة على الخير ، وتبشيرهم بالشواب المعدّ إن فعلوه ، وتحذيرهم من الشر وإنذارهم بالعقاب المعدّ إن اقترفوه . فقد قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] .

هـ - إصلاح الناس :

يكون الإصلاح بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة في الأقوال والأعمال ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٩٠] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

والأسوة : القدوة والنموذج الصالح الذي يُحتذى به . والتأسي بالنبي ﷺ والافتداء به في هديه وخلقه وعبادته لربه هو وصية الله للمؤمنين .

و- إقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه :

قال تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَرْبُدُ اللَّهُ أَنْ يَصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

ز- شهادة الرسل على الأمم يوم القيامة :

شهادة الرُّسل على أممهم يوم القيامة ؛ بأنهم قد بلغوهم البلاغ المبين ، ورسالة رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّنُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وأمة وسطاً : أي : عدلاً خیاراً ، تشهدون للأنبياء والرسل على أممهم بالبلاغ .

فهذه بعض وظائف المرسلين ، التي تزيدهم شرفاً إلى شرفهم ، وفضلاً إلى فضلهم ، ويكفيهم فخراً أنهم يُبلِّغون عن ربِّ العالمين ، فسبحان من خصَّهم بهذه الرتبة العلية ، ومنحهم هذه الوظيفة السنية ، واصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده ، ليقوموا بهذه الخدمة المرضية^(١) .

٨- الاستفادة من سنن الله في الأفراد والشعوب والأمم والدول :

إنَّ دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تُعرِّفُ البشرَ على سنن الله عزَّ وجلَّ في التغيير ، وتُعرِّفُ على سُنَّته سبحانه في الدفع والمدافعة ، كما أنَّها تكشف للدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ ذلك الصِّراع الطويل المرَّ بين الحق والباطل ،

(١) كتاب النبوات ، ابن تيمية ، ٢٨/١ - ٢٩ .



وَأَنَّ الدَّوْلَةَ والعاقبة في نهاية الأمر للحق وأهله، وهذا لا يبرز بوضوح كما يبرز في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصراعهم مع أقوامهم: بالحجة، والبيان، والهجرة، والجهاد، حتى أتاها الله تعالى بنصره وتمكينه^(١).

ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطّراد فعله وسنته، لم يصح الاعتبار بها؛ لأنّ الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره، كالأمثال المضروبة في القرآن^(٢). ومن السّنن التي يمكن التعرف عليها من خلال دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما يأتي:

- سوء عاقبة المكذبين للرسول وإهلاكهم.

- نصره سبحانه لعباده المؤمنين.

- مداولة الأيام بين الناس من الشدة إلى الرخاء.

- زوال الأمم بسبب الترف والفساد وفشو الظلم والتجبر على الناس.

- أنّ البشر يتحمّلون مسؤوليتهم في الخير والشر.

- أنّ انهيار الأمم وهلاكها يكون بأجل.

- أنّ الابتلاء للمؤمنين سنة جارية.

- تقرير سنة التدافع والصراع بين الحق والباطل.

وسنأتي على دراستها مفصلة للاستفادة من السّنن في قصة إبراهيم عليه السلام في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٢٢/٣.

(٢) جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني، جدة، السعودية، ط٢،

١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص ٥٥.

٩ - تعليق القلوب والأرواح بالانتظام في سلوكهم، والسير في موكب الأنبياء والمرسلين المبارك :

لعلَّ في دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بصدق ورغبة في اتباع هديهم، سبيلاً إلى الانتظام في حِزبهم القائم على مبادئ الحق وعبادة المولى، والسير في قافلته المباركة، ويُريد الله عزَّ وجلَّ أن يُلحق من اتبعهم بركبهم الميْمُون، وأن يحشرهم في زمرتهم، فيصدق قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [٦٩ - النساء: ٧٠] .

نسأله سبحانه أن يفيض علينا رضاه وجنته، وأن يُنعم علينا باللاحق بهذه الصِّفوة المباركة باتباعنا لهم، وحُبنا إياهم، وإن قَصُرَت أعمالنا وأحوالنا عنهم كثيراً، فعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلاً سأل الرسول ﷺ عن السَّاعة، فقال: متى السَّاعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا أني أحبُّ الله ورسوله، فقال: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فأنا أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم^(١).

ويعلّق الشيخ السَّعدي (رحمه الله تعالى) على صفات عباد الرحمن الواردة في آخر سورة الفرقان، ورسَل الله عليهم الصلاة والسلام أول من تبرز فيهم هذه الصفات، فيقول: «ما أعلى هذه الصفات، وأرفع هذه الهمم، وأجلّ هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس، وأطهر تلك القلوب، وأصفى هؤلاء الصِّفوة، وأنقى هؤلاء السَّادة... والله منّة على عباده أن بيّن لهم أوصافهم، ونعت لهم هيئاتهم، وبيّن لهم هممهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بهم، ويبدلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي منَّ عليهم وأكرمهم، والذي فضله

(١) صحيح البخاري، رقم ٦١٦٧ .

في كلِّ مكان وزمان، وفي كلِّ وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم، ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم، فاللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرراً، ولا نقدر على مثقال ذرّة من الخير إن لم تيسّر ذلك لنا، فإنّا ضعفاء عاجزون من كلِّ وجه، نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعفٍ وعجزٍ وخطيئة، فلا نثقُ يا ربنا إلا برحمتك وقدرتك، والتي بها حفظتنا ورزقتنا، وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة، فارحمنا رحمةً تغنينا بها عن رحمة مَنْ سواك، فسبحانك ما خاب من سألَكَ ورجاك»^(١).

ثالثاً: خصائص الأنبياء والمرسلين:

إنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام هم صفوة البشر وسادّتهم، وهم من بني آدم لهم خصائصُ البشر وصفاتهم، لا يخرجون عن صفاتهم البشرية، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ اصطفاهم وأنعمَ عليهم باختيارهم رسلاً إلى النَّاسِ، وخصَّهم كذلك ببعض الخصائص والصفات التي لا يشترُك معهم فيها بقيةُ البشر، وهذه الخصائصُ لا تُخرجهم عن بشريتهم وعبوديتهم لله عزَّ وجلَّ. قال تعالى على لسان بعض رسله في مجادلتهُم لأقوامهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

ولله عزَّ وجلَّ الحكمةُ البالغةُ في كون الأنبياء من البشر، فلو لم يكونوا كذلك لم يكن هناك مجالٌ للاقتداء بهم، والتأسي بأحوالهم، وما خفي علينا من الحِكَمِ أكثر.

وقد تحدث بعضُ العلماء عن خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

(١) تفسير السَّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ٤٥٥/٣.

وذكروا كثيراً منها، لنعرف لهم حقهم، ونقدّر لهم قدرهم، فنبدل لهم من الإجلال والتقدير، والأدب والحب والولاء والوفاء ما يستحقونه، وما يلزم ذلك من الاتّباع، والتأسي بحياتهم وهديتهم. وقبل ذكر هذه الخصائص فإنه يحسن أن نلّم ببعض لوازم بشرية الرّسل التي استنكرها كلّ قوم على نبيهم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

وعجباً للقوم الكافرين كيف لم ينتبهوا لنعمة الله عزّ وجلّ بأن جعل الرسل بشراً من جنسهم، فجدّدوا هذه النعمة، واستغربوها، مع ما فيها من اللطف والرفق بالعباد؛ حيث أرسل الله إليهم رسلاً من جنسهم؛ ليفقهوا عنهم ما يبلغونهم عن الله تعالى، ويتمكّنوا من القيام بما يُدعون إليه، ولو بُعث إلى النّاس رسلٌ من الملائكة أو من غير جنسهم لما استطاع النّاس الفقه والفهم والأخذ عنهم، ولقالوا: هم من جنس غيرنا فلا نقبل ولا نفقه عنهم، فرجع الإعراض في الأول والآخر إلى الهوى، نعوذ بالله منه.

ومن لوازم بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام:

- الاتّصاف بما تتصف به الطبيعة البشرية من كونهم جسداً يحتاجون إلى الطعام والشراب والنكاح، كما أنّ لهم أزواجاً وذرية وآباء وأمهات وأقارب.
- يصيبهم ما يصيب البشر من الأمراض والمكروه والسهو والنسيان والنوم.
- يرضون ويغضبون، ويفرحون ويحزنون.
- يتعرّضون للابتلاء كما يتعرّض البشر؛ بل إنّ الأنبياء أشدّ النّاس بلاءً.
- لا يعلمون الغيب إلا ما علّمهم الله عزّ وجلّ.
- يقومون بأعمال البشر والأشغال التي يمارسها البشر، كالرعي والتجارة وصناعة السيوف والدروع وغيرها من المهن البشرية.

- ليس فيهم شيءٌ من خصائص الألوهية والربوبية، بل هم عبيدُ الله تعالى، وقد حققوا العبوديةَ على أكمل وجه، وتبرؤوا من حولهم وقوتهم، واعتصموا بالله وحده، وفوضوا أمورهم إليه.

ومع اشتراكهم مع البشر في صفة البشرية، فلقد حققوا الكمال البشري في أرقى صورته؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ اصطفاهم واجتباهم وربَّاهم على عينه، فجاءت قلوبهم أطهر البشر قلوباً، وعقولهم أذكى البشر عقولاً وقريحة، وأخلاقهم أكمل البشر وأزكاها أخلاقاً، ومعرفتهم برَّبِّهم وعبادتهم له سبحانه أكمل البشر معرفة وعبودية وإيماناً، بل حتى في الصُّورة الظاهرة الخَلْفية كانوا أكمل البشر أجساماً، وأجملهم صورة، وصدق الله العظيم القائل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وهذه الصفات - السَّابِقُ ذكرها - هي من مقتضيات البشرية التي يشتركون مع البشر فيها، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ بعلمه الشَّامل وحِكمته البالغة، خصَّ هؤلاء الصَّفوة من البشر بنعمة النبوة والرسالة، وخصَّهم لأجلها بصفات وخصائص تفرَّدوا بها عن سائر البشر، وفُضِّلوا عليهم، واستحقَّقوا من أجلها إجلال النَّاسِ لهم، ومحبتهم إياهم، وطاعتهم لهم، واتباعهم لمنهجهم وهدْيهم العام، ووجب على كلِّ قوم طاعةُ نبيِّهم في شريعته الخاصة بهم^(١). ويمكن إجمالُ هذه الخصائص التي تفرَّدوا بها عن سائر البشر فيما يأتي:

١ - اصطفاهم بالوحي والرسالة:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، ويترتَّب على هذا الوحي أمورٌ يميزون بها عن

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٣/ ٣٠.

النَّاسَ، مثل تكليم بعضهم لله عزَّ وجلَّ، ونزول الملائكة عليهم، وتعريف الله سبحانه لهم ببعض الغيوب الماضية أو المستقبلية، أو إطلاعه سبحانه لبعضهم على شيء من عالم الغيب، كما حصل ذلك للرسول ﷺ في الإسراء والمعراج، وهذه أكبر وأعظم صفات الأنبياء التي تفرّدوا بها وأنعم الله سبحانه بها عليهم. وهذه الخاصّة هي التي توجب على العباد طاعة أنبيائهم، وقبول ما يأتون به ويأمرون وينهون؛ لأنه وحي من عند الله عزَّ وجلَّ أمر الأنبياء بإبلاغه للناس، وهذا بدوره يُوجب على النَّاس توقيّر أنبيائهم، وتعظيم أقوالهم وتوجيهاتهم^(١).

٢- عصمة الأنبياء :

هذه خاصيّة ثانية، انفرد بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن البشر، وهي من لوازم الوحي والرسالة التي أكرم الله سبحانه بها أنبياءه، فجعلهم معصومين فيما يبلغونه للناس من العقائد والأحكام، ولو وقع أحدهم في خطأ قوليّ أو عمليّ، فمن لوازم العصمة أنّ الله عزَّ وجلَّ لا يقرّه على هذا الخطأ في وقته، وينفي النبي عن ذلك بأسرع وقت؛ ويكون حاله بعد التوبة أكمل من حاله قبل وقوعه في الذنب أو الخطأ.

يقول ابنُ تيمية رحمه الله تعالى: «واعلم أنّ المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالفٌ لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرّفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك. وقوم أفرطوا في أنذكروا عنهم ما دلّ القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزّههم الله عنها، هؤلاء مخالفون للقرآن، وهؤلاء مخالفون للقرآن. ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط مهتدياً إلى الصراط

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٣/ ٣٠.

المستقيمين، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»^(١).

والذي يعنينا هنا، هو عصمة منهجهم وهدْيهم؛ لأنه وحيٌّ من الله عزَّ وجلَّ، وهذا يكفلُ لسالكه السلامة من الخلل والانحراف، ويضمنُ له النجاة والفوز والتمكين؛ لأنه منهجٌ معصوم لا يعتريه ما يعترى المناهج البشرية من خلل وقصور وانحراف.

وينبغي قبل أن ننهي الحديثَ حول هذه المسألة التنبيه على مسألتين مهمتين:

الأولى: وجوب التَّأدب مع أنبياء الله عزَّ وجلَّ، ومعرفة حقِّهم، وخاصة مع من بَدَرَ منه بعضُ الأخطاء التي لم يقرَّهم الله عزَّ وجلَّ عليها، بل وقَّعهم لتركها والتوبة منها، حيث إنَّ هذا لا يُنافي عصمتهم، ولا ينقصُ من قدرهم وكمالهم؛ لأن الله عزَّ وجلَّ تاب عليهم واجتباهم وهداهم، ومن ذلك قوله ﷺ عن نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى»^(٢). فالحذرَ الحذرَ من تنقصهم، وإساءة الظنِّ بهم.

الثانية: الحذر من الروايات الإسرائيلية التي يرويها كثيرٌ من المفسرين في قصص الأنبياء في القرآن، وما في بعضها من إساءة الظن والأدب بأنبياء الله ورسله، ومنافاتها لعصمتهم، مع أنه لا أصلَ لها، فهي مردودةٌ سنداً وممتناً، فجميعُ الأخبار الماضية لا نقبلُ منها في تفسير القرآن إلا ما جاء في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وما سواهما مردودٌ ومرفوضٌ لأنه رَجْمٌ بالغيب^(٣).

يقولُ الشيخُ السَّعدي رحمه الله تعالى: «وقد تقدم أنه لا يجوزُ تفسير

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥٠/١٥.

(٢) صحيح البخاري، رقم ٣٣٩٥. ويُنظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٢ م. رقم ٢٣٧٧.

(٣) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٣٢/٣.

كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمر التي لا يجزئ بكذبها، فإن معاني كتاب الله عز وجل يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاهما»^(١).

٣- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

هذه خاصية يتصف بها الأنبياء، ويختلفون بها عن سائر البشر.

عن أنس رضي الله عنه في حديث الإسراء: «والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»^(٢).

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إننا معاشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا»^(٣)، ويبنى على هذه الخاصية أن رؤيا الأنبياء حق ووحي يتبع^(٤). وهذا ما جرى مع النبي إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ آيَاتٍ أَذْبَحُكَ﴾ [الصفات: ١٠٢] وهذه رؤيا حق وصدق.

٤- تخييرهم عند الموت:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة»^(٥)، وسمع النبي ﷺ في شكواه التي قبض فيها يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»^(٦).

(١) تفسير السّعدى «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ٢/ ١٣٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٠.

(٣) الطبقات، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ١/ ١٧١؛ ويُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، رقم ١٧٠٥.

(٤) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٣/ ٣٣.

(٥) صحيح البخاري، رقم ٤٥٨٦.

(٦) المصدر السابق، رقم ٤٥٨٦.

٥- يُقبر النبيُّ حيث يموت :

صحَّ عنه ﷺ قوله : «لم يُقبر نبيٌّ إلا حيث يموت»^(١) ، ولهذا فإن الصحابة رضي الله عنهم دفنوا الرسولَ ﷺ في حُجْرة عائشة رضي الله عنها حيث قُبِضَ^(٢) .

٦- لا تأكل الأرضُ أجسادَ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام :

أكرم الله عزَّ وجلَّ أنبياءه ورُسله عليهم الصلاة والسلام ، فمهما طال الزَّمان ، وتقادم العهد ، تبقى أجسادُهم محفوظةً من البلى ، وهذا قد ثبت عنه ﷺ في قوله : «إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادَ الأنبياء»^(٣) .

وهذا نصٌّ في أنَّ أجسادَ الأنبياء لا تتحلل ، ولا يدركها البلى ، بل تبقى طرية سليمة .

٧- أحياء في قبورهم :

صحَّ عنه ﷺ أنه قال : «الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلُّون»^(٤) ، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : «مررتُ على موسى ليلة أُسري بي عند الكتيب الأحمر ، وهو قائمٌ يصلي في قبره»^(٥) .

وأما عن كيفية هذه الحياة ، فهذا أمرٌ غيبيٌّ لا مجالٌ للعقل فيه ، فما دام أنه صحَّ عن رسول الله ﷺ فيجب الإيمانُ به من غير تكليف ، ولكن مع إيماننا بأنها حياة برزخية ليست كحياتهم التي عاشوها في الدنيا ، فلا يجوزُ سؤالهم في

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الألباني، رقم ٥٢٠١.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٣/ ٣٤.

(٣) صحيح سنن أبي داود، الألباني، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، رقم ٩٢٥.

(٤) سلسلة الأحاديث الصَّحيحة، الألباني، رقم ٦٢١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٥.

قبورهم، ولا طلب المدد منهم، فإنهم لا ينفعون ولا يضرّون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

٨- لا يورثون بعد موتهم:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركتُ مؤنة عاملي ونفقة نسائي صدقة»^(١).

والروايات التي عند الإمامين البخاري ومسلم ليس فيها: «إِنَّا معشر الأنبياء» وإنما هي بلفظ: «لا نورث، ما تركنا صدقة»^(٢). وقال الإمام ابن حجر (رحمه الله) بعد شرحه لهذا الحديث: وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث»، فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ «نحن»، لكن أخرجه السائي من طريق ابن عُيينة عن أبي الزناد بلفظ: «إِنَّا معشر الأنبياء لا نورث»^(٣)، أخرج الحديث عن محمد بن منصور عن ابن عُيينة، وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عُيينة، وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه، وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق باللفظ المذكور، وأخرجه الطبراني في الأوسط بنحو اللفظ المذكور، وأخرجه الدارقطني في العلل من رواية أم هانئ عن فاطمة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بلفظ: «إِنَّا الأنبياء لا يورثون».

قال ابن بطّال وآخرون: ووجه ذلك - والله أعلم - أَنَّ الله بعثهم مبليّين رسالته، وأمرهم أن لا يأخذوا على ذلك أجراً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك، فكانت الحكمة

(١) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨م، رقم ٩٩٧٣.

(٢) صحيح البخاري، رقم ١٧٥٧.

(٣) مسند أحمد، رقم ٩٩٧٣، إسناده صحيح.



في أن لا يورثوا لئلا يُظَنَّ أنهم جمعوا المالَ لورثتهم . وأما قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ ﴾ [النمل : ١٦] ؛ حملة أهل العلم بالتأويل على العلم والحكمة ، وكذا قول زكريا ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥ - ٦] ، وقد حكى ابن عبد البر أن للعلماء في ذلك قولين ، وأن الأكثر على أن الأنبياء لا يورثون^(١) .

وقال السَّاعَتِي (رحمه الله تعالى) في الفتح الربَّاني : قال العلماء : والحكمةُ في أنهم عليهم الصلاة والسلام لا يورثون ، أنهم لو ورثوا لظَنَّ أن لهم رغبة في الدُّنيا لوارثهم ، فيهلك الظانُّ ، أو لئلا يتمنَّى ورثتهم موتهم فيهلكون ، أو لأن النبي ﷺ كالأب لأُمَّته ، فيكون ميراثه للجميع ، وهو معنى الصَّدقة العامة^(٢) .

٩ - إعداد الله لهم وتهيئتهم لرسالاته :

أكرم الله عزَّ وجلَّ النَّبِيَّينَ والمرسلين ، وخصَّهم بمزيدِ عنايةٍ وتوفيقٍ ، وأخلاقٍ عالية لم تكتملْ لغيرهم من البشر ، وذلك لتهيئتهم لقيادة الأمم ، وسياسة الشعوب ، فخصَّهم الله بأخلاق سامية ، وآداب عالية ، وحكمة بالغة ، وعزائم قوية ، وعقيدة صحيحة^(٣) .

رابعاً: دينُ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام واحد، ودعوتهم واحدة:

١ - الإيمان بالأنبياء والمرسلين من أركان الإيمان :

يُعَدُّ الإيمانُ بأنبياء الله ورُسله ركناً من أركان الإيمان ، فلا يتحقق إيمانُ العبدِ حتى يؤمن بجميع الأنبياء ، ويصدِّق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر ، وإرشاد الخلق ، وإخراج النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النور ، وأنهم بلغوا ما أنزل إليهم من

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ١٢ / ٨ .

(٢) الفتح الربَّاني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني ، أحمد الساعاتي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٥ / ١٩٢ .

(٣) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، عبد العزيز ناصر الجليل ، ٣ / ٣٦ .

ربهم البلاغ المبين، فبلغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ كَذِبٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ومن السنة قول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»^(١)، ولا بد في الإيمان أن يؤمن العبد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويؤمن بكل رسول أرسله، وكل كتاب أنزله^(٢).

ولا يتم الإيمان بأنبياء الله عز وجل حتى يؤمن العبد بجميعهم من غير حصر، فمن الأنبياء من قصّهم الله علينا ومنهم من لم يقصصهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

قال ابن تيمية: «فتؤمن بما سمى الله في كتابه من رُسُله، وتؤمن بأن الله سواهم رسلاً وأنبياء، ولا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل: إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد إقرارك به، وتصديقك إياه دائماً على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أدّيت الفرائض، وأحللت الحلال وحرّمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات»^(٣).

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٨.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ١١٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣١٣/٧.

وقال أيضاً: «من أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع، ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع؛ لأن كل رسول يُصدق الآخر، ويقول: إنه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولاً فقد كذب الذي صدّقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته»^(١).

٢- الإسلام دين الأنبياء جميعاً:

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

إن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، فمنذ أن أهبط آدم عليه الصلاة والسلام ودينه الإسلام، ودعوته إلى الإسلام الذي هو الاستسلام لله عز وجل وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له، ثم استمر الإسلام في ذريته عشرة قرون حتى ظهر الشرك أول ما ظهر في قوم نوح، فبعث الله نبيه نوحاً عليه السلام، ثم بعث الله عز وجل رسله تترى مُبلّغة دين الإسلام إلى أقوامهم كلما ظهر الشرك وانطفأت أنوار الإسلام^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

إذاً فإن دين الإسلام وتاريخ الإسلام في معناه العام وجِد مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وهو دين الأنبياء جميعاً، أما الإسلام بمعناه الخاص فهو الذي بُعث به محمد ﷺ جامعاً فيه بين الإسلام العام - الذي هو التوحيد ونبذ

(١) مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ١٩/ ١٨٠.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٤١/ ٣.

الشُّرك - وبين الأحكام الشرعية لهذه الأمة، حيث أحلَّ لها الحلال وحَرَّمَ عليها الحرام، ووضع عنها الإضرَّ والأغلال التي كانت على مَنْ قبلها، فجاءت شريعةً كاملة ميسرة شاملة، خاتمة للشرائع، صالحة لكل زمان ومكان، وهذا معنى قوله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(١). يوضح هذا الحديث أن الأنبياء كالأبناء لأمهات شتى وأب واحد، وذلك لاتفاقهم في التوحيد والإسلام وأصول الإيمان والأخلاق، واختلافهم في الشرائع^(٢).

يقول ابن تيمية (رحمه الله): وهذا الدين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال تعالى عن نوح: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّانَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] إلى قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال عن إبراهيم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] إلى قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] إلى قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال عن موسى: ﴿يَقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال في حوارِي المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَاوَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، رقم ٣٤٤٣.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٤٢/٣.

وقال فيمن تقدّم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال عن بلقيس ملكة سبأ أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فالإسلام يتضمّن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمّن عبادته وحده، وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يُطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمرنا في أول الأمر باستقبال بيت المقدس، ثم أمرنا ثانياً باستقبال الكعبة، كان في كل من الفعلين حين الأمر به داخلاً في الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين، وإنما تتنوع بعض صور الفعل - وهو وجهة المصلي - فكذلك الرسل، وإن تنوعت الشريعة والمنهاج والوجهة والمنسك، فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً، كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد^(١).

ويقول الشيخ عمر الأشقر (رحمه الله): إنّ الرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعاً منزلة من عند الله العليم الحكيم الخبير، ولذلك فإنها تمثل صراطاً واحداً يسلكه السابق واللاحق، ومن خلال استعراضنا لدعوة الرسل التي أشار إليها القرآن، نجد أنّ الدين الذي دعت إليه الرسل جميعاً هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم للدين

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، المؤلف: فالح بن مهدي آل مهدي الدوسري، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط ٣، ١٤١٣هـ، ص ٣٢٢.

المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، فنوح يقول لقومه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

والإسلام هو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وأبناء يعقوب يُجيبون أباهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِلَّهِ ءَابَايَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهِهَا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وموسى يقول لقومه: ﴿يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

والحواريون يقولون لعيسى: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣]، فالإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عهد النبوة المحمدية^(١).

٣- أول عقيدة في الأرض هي توحيد الله:

في الحقيقة، إن أول عقيدة عُرِفَتْ في الأرض هي الإسلام القائم على توحيد الربوبية والقيومية لله وحده، وقد بَيَّنْتُ ذلك في كتابي: قصّة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام، وكتابي: نوح عليه السلام والطوفان العظيم. وإنَّ الحجب الدامغة، والبراهين الساطعة، والأدلة الثابتة ترفض كل ما يخط فيه من يسمون «علماء الأديان المقارنة»، فهؤلاء وغيرهم من التطوريين الذين يتحدثون عن التوحيد

(١) الرّسل والرّسالات، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، لبنان. دار النفائس، الكويت، ٤٤، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ٢٤٣.

بوصفه طوراً متأخراً من أطوار العقيدة، سبقته أطوار شتى من التعدّد والثنية للآلهة، ومن تأليه القوى الطبيعية، وتأليه الأرواح، وتأليه الشُّمس والكواكب... إلى آخر ما تأتي به هذه الدراسات المغرضة، التي تقوم ابتداءً على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة، حيث يهدف إلى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحي الإلهي والرسالات من عند الله، وإثبات أنّ الأديان من صنع البشر، وأنّها من ثم تطورت بتطور الفكر البشريّ على مدار الزمان^(١).

وإنّه حينما يتقرر أنّ دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي دعوة واحدة، وهي الدّعوة إلى عبادة الله عزّ وجلّ وتوحيده، فإننا نقصد ذلك المفهوم الشّاملاً للتوحيد والعبادة؛ ألا وهو إخراج النّاس من العبودية والدينونة لغير الله إلى الدينونة لله وحده بكلّ شمولها، وليس مجرد أن يوحد النّاس بألستهم، أو أن يتوجّهوا إلى الله سبحانه بشعائر التعبد الظاهرة فقط، ثم تبقى قلوبهم ومصادر تلقّيهم وتشريعاتهم إلى غير الله عزّ وجلّ.

إنّ مهمة الرّسل في رسالتهم ودعوتهم أشمل من هذا المفهوم القاصر للتوحيد والإيمان، ولو كانت الدّعوة إلى التوحيد بهذا المفهوم القاصر لما استحقت كلّ هذه الجهود المضنية، والتّضحيات الباهظة من أنبياء الله عزّ وجلّ ورُسله عليهم الصلاة والسلام^(٢).

٤- دعوة الأنبياء والمرسلين واحدة خالصة:

نقفُ أمام الدّعوة الواحدة الخالدة على لسان كلّ رسول، وفي كلّ رسالة دعوة توحيد العبادة والعبودية لله المتمثلة فيما يحكيه القرآن الكريم عن كلّ رسول: ﴿قَالَ يَفْعَلُ يَفْعَلُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ولقد كنّا دائماً نفسّر «العبادة» لله وحده بأنها «الدينونة الشّاملة لله وحده في كلّ شأن من شؤون الدنيا والآخرة»،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٨٨٢/٣.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٤٥/٣.

ذلك أنَّ هذا هو المدلولُ الذي تعطيه اللفظةُ في أصلها اللغوي، فإن «عَبَدَ» معناها: دَانَ وخَضَعَ وذلَّ، وطريق مُعَبَّد: طريق مذلَّل ممهَّد، وعَبَّده: جعله عبداً؛ أي خاضعاً مذللاً، ولم يكن العربيُّ الذي خوطب بهذا القرآن أوَّل مرة يحصر مدلول هذا اللفظ، وهو يؤمر به، في مجرد أداء الشعائر التعبُديَّة، بل إنَّه يوم خُوطِبَ به أوَّل مرة في مكة، لم تكن قد فرضت بعد شعائر تعبدية، وإنما كان يفهم منه عندما يخاطب به أن المطلوب منه هو الدينونة لله وحده في أمره كله، وخلع الدينونة لغير الله من عنقه في كلِّ أمر من أموره.

إنَّ توحيدَ الألوهية، وتوحيدَ الربوبية، وتوحيدَ الحакمية، وتوحيدَ مصادر الشريعة الإيمانية، وتوحيدَ منهج الحياة، وتوحيدَ الجهة التي يدين لها النَّاسُ، والدينونة الشَّاملة؛ هو التوحيد الذي يستحقُّ أن يُرسلَ من أجله كلُّ هؤلاء الرسل بحق، وأن تُبذل في سبيله كلُّ هذه الجهود، وبأن تحتملَ لتحقيقه كلُّ هذه العذابات والآلام على مرِّ الأزمان، وذلك ليس لأنَّ الله سبحانه في حاجةٍ إليه، حاشا وكلا، فهو سبحانه غنيٌّ عن العالمين، ولكن لأنَّ حياة البشر لا تصلح، ولا تستقيم، ولا ترتفع، ولا تصبح حياة لائقة «بالإنسان»، إلا بهذا التَّوحيد الذي لا حدَّ لتأثيره في الحياة البشريَّة في كلِّ جانب من جوانبها^(١).

من كلِّ ما سبق، يتأكَّد لنا أنَّ دينَ الأنبياء عليهم السلام واحد، وأنَّ دعوتهم واحدة، إنَّها دعوة الإسلام، وإخراج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما أنَّ هناك أموراً أخرى اتفقت عليها جميعُ الأديان والرَّسالات ودعت إليها، ألا وهي الأخلاق والقيم التي فطر الله النَّاسَ عليها، حيث نجد الدَّعوة إليها والمحافظة عليها ونبذ ما يخالفها موجوداً في كلِّ رسالة، وقد تضمَّنتها دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يمكن أن تتغير ولا يعترىها تبديلٌ ولا نسخ مثلها، مثل

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، باختصار، ٣/١٩٠٢-١٩٠٣.



التوحيد وأصول الإيمان، وكذلك برّ الوالدين، وتحريم الفواحش والظلم، وقتل النفس بغير حق، والإحسان إلى اليتيم، والقسط بين الناس، وتحريم الكبر والفخر، والحث على الكرم والوفاء، وتحريم الغدر والخيانة^(١).

خامساً: دعوة لوط عليه السلام إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، ونهيه عن المنكرات:

إن الذي يُطالع قصصَ الأنبياء في القرآن الكريم، وينظر فيما حصل بينهم وبين أقوامهم، يجد أن قضية التوحيد والدعوة إلى عبادة الله عز وجل، هي القضية الأصلية التي جاء بها جميع الأنبياء، فما من نبي إلا ودعا قومه إلى توحيد الله وإفراد العبودية له ونبد الشرك، مع أن لكل قوم من أقوام الأنبياء منكرات أخرى، بارزة في حياتهم، أكثر من غيرها، كما في الفساد الاقتصادي عند قوم شعيب، وكانتشار السحر عند قوم موسى، لكن تبقى الدعوة إلى التوحيد ونبد الشرك أساس الأسس في دعواتهم عليهم السلام.

وقد دعا لوط عليه السلام قومه إلى عبادة الله، وترك الشرك، ونبد الأخلاق الذميمة والأفعال الشنيعة، ففي سورة الشعراء بيّن الله عز وجل أن لوطاً دعا قومه إلى أن يتقوا الله عز وجل، وأن يطيعوا رسوله لوطاً عليه السلام.

ولا شك في أن أصل التقوى هو التوحيد، ونبد الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٦١-١٦٣].

وفي سورة الذاريات، بيّن الله عز وجل أن قوم لوط كانوا كفّاراً بقوله: ﴿فَمَا وَحَدَّثْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦]، وهذا أمر واضح جلي^(٢).

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٤٧/٣.

(٢) قصة سيدنا لوط عليه السلام، فتح الرحمن عثمان، ص ٣٧.

ولا شكّ في أنّ قومَ لوط عليه السلام كانوا كفاراً، وكانوا يعبدون الأصنام، وقد كفروا برسول الله لوطاً عليه السلام، وقد ذكر بعضُ المفسرين أنّ لوطاً دعاهم إلى عبادة الله وحده، قال الإمام الطبري: «وأن الله أرسل لوطاً إلى أهل سدّوم، وكانوا أهل كفر وركوب فاحشة»^(١).

وقال الإمام القرطبي في تفسيره سورة الأعراف في قول الله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وقال نظيره: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ في جمْعكم إلى الشُّرك هذه الفاحشة^(٢). وقال عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: أي مشركين^(٣). وقال ابن كثير: وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله. وقال السَّعدي: «وكانوا مع شِرْكهم قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل»^(٤).

هذه هي أقوال أئمة التفسير واضحة وجليّة، في أنّ قوم لوط كانوا على الكفر، ويعبدون غير الله تبارك وتعالى.

إنّ لوطاً دعا قومه إلى الإيمان، ونهاهم عن الكفر، ودعاهم إلى التوحيد، وأمرهم بالخير والمعروف، ونهاهم عن الفحشاء^(٥)، وقام بواجبه خير قيام، وأدّى رسالته كما ينبغي، وكان مستوعباً لدعوة إبراهيم عليه السلام، بل إنّ قصّة إبراهيم عليه السلام ومنهجَه في الدَّعوة هو الذي سار عليه لوط عليه السلام بثبات واستمرار.

* * *

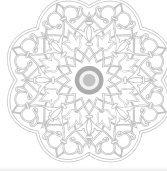
(١) قصة سيدنا لوط عليه السلام، المصدر السَّابق، ص ٤٠.

(٢) المصدر السَّابق، ص ٤٠.

(٣) المصدر السَّابق، ص ٤٠.

(٤) المصدر السَّابق، ص ٤٠.

(٥) المصدر السَّابق، ص ٤٠.



الْمَجْلَدُ الثَّالِثُ

قِصَّةُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُورَةِ هُودَ وَالْحِجْرِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَالذَّارِيَاتِ

أولاً: تداخل قصّة لوط مع إبراهيم عليهما السلام في سورة هود:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَمَأْرَاءَ آيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يُونِيتِي ۚ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجِدُ لَنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا بِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى زُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ [هود: ٦٩ - ٨٣].

جاءت قصّة لوط في سورة هود متداخلةً مع قصّة إبراهيم عليه السلام، وقد احتفى القرآن الكريم بإبراهيم عليه السلام في طفولته، وشبابه، ورجولته، وكذلك يستمر الاحتفاء به في مرحلة شيخوخته في موطنه الجديد، وما أسبغ الله تعالى عليه من المال والأنعام، والمنزلة العالية عند الله تعالى، حيث تمرّ به ملائكة الربّ سبحانه مُبشّرةً مُخبّرة، كما أنها أخبرته بالعذاب على قوم لوط الذين أسرفوا، وأجرموا، وطغوا، واعتدوا على حدود الله تعالى.

وقد أورد القرآن الكريم تفاصيل قصّة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة في أربع حلقاتٍ يختلف سياقها ونظمها، وما تتضمنه من وقائع وأحداث، وردت كلّها في سور مكية^(١)، وجاءت حسب ترتيب المصحف الكريم، الأولى: في سورة هود، والثانية: في سورة الحجر، والثالثة: في سورة العنكبوت، والرابعة: في سورة الذاريات. وإليك تفسير الآيات:

١ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾ [هود: ٦٩]:

أ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾؛ الواو: واو عطفٍ قصّةٍ على قصّة، أو واو استئناف.

واللام: هي الموطّئة للقسم، وقد: للتحقيق، وخاصة إذا دخلت على الماضي، وهي كذلك هنا.

والمجيء: القدوم من قريب. والإتيان: القدوم من بعيد. والملائكة أو الرسل التي جاءت إبراهيم جاءت من بعيد، فلم عبّر بالفعل المفيد القرب وهو (جاءت)؟ لأنّ البعيد في مقياسنا قريب في مقياس الله تعالى. وهل كانت الرسل

(١) صناعة الحوار، حمد عبد الله سيف، ص ١٦٥.

ملكاً واحداً، أم مجموعة من الملائكة؟^(١) تدلُّنا كلمة: ﴿رُسُلَنَا﴾ أنهم كانوا ثلاثة فأكثر^(٢)، وهناك خلافٌ بين العلماء في العدد.

والمراد بـ ﴿رُسُلَنَا﴾: الملائكة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]^(٣). والملائكة خلقٌ من مخلوقات الله تعالى، بل هي من المخلوقات العظيمة، ولقد كثر ذِكْرُ الملائكة في القرآن الكريم، ووجب علينا الإيمانُ بهم، وهذا ركنٌ من أركان الإيمان الستة.

وإن الملائكة هم أجسامٌ لطيفة، أعطاهم الله تعالى القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، وخلقوا من نور، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولهم وظائف متعدّدة أمرهم الله بالقيام بها، وهم يقومون بأدائها على الوجه الأكمل.

وذكر القرآن الكريم صفاتٍ محدّدة اتّصفت بها الملائكة، فمنها الخلقية: كالأجنحة العظيمة، فمنهم من يملك جناحين أو ثلاثة أو أربعة، وقد قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ وَثُلُثٌ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

والملائكة لا يُوصَفون بالذكورة ولا الأنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون. ومن صفاتهم الخلقية: الاستحياء^(٤)، حيث قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٥).

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٥٧.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٧٥/٤.

(٣) المصدر السابق، ٧٥/٤.

(٤) المسائل العقدية في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، تهاني إبراهيم عبد الرحمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، ٢٠١٨م، ١٤٣٩هـ، ص ٦٦.

(٥) صحيح مسلم، رقم ٢٤٠١.

وقد تمثلت صفات الملائكة التي اقترنت بقصة إبراهيم عليه السلام في ثلاث صفات، ألا وهي:

- القدرة على التشكل :

خلق الله الملائكة من نور، ومنحهم قدرةً على التشكل بأي هيئة يقدرها عز وجل، وهذا يظهر جلياً في مجيء الملائكة لإبراهيم عليه السلام على هيئة بشر، ولم يعرفهم في بداية الأمر، فقد أتوا على صورة بشر، فنكرهم حين قدم لهم الطعام فلم يأكلوا منه، فكشفت الملائكة عن حقيقة الأمر، وزال التوجس من نفس إبراهيم عليه السلام، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

- لا يأكلون ولا يشربون :

من صفات الملائكة أنهم لا يأكلون، كما أخبر الله تعالى عنهم في معرض حوارهم مع إبراهيم عليه السلام، فإنه قدم لهم العجل المشوي طعاماً لهم، فلم تصل أيديهم إليه، لذا اتفق العلماء على القول بأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب^(١).

- وظائف الملائكة :

ولا ننسى أن للملائكة وظائف عديدة نطق بها القرآن الكريم والسنة النبوية وهي كثيرة، ومن الوظائف التي وردت في قصة إبراهيم عليه السلام؛ تقديم البشارة، وإرسال العذاب للظالمين، ونصرتهم عباد الله المؤمنين، كما سيأتي بيانه في محله بإذن الله تعالى.

وفي قوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: هذا الرسول العظيم خليل الله، وثاني أعظم

(١) المسائل العقدية في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، ص ٦٨.

رسل الله بعد خاتم النبيين، وهو أبو الأنبياء، فهو عظيم المنزلة عند الله، وعند الأمم كلها^(١).

و﴿بِالْبَشَرِ﴾: الباء متعلقة بـ (جاءت). والبشرى: الخبر السار الذي يكون في المستقبل قريباً أم بعيداً. والباء: للمصاحبة؛ لأنهم جاؤوا لأجل البشرى، فهي مصاحبة لهم كمصاحبة الرسالة للمرسل بها^(٢).

وقال الشنقيطي: لم يُبين هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها رسل الملائكة إبراهيم، ولكنه أشار بعد هذا إلى البشارة بإسحاق ويعقوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا تُقَاتِمُهُ فَصَاحَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]؛ لأن البشارة بالذرية الطيبة شاملة للأمم والأب، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣] ^(٣).

وقيل: البشرى هي إخبارهم له بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط، وعليه فالآيات مبينة لها كقوله هنا في السورة: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ [هود: ٧٠]، وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ^(٥٨) إلاء آل لوط إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ^(٥٩) [الحجر: ٥٨ - ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ^(٦٠) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَبَارَةً مِّن طِينٍ ^(٦١) [الذاريات: ٣٢ - ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِن أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١]، والظاهر القول الأول. وهذه الآية الأخيرة تدل عليه؛ لأن فيها

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، لبنان،

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٣/ ٢٩ - ٣٠.

التصريح بأن إخبارهم بإهلاك قوم لوط أتى بعد مجيئهم بالبشرى ؛ لأنه مرتّب عليه بأداة الشرط التي هي «لَمَّا» كما ترى^(١).

ب- ﴿قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ﴾ ؛ أي: سلّموا عليه، وردّ عليهم السّلام، ففي هذا دلالة على مشروعية السّلام، وأنه لم يزل سارياً في ملّة إبراهيم عليه السلام، وأنّ السّلام ثابتٌ قبل الإسلام، وأنه ينبغي أن يكون الردّ أبلغ من الابتداء؛ لأنّ سلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، وردّه كان بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرقٌ كبير كما هو معلوم في علم اللغة^(٢).

ويقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]. وهكذا استقبل إبراهيم عليه السلام رسلَ الله عزّ وجلّ، والآية تدلّ على أن السّلام هو تحية الإسلام، وهو تحية الملائكة أيضاً، وكذلك أخبر الله أنّها تحيتهم لعباده المؤمنين في الآخرة في آياتٍ عديدة من كتابه العزيز، كقوله في سورة الرعد: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿[الرعد: ٢٣ - ٢٤]، وكقوله في سورة الزمر أيضاً: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]^(٣).

ج- ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِئِدٍ﴾ ؛ والعجل: هو ولد البقر^(٤). فلم يمكث إبراهيم عليه السلام طويلاً حتّى جاءهم بعجلٍ مشويّ، وقد عبّر عن العجل في سورة الذاريات بقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ؛ فهو سمينٌ وهو

(١) أضواء البيان، المصدر السابق، ٢٩/٣ - ٣٠.

(٢) تفسير السّعدى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ٧٥٨.

(٣) القصص القرآني بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ، ص ١٣٦.

(٤) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ١١/٦٥٥.



حنيد^(١). وإن الحنيد هو المشوي على الحجارة المحمّاة في حفرة من الأرض، وهو من صنيع أهل البادية، يُقال: حَنَدَ الشَّاةُ يَحْنِدُهَا حَنْدًا: شواها بهذه الطريقة، فهي حنيد^(٢).

إنَّ تقديم إبراهيم عليه السلام عَجَلًا مشويًا ناضجًا لهم فورَ دخولهم عليه؛ دليلٌ على كرمه، ومبالغةٌ في إكرامه لهم، فكان يكفيهِ أن يُقدِّمَ لهم شيئًا من اللحم، أو يقدم لهم خروفاً، أمّا أن يُقدِّمَ لهم عَجَلًا، فهذا لا يصدر إلا عن رجلٍ كريم^(٣). وإن الضيافة من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن خُلق الرسل والنبيين والصالحين^(٤).

وقال ابنُ كثير: تضمنت هذه الآيةُ آدابَ الضيافة من وجوه كثيرة^(٥)، منها:
- حُسْنُ استقبال الضيف.

- المبادرة إلى إعداد الطعام دون أن يسألهم عن شأنهم.

- التعبير في قوله: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ﴾ يدلُّ على سرعة مبادرة الخليل إبراهيم عليه السلام إلى إعداد الطعام لضيوفه الكرام.

- إعداد الطعام استغرق وقتاً قصيراً، على الرغم من أنَّ الطعام الذي أعدّه وقَدَّمه هو عجل سمين لذيذ حنيد مشوي على الحجارة المحمّاة؛ وفي هذا ما يدلُّ على إكرام إبراهيم عليه السلام لضيوفه، وحفاوته بهم، حيث قدَّم لهم أفضل ما عنده^(٦).

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ١/٤١٩.

(٤) شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، ص ١٧٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير، ٤/٢٦٤.

(٦) المرأة في القصص القرآني، أحمد الشرفاوي، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ -

٢٠٠١م، ١/١٦٢.

ولذلك سُمِّي إبراهيم عليه السلام «أبو الضيفان»؛ فهو أوَّل من أضاف الضَّيف؛ ولشهرته بالكرم كذلك، ومن كرمه أنَّه يأتي بالطعام الكثير للعدد القليل. وهذا الكرم ليس من الإسراف، فالطعام الزائد يؤكل من قِبَل أهل البيت، أو يوزَّع على الفقراء^(١).

ومن أدب الضيافة: تقريبُ الطعام إلى الضُّيوف، والملاطفةُ في الكلام، كقوله في سورة الذاريات: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] (٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]:

إنَّ الارتباطَ ظاهرٌ ووثيق بين الآية السَّابقة التي فيها إحضار إبراهيم الطعام لضيوفه، وبين هذه التي لم يمدَّ الضيوفُ فيها أيديهم إلى الطعام، فتوجَّس منهم إبراهيم عليه السلام بعض الخوف؛ لأنَّ المشهد غريب غير مألوف.

أ - ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: فاء التعقيب متصلة بـ (لما) المقيدة لأول حدث الشيء. وهنا لما رأى أيدي الضيوف، وهو لا يعلم أنهم ملائكة، رآها لا تمتدُّ إلى الطعام، وعبر بـ ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ عوضاً عن لا تمتد، فهي لن تصل إذا لم تمتد. وكأني ألمح أنَّ تعبير (لا تصل)، يفيد تقريبَ الطعام الدالَّ على الإكرام بحيث لا يحتاج الضيفُ إلى مدِّ يده، وإنما هي من المفروض أنَّها واصلهُ إلى الطعام؛ لقربه أو شدة قربه. ومعنى ﴿نَكِرَهُمْ﴾ إما استنكر فعلهم، أو شعر بوحشة من فعلهم، أو شعر

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٥٨.

(٢) الأحاديث الصَّحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، الدار الشَّامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م، ص ٦٤.

بغرابة سلوكهم، فالضيفُ الذي لا يتناول طعامَ المضيف أمره غير مريح، بل مخيف^(١).

ولأنَّ من تقاليد أهل البدو وأهل الريف، أنَّهم يتحرَّجون من خيانة مَنْ أكل معه طعاماً، فإذا امتنعوا عن طعام أحد، فمعنى هذا أنَّهم ينوون به شراً، أو أنَّهم لا يثقون في نيَّته لهم^(٢)، ولذا قال بعده:

ب - ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾؛ أي شعر منهم أو نحوهم بشيء من الخوف والتحسُّب والظن والتوجس والترقُّب^(٣).

ج - ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾؛ لاحظ الضيُّوفُ تخوَّفَ إبراهيم عليه السلام منهم، فأرادوا طمأننته وأخبروه عن طبيعتهم ليهدأ وتسكن نفسه؛ إنَّهم لم يأكلوا عنده، لأنَّهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون الطعام، فعليه ألا يظهر عليه خوف^(٤).

د - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بيان عن تأكيد من شأنه أن يُذهب الروحَ عن إبراهيم، ويزيل التوجس والخوف من توقع نية السوء من قبل هؤلاء نحوه.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: أصلُ الإرسال: الإطلاق، وهو دون البعث في القوة فيما أرى، وغايتنا تتمثل في التوجه إلى قوم لوط^(٥).

﴿إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾: (إلى) تفيد الغاية؛ أي هم وجهتنا وغايتنا، وهم قوم لوط الشَّاذون الكافرون، والقصد إهلاكهم ودمارهم^(٦).

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٩١٢/٤.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٠.

(٤) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ١/٤٢٠.

(٥) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٠.

(٦) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ١/٤٢٠.

وإن الدروسَ والفوائد في الآية الكريمة تتلخص بـ:

- دقة التعبير في قوله تعالى (لا تصل) بدل لا تمتد .
- كل كلمة لها معنى وإيحاء وظلال وإيماءات ، هذا هو القرآن الكريم .
- الرسل بشرٌ يعترهم ما يعترى البشر من خوف وحزن وألم .
- حسب تقاليد البدو ، فإن الذي لا يأكل الطعام عند مضيفه أمره مريب ، أو أنه يريد شراً ، أو أنه لا يثق بنية مضيفه^(١) .

هذه القصة وقعت بعد هجرة إبراهيم عليه السلام من أرض الكلدانيين مسقط رأسه في العراق ، وإقامته في أرض كنعان التي بارك الله فيها للعالمين .

٣ - قوله تعالى : ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود : ٧١] :

ما زلنا في مشهد ضيوف إبراهيم من الملائكة ، وفي هذه الآية يتحدث القرآن عن امرأة النبي الكريم ، وهي قائمة لخدمة الضيوف مع زوجها الرسول عليه السلام ، فخدمة الضيوف تقوم بها هذه المرأة على قدم وساق ، فتكون الصلة بين النبي وزوجته مع الكرم قوية كالعروة الوثقى^(٢) .

أ - ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ ؛ الواو عاطفة أو استثنائية ، والجملة مبتدأ وخبره .

﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ : أي امرأة النبي الكريم إبراهيم عليه السلام . وعبر بالمرأة دون لفظ الزوج ؛ لأنَّ المقام لا يقتضي إلا بيان موقف معين ؛ وهو خدمة الضيوف^(٣) .

(١) تفسير سورة هود ، أحمد نوفل ، ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .



﴿قَائِمَةٌ﴾: واقفةً على خدمة زوجها وضيوفه^(١). قال ابنُ الجوزي: واختلفوا أين كانت قائمةً على ثلاثة أقوال:

- أحدها: وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب.

- والثاني: كانت قائمةً تخدمهم، قاله مجاهد والسدي.

- والثالث: كانت قائمةً تصلي، قاله محمد بن إسحاق^(٢).

﴿فَضَحِكْتُ﴾: الفاء تفرعية. وضحكت، بمعنى تبسمت تبسم الضحك، وإنما ضحكت للخير العظيم الذي يُفرح قلب كل مؤمن بهلاك الظالمين والمجرمين^(٣).

وذكر أبو جعفر الطبري سبب ضحك سارة زوج إبراهيم عليه السلام، ولخص أقوال العلماء، ثم رجع بعد ذلك فقال: «ضحكت تعجباً من أنها وزوجها يخدمان ضيفانهم بأنفسهما؛ تكرمةً لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون».

وقال آخرون: بل ضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط عليه السلام، ومما سيأتيهم من العذاب.

وقال آخرون: بل ضحكت لما رأت ما بزوجها إبراهيم من الرّوع. وقال آخرون: بل ضحكت حين بُشّرت بإسحاق تعجباً من أن يكون لها ولدٌ على كبر سنّها وسنّ زوجها.

وقال آخرون: بل ضحكت سروراً بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم:

(١) تفسير سورة هود، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مكتبة

مشكاة الإسلامية، لبنان، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ٢٦٩/١٥.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٢.

﴿لَا تَخَفْ﴾، وذلك أنه قد كان خافهم، وخافتهم امرأته كما خافهم إبراهيم، فلما أمنت ضحكت، فأتبعوها بالبشارة بإسحاق.

ويقول الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال ضحكت؛ لأنها عجبت من غفلة قوم لوط عما أحاط بهم من عذاب الله، وغفلتهم عنه. ثم يقول الطبري: قلت: هذا القول أولى بالصواب؛ لأنه ذكر - أي العذاب - عقب قولهم لإبراهيم عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾؛ فإذا كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم ﴿لَا تَخَفْ﴾، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط^(١).

وقال ابن عاشور: ضحكت سارة من تبشير الملائكة لإبراهيم عليه السلام، وكان ضحكها ضحك تعجب واستبعاد^(٢).

وقال الخالدي: كانت امرأة إبراهيم سارة رضي الله عنها واقفة قائمة على خدمة ضيوف زوجها، والترحيب بهم، واطمأنت لما علمت أنهم ملائكة، ولما سمعت بمهمتهم في إهلاك قوم لوط ضحكت، وسرت بذلك.

إنها تعلم من هم قوم لوط، وتسمع عن كفرهم وضلالهم، وتسمع عن انحرافهم وشذوذهم، وتسمع عن إتيانهم الرجال وارتكابهم اللواط، وكم ساءها ذلك منهم، وكم تمت تدميرهم وتعذيبهم وهلاكهم، والآن حل بهم أمر الله تعالى، وها هي الملائكة في طريقها إليهم لإهلاكهم، وبعد قليل سيُدْمَرُونَ؛ لذلك ضحكت سارة العجوز العقيم المؤمنة، وفرحت وسرت بذلك، فضحكها ضحك حقيقي، يقوم على الفرح والسرور.

ولا نورد هنا الأقوال السخيفة التي تحمل الضحك على الحيض، ولا نناقش

(١) تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن»، ١٥/ ٣٩٠-٣٩٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٢/ ١١٩.

القول المتهافت الذي يقول: إِنَّ ضحك سارة هو حيضها، وهي واقفة، ومجيء العادة الشهرية لها بعدما بلغت سن اليأس، فهذا لا يستحق مناقشته وإظهار بطلانه^(١).

ب - ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ :

﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ : هي ضحكت لبشرى، فأردفتها الملائكة ببشرى أخرى، وهي الولد، ولم يكتفِ السياق القرآني بالتبشير به، بل سماه: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾، فالملائكة إذاً بشرت امرأة إبراهيم بولد، وذكرت اسمه أنه مسمى بهذا الاسم من عند الله: إسحاق^(٢)، ومعنى إسحاق «الضحك» بالعبرية، أو الذي يضحك^(٣).

وبشارتها الثالثة ضمن البشرى الثانية؛ وهي أن هذا المبشر به سيولد له مبشر به أيضاً وهو يعقوب عليه السلام، ووراء بمعنى عقب، وهو يعقوب الذي جاء عقب إسحاق، والذي سيعقب الأسيباط الذين سيكونون شعب بني إسرائيل^(٤).

قال ابن كثير في الآية: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾؛ أي: بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل، فإن يعقوب ولد لإسحاق، كما قال في آية البقرة: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ومن هنا نستدل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل عليه السلام، وأنه يمتنع أن يكون إسحاق؛ لأنَّ البشارة وقعت به، وأنه سيولد له

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ١/ ٤٢١.

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٣.

(٣) موسوعة نساء الأنبياء (أمهات وزوجات وبنات الأنبياء من آدم إلى الرسول ﷺ)، إسماعيل

حامد، مكتبة النافذة، الحيزة، مصر، ط ١، ٢٠١١م، ص ٦٩.

(٤) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٣.

يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حقاً لا خُلفَ فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون إسماعيل، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحّه وأبينه، والله الحمد^(١).

وقد بيّنت الآية أن الملائكة لم تبشّر سارة (عليها السلام) بالولد فحسب، بل بشّرتها بولد الولد، أي بالأحفاد، وهذا عزّ الكرم، وغاية المنح، ودليل الجود؛ لأنّ الذي هو أعزّ من الولد هو ولد الولد، كما يقول النَّاسُ في المثل السَّائر^(٢).

ويعدّ إسحاق عليه السلام من بين الأنبياء الذين اختار لهم ربنا تعالى أسماءهم، فجاء هذا النبي وأمه عاقر وأبوه شيخٌ كبير، وكان مع تقدّم سنّ أمه من المستحيل أن ينجبها لولا تدخل قدرة الله المطلقة، ورحمته الواسعة، ومشيّته النَّافذة، وحكمته البالغة، ليس هذا فقط، بل إنّ الله تعالى قد وصفه عليه السلام بأنه غلامٌ عليم، وأنه سوف يكون نبياً من الصالحين^(٣).

إنّ نبيّ الله إسحاق عليه السلام جاء بمعجزةٍ إلهية، حيث ولدته أمه، وهي عجوزٌ عقيم، وجعل الله تعالى في ذريته أنبياء بني إسرائيل، وله الفضل ولابنه يعقوب، من بعد الله تعالى، في تواجد الأمة اليهودية، وبني إسرائيل، ومع ذلك قد نال هؤلاء القوم الظالمون منهما، حيث أنزلاهما منازل سيئة ومشبوهة فيما قالوا وكتبوا عنهما في التوراة المزوّرة، بل وشمل هذا التزوير والافتراء على الله تعالى معظم أنبياء بني إسرائيل أو كلّهم. وللأسف، فإنّ من لم يشمله هذا التزوير والتقول عليه بالكاذب، ناله التعذيب والقتل^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ٤/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) ملة أبيكم إبراهيم، عبد الستار كريم المرسومي، ص ٩٦.

(٣) ثمانون شخصية مشهورة في القرآن الكريم، حنفي المحلاوي، دار النشر للجامعات،

٢٠١٣م، ص ٦٥.

(٤) ثمانون شخصية مشهورة في القرآن الكريم، ص ٦٥.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الأفعال المشينة من جانب بني إسرائيل تجاه أنبيائهم، مع أن الله تعالى قد كرم هؤلاء الأنبياء، ووصفهم وصفاً حميداً، كما أثنى عليهم وعلى ما قاموا به من مهام تجاه قومهم من بني إسرائيل؛ لأجل هدايتهم وإعادتهم إلى الصراط المستقيم، ومن بين هؤلاء الذين حدثنا عنهم كتاب الله، إسحاق ويعقوب عليهما السلام^(١)، ومع ذلك لم يسلم أولئك الأنبياء الكرام من الافتراء، والبهتان، والكذب عليهم، ومحاولات تزوير صفحاتهم البيضاء في ظلام المؤامرات، وحبك الدسائس.

٤ - قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَئِلَيَّ ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]:

بُشِّرَت امرأة إبراهيم عليه السلام بالولد في الآية السابقة، وتسجل هذه الآية ردة فعلها على تلك البشرية، حيث أصابها الدهشة الكبرى، فدفعها ذلك إلى إطلاق صيحة التعجب والاستغراب.

أ - ﴿قَالَتْ يَوَئِلَيَّ﴾؛ قالت امرأة إبراهيم مُعبرة عن استغرابها ودهشتها ومفاجأتها: ﴿يَوَئِلَيَّ﴾؛ يا: للنداء، والمنادى (الويل) مضاف إلى ياء المتكلم، وزيدت التاء للتقوية، وتحولت الياء إلى ألف مقصورة: ﴿يَوَئِلَيَّ﴾، فكانها تنادي الويل للحضور، وهو تعبير غير مقصود معناه حرفياً، وإنما هو تعبير عن منتهى التعجب والاستغراب^(٢).

﴿يَوَئِلَيَّ﴾: كلمة تُستعمل عند وقوع الداهية العظيمة، والمراد بها التعجب لا الدعاء، وقد جاءت في سياق النداء، وكأنها تصوّر الويل غير حاضر، فنادته كالذي يعقل، وذلك على سبيل الاستعارة الممكنة. لقد صوّرت الآية الكريمة

(١) ثمانون شخصية مشهورة في القرآن الكريم، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٣٦٥.

دهشتها وتعجبها الشديدين من وقوع هذه المفاجأة، وذلك من خلال أسلوب التُّدْبَةِ في ﴿يَوِيلَآئِ﴾^(١).

ب - ﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾؛ الهمزة الأولى للاستفهام التعجبي أو الإنكاري ثم أتى الفعل (ألد)، فمقتضى البشري بالولد أن تحملَ امرأة عَجُوزٌ وأن تلد، وهذا في عادات البشر غير مألوف ولا معهود ولا متوقَّع، ومن هنا جاءت الدهشة، وجمعت الكلمة القرآنية همزتين متتاليتين مع صعوبة نطقهما؛ لتدلَّ بجمعها على معناها من صعوبة تصور الموقف وحدوثه في حيِّز الواقع المعاش.

﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾؛ الواو للحال، والمبتدأ والخبر بعدها في محلِّ نصبٍ حال، وكلمة (عجوز) يدخل تحت هذا الوصف كبيرُ السنِّ، لكن بلا تحديد سنٍّ معيَّنة، فهل هو من سنِّ الستين مثلاً أو قبلها أو بعدها؟ هذا يحدِّده العُرفُ أكثر مما تحدده اللغة، لكنَّ اللغة وضعت للكبير والكبيرة كالشيخ والشيخة^(٢).

ج - ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾؛ الواو للحال أو للعطف، وهذا اسمُ إشارةٍ للقريب لتعيينه، واستخدام لفظ ﴿بَعْلِي﴾ دون زوجي فيها دقَّةٌ شديدة؛ لأنَّ البعل هو الذي يقوم بأمر المبعول ولا يُحَوِّجُه لأحد، فالبعل هو الزوج الذي يقوم على أمر زوجته، فلا يحوجها إلى غيره في أي شيء من الأشياء^(٣).

و ﴿شَيْخًا﴾: حال، أو الجملة كُلُّها في موضع حال، والشيخ: هو الكبيرُ السنِّ دون تعيين، وللعرف الاجتماعي واللغوي دوره في تعيين السنِّ وتحديدِه^(٤).

(١) صناعة الحوار، حمد عبد الله السيف، ص ٣٤٩.

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٣٦٥.

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ١١/٦٥٦٣.

(٤) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٣٦٦.

ويقال: إنها كانت في سِنِّ التسعين، وكان إبراهيم عليه السلام في سِنِّ المئة والعشرين، والله أعلم^(١).

د- ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾؛ إِنَّ: للتوكيد، وللإشارة إلى غرابة الأمر ووقوعه عليها. ﴿هَذَا﴾: وردت هذه اللفظة للمرة الثانية بعد عبارة ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾؛ لتعيين الشيء المتحدث عنه واستحضاره بتمامه، وفيه - قبل أن نصل إلى كلمة عجيب - رائحة التعجب^(٢).

﴿لَشَيْءٌ﴾: اللام لمزيد التأكيد، فتأمل كيف مُلئ النصُّ بالمؤكدات على قصره؛ لتوكيد غرابة الأمر وعجيب شأنه. وكلمة شيء مطلقة عامة تطلق على كل شيء، حتى الأشياء المعنوية، كالحديث عن مثل هذا الأمر الوارد في الآية الكريمة.

﴿عَجِيبٌ﴾: مُتَعَجِّبٌ منه، مُسْتَعْرَبٌ وبعيد في التصور، وموغل في العجائبة^(٣).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- من العجيب أن ينقل النصُّ القرآني، على محدودية عدد كلماته، انفعالات الشخص، ويغوص في أعماقهم؛ ليرصد أدقَّ خلجاتهم، وهذا هو الإعجاز القرآني، أو الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، إن شئت تحديداً، أو رُمت تعييناً.

- جعل الله تعالى السُّنن الكونية ليضبط النَّاسُ شؤونهم، ولا يبنوها على الخوارق، أمّا هو سبحانه فإنه متى شاء حَرَقَ هذه السُّنن لمن شاء؛ ليعلم النَّاسُ

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٧٨/٤.

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٧.

أن للكون إلهاً، وليست قوانين تسير وحدها، وخرقُ السُّنَنِ يُؤَيِّدُ إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِينَ بالخالق العظيم، ويجعلهم يتوَكَّلون عليه.

- أسباب عدم الإنجاب في حالة إبراهيم عليه السلام وزوجه كاملة، وليست من طرف واحد، ولكن الله لا يعجزه شيء، فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

- بين الفينة والأخرى يُري الله عزَّ وجلَّ النَّاسَ آيَاتِهِ، وَيُغَيِّرُ رَتَابَةَ الْحَيَاةِ والإيقاع المألوف للأشياء؛ ليخرجوا من قوقعة الإلف الذي يقتل الدهشة، فكم من الجميل أن تعود لنا مشاعر الدهشة بالأشياء والانفعال بها^(١)، لنحيا الموقف أصالةً ويقيناً بأن الله تعالى قادر على تغيير رتابة الحياة.

- قال ابن كثير: حكى قولها في هذه الآية: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَءِ الْاِدِّ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، كما حكى فعلها في الآية الأخرى ﴿فَاقْبَلَتْ اَمْرَاتُهَا فِي صَرْقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب^(٢).

- قال الرَّازِي: إنما تعجبت بحسب العُرف والعادة لا بحسب القدرة، فإنَّ الرجلَ المسلم لو أخبره مخبرٌ صادقٌ بأنَّ الله تعالى يقلبُ هذا الجبلَ ذهباً إبريزاً، فلا شكَّ في أنَّه يتعجَّب نظراً إلى أحوالِ العادة؛ لا لأجل أنَّه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك^(٣)، فلا يستنكر قدرة الله عزَّ وجلَّ إلا جاهلٌ أو متكبرٌ.

- قال الآلوسي: مقصدها كما قيل: استعظأُ نعمة الله تعالى عليها في ضمن

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٣٦٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ٢٦٦/٤.

(٣) التفسير الكبير مفاتيح الغيب (تفسير الرَّازِي)، ٢٩/١٨.



الاستعجال العادي، لا استبعاد ذلك من حيث القدرة^(١)؛ لأنَّ قدرة الخالق أكبر من أي قدرة وأعظم منها.

٥ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]:

نجد تمام الاتصال، وكمال الاتساق بين هذه الآية وسابقتها، فهناك تعجبت امرأة إبراهيم عليه السلام من أن تنجب وهي في عمر متقدم، يبدو أنه محال، أو أقرب إلى الخيال، وهنا تردُّ الملائكة على سؤال (أألد) وعلى قولها: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، فيقولون: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، فلا محل للعجب، ولا داعي له، ولا مستند يرتكز إليه، فما دام الله تعالى يتصف بالقدرة الخارقة الكبرى، ففعل مثل هذا الأمر هيّن ميسور.

أ- ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي الملائكة، والضّمير للجميع كما هو للواحد، ويبدو أنهم جمعٌ، لكنّا لا نعلم كم هذا الجمع، أثلاثة أم فوق هذا العدد، وليس من شأن القرآن أن يدخل فيما لا جدوى من تفصيله، وإنما قلّنا هذا لأؤكد المؤكّد^(٢). ولعلّ عدد الملائكة كان فوق الثلاثة؛ لأنّ ذبح العجل وشيّه لا يكون لثلاثة فقط، بل يكون العدد فوق ذلك ليتناسب مع كرم الضيافة وحجم العجل المشوي.

﴿أَتَعْجَبِينَ﴾: ردّوا على همزة الاستفهام ﴿أَأَلْدُ﴾ بهمزة استفهام: ﴿أَتَعْجَبِينَ﴾؛ هل تعجبين يا زوج النّبي الكريم؟ وهل تستغربين وأنت في بيت يتلقّى صاحبه الوحي من الله، ويأتيه الأمر من الله، وهو موصولٌ كلّ لحظة من لحظاته بالله سبحانه؟! .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ١٢/ ١٠٠.

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٨.

﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : هذا المستعجب منه ، والمتعجب من شأنه أمر من أمر الله ، ولا عجيب على الله ، ولا غريب على قدرته . وحرف الجر ﴿ مِنْ ﴾ متعلق بالفعل قبله .

﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ : شأنه سبحانه ، وكلُّ أمر هو من أمر الله أي بأمره وإذنه ، أو يكون معنى ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ : ما يأمر به سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

فالأمر لفظٌ عام ككلمة شيء مُطلق يُطلق على ما لا يُحصى من الأمور ، وأضاف الأمر إلى الله لتعظيم شأنه ، فالشيء يَعْظُمُ بالانتساب للعظيم ، كما نقول : كتاب الله ، رسول الله ، بيت الله^(١) .

ب - ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ :

﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ ﴾ : ما الفرق بين (رحمت الله) و(رحمة الله) من حيث رَسْم التاء؟ الفرق بينهما: أَنَّ الرَّحْمَةَ التي تأتي فيها التاء مفتوحة أو مبسوطة (رحمت الله) مفادها أَنَّها رحمة بُسِطت بعد قبضها، وأتت بعد شدة، ودائماً تكون مضافة مباشرة للفظ الجلالة، مثال: بعد مرور السنين الطويلة، وتجاوز الزوجة للسِّن التي تستطيع أن تحمل وتلد وتعطي الذرية فيها؛ تأتي البشري لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وزوجه، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾؛ فهو فَتَحَ بعد قَبْضٍ .

وتأتي كذلك استجابةً لدعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد، قال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم: ٢]، ثم تأتي بعدها قِصَّةٌ وَهَبَ الله يحيى لزكريا عليهما السلام؛ كذلك هو هنا فَتَحَ بعد قَبْضٍ .

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٦٩ .

وأيضاً قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]؛ كذلك هنا فَنُفِّخُ بَعْدَ قَبْضٍ .
وتدلُّ أيضاً التَّاءُ المبسوطةُ على اتساع رحمة الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] (١).

أما الرَّحمةُ التي تأتي فيها التَّاءُ مربوطةً (رحمة)، فهي رحمةٌ مرجوةٌ لم تُفْتَحْ للسائل بعد، فالعابدُ القانتُ السَّاجِدُ آناء الليل ويحذر الآخرة، يرجو رحمة ربِّه في الآخرة، ألا وهي الجنة التي هي مُقْفَلَةٌ دونه في الحياة الدنيا، وستُفْتَحُ له يوم القيامة إن شاء الله، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]؛ هي رحمة مرجوة .

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]؛ كذلك هي رحمةٌ موعودٌ بها .

وأضيفت (رحمت) في آية: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ﴾ إلى لفظ الجلالة لتعظيم شأنها، وفي هذه الآية ﴿أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، ثلاث كلمات مضافة إلى لفظ الجلالة أو الضمير العائد إليه، وأمَّا الأولى والثانية فقد تفوّقت فيهما سورة هود، وأمَّا الثالثة فانفردت بها، فتأمل (٢).

﴿وَبَرَكَتُهُ﴾: أضيفت البركات إلى لفظ الجلالة كذلك، ولم ترد - كما مرّ - في القرآن إلا هنا، أعني مضافة، ووردت بركات في هذه السورة قبل آيات البركة والخير الكثير، وهي مفهومٌ كبيرٌ قد لا يفهمه الماديُّ والملحد والحسابي، أعني من يحسبُ الأشياء بالأرقام، ويتعاملُ مع حدود الفيزياء، فأنتي يفهمُ معنى

(١) تفسير سورة هود، المصدر السابق، ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٠ .

البركات، وما درى أن الله يصرف عنهم من البلاء والمرض وتلف الأشياء والحوادث ما يصرف! وكم من أناس يأتيهم الألوفا ولا يكفيهم، وأناس يعيشون سعداء ومستورين بالقليل!

وتعيش بلدانٌ فقيرة بالأمطار - كالأردن وفلسطين وبلاد الشام - وثمراتها أطيبت الثمرات مع قلة أمطارها نسبياً، وهذا سببه أنها أرضٌ مباركة.

وعلى كل حال هذا مفهومٌ إيماني، فمن كان لا يؤمن فلا يحرم المؤمن من إيمانه واعتقاده وراحته بآله، فليظل هو في أرقامه وحساباته وآلاته التي تساعده على الحساب. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾، هذا شأنُ البشر وشأنُ الدنيا ومن عليها، فلا نتجادل في الكلام ولا نزيد في الخصام، وليمض كل في سبيله^(١).

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾؛ أي رحماته تعالى متتابعةٌ عليكم، وخيراته النامية المتكاثرة عليكم يا أهل البيت، والمراد به: بيت النبوة، البيت المتفرد بالعلم، معدن النبوة، وموضع الرسالة، الذي تفرعت منه كل النبوات والرسالات، حتى ختمت بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه وعلى آله الصلاة والتسليم، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، ودلت الآية على دخول الزوجة في أهل البيت، ويؤكد ما أنزل الله في بيت النبوة مخاطباً أمهات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]^(٢). وقوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ [طه: ١٠] تأكيداً لهذا المفهوم^(٣).

قال ابن عطية الأندلسي: وهذه الآية تدل على أن زوجة الرجل من أهل بيته؛

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٠.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٧٨/٤.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٠.



لأنّها خُوطبت بهذا، فيَقْوَى القولُ في زوجات النبي ﷺ بأنهنَّ من أهل بيته الذين أذهب عنهم الرّجس^(١).

وقال القرطبيُّ: ويُسْتَدَلُّ من هنا على أن زوجة الرجل من أهل بيته، ودلّت الآية أيضاً على أن مُنتهى السلام: ﴿وَبَرَكْنُهُ﴾؛ كما أخبر الله عن صالح عبادته: ﴿رَحِمَتْهُ اللَّهُ وَبَرَكْنُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، والبركة: النموّ والزيادة، ومن تلك البركات أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد إبراهيم وسارة^(٢).

ج - ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾؛ إِنَّهُ المستحقُّ الحمد سبحانه وتعالى، والمستحقُّ التمجيد والتعظيم، فله المجدُّ، وله العزّة، وله الكبرياء، وله المحامدُ كلها، ربنا العظيم، وقال ابنُ عاشور: جملة: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾: تعليلٌ لتوجُّه رحمته وبركاته إليهم، بأن الله تعالى يحمّد من يطيعه، وبأنه مجيدٌ: أي عظيمُ الشأن لا حدَّ لنعمه، فلا يعظم عليه أن يعطيه ولداً. وفي اختيار وصف (الحميد) و(المجيد) من بين الأسماء الحسنی، كناية عن رضا الله تعالى على إبراهيم عليه السلام وأهله^(٣)، فالله مصدرٌ كلِّ فعلٍ محمود ومنشأ كلِّ كرم وجود، ويفيضُ برحمته وبركاته على مَنْ يشاء من عبادِهِ.

- اسم الله الحميد:

هو الحميدُ في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصّفات أكملها، ومن الأفعال أتمّها وأفضلها، فإنَّ أفعاله دائرةٌ بين الفضل والعدل^(٤).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ١٩١/٣ - ١٩٢.

(٢) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، المصدر السّابق، ٧١/٩.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٢.

(٤) والله الأسماء الحسنی، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٣٧٢.

فهو الله سبحانه المحمود بما اتّصف به من صفات الكمال ونعوت الجلال، وهو المحمود، ولا يزال على ما أبدى من النعم وأسدى من الكرم^(١). ويقول أبو حامد الغزالي: الحميد بحمده لنفسه أولاً، وبحمده عباده له أبداً^(٢).

وقال الطّبري: (حميد): محمود في تفضّله عليكم بما تفضّل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه^(٣).

- اسم الله المجيد :

قال السّعدي: (المجيد): الكبير العظيم الجليل، وهو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كلّ شيء، وأعظم من كلّ شيء، وأجلّ وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع والتذلل لكبريائه^(٤).

ويقول أيضاً: والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكلُّ وصفٍ من أوصافه عظيم شأنه؛ فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كلّ شيء، التقدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته^(٥).

وقد جاء في الحديث القدسيّ: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي، فإذا قال

- (١) المرأة في القصص القرآني، أحمد الشرقاوي، ١/ ١٧٠.
- (٢) المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، الجفان والجابي، قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ١١٥.
- (٣) تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن»، ١٥/ ٤٠٠٠.
- (٤) تفسير السّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» نقلاً عن كتاب: والله الأسماء الحسنى، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٣٨٧.
- (٥) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشّافية، عبد الرحمن بن ناصر السّعدي، دار ابن القيم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٣٣.

العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: مجّدي عبدي»^(١).

ومن هذا الحديث يظهر لنا معنى من معاني التمجيد، حيث إنّ من تمجيد الله تعالى وَصْفُهُ والاعتراف له بالملك والقهر والحكم يوم الدين والحساب، لا معقّب لحكمه، ولا مهرب من جزائه، وقد وصف الله عزّ وجلّ كتابه بـ (المجيد) وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ الْوَعْدُ﴾ [ق: ١]، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]؛ فالقرآن مجيدٌ، أي: ذو شرفٍ كريمٍ عظيمٍ واسع الخير والفضل والكرم، وذلك لما تضمّنه من العلوم والمكارم والمقاصد العليا والمصالح الدنيوية والأخروية، ولا غرابة في ذلك فإنّه كلام الله - عزّ وجلّ - المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ومن عظمة هذا القرآن ومجده؛ أن الله يرفعُ به أقواماً، ويخفضُ به آخرين، يرفعُ به من عمل به، واتّخذ ديناً ومنهجاً، ويخفضُ به ويذل من تركه وراء ظهره^(٢).

٦ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]:

في السّياق السّابق تكلمت الآيات عن الرسل الملائكة الذين جاؤوا إلى الرسول إبراهيم عليه السلام وبشّروه بأنهم آتون لإهلاك قوم لوط، وبشّروا امرأته بالولد والحفيد من بعد الولد، فاطمأنت نفس إبراهيم، وزايله الخوف، فطفق يجادل الملائكة في قوم لوط، فالآيات هذه والسابقات نسقٌ في تمام الاتّساق^(٣).

(١) صحيح مسلم، رقم ٣٩٥.

(٢) والله الأسماء الحسنى، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٣٨٩.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٤.

أ- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ :

﴿ فَلَمَّا ﴾ : وقت آن . ﴿ ذَهَبَ ﴾ : زايله وراح عنه . ﴿ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : عن نفسه وقلبه . ﴿ الرَّوْعُ ﴾ : بفتح الرَّاء : الخوف والفرع الذي أوجسه في نفسه من الملائكة حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه ، يقال : راعه أي أفرعه كروعه^(١) .

ب - ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ﴾ ؛ بعد الروع وذهابه ، جاءت البشرى لإبراهيم بإسحاق ، واستخدم النصّ المجيء الذي هو للقرب ، وأطلق البشرى عن تحديد فحواها ؛ لأنه قد ذكر قريباً ، فأغنى عن إعادته^(٢) .

ج- ﴿ يَجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ :

﴿ يَجْدِلُنَا ﴾ : الجدل والمجادلة من الجدل ؛ وهو النقاش والحوار لكن على وجهٍ أشدّ ، أي : يحاول مدافعة العذاب عن قوم لوط وتأخيرهم عنهم ، من أجل إعطائهم مهلةً وفسحةً وفرصةً للتوبة والرجوع إلى الصواب ، وهذا يدلُّ على حلمه ، لا على تهاون في الأحكام معاذ الله . وقد أثنى عليه الله دلالة على أن مُنطلقه كان الحرص على الدّين ، والحرص على إيمان الناس بالدّين قبل إهلاكهم .

﴿ فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ : أي في شأن قوم لوط ، وفي أمرهم وقضية عذابهم وإهلاكهم^(٣) .

وقال الشنقيطي : لم يبيّن هنا ما جادل به إبراهيم الملائكة في قوم لوط ، ولكنه أشار إليه في «العنكبوت» بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾^(٤) قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ

(١) تفسير سورة هود ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِيبِ ﴿[العنكبوت: ٣١ - ٣٢]، فحاصلُ جداله لهم أنه يقول: إن أهلكتم القرية وفيها أحدٌ من المؤمنين، أهلكتم ذلك المؤمنَ بغير ذنب، فأجابه عن هذا بقولهم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾، ونظيرُ ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الذاريات: ٣٥ - ٣٦] (١).

الدروسُ والفوائدُ في الآية الكريمة:

- الأنبياءُ خيرة الله من الخلق، وهم أرحمُ الخلق بالخلق.
- الأنبياء يصيبهم الروعُ والاندحاشُ كباقي الناس.
- الجدالُ مأذونٌ به طالما كان صاحبه يتحرى الحق.
- مجادلةُ إبراهيم عليه السلام دلالة على حلمه.
- لا يُتصور أن إبراهيم عليه السلام يجادل لو جُزم أن الأمر - أي العذاب - قد حُسم وأصبح حتماً (٢).

٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]:

تكلمت الآيةُ السابقة عن جدال إبراهيم عليه السلام الملائكة في شأن قوم لوط وعذابهم، وهذه الآية تُثني عليه حتى لا يُظن أنه متعاطفٌ مع الكافرين، وإنما هو يجادل من حلمه في دعوته، وطول اصطباره واحتماله (٣).

وهذه الآية من أقصر آيات سورة هود، بل هي أقصرها، فهي من خمس كلمات وفيها عشرون حرفاً بالرسم القرآني، واثنان وعشرون حرفاً بالرسم الإملائي.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٣ / ٣١.

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

أ- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾؛ إِنَّ: للتوكيد، وزيدت اللام في الخبر للتوكيد أيضاً، وعبر بالاسم الظاهر: (إبراهيم عليه السلام) مع قرب العهد دون التعبير بالضمير، لتكريمه بذكر اسمه، ولتفخيم شأنه، والثناء عليه، ولاستحضاره في ذهن القارئ باسمه الكريم.

ب- ﴿لَحَلِيمٌ﴾؛ إِنَّه لشديد الحلم وعظيمه، والحلم: السعة في الخلق، والسماحة في كل التعامل، والعفو والصفح والاحتمال، ومقابلة السوء بالإحسان. والحلم سيد الأخلاق كما يقال، والحلم خصلة حبيبة إلى الله تعالى كما ورد الحديث بهذا المعنى؛ إذ قال الرسول ﷺ للأحنف بن قيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءُ»^(١). والحليم: متأنّ غير عجول^(٢)، والحليم: الموصوف بالحلم، وهو صفة تقتضي الصفع واحتمال الأذى^(٣).

ج- ﴿أَوْهٌ﴾؛ كثير التآوه، على وزن «فعال»، وهي صيغة تفيّد وقوع الشيء منه مرّة بعد مرّة، فيه معنى التردد والتكرار، والكثرة والاستمرار. وفي التآوه إشارة إلى الشفقة والرفقة والرحمة والرافة، وقد تكرّر هذا الثناء على إبراهيم في سورة التوبة في قصّة استغفاره لأبيه، وقال هناك: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]^(٤).

ومن معاني ﴿أَوْهٌ﴾: خاشع متضرّع في الدعاء، أو كثير التآوه من خوف الله، قال أبو عبيدة: الأواه: المتأوه فرقاً، المتضرّع يقيناً ولزوماً للطاعة. وأصل التآوه: قول الرجل: أوّه أو أوّه: أي أتوجع^(٥).

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٧.

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، محمد حسنين مخلوف، طبعة لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨١م، ص ٢٦٧-٢٩٧.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٧.



د - ﴿مُنِيبٌ﴾؛ مبالغة على وزن «فعليل» أيضاً، أي كثير الإنابة إلى الله تعالى من كل أمر يظن أنه قصّر فيه، فهو كثير الرجوع إلى الله في أمره كله^(١).

فالآية الكريمة ذكرت ثلاث صفات لإبراهيم عليه السلام: الحلم، والتأوه، والإنابة؛ إنه حلیمٌ مع النَّاسِ، وأواه: متحزّن متخشّع مع نفسه، ومُنِيب: دائم الإنابة والعودة إلى الله^(٢).

ويظهر من إبراهيم عليه السلام في قصته الهدوء والحلم، وهذا الظلُّ الكريم هو الذي يظل كل مشاهد ولقطات قصته في القرآن، إنه حلیمٌ هادئ متسامح لا يحتد ولا يغضب، ولا يسب ولا يشتم، هادئ حلیم مع قومه، عندما أبطل كون الكواكب آلهة، كما بيّنت آيات سورة الأنعام، وهادئ حلیم في جداله مع الملك الكافر الظالم كما ذكرت آية سورة البقرة، وهادئ حلیم حتى عندما حطّم الأصنام، فما حطّمها غنفاً وتطرّفاً، ولكن حطّمها من باب الحلم؛ لأنّه مُشفقٌ على قومه، حريصٌ على إزالة الحواجز أمامهم ليفتح لهم الطريق للإيمان، وهادئ حلیم عندما ألقوه في النَّار، فلجأ إلى الله وأتاب إليه، وهادئ حلیم عندما أخذ ابنه وزوجه إلى بلاد الحجاز، ودعا الله دعاء خاشعاً مُنيباً كما عرضت سورة البقرة وسورة إبراهيم، إنه نموذجٌ ومثالٌ للعلم والهدوء والإنابة والتسامح، وهو قدوةٌ في هذا لمن بعده من الصالحين^(٣).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- الحلم من أعظم الأخلاق، وهو من الأخلاق العظيمة التي يحبها الله.
- إبراهيم خليل الرحمن هو نموذجٌ للحلم، وهو مثلٌ أعلى للعالمين^(٤).

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٧.

(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ١/ ٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٤٣١.

(٤) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٨.

- الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَفَضَائِلِهِمْ .

- الرجوعُ إلى الله تعالى سمة المؤمن عموماً ، وعلى رأسهم الأنبياء والرُّسل عليهم السلام .

إِنَّ مَوْطِنَ الْعِظَمَةِ فِي شَخْصِيَّةِ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَلْبِهِ الْكَبِيرِ الَّذِي عَاشَ بِالتَّوْحِيدِ ، وَإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَسَّعَ قَلْبُهُ النَّاسَ جَمِيعاً ، فَهَذِهِ الْآيَةُ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْإِنَابَةَ رَاسِخَةٌ فِي بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ .

وَتَفَرَّدَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِبَعْضِ الْأَوْصَافِ دُونَ بَعْضٍ ؛ لِكَمَالِ شَهْرَتِهِمْ بِذَلِكَ ، فِإِبْرَاهِيمَ مِثْلاً «حَلِيمٌ» غَيْرَ عَجُولٍ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْمَسِيءِ ، وَهُوَ «أَوَّاهٌ» كَثِيرُ التَّأَوُّهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَالتَّأَسُّفِ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِذْ سَيَنْتَظِرُهُمْ حِسَابُ رَبِّهِمْ وَعِقَابُهُ الشَّدِيدُ ، وَهُوَ «مُنِيبٌ» رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ ، وَهِيَ صِفَاتٌ مُنْبِئَةٌ عَنِ الشَّفَقَةِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ ^(١) .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَنْبَأُ إِبْرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِلْعَذَابِ غَيْرُ مُرْدُوذِينَ ﴾ [هود: ٧٦] :

هَذِهِ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ثَنَاءً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي سَابِقَتِهَا بَيَانٌ لِمَجَادَلَتِهِ فِي قَوْمِ لُوطَ ، وَفِي هَذِهِ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَجَادَلَةِ فِي قَوْمِ لُوطَ ، فَالْإِعْرَاضُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى بَيَانٍ وَجْهِ الْإِتْسَاقِ ^(٢) .

(١) الوصف في القصّة القرآنية، أرشد يوسف العباس، دار المعترز، عمّان، ط١، ٢٠١٦م، ص١٠١ .

(٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص٢٧٨ .

أ- ﴿يَا بَرَاهِيمُ اَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ :

﴿يَا بَرَاهِيمُ﴾ : اختُصِرَتْ أَلْفُ يا النداء فكتبت بألف واحدة، ووُضِعَتْ همزة عوضاً عن الألف المحذوفة تحت الهمزة الموجودة، والرسم فيما أرى توقيفي، والنداء قد يكون من الملائكة له عليه السلام، وقد يكون من الله بلغه الملائكة ليلبغوه لإبراهيم عليه السلام، والنداء هنا مقصودٌ للتنبيه.

﴿اَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ : دَعْ عَنْكَ هذا، واتركه، وابتعد عنه، ولا تقل في هذا الموضوع شيئاً، وهذا اسمُ إشارةٍ للقريب، فالموضوعُ حاضر، وهو يشيرُ إلى توسُّطه لقوم لوط ليدفعَ عنهم العذاب عساهم يؤمنوا يوماً ما^(١).

ب- ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ :

﴿إِنَّهُ﴾ ؛ للتوكيد والضَّمير اسمها. ﴿قَدْ﴾ للتحقيق وقد دخلت على الماضي. ﴿جَاءَ﴾ بمعنى حلَّ وحَصَلَ ووصل. و﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾ حُكْمُهُ بهلاكِ هؤلاء المجرمين، أو الأمر قد صدر بإهلاكهم، وهذا وقتُ التنفيذ، وأضيف الأمرُ إلى لفظ الربِّ مضافاً بدوره إلى كاف الخطاب، أما الإضافة إلى كاف الخطاب، فتلطف بالمخاطب، وأما إضافة الأمر إلى لفظ الربِّ فلتفخيمه، وتعظيمه^(٢).

ج- ﴿وَأَنَّهُمْ عَذَابُ غَيْرِ مَرْدُودٍ﴾ :

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ : الواو للعطف، وإن للتوكيد، واسمها الضمير المتصل بها، وهو عائدٌ إلى المذكورين في السِّياق وهم قومُ لوط، ﴿عَذَابُهُمْ﴾ : نازلٌ بهم، وواقعٌ عليهم، ﴿عَذَابٌ﴾ : نكَّر لفظَ (عذاب) للتفخيم والتكبير والتكثير والتهويل،

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ٢٧٩/١.

(٢) المصدر السابق، ٢٧٩/١.

﴿عَبْرَ مَرْدُودٍ﴾: غير مدفوع ولا مرفوع، ولا يرذؤه راد، ولا يصدؤه صاد، ولا يمنعه مانع ولا يرجعه أحد؛ لأن أمر الله لا يُدافع^(١).

قال الشنقيطي: هذا العذاب الذي صرح هنا بأنه آتٍ قوم لوط لا محالة، وأنه لا مرد له؛ بينه في مواضع متعددة؛ كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٨٢) مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿[هود: ٨٢-٨٣].

وقوله في سورة الحجر: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿[الحجر: ٧٤-٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً﴾ [الفرقان: ٤٠].

وقوله: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿[الشعراء: ١٧٢-١٧٣].

وقوله: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ (٣٣) مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِّلْمُسْرِفِينَ ﴿[الذاريات: ٣٣-٣٤].

إلى غير ذلك من الآيات^(٢).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- لطف الرب الكريم برسله الكرام.

- أمر الله إذا حل لا يرده أحد.

- عذاب الله لا يُدفع عن القوم المجرمين.

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٧٩.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٣/ ٣٢.

- الله تعالى رحيم وحليم، ويترك المجال للناس لعلهم يرجعون لرشدهم، فإذا تمادوا في غيهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

- الله سبحانه لا يُحابي أحداً، فخطابه لرسله يدل على التربية الربانية، والتأديب الإلهي، قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ﴾ [هود: ٤٦]. وقال سبحانه أيضاً: ﴿يَتَابَرَهُمْ أَغْرَضٌ عَنْ هَذَا﴾ (١).

٩ - قول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]:

بعدما أسدل الستار عن قصّة إبراهيم عليه السلام وامرأته، بدأت قصّة لوط عليه السلام، وانتقل الملائكة من مكان إبراهيم إلى مكان لوط عليهم السلام، ونرى المشهد حافلاً بالحركة والانفعال مع لوط وقومه، في بعض مدن الأردن، كعمورية وسدوم (٢).

أ - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾؛ لم يعبر بقوله (فلما)، إنما قال: ﴿وَلَمَّا﴾، ويبدو أنّ في الأمر شيئاً من السّعة والبُحوحة في الوقت، فلم يعبر بفاء التعقيب وإنما بواو العطف، فثمّ فاصل زمني لا نعلم - بطبيعة الحال - قدره؛ لأنّ الله لم يرد أن يُعلّمناه لأنّه علّم لا لزوم له بالنسبة لنا، ولا ضرورة ولا فائدة (٣).

- ﴿جَاءَتْ﴾؛ المجيء؛ إتيان من قريب.

- ﴿رُسُلُنَا﴾؛ أضاف الرسل إلى نون العظمة لتعظيم شأنهم.

- ﴿لُوطًا﴾؛ مكان لوط وبيته.

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٨٠.

(٢) في ظلال القرآن، ٤/ ١٩١٣.

(٣) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٨١.

ب - ﴿سَيِّءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؛ إِنَّ المرءَ لا يضيِّقُ بأضيافه، لكن إن كان الجوّ مشحوناً بقلقٍ وتوتر، وانعدام قيم وأخطار؛ فَإِنَّ الضيوفَ عبءٌ ثَقِيلٌ ولا تتعلّق المسألة بالخوف من قِراهم وطعامهم ومبيتهم... معاذ الله، فهذا ليس من شيم المؤمنين فكيف النبيين؟! وإنما قومٌ لوطٍ هم المشكلة، لا طعام الضيوف، ومن هنا جاء الاستياء: ﴿سَيِّءَ بِهِمْ﴾، وليس منهم، بل: بسببهم، أي هو استياءٌ لهم، أي بسبب المشغلة عليهم، والخوف من عدوان أو أذى قد يلحقُ بهم، وقد لا يستطيع لوطُ نصرهم، هنا مربوطُ الألم والأسى والقلق والحزن والخوف كلُّ ذلك معاً^(١).

- ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: هذا تعبيرٌ كناية، أي لا يُقصدُ بحرفيته، فهو تعبيرٌ كالمصطلحات... ولا يؤخذ مفككاً، إنما هو بجملته يعني الضيق وانعدام الاستطاعة على فعل شيء، وضعف القدرة على النصرة^(٢).

قال الشيخ محمد طه الدُّرّة: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: ضاق صدره بمجيئهم، وقيل: ضاق وسعه وطاقته، وهو كنايةٌ عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة مكروهه. وأصله: أن يذرعَ البعيرُ بيديه في سيره ذَرْعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حُمِّلَ أكثر من طَوْقه ضاق عن الوسع. والذراع: موضع قوة الإنسان وشهرته^(٣).

ج - ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾؛ أي قال لوط عليه السلام في نفسه لا لِيُسمع ضيوفه، ولم يكن لديه رغبةٌ في أن يثير قلقهم وحُزنهم وأسفهم، وإنما هذا من الخطاب النفسي الذي ينقله القرآن كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ﴾، فيستحيل أن يقولها جهاراً أمامهم، وبهذا يكون قد أقام الدليل على نفسه بارتكاب الجرم في نظرهم.

(١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

ووصف اليوم بـ (العصيب) أي: الشديد، وهو صيغة مبالغة، فهي ساعة العسرة التي دخلوا فيها لا اليوم كله، لكنه عبّر باليوم للمبالغة. وقد قال ابنُ عاشور: العصيبُ: الشديد، ويقال: يومٌ عصيب؛ إذا حَدَثَ فيه أمرٌ عظيم من أحوال النَّاسِ والجو، كشدة حرٍّ أو برد^(١).

وقد قصد لوط عليه السلام، بأنه سيكون عصيباً لما يعلم من عادة قومه السيئة، وقد كان يعرف قومه، ويعرف ما أصاب فطرتهم من انحراف وشذوذ كبيرين، إذ يتركون النساءَ إلى الرجال، مخالفين الفطرة التي تهتدي إلى حكمة خلق الأحياء عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى؛ كي تمتد الحياة بالنسل إلى ما شاء الله لها أن تمتد، والتي تجد اللذة الحقيقية في تلبية نداء الحكمة الأزلية، عن اهتداء واستقامة.

والبشرية تعرف حالاتٍ مرضيةً شاذة، ولكن ظاهرة قوم لوط نادرة، وهي تشير إلى أن المرض النفسي يُعدي كحال المرض الجسدي، وأنه يمكن أن ينتشر مرض نفسي كهذا، نتيجةً لاختلال المقاييس في بيئة من البيئات، وانتشار المثل السيئ عن طريق وجود البيئة المريضة، على الرغم من مصادمته للفطرة التي يحكمها الناموس الذي يحكم الحياة.

الناموس الذي يقتضي أن تجد لذتها فيما يلبي حاجة الحياة لا فيما يصادمها ويعدمها، وإن الشذوذ الجنسي يصادم الحياة ويعدمها، لأنه يذهب بذور الحياة في تربة خبيثة لم تُعدَّ لاستقبالها وإحيائها، بدلاً من الذهاب بها إلى التربة المستعدة لتلقيها، وإنمائها، ومن أجل هذا تنفر الفطرة السليمة نفوراً فطرياً، لا أخلاقياً فحسب، من عمل قوم لوط، لأن هذه الفطرة محكومة بقانون الله في

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٥/ ٥٧٨.

الحياة، الذي يجعل اللذة الطبيعية السليمة، فيما يساعد على إنماء الحياة لا فيما يصدّمها ويعطّلها^(١).

إنَّ عملَ قوم لوط عملٌ شاذٌّ، يقوِّض الحياة، ويفكِّك خلاياها الحية، ويجلب للبشرية الهمَّ والضَّكَّ والضيق، ويوقعها في غضب الله وسخطه، وعظيم انتقامه. وقد سيء لوط عليه السلام بأضيافه، وهو يعلم ما ينتظرهم من قومه، ويدرك الفضيحة التي ستناله من أضيافه.

- ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، لقد بدأ اليومُ العصيب^(٢).

١٠ - قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرِّغُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]:

لقد حصل ما كان يحذر منه لوطٌ عليه السلام، فلمّا عرف قومه الشّادّون بوجود رجالٍ حسانٍ في بيته، تحرّكت في نفوسهم شهواتهم الشّادة، وتوجّهوا إلى لوط عليه السلام، مراودين له عنه ضيوفه، راغبين في أخذهم ولو بالقوة، ليفجّروا بهم، ووقف لوطٌ أمام قومه بقوة، ودافع عن ضيوفه دفاعاً عظيماً، وقام بواجبه خير قيام، إلى أن كشف ضيوفه عن هويّتهم، وأخبروه بأنهم ملائكةٌ قادمون بعذابِ الله، وأن العذابَ واقعٌ بهم عند الصُّبح، وما عليه إلا أن يرحلَ بأهله المؤمنين ليلاً.

أ - قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرِّغُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾؛ تصوّر كلمة ﴿يُهَرِّغُونَ﴾ الرغبة الشّادة المحمومة، والانحراف عن الفطرة السليمة، وهو ما حرّكهم ودفعهم للمجيء، لما علموا بوجود رجالٍ حسانٍ عند

(١) في ظلال القرآن، ٤/ ١٩١٣.

(٢) المصدر السابق، ٤/ ١٩١٣.

لوط عليه السلام. قال الإمام الرَّاعِبُ في الهَرَع: يقال: هَرَعَ وأهرع: ساقه سوقاً بعنف وتخويف، والهَرَع: السريع المشي^(١).

ويلاحظُ أن فعل ﴿يَهْرَعُونَ﴾ في الآية مُسندٌ لغير الفاعل، أي: مبنيٌّ للمجهول، وفي هذا لفتةٌ لطيفة، فالقومُ الشَّادُونَ أتوا إلى بيت لوط مسرعين، ولكن كان يحركهم شيء آخر، ويسوقهم سوقاً بعنف، فما هو هذا الشيء؟

إنَّه الانحرافُ والشُّذوذ، الذي يُعميهم عن رؤية الحقائق، فما أن شاهدوا الرجالَ الحِسانَ حتَّى أصيبوا بحمَّى وهستيريا الشُّذوذ، وتوجَّهوا إليهم ليمارسوا الشُّذوذَ معهم^(٢).

- ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: وكانوا قبل هذا الوقت مُنهكمين في فعل السيئات، فالقوم أدمنوا على الفواحش والشُّذوذ، ولهذا لم يستحيوا من مسارعتهم إليها، ولم يجدوا في أنفسهم أدنى غَضاضة تجاه ما يفعلون^(٣).

لقد استبشروا وسُرُّوا وفرحوا بما شاهدوا: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٧]. طلبوا من لوط عليه السلام أن يُسلمهم ضيوفه؛ ليفجروا بهم، وراودوه عن ذلك: ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ [القمر: ٣٧].

ب - قال تعالى: ﴿قَالَ يَلْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾؛ وَصَفَ لوطُ عليه السلام البنات بأنهنَّ أطهرُ لهم، ويدعوهم للذهاب إليهنَّ إن كانوا فاعلين، وراغبين في ممارسة الشَّهوة عن طريق الزواج الشرعي.

إنَّ لوطاً عليه السلام أراد بقوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي بنات

(١) المفردات، الرَّاعِبُ الأصفهاني، ص ٨٤٠.

(٢) القصص القرآني، الخالدي، ٥٠١ / ١.

(٣) التفسير الموضوعي، عبد الحميد طهماز، ٨١ / ٤.

القرية، باعتبارهن الجنس الآخر فيها، أي: دعاهم إلى التفكير فيهن، والتوجُّه إليهن. لقد دعاهم إلى الإقلاع عن التفكير الشاذ، ورغبتهم في قضاء الشهوة عند الرجال، باعتبارهم من الجنس نفسه، لأنَّ هذا انحراف وشذوذ وضلال وبغي، طالما نهاهم عنه، وحذَّره منهن، وعدَّ بنات القرية ونساءها بناتٍ له: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾؛ لأنه نبيُّ القرية ورسولها، وهو شيخُ أهلها، وكبيرهم، وإمامهم، فكأنَّه أبوهم أبوةً معنويَّة، وكأنَّ ذكورها أولاده بالمعنى المعنوي نفسه.

وقد يخاطب الشيخ الطاعنُ في السن طلابه بقوله: يا أبنائي، وقد يقول له طلابه من الذكور والإناث: نحن أبنائك وبناتك. ولعل هذا ما تصوَّره لوط عليه السلام بقوله لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فقد دعاهم إلى الزواج من بنات القرية.

وقوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، يُوحى بأنه دعاهم إلى التوجُّه الفطري النفسي السَّوي الذي يحقق الطَّهارة، حيث يفكر الرجلُ بزوجه وامرأته، ويقضي شهوته عندها، وهذا أظهر له من ذلك السلوك الشاذِّ بممارسة الشهوة عند رجل من جنسه، ولا فائدة تُرتجى من ذلك، ولا مقصد منه إلا ارتكاب الموبقات وممارسة الانحراف عن الفطرة السَّليمة.

إنَّ الشذوذ الذي كان يمارسه القوم، ما هو إلا رجسٌ ودنس وقذارة ودناءة، تتقرَّز منه نفسيةُ الرجل السوي، وتتقدَّر منه شخصيةُ الإنسان المستقيم، فلا تفكر فيه، ولا تتَّجه إليه^(١).

أمَّا الزَّواج الطبيعيُّ بين الرجل والمرأة، فهو الطهارة النفسيَّة والشعوريَّة والفِطريَّة، والطهارة الجسميَّة والصحيَّة والأخلاقيَّة، والطهارة الاجتماعيَّة، ومعلومٌ أنَّ هذه الطهارة العامة الشَّاملة، لا تنطبقُ على أي توجُّه للنساء، ولا على

(١) القصص القرآني، ١/٥٠٥.

أي اتصال بالنساء، وإنما هي مقصورةٌ على التوجُّه الوحيد المباح، والاتصال الوحيد الحلال، وهو المحصورُ بالزَّواج الشرعي الذي أباحه شرعُ الله. أما الاتصال المحرَّم بالنساء، المتوصَّل إليه عن طريق الزنى، فلا تتحقَّق فيه معاني الطهارة في قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فهو قرينُ القذارة والدَّناءة، المتمثلة في التَّوجُّه الشاذ نحو الجنس نفسه^(١). وكل ما خالف ذلك المنهج الرباني «الشرعي»، هو انحراف وضياع وشذوذ، سببه أمراضُ نفسية واجتماعية وأخلاقية وعقلية.

هذه الآيةُ الكريمة: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، والموضع الثاني في سورة الحجر: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]، تعرَّض لها المفسرون الذين فسَّروا ما ورد بشأنها في هاتين الآيتين في سورة هود والحجر، فقد تناولوها كما يتناولون بقية آيات القرآن الأخرى، وانطلقوا في تفسيرهم للآيتين من خلال أمرين اثنين هما: كون لوط نبياً من الأنبياء وما يلزمه ذلك من العصمة. والثاني: منزلته ومكانته العظيمة في القرآن الكريم. ومن هاتين الركيزتين أجمعوا على نفي المعنى القبيح عن لوط المتمثِّل في أنَّه دعا قومه إلى ممارسة الفاحشة مع بناته برضاهنَّ، أو باغتصابهن افتداءً لضيوفه^(٢).

- قال ابنُ حزم (رحمه الله): إنما أراد الدَّعوة للزَّواج منهنَّ، للوط في المكان المباح، إذ من المحال أن يدعُوهم إلى منكر، وهو ينهاهم عن المنكر^(٣).

(١) القصص القرآني، المصدر السابق، ٥٠٥/١.

(٢) تقديم لوط ابنتيه لقومه في التَّوراة والقرآن دراسة مقارنة، عائض الدَّوسري، تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٤٣هـ، ص ١٥٤.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٢٠/٤.

- وقال أبو بكر ابن العربي: ولا يجوزُ على الأنبياء (صلوات الله عليهم) أن يعرضوا بناتهم على الفاحشة فداءً لفاحشة أخرى^(١).

- وقال فخر الدين الرازي: اتفقوا على أنه ما دعا القوم إلى الزنى بالنسوان، بل المراد أنه دعاهم إلى التزويج بهن^(٢).

- وقال الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله): ولا يعقل أن يقع هذا الأمر - أي عرض بناته على هؤلاء الفساق لأجل الزنى - من أي رجل صالح فضلاً عن نبي مرسل، ولا يصح من مثله أن يعبر عنه بأنه أظهر لهم، فغسل الدم بالبول، ليس من الطهارة في شيء^(٣).

وقد قدّم علماء المسلمين جملةً من الحجج والأدلة العقلية والعقلية، تُثبت انتفاء المعنى القبيح، والذي يمكن أن يردّ في أذهان بعض الخلق في قول نبي الله لوط كما جاء في القرآن الكريم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، ومن ذلك:

أولاً: أنّ قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، دليلٌ على أنه يريد الزواج ويقصده، إذ لا طهارة في فاحشة الزنى.

ثانياً: أنّه لو دعاهم إلى فاحشة الزنى، لكان لهم أن يردوا كلامه، ويقولون له: الزنى واللواط حرامان على مذهبك، فأنت فائدة في النهي عن منكر، والدعوة إلى منكر آخر، بل إلى منكر أكبر منه وهو الزنى؟ وإذا جاز أن يفعل أحدهما جاز أن يفعل الآخر^(٤).

ثالثاً: في قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، بيان الوجه الذي دلّ عليه ما دعاهم إليه

(١) أحكام القرآن، ٣/ ١٠٤.

(٢) تقديم لوط ابنتيه لقومه في التوراة والقرآن، الدوسري، ص ١٥٥.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٢/ ١١١.

(٤) تقديم لوط ابنتيه لقومه في التوراة والقرآن، ص ١٥٦.



محذوف، والمحذوف لابد أن يكون عُرفاً أو دليلاً يدلُّ عليه، والعُرفُ القائمُ في مثل هذا الشأن هو أنه دعا إلى النكاح، وخصوصاً في مثل مقام الأنبياء الكرام، ولذا استغنى عن ذكر النكاح للعُرف القائم في ذلك^(١).

رابعاً: أنَّ الدَّعوة إلى الزنى، والحث عليه، ثم مع بناته ليس يرتكب ذلك إلا الدِّيوث الذي لا حَمِيَّةَ له ولا أنفة ولا إيمان، فكيف يُنسبُ ذلك إلى خير الخلق وأشرفهم، وهم الأنبياء^{(٢)؟}!

اتفق معظمُ العلماء المسلمين على نفي المعنى الباطل عن الآيتين، واختلفوا في توجيه معنى قول لوط عليه السلام في الآية: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، إلى عدَّة أقوال، وقد أفاد وأجاد وتميَّز الدكتور عائض الدوسري في نقله لأقوال العلماء في هذه المسألة، وأحسن ترتيبها وتصنيفها، وقد أجمعوا على نفي المعنى القبيح عن لوط عليه السلام، وتنوَّعت أجوبتهم، كلُّ فريق يُقدِّم الذي يرى أنه الأفضل واللائق بمقام النبوة ومكانته العظيمة، وذلك حسب الأصول التي انطلقوا منها: عصمة الأنبياء، ومكانتهم السامية في القرآن الكريم^(٣).

وكانت خاتمةُ كتاب الدكتور عائض بن سعد الدوسري: (تقديم لوط ابنتيه لقومه في التوراة والقرآن)، ملخَّصة، ومركَّزة، فقد قال: لقد كانت صورةُ لوط في التوراة غايةً في السَّلْبِيَّةِ والسَّوداويَّةِ، وقد أَلْقَتِ التوراةُ بظلالها على علماء الفريقين: اليهود والمسيحيين، بشكل كبير، ففي التراث الديني اليهودي - كالتلمود والترجوم وغيرهما - كانت صورةُ لوط سلبيةً للغاية، ومُظلمةً في جوانبها كلها، حيث نظر إلى لوط كشخصية شريرة، وأنانية، وغير بارَّة، فضلاً أن يكون نبياً من أنبياء الله، وعلى الرغم من هذا الاتجاه السائد في التراث

(١) تقديم لوط ابنتيه، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٠.

اليهودي، فإنه وُجد قلةٌ من الحاخامات نظروا إلى لوط نظرةً إيجابيةً، وقد جاء كذلك في بعض الكتب اليهودية - التي كتبت في العصور الوسطى - توجُّه إيجابيٍّ تجاه دعوة لوط ونبوته، اتَّضح أنه مقتبسٌ من القرآن الكريم ومتأثر به .

أمّا في المسيحية، فإن رواية التوراة هيمنت على أكثر علماء اللاهوت المسيحي، ولم تبتعد كثيراً نظراً كثيرٍ منهم إلى لوط، عن تلك النظرة المنتشرة في التراث الديني اليهودي، إلا أنَّ وُرُودَ صفاتٍ إيجابية في حق لوط في العهد الجديد على لسان بطرس الرسول؛ جعل فئةً من المسيحيين يتجهون نحو إعطاء لوط صورة أكثر إيجابية، ويفسِّرون بطريقة تبريرية أو دفاعية ما جاء في التوراة من أحداث سلبية أو قبيحة تمسُّ شخصية لوط عليه السلام .

أمّا شخصية لوط في القرآن الكريم، فهي تختلف جذرياً عنها في التوراة، فهو نبيٌّ من أنبياء الله، ورسول من رسله الكرام، وقد بلغت منزلته مكاناً عالياً. وإنَّ الاختلاف الحاسم القائم بين صورة شخصيّة لوط في الكتاب المقدس وتراثه الديني، لم يكن مؤثراً في محتوى القرآن الكريم، فيما يخصُّ شخصية لوط عليه السلام، ولا مصدرأله .

وقد فهم أغلب علماء اليهود والمسيحيين أنَّ لوطاً كان يُقدَّم ابنتيه لرجال سدوم من أجل ممارسة الفاحشة معهن أو اغتصابهن بشكل جماعي، ثم اختلفوا في موقفهم من تصرُّف لوط هذا، ما بين إدانة أو تبرير أو دفاع وثناء على فعلته .

أما علماء المسلمين، فيقولون: لوطٌ نبيٌّ من أنبياء الله في القرآن الكريم، ولذا فهو معصوم . ولم يفهم أحدٌ منهم أنَّ لوطاً كان يُقدَّم ابنتيه لرجال سدوم من أجل ممارسة الفاحشة معهنَّ، فضلاً أن يكون المقصودُ هو اغتصابهن بطريقة جماعية، وإنما فهموا أنه عُرِضَ منه للتزويج، سواء تزويج ابنتيه لبعضهم إن أسلموا، أو حثُّ منه لقومه على الزواج من نسائهم، وترك الفعل الشاذَّ المنحرف، أو هو فقط محاولة منه لكبح جماحهم وتأخيرهم حتى ينزل بساحتهم



العذاب القريب، أو لتخجيلهم. والمسلمون مع اختلافهم حول تفاصيل عصمة الأنبياء، إلا أنَّ ذلك لم يكن مؤثراً في موقفهم من عصمة الأنبياء من الفواحش، وعصمة لوط من تقديم ابنتيه وتعريضهم للفاحشة^(١).

ج - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾؛ إذ استثار لوط عليه السلام في قومه تقوى الله، ولمس قلوبهم بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: اتقوا الله بالخوف منه، وخشيته، والتزام حدوده^(٢)، وعبر بلفظ الجلالة لاستجلاب المهابة إلى قلوبهم^(٣).

والتفت لوط عليه السلام التفاتة نفسية واجتماعية، فذكرهم أنَّ هؤلاء الرجال الذين يطلبونهم هم ضيوفه، والمضيف يجب عليه أن يكرم ضيفه، وأن يدافع عنه؛ وجيران وأقارب المضيف يجب أن يساعده في هذا الواجب، وأن يكونوا عوناً له، وأن لا يكونوا هم المنتهكين لهذه الحرمة، والمعطلين لهذا الواجب.

وإنَّ لوطاً عليه السلام يخاطبهم بمنطق المروءة - إن كانت عندهم بقايا مروءة - ويثير فيهم معاني الحياء، والتجمل، وذلك إن بقي عندهم شيء من ذلك، فالمروءة تقضي أن لا يصلَ بهم الأمر إلى الاعتداء على ضيوف أحد سكان القرية عنوةً، فأين المروءة مما تقدمون عليه؟!^(٤).

- ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾؛ والخزي: شعورٌ بالمهانة والمذلة يصيب الإنسان إذا فعل القبيح، أو نال من يلوذه شيء من هذا الفعل القبيح، فيكون

(١) تقديم لوط ابنتيه لقومه في التوراة والقرآن، المصدر السابق، ص ١٧٣، العصمة في الفكر الإسلامي، د. حسن الغباوي، ص ٢٧٣، التوبة في ضوء القرآن الكريم، د. آمال بنت صالح، ص ٢٢٧، ٢٢٩.

(٢) التفسير الموضوعي، ٤ / ٨١.

(٣) تفسير سورة هود، ص ٢٨٦.

(٤) القصص القرآني، ١ / ٥٠٢.

الخزيُّ قد وصل إليه بالتَّسبب . ومعنى ﴿ في ﴾ ؛ بسبب ما يصيب ضيفي (١) .

د - ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ ؛ الهمزة للاستفهام التحضيضي أو الإنكاري عليهم فَعَلَهُمْ ، والهمزة داخلة على ليس التَّافِيَة . ﴿ مِنْكُمْ ﴾ : أي بينكم يُذَكِّرْكُمْ ، أو يُرْجِعْكُمْ عن غِيْكُمْ . و ﴿ رَشِيدٌ ﴾ : صاحب رشد وعقل ومروءة ودِين (٢) .

- ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ : رجلٌ واحدٌ يهتدي إلى سبيل الحق ، وفِعْلُ الجميل والكفِّ عن السوء (٣) .

- ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ ؛ أي : سديد ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويردُّ هؤلاء الأَشْقِيَاء عن أَضْيَافِي (٤) . قال عكرمة : ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ يقول : لا إله إلا الله (٥) .

إنَّ لوطاً عليه السلام يبحث من بينهم عن رجلٍ واحد رشيد ، خاطبهم بمنطق الدِّين وخشية الله والمروءة والحياء والتجمل والأدب الاجتماعي ؛ لينصرفوا عن باب منزله ، ولكنه لم يجدْ بغيته من بينهم ، لم يجدْ فيهم رجلاً واحداً عاقلاً رشيداً . لقد قضى شذوذهم وبحُثُّهم عن الذكران من العالمين على ما عندهم من فطرة ، ورشد ، وعقل ، ومنطق ، ومروءة ؛ ولذلك لم يجدْ لوطٌ من بينهم رجلاً واحداً رشيداً (٦) .

فالقضية قضيةُ رشد أو سفه ، إلى جانب أنها قضية فطرة ودِين ومروءة

(١) تفسير سورة هود ، ص ٢٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) الكشف عن حقائق التنزيل ، الزمخشري ، ١٧٦ / ٤ .

(٤) التيسير في التفسير ، أبو نصر القشيري ، ٦٩٨ / ٣ .

(٥) المصدر السابق ، ٢٤٦ / ٨ .

(٦) القصص القرآني ، ٥٠٣ / ١ .



واستقامة، ولكن هذا لم يلمس الفِطْرَ المنحرفة المريضة، وظلَّت الفِطْرَةُ الشَّاذَّةُ في اندفاعها المحموم^(١)؛ ولذلك قالوا:

١١ - قال تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾

[هود: ٧٩]:

ما زال شعارُهم الفاحشُ راسخاً في نفوسهم، وما زال شذوذُهم يسوقهم للفاحشة، ويُعميهم عن اليقظة والتعقل والرُّشد، ولذلك ردُّوا عليه قائلين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾؛ لقد وجَّهتنا أنت إلى بنات القرية ونسائها للاتصال الشرعيِّ بهم، وأنت تعلم أنه ليس لنا فيهن من حقٍّ، وأنا فقدنا الرغبة فيهن، والتفكير بالاتصال بهنَّ، فلم يعد لنا عندهنَّ أي حقٍّ، أو إربة، أو حاجة.

- ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾؛ أنت تعلم رغبتنا التي حضرنا لأجلها في طلب أمثالنا من الرجال، وحرصنا على الاتصال الشَّهواني بهم، وأنت عندك ضيوفٌ، هم رجال حسان، فرغبتنا فيهم وحاجتنا عندهم، فلا بدَّ أن تُسلمهم لنا^(٢).

أ- قال الزمخشري (رحمه الله) في تفسيره للآية: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾؛ مستشعدين بعلمه. ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾؛ لأنك ترى مناكحتنا، وما هو إلا عرض سابري^(٣) (٤).

وقيل: لما اتخذوا إتيان الذُّكران مذهباً وديناً لتواطئهم عليه، كان عندهم هو الحق، وأنَّ نِكَاحَ الإناث من الباطل؛ فلذلك قالوا: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ قطّ،

(١) في ظلال القرآن، ٤/ ١٩١٤.

(٢) القصص القرآني، ١/ ٥٠٦.

(٣) العرض السابري: من يعرض عليه الشيء بغير عزم، والسابري: أجود الثياب، التي تباع بغير كثير عرض ولا تكلف.

(٤) الكشف، ٤/ ١٧٧.

لأن نكاح الإناث أمرٌ خارجٌ من مذهبنا الذي نحن عليه . ويمكن أن يكونوا قالوها على وجه الخلاعة ، وكان الغرض من قولهم نفي الشهوة^(١) .

﴿لَنَعْلَمَ مَا نُرِيدُ﴾ عَنَّا إِيَّانَ الذكور وما لهم بغيره شهوةٌ تُذكر^(٢) .

ب - قال ابن كثير (رحمه الله) : أي إنك لتعلم أن نساءنا لا إرب لنا فيهن ، ولا نستهيهن ، ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمَ مَا نُرِيدُ﴾ ؛ أي : ليس لنا غرضٌ إلا في الذكور ، وأنت تعلم ذلك ، فأنت حاجة في تكرار القول علينا في ذلك^(٣) !

ج - قال الدكتور أحمد نوفل : من أشقى الشقاء أن ترى حسناً ما ليس بالحسن ؛ لذا كانت حاجة الإنسان إلى شرع الله ضرورية ؛ ليحدد له الحسن والقيح ، وأما العقل فعلى عظمة مهمته هو قاصرٌ في تحديد ساحة الحرام والحلال ، وميدان الحسن والقيح .

- ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمَ مَا نُرِيدُ﴾ ؛ إشارةٌ خبيثةٌ إلى العمل الخبيث ، لأن أصحاب الفاحشة يستخدمون التلميح بدل التصريح .

وأصحابُ الباطل دائماً يتشدقون بكلمات تكشف دواخلهم ، ويدعون معرفة الحق من وجهة نظرهم^(٤) .

﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمَ مَا نُرِيدُ﴾ ؛ أي : من العمل الخبيث الفاحش . فما أقبح الإنسان عندما ينسلخ عن إنسانيته ، ويقع في شباك إبليس وحبائل الشيطان ، ويبقى عبداً لأهوائه ونزواته ، ويتعد عن رسالات الله ودعوة رسله ، التي فيها الخير والفلاح والصلاح لبني الإنسان في تفاصيل حياته كلها .

(١) الكشف ، المصدر السابق ، ١٧٧ / ٤ .

(٢) المصدر السابق ، ١٧٧ / ٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ٢٦٨ / ٤ .

(٤) تفسير سورة هود ، ص ٢٩١ .

وَأَصْرَ لَوْطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دِفَاعِهِ عَنْ ضِيُوفِهِ إِصْرَارًا بِالْغَا، وَأَصْرَ قَوْمِهِ عَلَى أَخْذِهِمْ مِنْهُ وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ. وَأَمَامَ دِفَاعِهِ وَثْبَاتِهِ أَرَادُوا اقْتِحَامَ بَيْتِهِ، وَإِخْرَاجَ ضِيُوفِهِ بِالْقُوَّةِ، فَصَاحَ بِهِمْ قَائِلًا^(١):

١٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]:

إِنَّ لَوْطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَمَنَّى مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُيسِّرَ لَهُ قُوَّةً ظَاهِرَةً مِنَ النَّاسِ تُعِينُهُ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْأَقْوِيَاءَ الْمُتَمَتِّعِينَ بِأَهْلِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ لَا يَمْنَعُهُمْ عَنْ فَعْلِهِمُ الرَّدِيءَ وَمَقْصَدُهُمُ الشَّرِيرَ إِلَّا قُوَّةً ظَاهِرَةً يَخْشَوْنَ بِأَسْهَاءِ وَسَطُوتِهَا، وَبِذَلِكَ تَكُونُ هَذِهِ الْقُوَّةُ الظَّاهِرَةُ مِنْ جِنْسٍ مَا يَخَافُونَ وَيَفْرَقُونَ مِنْهُ.

وَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، فَالْإِسْلَامُ عِنْدَمَا أَمَرْنَا بِمُحَارَبَةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْدَاءِ اللَّهِ؛ كَمَا أَمَرْنَا بِأَخْذِ الْحِيْطَةِ وَالْحَذَرِ، وَإِعْدَادِ الْعِدَّةِ، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فَهَلْ يَعْنِي هَذَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَخْذِهِمْ لِهَذِهِ الْقُوَّةِ، وَاسْتِعْدَادِهِمْ هَذَا الْإِسْتِعْدَادَ الْمَادِي وَالْعَسْكَرِي تَخَلَّوْا عَنْ تَمَسُّكِهِمْ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَقُوَّتِهِ، وَهُوَ الرُّكْنُ الشَّدِيدُ، وَهَذَا مَا لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ^(٢).

أ - يَقُولُ ابْنُ حَزْمٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ): وَلَا جُنَاحَ عَلَى لَوْطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلْبِ قُوَّةٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. فَهَذَا الَّذِي طَلَبَهُ لَوْطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَدْ طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ مَنَعَةً وَقُوَّةً، حَتَّى يُبَلِّغَ دَعْوَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ يُنْكَرُ عَلَى لَوْطَ أَمْرًا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَالَهُ مَا أَنْكَرَ ذَلِكَ

(١) القصص القرآني، ٥٠٦/١.

(٢) التوبة في ضوء القرآن، آمال بنت صالح، ص ٢٣١.

رسولُ الله ﷺ، إنما أخبر أن لوطاً كان يأوي إلى ركنٍ شديد، يعني نُصِر من الله بالملائكة، ولم يكن لوطٌ يعلمُ بذلك، ومن اعتقد أنَّ لوطاً كان يعتقدُ أنه ليس له من الله ركنٌ شديد فقد كفر، إذ نسب إلى نبيٍّ من الأنبياء هذا الكفر^(١).

ب - قال النووي (رحمه الله): يجوزُ أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك، أو أنه التجأ إلى الله في باطنه، وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً^(٢).

ج - قال الدكتور أحمد نوفل: في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: وهنا قال لوطٌ في الردِّ عليهم، وعلى وقاحتهم، وعدوانهم، وفجورهم: وددت لو أنَّ لي عليكم قوة وسيطرة وإمكانات لأردِّكم عن غيكم، وأمنعكم من فجوركم، وضلالكم، وانحرافكم، ولكني لا أملكُ هذه القوة!!

- ﴿أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، ف﴿أَوْ﴾ للتخيير؛ أي إما أن يملك القوة، أو يأوي إلى ركن شديد. وهو عليه السلام يتمنى النصرة والمساندة للتغلب على أولئك الفجرة.

﴿رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾؛ يعني إمّا قوة ذاتية، وإما إسناد خارجي، وهو لا يعني بحال أنه نسي قدرة الله ومدد الله أو غاب عنه، وإنما الكلامُ عن الأسباب، وهو نبيٌّ يعلم أن وراء الأسباب مسبباً للأسباب متى شاء كسر قوانين الأسباب ونَصَرَ بلا أسباب، فهذا نبيٌّ فمن يعلم إذا لم يكن هو يعلم؟! والركن الشديد هو: القوة المنيعه^(٣).

د - قال الشيخ عثمان الخميس: في قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، في الآية قولان:

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٩/٤.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص ٩٦.

(٣) تفسير سورة هود، ص ٢٩٢.



القول الأول: أنه يخاطبُ الملائكة - الضيوف - لَمَّا حُوصِرَ في بيته، وأراد قومه أن يكسروا الباب عليه، التفت إلى ضيوفه وقال: لو أن لي بكم قوة لكنّ تردّدتهم، ولكنّ منعتهم.

القول الثاني: أنه كان يخاطبُ قومه^(١).

واختلف في معنى ﴿أَوْ﴾ في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أنها على ظاهرها، ويكون التقدير: لو أني أجد قوة أدفعكم بها، أو تكون هناك قبيلة ركنٍ شديدٍ آوي إليه، يدفع عني شرّكم.

القول الثاني: أنها للإضراب بمعنى (بل) كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. بمعنى: بل أشدُّ قسوة^(٢).

هـ - وقال الفخر الرّازي (رحمه الله): أنه لما شاهد سفاهة القوم وإقدامهم على سوء الأدب، تمنّى حصولَ قوةٍ على الدفع، ثم استدرك على نفسه وقال: بلى، الأوّلَى أن آوي إلى ركنٍ شديدٍ، وهو الاعتصامُ بعناية الله تعالى، وعلى هذا التقدير: ﴿أَوْ آوَيْتَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، كلامٌ منفصلٌ عما قبله، ولا تعلّق له به، وبهذا الطريق لا يلزم عطفُ الفعل على الاسم؛ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركنٍ شديدٍ»^(٣).

و - قال الدكتور صلاح الدّين الخالدي - رحمه الله -: ولم ينسَ لوطٌ عليه السلام قوّة الله، ولم ينسَ أنه كان يأوي إلى ركن الله القوي الشديد المتين، فهو

(١) فبهذا هم اقتده «قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء»، عثمان محمد الخميس، دار إيلاف

الدولية، الكويت، ١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٣) البخاري، رقم ٣٣٧٢، مسلم، رقم ١٥١.

نبيُّ ورسول، ولا يغيبُ عنه هذا المعنى، وعلى هذا الأساس نفهمُ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحقُّ بالشك من إبراهيم، ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثُ في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي»^(١).

إن الرسول ﷺ لا يدينُ لوطاً عليه السلام في هذا الحديث، وكلامه لا يدلُّ على أن لوطاً نسي أنه كان يأوي إلى ركنِ الله الشديد، وإنما أراد الرسول ﷺ أن يخبرنا أن لوطاً كان يعلم أنه يأوي إلى ركنِ الله العزيز الذي لا يُغلب.

إنَّ يقينَ لوط عليه السلام أنه كان يأوي إلى ركن شديد أمرٌ مفروغٌ منه^(٢). والدليلُ على ذلك توجُّه لوط عليه السلام في الدعاء عندما قال: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]. وفي هذا الجانب، لمن أراد التوسع، هناك تفصيلٌ وافٍ في كتاب «لوط وقومه على ضوء الكتاب والسنة» لمؤلفه الباحث ناصر أحمد نصّار.

وقد أخبرنا رسولُ الله ﷺ أنَّ كلَّ نبيٍّ بعد لوط كان في منعةٍ من قومه، فروى الترمذِيُّ عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله لوطاً، كان يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله بعده نبياً إلا وهو في ذروةٍ من قومه»^(٣).

هذا، وقد كان لوطُ في الآيات الكريمة يُجادلُ قومه، والموقف يتصاعدُ حدّةً وشدّةً، والملائكة صامتون، حتّى بلغ الموقفُ ذروة التّأزم والتّعقيد، والرسول يعرض ما يعرض، وهم يفحشون في الردّ، وهو يتمنى القوّة لينصر الحق، وهنا

(١) القصص القرآني، ١/٥٠٧.

(٢) المصدر السابق، ١/٥٠٧.

(٣) سنن الترمذي، رقم ٣١١٦، الأحاديث الصّحيحة، رقم ١٣٩.

في لحظة التَّأزُّم، تتدخل الملائكة الكرام لكشف الحقيقة التي لم يكن يَعْلَمُهَا لوط عليه السلام، وهي أنهم رُسُلُ الله تعالى^(١).

١٣ - قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]:

كان تَدخُلُ الملائكة في إخبار لوط عليه السلام عن حقيقتهم في الوقت المناسب لدفع الغمِّ والهَمِّ والكربِ عنه عليه السلام، حتى لا يصاب بالخيبة والخرج أمام ضيوفه.

أ - ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾؛ أي: لن يتمكنوا من الوصول إليك، فدعنا وإياهم، وتنح عنهم، فالله سبحانه لا يتخلى عن أحبائه وأوليائه، وهو القائل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، فلن يغلب الفجَّارُ الأبرارَ، والله ما جعل التمكين لأصحاب الفجور والمُجُون والشُّذُوذ، بل للمؤمنين الأخيار.

أذن الله تعالى لأحد ملائكته أن يظهر جزءاً من بنيته النُّورانية في وجوه أولئك الذين أعمت الشَّهْوَةُ الشَّاذَّةُ بصائرهم، فطمست أعينهم، وسُلبت - بمشيئته تعالى - قوَّةُ الإبصار، فرجعوا يلتمسون الدُّروب في الظلام إلى بيوتهم، وهم يقولون: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَسْحَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ [القمر: ٣٧].

ثم التفتت الملائكة إلى لوط قائلين^(٢):

(١) تفسير سورة هود، ص ٢٩٥.

(٢) التفسير الموضوعي، ٨٤/٤.

ب- ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ :

- ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ ؛ الإسراء : هو السَّيْرُ لَيْلًا ، فَاسْرِ يا أيها الرسول أنت وأهلك ، وسِرْ بهم بجزءٍ من الليل ، أو بالجزء الأخير من الليل^(١) .

أي : انتظر حتى يأتي الليل ، ويحلَّ الظلام ، وعند ذلك خذْ أهلك المؤمنين الصالحين ، واخرجْ بهم من هذه القرية ، واستغلَّ الليلَ والظلامَ للخروج ، لئلا يعلمَ بكم أحد^(٢) .

ج- ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ ؛ ولا ينظر أحدٌ منكم إلى الوراء الالتفات المادي الحسي القائم على نظر العين ، لأنه شيءٌ مهوولٌ ذلك الذي سيكون ، وهو لا يُحتمل ، فلا تلتفتوا^(٣) .

وأما الالتفات المعنوي ، فهو حيث نُهوا عن التَّأخُّر في القرية ، أو الالتفات إلى الأغراض والأشياء والمتاع ، والالتفات يؤدي إلى التَّأخير في اللبث في القرية ، والتعوُّق في جميع الأشياء ، وبهذا يكونون عرضةً للعذاب الذي سيقعُ للقوم ، فعليهم أن يُسارعوا في الخروج ، ويُباشروا في السَّرى والنَّجاة بقطع الليل ، وأن لا يلتفتوا إلى أي شيء آخر ، ولا ينشغلوا به^(٤) .

وقيل : إِنَّ البلدَ ملوثٌ بالمجون والفجور والفواحش ، فلا تأسفوا على فراقه ، ولا تنظروا إليه نظرةً مودَّع ، كما يفعل النَّازحون والمسافرون عن بلدانهم وأوطانهم ، عند المغادرة ، وهم ينظرون إليه مودَّعين ، آسفين على فراقه^(٥) .

(١) تفسير سورة هود، ص ٢٩٥ .

(٢) القصص القرآني ، ١ / ٥٠٩ .

(٣) تفسير سورة هود، ص ٢٩٥ .

(٤) القصص القرآني ، ١ / ٥١٠ .

(٥) التفسير الموضوعي ، ٤ / ٨٤ .

د- ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكُيْطُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ :

- ﴿أَمْرًا نَكُيْطُ﴾ ؛ ليست ممن سيخرج معك أو معكم ، وأما الروايات الإسرائيلية القائلة : أنها التفتت ، فمُسِخت ، فأهونُ من أن تُذكر ، أو أن يُشار إليها حتى مجرد إشارة^(١) .

والاستثناء في قوله : ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكُيْطُ﴾ ، من السَّير ، وليس من الالتفات . والتقديرُ هنا : فأسرِ بأهلك بقطعٍ من الليل إلا امرأتك فلا تسرِ بها^(٢) ؛ لأنها ليست من أهلك المؤمنين .

- ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ؛ هم علَّلوا كلامهم عن طريق الاستئناف البياني ، في قوله : ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ، فبينوا مصيرها من خلال مصير قومها بجملة اسمية للدلالة على ثبوت العذاب لها ، واستمرارها فيه ، وأكَّده بـ (إن) ، وبالجملة الاسمية ، وفي الإبهام بـ (ما) ، وجعلوا صلة الموصول بالماضي ﴿أَصَابَهُمْ﴾ ليدلَّ على تحقيق الوقوع ، وبأنهم مصابون بالعذاب قبلها ، وفيه ما لا يخفى من تضخيم شأن ما أصابهم من العذاب^(٣) .

هـ- ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ ؛ إِنَّ مَوْعِدَ هَلاكِ المجرمين هو الصبح ، ويبدو أنه الوقت المفضل للهلاك ، وحتى الغزو يكون في وقت الإصباح ، وبدا ذلك في سورة العاديات في قوله تعالى : ﴿فَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ [العاديات : ٣] .

وإن الموعَدَ : وقت الوعيد ، والوعدُ أعم من الوعيد ، فيُطلق على تعيين الشرِّ في المستقبل ، والمراد هنا موعِدُ العذاب ، ووَرَدَ في سورة القمر عن قوم لوط : ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر : ٣٨] ^(٤) .

(١) تفسير سورة هود، ص ٢٩٦ .

(٢) النظم القرآني في سورة لوط ، حمزة ماجد، ص ١٩٨ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٨ .

(٤) تفسير سورة هود، ص ٢٩٦ .

ولعله جعلَ ميقاتَ هلاكهم الصُّبحَ، لأنَّه وقتُ الدَّعة والسَّكينة، والراحة والهدوء، حيث يكونون مجتمعين في مساكنهم، ومن ثَمَّ، يكون حلولُ العذاب حينئذٍ أشدَّ نكالاً، ولعله أنسب لكون ذلك عبرة للناظرين^(١).

ويبدو أنَّ لوطاً عليه السلام يسأل عن وقت إنزال العذاب بهم من شدَّة ما عانى منهم، وما رأى من خُبثهم وإجرامهم وشرِّهم، فقالت له الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؛ أي: إنَّ الموعد الذي قدَّره الحق سبحانه وتعالى لإنزال العذاب بهم هو عند ظهور نور الصُّبح، وهو قريب^(٢).

و- ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾:

- ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام داخلةً على النفي، فيكون جوابها مُثَبِّتاً (بلى)، فهو استفهامٌ تقريرِيٌّ، زِيدَتِ الباء لزيادة التأكيد في قوله تعالى في خبر ليس ﴿بِقَرِيبٍ﴾؛ وقريب معناها: قريب لا يحتاجُ إلى تقريب، أي: وشيك غير بعيد، فما هي إلا سُويعات وتكون نهايتهم^(٣)، وينتقلون إلى عالم البرزخ.

ومن دروس الآية الكريمة:

- الرسول لا يُفارقُ ميدانَ الدَّعوة إلا في اللحظة الأخيرة.

- لا يترك المولى حُجَّةً لأحد، ومن هنا جعل الرسل يغادرون قومهم في الوقت الذي يحدده عزَّ وجلَّ^(٤).

١٤ - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَاباً

مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

أ - ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾؛ عبَّرَ بفاء التعقيب دون «ولما» للإشارة إلى سرعة

(١) النظم القرآني في قصَّة لوط، ص ١٩٩.

(٢) التفسير الموضوعي، ٨٤/٤.

(٣) تفسير سورة هود، ص ٢٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٨.



الأمر، وأضاف الأمر إليه سبحانه بنون العظمة ليُفيد القدرة، وهي تؤكد بسرعة التنفيذ، فكان النصّ التقى كلَّ حرفٍ فيه، وكلُّ كلمة لإفادة المعنى المطلق، أو السرعة المطلقة لتعزيزه وتقويته^(١).

وقد كان أمر الله تعالى بإهلاك قوم لوط، وتطهير الأرض من دنسهم، وفسادهم، وشذوذهم سريعاً، وحاسماً، وغير قابل للرجوع.

ب - ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾؛ هي صورةٌ للتدمير الكامل الذي يَقلبُ كلَّ شيء، ويُغيّر المعالم، ويمحوها، وهذا القلب، أي في جعل عاليها سافلها أشبه شيء بتلك الفطرة المقلوبة الهابطة المنتكسة من قمة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية، بل أخطّ من الحيوانات، فالحيوانات ملتزمة واقفة عند حدود فطرة الحيوان التي فطرها الله عليها لا تتجاوز مداها، ولا تخرج عن حدودها^(٢).

لقد قلب الله بهم الأرض، وجعل أعلاها موضع أسفلها، والجزاء من جنس العمل، لأنهم عكسوا الأمور، وانتكسوا عن الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها^(٣).

ج - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾؛ أي رَجَمْنَا هذه القرية بحجارة، تساقطت عليهم كالمطر، ولكنّها من طين متحجّر، وقد سجّلت عليه أسماءهم مرتبةً ترتيباً لا يُغادر منهم أحداً^(٤).

والسجّيل: هو الحجرُ المكوّن من طين، قال الإمام الرّاعب: «السجيل: حجر وطين مختلط»^(٥).

(١) تفسير سورة هود، المصدر السابق، ص ٣٩٩.

(٢) في ظلال القرآن، ٤/ ١٩١٥.

(٣) التفسير الموضوعي، ٤/ ٨٥.

(٤) تفسير سورة هود، ص ٢٩٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩٨.

وقد سَمَّى الله هذه الحجارة هنا سَجِيلاً ، بينما ذكرت آية أخرى أنها حجارة من طين : ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات : ٣٣] .

- ﴿مَنْضُودٍ﴾ : اسم مفعول ، من التنضيد ، وهو بمعنى الترتيب والتراكم .
تقول : نضدْتُ المتاع : إذا رتبته بعضه على بعض ، وتقول سحاب منضود : متراكم بعضه فوق بعض^(١) . ومتتابع في النزول فوق رؤوسهم^(٢) .

وإن من الدروس المستفادة من الآية :

- لما قلب قوم لوط فطرة الله ، وتحولوا إلى الشذوذ ، جعل الله عقابهم قلب بلدتهم عاليها سافلها ، والجزاء من جنس العمل .

- أصل المطر رحمة ، ولكن الله تعالى جعل المطر على قوم لوط حجارة ، وهو جزء من قلب نظام الكون في مقابل قلب الفطرة .

- شدة العذاب على قدر شدة الكفر ، وتحدي قوانين الله ، وفطرته ، وإرادته في خلقه .

- كل شيء عند الله في كونه بمقدار ، فإذا جاء الأجل لا يتأخر .

- الويل لمن قابل تعاليم الأنبياء بالتحدي والكفر ؛ فإن مصيره سيئ ، ونهايته وخيمة^(٣) .

١٥ - قوله تعالى : ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ [هود : ٨٣] :

هذه الآية تنمُّ للحديث الذي في الآية السابقة عن الحجارة التي أرسلها الله على قوم لوط ، إذ قال عنها أنها : ﴿مِّن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ ، وهنا أكمل وصفها : ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ ، فالنسق واضح كالشمس في رابعة النهار .

(١) المفردات في غريب القرآن ، المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٢) التفسير الموضوعي ، ٨٥ / ٤ .

(٣) تفسير سورة هود ، ص ٣٠١ .



أ - ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ معدة عند الله معلّمة، أي: محدّدة، كلُّ حجر يُرسل على مَنْ كُتِبَ اسمه عليها. وأضاف لفظ الربِّ إلى ضمير خطابه عليه الصلاة والسلام تكريماً وتشريفاً^(١).

وهذه الحجارة مسوّمة كما تسوم الماشية، أي تُربى وتُطلق بكثرة، فكأنما هذه الحجارة مربّاة ومُطلقة لتنمو وتتكاثر لوقت الحاجة، وهو تصويرٌ عجيبٌ يُلقي ظلّه في الحس، ولا يفصحُ عنه التفسير كما يفصح عنه هذا الظلُّ الذي يُلقيه^(٢).

وتصوّر منظرَ المطر الخاص من الحجارة، يَعْقُبُ قلبَ القرية، ويصيبُ كلَّ واحد من أهلها حجره المعدُّ له وحده، ويكون به هلاكه والقضاء عليه.

وما هي إلا لحظات حتى دمرَ الله قرية قوم لوط الكبيرة، ودمّر قراهم الأخرى المحيطة بهم، وقضى على أولئك القوم الضّالين السّاذّين، الذين ملؤوا أرضهم سُذُوزاً وفساداً، وعُهرًا وفجوراً، ورجساً وقذارة، فزالوا عن وجه الأرض، وذهبوا إلى جهنم حيث الويلُّ والعذاب^(٣).

ب - ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾؛ أي ما هذه الحجارة من كلِّ ظالمٍ ببعيدة، سواء ما قصد به كفّار مكة، أو مُطلق الظالمين في مُطلق الزمان والمكان، فلا داعٍ لحصرها بأهل مكة.

إنَّ القصدَ أنَّ مثل هذا العذاب أو ما هو على شاكلته معدٌّ، وقريب من كلِّ ظالم، سواء ظلم العباد أو ظلم النفس، أو ظلم الحقيقة، بإشراك آلهة مع الله، فالشركُ أساسُ الظلم، وأساسُ البلاء.

(١) تفسير سورة هود، المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٢) في ظلال القرآن، ٤/ ١٩١٥.

(٣) القصص القرآني، ١/ ٥١٩.

ومن الدروس المستفادة من الآية :

- كلُّ ظالم نهايته مَخُوفَةٌ مهولة .

- الظلم أنواعٌ ودرجات ، لكنَّه كلّ خطير مُهلك .

- خرابُ الأوطان أغلبه مرتبطٌ بالظلم : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾

[النمل : ٥٢] .

- عقابُ قوم لوط لن تنجو منه الحضارةُ الإنسانيةُ المنحرفة عن شرع الله ،
والواقعة في شباك إبليس ، ووساوس الشيطان التي تتحدّى الله اليوم ، وتتحدّى
قيم الدين والأخلاق والفطرة .

وليس بالضرورة أن تُمطر بالحجارة ، فقد يرسل الله عليهم العواصف
المدمّرة ، والزلازل ، والأمراض ، كالإيدز الناتج بالدرجة الأولى عن الشذوذ ،
والسل الذي تطور الآن فصار عصياً على الأدوية ، وآخرها كورونا الذي حصده
الكثيرين في أنحاء العالم . والمفاجآت لا تنتهي ^(١) .

ثانياً: قصّة لوط عليه السلام في سورة الحجر، وارتباطها بقصة
إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢)
قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ
نُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ

(١) تفسير سورة هود، ص ٣٠٢-٣٠٣ .

الْغَدِيرِ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٥٤﴾ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٥٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٥٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعُلَمِيَّةِ ﴿٦٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٦٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٦٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٦٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ [الحجر: ٤٩ - ٧٧].

هذه الآيات تتمة الإنباء الذي ذكر في الآيتين وهو: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَفَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ و﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾، فهي تتمة لما مر، وتطبيق وتحقيق، ففي قصة إبراهيم مع ضيفه أو ضيوفه تحقيق لما مر، فقد تجلّت رحمة الله على عبده إبراهيم بالفضل عليه بالولد، وتجلّت معاني عذابه على قوم لوط. هذا في قصة واحدة ظهر فيها المعنيان، فقد سألهم عن مهمتهم فقالوا كما ستبين الآيات الآتية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾؛ أي: لإهلاكهم وعذابهم، فتبين مصداق ما ذكرت الآيتان في هذه الآية عن ضيف إبراهيم الذين جاؤوا بالبشرى لإبراهيم بالولد وبنجاة قوم لوط، وجاؤوا بعذاب الكافرين المجرمين وهلاكهم^(١).

وإن المتدبر للآيات الكريمة في سورة الحجر يجد أنها لا تحدثنا عمّا جرى بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه، وإنما عن جانب مما كان بينه وبين الملائكة، ويلمح المتدبر في الآية الجديد في قصة إبراهيم عليه السلام لأول مرة دون عناء:

- حيث يُسمّيهم القرآن ضيفاً.

(١) تفسير سورة الحجر «دراسة تحليلية موضوعية»، أحمد نوفل، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ص ٢٧٩.

- يُطوى فيها ذكرُ الطعام وما يتصل به .

- يُطوى فيها ذكرُ المرأة .

- يُشعرهم إبراهيمُ هنا بوجله ، وهو مقدماتُ الخوف : ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر: ٥٢] ، وفي السورة السابقة - أي هود - ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ .

- يُوصف الغلام الذي بُشِّر به هنا بأنه عليم .

- قوله : ﴿ مَسْنَى الْكِبَرِ ﴾ [الحجر: ٥٤] عبارة مصوّرة معبرة تستحق وقفة تأملية .

- نجد هنا صفةً زائدةً على ما تقدم في سورة هود ، وهي عدم «القنوط» ، إنما الذين يقنطون هم الضّالون فقط ، وإبراهيم عليه السلام ممّن أكرمهم الله بالهداية ، ألا ترى - أخي القارئ - أنّ ما في السورة كلّ جديد ، لا تحوم حوله شبهة تكرار ، ولا تشوبه شائبة إعادة ، وأنّ الذين يدعون التكرار إنما هم واحد من اثنين ، إما أنهم لا يعلمون نظراً ، وإما أنهم لا يفقهون خبراً^(١) .

١ - قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحجر: ٥١] :

أ - ﴿ وَنَبِّئْهُمْ ﴾ ؛ الواو للعطف ، عطف للإنباء على الإنباء مع التصريح بالعامل أو بالفعل : ﴿ نَبِّئَ عِبَادِي ﴾ ﴿ وَنَبِّئْهُمْ ﴾ ، والضمير «هم» في هذه الكلمة يعودُ إلى العباد المذكورين في الآية السابقة ، والأنباء : الأخبار ذات الشأن . ولا ريب أنّ ضيفَ إبراهيم قد أتوا الأمر جَلَل ذي شأن^(٢) .

ب - ﴿ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ :

﴿ عَنْ ﴾ ؛ حرف جر متعلّق بنبيّهم ، أي : عن أخبارهم .

(١) قصص القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ، دار النفائس ، عمّان ، الأردن ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ ،

٢٠١٠ م ، ص ٢٨٩ .

(٢) تفسير سورة الحجر ، أحمد نوفل ، ص ٢٧٨ .



﴿صَيِّفٌ﴾؛ تأتي للإفراد والجمع، ويبدو هنا أنها للجمع؛ لأن الملائكة كانوا أكثر من واحد.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾؛ هو الخليل، باني البيت، صاحب الملة الحنفية السمحة، وهو أعظم الرسل جميعاً بعد الرسول الأعظم محمد ﷺ^(١).

- قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي (رحمه الله): ﴿وَنِيَّتُهُمْ عَنْ صَيِّفٍ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: عن تلك القصة العجيبة، فإن في قصصك عليهم أنباء الرسل، وما جرى لهم مما يُوجب لهم العبرة والافتداء بهم، خصوصاً إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيفه هم الملائكة الكرام، أكرمه الله بأن جعلهم أضيافه^(٢).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- الماضي مشحونٌ بالدروس والعبر، وقد انتقى القرآن الكريم هذا الماضي بالدروس، وقصّه علينا، فأين من يبحث في كنوزه ويعتبر؟!

- إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، ويجب ذكر هذه الشخصية العظيمة، والتأسي بها.

- يجب التضرّع من اللغة العربية، ومعرفة أسرارها، ومعاني مفرداتها، وأن لفظة الضيف - على سبيل المثال - تصحّ للمفرد والجمع.

- القصص القرآني حقٌّ مطلق مُصَفَّى، لا يجوز خلطه بخرافات بني إسرائيل، وتلفيقاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء؛ من إسقاط صفات بني إسرائيل على الأنبياء والمرسلين، حاشاهم عن ذلك، وبعداً لمن افتري عليهم^(٣).

(١) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٢) تفسير السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ٨٦٤.

(٣) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٨٠.

٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢]:

أ- ﴿إِذْ﴾؛ ظرف لما مضى من الزمان، ومن شأنه أن يستحضر لحظة معينة، أو مشهداً معيناً من شريط طويل للأحداث، فهو - أي الظرف «إِذْ» - يوقفك عند المطلوب من هذا الشريط الطويل ومن المشاهد المتعددة.

ب - ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾؛ أول دخولهم على إبراهيم كان دون سابق إعلام، والضمير في (عليه) عائد إليه عليه السلام، فالحديث عنه جارٍ منذ الآية السابقة.

ج - ﴿فَقَالُوا سَلَمًا﴾؛ فقالت الملائكة، ولم يُحدد النصُّ الكريم عددهم، وكلمة ضيف في الآية السابقة تحتمل الأفراد والجمع، وإن كان قوله: ﴿دَخَلُوا﴾ يفيد الجمع ولا يُعيّنه تماماً، فقد تكون للتعظيم مثلاً. و﴿سَلَمًا﴾: نُسلم عليك سلاماً^(١).

د - ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾؛ أي فزعون خائفون، ولا تظننَّ أنَّ إبراهيم عليه السلام واجههم بهذا عندما دخلوا عليه، فقد كان عليه السلام كريماً، ويُحب أن يغشاه الضيوف دائماً في بيته، وإنما قال ذلك في نفسه بعد أن قدّم لهم الطعام، ولم تمتدَّ أيديهم إليه؛ لأنَّ أجسام الملائكة نورانية، فهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يحتاجون إلى ما يحتاجُ إليه الإنسان المخلوق من تراب الأرض، والذي يتغذى بما تُخرجه له الأرض^(٢).

ولم يُسجل النصُّ الكريمُ هنا ردَّ إبراهيم عليه السلام؛ اكتفاءً بما ذكر في غير موضع، فكلُّ موضع يعرض طرفاً مختلفاً، وجزءاً مُتمماً من القصة، والمُشاهدُ متكامل^(٣).

(١) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٨١.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٣٨٨/٤.

(٣) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٨١.



ففي سورة هود ردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِمْتُ فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: ٦٩]، وفي سورة الذاريات: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [١٥] فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلُهُ فَبَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٥-٢٦].

قال الدكتور أحمد نوفل: فلا يُتَخَيَّل ولا يُعْقَل أن يردّ التحية بالقول: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ﴾، ولا أَتَصَوَّرُ أَنَّ هذا الكلامَ المصرَّح به والملفوظ، ولكنه من الكلام النفسي الملحوظ على الملامح والسّمات والقسمات، وكم عبر القرآن بـ ﴿قَالَ﴾ أو ﴿قَالُوا﴾ وقصد الكلام النفسي، ومن ذلك: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ﴾ [يوسف: ٧٧]، والمواقف تتشابه.

وخلاصة القول: هذا فيما أرى، من الكلام النفسي الصّادر عن خليل الله، قد قرأه الملائكة على صفحة وجهه الشريف، وملامحه الكريمة عليه الصلاة والسلام^(١).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- الكلام النفسي يُعبر عنه بـ ﴿قَالَ﴾؛ لشدة ظهوره ووضوحه على الملامح، فكأن لسان الحال ولسان المقال شيء واحد.

- الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام يعترفهم ما يعتري البشر من الحذر والوجل والخوف والحزن والضيق، ولكن بمقادير مختلفة، ليكونوا هداة مهديين، ومعلّمين للبشر على اختلاف أصنافهم.

- قد يحذف القرآن ما ذكره في مكان، اعتماداً على ما ذكره في مواضع أخرى وأحال عليه، كردّ إبراهيم عليه السلام على تحية الملائكة.

(١) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٨١.

- الرسل لا يعلمون الغيب، ولا ما وراء الأشياء، إلا إذا أعلمهم مولاهم، وخالقهم، أو جاءهم العلم من مصدر الوحي^(١).

٣- قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا نَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]:

هذه الآية فيها ردُّ الملائكة على ما رأوه من وِجَل إبراهيم عليه السلام، أو ما صرح به من وِجَل، هذا جوابه من قبل الملائكة بعدم التوجس والوجَل، فإنما هم مرسلون من الله، وأولياء الله لا يخافون من أولياء الله.

أ- ﴿قَالُوا لَا نَوْجَلْ﴾؛ قالت الملائكة عليهم السلام لإبراهيم عليه السلام لما رأوا وِجَله أي خوفه: لا تخف، وقرّ عيناً واطمئن بالاً، فإنما نحن رسلُ الله إليك بالبشرى^(٢).

ب- ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾؛ كثير العلم، وهو إسحاق؛ إذ جاء التصريح به في سورة هود ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

فقد صرحت الآيات باسمه، واسم ولده يعقوب عليهما السلام، وأمّا الغلام الذي بَشَّر به إبراهيم والموصوف بالحلم: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]؛ فهو إسماعيل عليه السلام^(٣).

فالبشارة تكررَت لإبراهيم عليه السلام؛ ولهذا حكى الله تعالى عن إبراهيم قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

(١) تفسير سورة الحجر، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

٤ - قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴾

[الحجر: ٥٤]:

في الآية الكريمة بَشَّرَتِ الملائكةُ إبراهيمَ عليه السلام بغلامٍ عليمٍ، وهنا في هذه الآية يستفهمُ إبراهيمُ من الملائكة فيقول لهم: هل تبشرونني بعد أن مسَّنِيَ الكبر ﴿فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾؟!

أ - ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي ﴾ ؛ قال: أي: إبراهيم عليه الصلوات والتسليم، ﴿أَبَشِّرْهُمُونِي﴾؛ الهمزة للاستفهام؛ داخلَةٌ على الفعل الذي يتضمَّن فعلاً وفاعلاً ومفعولاً به .

ب - ﴿ عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾ ؛ (على) هنا إما أن تكون متضمنةً معنى البعدية، أو هي على معناها الأصلي، كما نقول: «أتغفر لي على ما كان مني»؟! أي على وضعي الذي أنا عليه؛ فهي للاستعلاء والتَّمَكُّن، أي بعد أن تَوَعَّلْتُ في الكبر وتمكن مني وتمكَّنتُ منه، بمعنى أبعدت وأوغلت. وعبرَ بالمسِّ ليفيدَ أنَّ الكبر منه، والكبر: الهرم وقطع سنوات عديدة من العمر.

ج - ﴿ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴾ ؛ الفاء تفرعية، و«بم» بأي شيء تبشرونني، وحُذفت الياء ليس لمراعاة الفواصل، فهي مقصدٌ يتبع المعنى والبلاغة، وهو أهمُّ من مراعاة الفواصل، وهي مهمَّة لكنها أقل أهمية، والأهمُّ المسارعة في التعبير وحقَّة القول والنطق، والحذف ليس من نصيبِ الياء فحسب، بل معها أيضاً حذف النُّون الثانية من أصل الكلمة وهو: تبشرونني.

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- في هذا المقام الاستفهامُ يحملُ معانيَ عديدةً وعريضةً، والمقصدُ الأصلي منه الاستعلام والتعجُّب، والآية هنا جاءت على هذا الغرض، وليس الاعتراض.

- هذه الآية فيها البشرى في أولها وآخرها: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾؛ والتكرار مقصود لذاته، وهو تقرير المعنى بالتكرير.

- في الكون سنن يتعامل بها البشر، ويعيشون وفقها، ومتى شاء الله خرق هذه السنن، ونقض هذه النواميس.

- إِنَّ خَلِيلَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَعْظَمَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فاستفهم هذا الاستفهام التعجبي المبني على السنن التي أجراها الله بين عباده، لا أنه استبعد ذلك على قدرة الله، فهو أجل من ذلك قدراً.

- ﴿فِمَ﴾؛ هي «ما» الاستفهامية، أو ماذا؛ دخلها معنى التعجب، وكأنه قيل: فبأي أعجوبة ﴿تُبَشِّرُونَ﴾^(١).

٥- قال تعالى: ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥]:

- ﴿قَالُوا﴾؛ أي الملائكة الكرام ردّاً على إبراهيم.

- ﴿بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾؛ ما قلناه لك من البشرى هو الحق؛ فالبشرى ملتبسة بالحق، مرتبطة به، بمعنى أنها متحققة لا محالة، فهذا وعد من الله، والله منجز وعده.

- ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾؛ ليس إبراهيم عليه السلام من القانطين، والملائكة يعلمون هذا، ولكن إبراهيم ربّما قاس الأمر بمنظور السنن والنواميس المعهودة والمألوفة، ولكن الله تعالى متى شاء خرق النواميس، فقولهم فلا تكن من القانطين يعني لا ترتبط بالنوانيس والسنن، وتقول: في ضوء المألوف من السنن لا يمكن إنجاب الولد مع هذه الحيثيات الموجودة من الكبر، وعقم الزوجة، والقنوط، واليأس من الشيء، وعدم توقع حدوثه^(٢).

(١) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

الدروس والفوائد في الآية الكريمة :

- السُّنَنُ لا تعرقلُ نفاذَ الإرادة الإلهية .

- نحن نعيشُ وفق السنن ، ونبني تصرفاتنا وفقاً لها ، ونعتقد دائماً بأن المشيئة الإلهية مطلقة .

- وعد الله حقٌ ، ولا يأسَ من رحمته سبحانه .

- نهى الملائكة لإبراهيم عليه السلام عن القنوط أو يكون من القانطين ، لا يعني أنه كان مستعداً له ، أو موجوداً عنده ذلك الاستعداد ، فالله يقول : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

فالأنبياء مُحالٌ عليهم القنوط ، أو اليأس ؛ لحسن ظنهم بربهم ، وأن النصر حليف المؤمنين^(١) .

٦ - قوله تعالى : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] :

- ﴿ قَالَ ﴾ ؛ أي : إبراهيم عليه الصلوات والتسليم .

- ﴿ وَمَنْ ﴾ ؛ الواو استئنافية .

- ﴿ يَقْنَطُ ﴾ ؛ القنوط : اليأس واستبعاد حصول الشيء .

- ﴿ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ﴾ ؛ من : متعلقة بالفعل يقنط ، وأضاف الرحمة إلى لفظ ربه لتعظيمها من ناحية وقربها من ناحية ، وأضاف الربَّ إلى ضمير الغائب ؛ لجعلها قاعدة عامة ، وقانوناً شاملاً ، وليس أمراً متعلقاً به فحسب .

- ﴿ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ ؛ الذين لا يعرفون الله حقَّ المعرفة ، ولا يهتدون إليه سبيلاً ، ولا يرجونه ، ولا يخشونه^(٢) ، وهم الذين ضلّوا عن طريق الله فلا يحسّون

(١) تفسير سورة الحجر ، أحمد نوفل ، ص ٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

رحمته، ولا يستشعرون رأفته وبرّه ورعايته، وأمّا القلبُ الندّيّ بالإيمان المتصل بالرحمن فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمت به الخطوب^(١).

قال أسعد حومد: أجابهم إبراهيم عليه السلام أنه ليس قانطاً من رحمة الله، وإن كان قد كبر وأسنت زوجته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك، ولا يقنط من رحمة الله إلا من ضلّ طريق الهداية والإيمان، وجعل عظمة الخالق^(٢).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- القنوط والإيمان لا يجتمعان.

- الضلال أساس الكفر، والعكس صحيح، فبينهما علاقة جدلية، كلٌ واحدة تؤدي إلى الأخرى.

- رحمة الله قريبة، ولا يأس من وصولها وشمولها كل من طلبها.

- لم يستغرب إبراهيم عليه السلام قنوطاً من رحمة الله، ولكن استبعاداً للأمر في العادة التي أجراها الله، والسنن التي اعتادها البشر، وبنوا حياتهم ومعاشهم عليها، ولم ينسوا بطبيعة الحال أنّ الله فعّال لما يريد، يخرق المعتاد وقت يشاء^(٣).

٧- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧]:

يواصل إبراهيم عليه السلام في هذه الآية حديثه مع الملائكة، ففي الآية السابقة علّق على قولهم: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِيّينَ﴾، بعد أن بشّروه بالولد، وهنا

(١) تفسير سورة الحجر، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٢) أيسر التفاسير، أسعد محمود حومد، ط ٤، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٨٥٩.

(٣) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٩٥.



يسألهم عن مُهمَّتهم الأساسية التي جاؤوا من أجلها، فالبشارة بالولد يمكن أن تكون في رؤيا كما كان أمر ذبحه لولده، وأما البشارة الآن فأمرٌ زائدٌ على عظم شأنه، وكان الأمر كما توقع، فالآيات سلسلة متصلة، وعقد مترابط^(١).

أ - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾؛ قال إبراهيم عليه السلام للملائكة الكرام عليهم السلام: ما شأنكم الجلل العظيم الذي جئتم له، والمهمة التي أتيتم لها؟

ب - ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾؛ يخاطب المرسلين بالتكريم والتوقير، وإلا فبالإمكان اكتفاء بالسؤال: فما خطبكم؟ والرسُل هم عناوين التلطف والرفق وحسن معاملة الخلق، فكيف إذا كانوا رسلاً مثلهم لهم عند الله شأنهم العالي ومنزلتهم السامية؟^(٢)

إن إبراهيم عليه السلام انتقل إلى سؤالهم عن سبب نزولهم إلى الأرض؛ لأنه يعلم تمام العلم أن الملائكة لا ينزلون إلا لأمرٍ عظيم، كما قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨].

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- الرسل والنبيون نماذج التلطف في الكلام، والترفق في معاملة الخلق، فكيف بتعاملهم مع الخالق سبحانه وتعالى؟!

- الخطب: هو الشأن الجلل الذي يستدعي ممن يراه أو يسمع به أن يستفسر عنه؛ لذا لم ترد مفردات (الخطب) في القرآن إلا في مقام الاستفهام^(٣).

٨ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٨]:

في الآية السابقة كان إبراهيم عليه السلام يسأل الملائكة عليهم السلام:

(١) تفسير سورة الحجر، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٧.

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ؟﴾ ، وفي هذه الآية يتلقى الجواب منهم ، فالآياتُ في هذا السياق كلّها مترابطة متصلة متوافقة .

أ - ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ ؛ قالوا - أي الملائكة الكرام - إنّا ، واستخدموا أداة التوكيد لتأكيد الكلام ، وإثارة الاهتمام ، وأنهم بالفعل أتوا الأمر جلل .

ب - ﴿إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ؛ إلى : حرف جر بمعنى الغاية والنهاية ، أي أن مهمتنا في آخرها تنتهي عند هؤلاء لإنهائهم ، ولم يُعيّنوهم في هذه الآية ، وسيتمّ تعيينهم في الآية الآتية من خلال استثناء «آل لوط» فعلم أنهم قومٌ لوط جزاء على خروجهم على فطرة الله ، وكفرهم بالله ، وأن يكونَ القومُ متواطئين على الجريمة ، فهذا شيءٌ عجيب .

والمجرم : مَنْ فَعَلَ الجريمة ، وهي الفعلُ الكبيرة الخطيرة ذات الجرم ونتيجتها الشرّ الكبير ^(١) .

قال السَّعدي : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ؛ أي : كثر فسادهم ، وعَظُمَ شرّهم ، لنعذبهم ونعاقبهم ^(٢) .

الدروس والفوائد في الآية الكريمة :

- من أسماء الله : الصَّبور ، ولكنه شديد العقاب متى جاوز الظالمون المدى .
- من فعل الشرّ وتأخر عقابه أصابه نوعٌ من الأمن الكاذب الخادع أنه لن يؤخذ ولن يُؤخذ ، ثم تكونُ المفاجأة الصاعقة .
- التواطؤ على الجريمة ، وشرعنتها ، وتسويغها أخطرُ من الجريمة في ذاتها .
- حضارة اليوم تُكرّر قذارة هذا الفعل ، وتتواطأ عليه ، ما يجعلها مُهدّدة بعذاب غير متوقع يفوق كلّ توقّع .

(١) تفسير سورة الحجر ، أحمد نوفل ، ص ٢٩٨ .

(٢) تفسير السَّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ، ص ٨٦٥ .



- للحضارة الغربية زخمها، وثقلها، بحيث تفرض من سيئاتها ما تشاء، بقوتها النَّاعمة، أو بقوتها الخشنة. وأمة الإسلام ينبغي أن تكون مُحَصَّنة من شرور هذه الحضارة، التي تنضح شراً، وإلحاداً، وفجوراً، وظلماً، ونهباً للشعوب المقهورة، وامتهاناً لكرامة الإنسان وفطرته السَّليمة.

- مصادرة الإيرادات والقناعات أشدُّ من نهب الثروات^(١).

٩- قال تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩]:

أ- ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾؛ الاستثناء منقطع؛ لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وآل الرجل: زوجه وذريته، ولسنا نردّد مع الإسرائيليات حكاية أن له بنتين، فليست تلك الروايات عندنا بمصدر معتدّ به، ولا يُستند إليه، ولا يعتمد عليه، ولا يوثق به، فلا ندري أكان عنده أولاد، وكم كانوا، وكم عنده من البنات، المهم أن القرآن الكريم لا يدخل في التفصيلات التي لا تؤثر في سرد سياق القصة، فعبر بكلمة عامة «إلا آل لوط» ثم استثنى من آل لوط زوجه.

ب- ﴿إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ إنَّ واسمها وخبرها، وزيدت اللام -نحوياً لا بلاغياً- على الخبر لتوكيده، وأتت ﴿أَجْمَعِينَ﴾: لتوكيد المؤكّد، وهذا المنهج في التزام النص لا ينبغي الحيدة عنه تتبعاً للإسرائيليات، وللفضول بمعرفة الزيادة والتفصيلات^(٢).

الدروس والفوائد في الآية الكريمة:

- ليست الإسرائيليات مصدراً موثقاً للمعرفة والمعلومات، بل هي مليئة بالمتناقضات.

- آل الرجل: امرأته وذريته؛ وهذا مصطلح قرآني.

(١) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠١.

- الاستثناء منه متصل ومنه منقطع ، وينبغي التمييز بينهما .

- إذا نزل العذاب فإن الله يُنَجِّي منه من يشاء ، وأحياناً يصيبُ الجميع ، كما حذر الله تعالى في قوله : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

- ينبغي أن تحذر الأمة ، وقد كثر فيها المترفون ، أن تصيبها النكبات ، والويلات ، والعطب ، والهلاك ، والتلف وفق القانون الإلهي ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] ^(١) .

١٠ - قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْعَرْشُ ﴾ [الحجر : ٦٠] :

استثناء متصل بما قبله ، فلا يحتاج معه إلى بحثٍ عن وجه الارتباط ، ووجه التناسق ، كأنه جملةٌ وتامامها ، ومستثنى منه ، فهل مثل هذا النسق الكلامي يحتاج إلى بحث وكثرة تأمل ؟ بطبيعة الحال لا .

أ - ﴿ إِلَّا أَمْرَاتُهُ ﴾ ؛ أداة استثناء والاستثناء هنا متصل لأن امرأته من أهله أو من آله كما في الآية الكريمة ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٢) ، فإن اعتبرناها من غير أهله أو ليست من أهله ، كما قال الله تعالى عن ابن نوح ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ، فالاستثناء منقطع ، ونرجح الأول ، والله أعلم ^(٢) .

ب - ﴿ أَمْرَاتُهُ ﴾ ؛ أي دون زوجه ؛ لأن معنى الزوجية والتكامل ليس موجوداً هنا ، والله أعلم ؛ فهي كافرة ، فكيف يكون انسجامٌ وزوجيةٌ ؟

ج - ﴿ قَدَرْنَا ﴾ ؛ هذا ليس قول الملائكة فيما أرى ، ولكنه قول الله عز وجل ، فالملائكة لا تقول : قدرنا ، فالمقدر الله ، والتقديرُ لله ، والأقدار أقدار الله ، والإرادة إرادة الله ، ولا مريد مع الله ، أو يكون القول : قدرنا المراد أمر الله ،

(١) تفسير سورة الحجر ، أحمد نوفل ، ص ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

ونحن الملائكة بالتنفيذ، كما قال العبدُ الصالحُ في سورة الكهف: ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُبُّهُمَا حَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]، فالله هو الذي أراد، والعبدُ الصالح قد نفَّذ إرادة الله بقتل الغلام^(١).

د- ﴿إِنَّمَا لِمَنِ الْغَيْرِيكَ﴾؛ دخلت اللامُ على خبر إنَّ للتوكيد، و﴿الْغَيْرِيكَ﴾: أي الهالكين، المعذَّبين، غير الناجين.

الدروسُ والفوائدُ في الآية الكريمة:

- القربُ ليس ينفع، ولا يعلم، ولا يغيّر إذا كان القلبُ مُغلَقاً.

- هذه امرأة لوط، ومن قبلها امرأة نوح، كانتا نموذَجَيْنِ لَأَسْوَأِ نَبْتٍ فِي أَحْسَنِ بَيْتَةٍ؛ فلا تنفع البيئة إذا كان النباتُ سيئاً، ولو زرعنا الحنظل في أحسن تربة فهل ينبت عنباً مثلاً؟!

- كانت النَّجَاةُ من امرأة لوط قاب قوسين أو أدنى، فلم تسلك سُبُلَهَا، بل ركبت مركب الضلالة والجهالة، فأهلكَتْ نفسها في الدنيا، وستخلد في العذاب في الآخرة.

- فرصة العمر أثنى من كلِّ ذهب الأرض، وما فيها، ومع هذا يضيع النَّاسُ أو أغلبهم هذه الفرصة في اللعب واللهو، فمن ينبههم؟ ومتى يتنبّهون؟^(٢).

١١ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ [الحجر: ٦١-٦٤]:
أ- ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾:

- ﴿فَلَمَّا﴾: هذه الكلمة تفيّدُ المسارعة من وجهين: الفاء المفيدة للتعقيب وكلمة (لما) المفيدة للاقتراب من مكانٍ بعيد، أو المجيء من مكانٍ بعيد.

(١) تفسير سورة الحجر، أحمد نوفل، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٥.

- ﴿عَالِ لُوطٍ﴾؛ هم لوط وأهل بيته من زوجة وأولاد وبنات، لكنَّ الزوجة خرجت من هذه الدائرة بكفرها، وإلا فهي المعنيُّ بالدرجة الأولى بَعْدَ مَنْ ينتسبون إلى لوط عليه السلام^(١).

ومجيء الملائكة لآل لوط فيه من الإيناس والإكرام ما لا يخفى^(٢).

- ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾؛ الملائكة المرسلون بمهمةٍ إلى هذا النَّبي وقومه وقريته^(٣).

ب - ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾؛ لم يقل عليه السلام هذا للملائكة عندما جاؤوا إليه، وإنما قال لهم ذلك بعد أن جاء قومه إلى بيته مسرعين، ووقف عليه السلام دون ضيوفه، يمنع عنهم أذى قومه وفُحْشهم وشُذُوذهم، وعانى في هذا عناءً شديداً؛ حتى اضطر إلى القول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

والملائكة جالسون في هيئة البشر لا يتكلمون، ولا يساعدونه في دفع قومه، وردَّهم، وعندئذٍ التفت إليهم مُنْكَراً الخذلان، وترك النصرة قائلاً: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، فردَّ الملائكة عليه، كاشفين له حقيقتهم، ومبينين له واقع الأمر^(٤):

ج - ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ فأتوا بكلمة ﴿بَلْ﴾ التي تدلُّ على الإضراب عمَّا ظنَّه من ترك النصرة له، أي: ما تركنا نصرتك، بل جئنا لنُصرتك بالعذاب الذي كنت تتوعَّد قومك به، وكانوا يشكُّون فيه، ويكذبونك من أجله، ثم أكدوا كلامهم أنهم سينفذون المهمة التي أرسلوا لأدائها^(٥).

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٢٠٩.

(٢) قصص القرآن، د. فضل حسن عباس، ص ٣٦٥.

(٣) تفسير سورة الحجر، ص ٢٠٩.

(٤) التفسير الموضوعي، ٣٩٢/٤.

(٥) التفسير الموضوعي، المصدر السابق، ٣٩٢/٤.

د - ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ ؛ فأتيناك بالحق القديم ، الذي هو في بنية الكون ، فالله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢] ، وقضاء الله فيهم بالحق القديم كذلك ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] .

من هنا تمّ اختيار التعبير عن الحق بلفظ الإتيان المفيد القدوم من بعيد ، لأنّ الحق بعيد في الزمن ، وبعيد عن تصورات كل الناس أو معظمهم^(١) .

- ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ ؛ الواو تصلح أن تكون عاطفة ، أو استئنافية ، والأرجح في نظري أنها حالية ؛ أي : والحال إنا لصادقون^(٢) .

وتأكيداً لصدقهم بادروا إلى نصرته ، فطمسوا أعين قومه ، وأخذوا على أبصارهم ، فانصرف قوم لوط وهم لا يبصرون شيئاً ، يتلمسون طريقهم بأيديهم وهم يقولون : إنّ لوطاً يؤوي في بيته أسحر أهل الأرض . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ [القمر: ٣٧] ، ثم أمر الملائكة لوطاً عليه السلام بترك هذا البلد الظالم أهله ، والهجرة عنه ، مع المؤمنين من أهل بيته ، لينجوا من العذاب الذي سينزل به^(٣) .

١٢ - قوله تعالى : ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥] . وبهذا قدّم الملائكة إلى لوط تعليمات ، وإرشادات السلامة من ويلات الهول القادم .

أ - ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ ؛ الفاء للتفريع على ما سبق وعطف عليه ، والإسراء والسرى : السير ليلاً . والمثل العربي الشهير (عند الصباح يحمّد القوم السرى) تطبيق عملي على هذا .

(١) تفسير سورة الحجر ، ص ٣١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٧ .

(٣) التفسير الموضوعي ، ٤ / ٣٩٢ .

ومعنى المثل العربي: عندما تشتد الشمس وحرارة النهار، يحمد القوم تبكيرهم السير في ساعات الليل المتأخرة أو ساعات الفجر المتقدمة؛ إذ يقطعون المسافة في وقت اعتدال الحرارة، فعندما تتلهب حرارة النهار يُدركون كم كان صواباً تبكيرهم بالسير.

- ﴿يَاهْلِكَ﴾: الباء للمصاحبة، فسّر مصاحباً أهلك ليلاً.

ب - ﴿بِقَطْعِ مَنْ أَيْلٍ﴾؛ أي: سرّ في آخر الليل، أو في الهزيع الأخير من الليل.

ج - ﴿وَاتَّبَعَ أَذْبَرَهُمْ﴾؛ يسير القادة في المواجهات في المقدمة، وفي الانسحابات في المؤخرة، بمعنى أنهم دائماً يكونون أقرب للخطر^(١).

- ﴿وَاتَّبَعَ أَذْبَرَهُمْ﴾؛ هذه دعوة إلى الأخذ بالأسباب بعد التوكّل على الله، أي: كن وراءهم على أثرهم، بحيث تتفقد أحوالهم، وتصلح شأنهم، وتسرع بهم حتى توصلهم إلى برّ الأمان بإذن الله تعالى^(٢).

وهنا عطف الجملة بالواو على الأمر الأول؛ لأنّ فيها أمراً جديداً. وجيء بفعل الأمر: ﴿وَاتَّبَعَ﴾؛ للمبالغة بالعناية والاهتمام بمن يسير معه، وحُدّد المكان الذي يجب أن يكون فيه لوط عليه السلام أثناء السير لتحقيق الأمر، بقوله تعالى: ﴿أَذْبَرَهُمْ﴾ أي خلفهم.

وإنّ الحكم من بقاء لوط عليه السلام خلف أهله كثيرة، منها: ليكون الأقرب إلى محلّ العذاب؛ لأنّه أثبتهم قلباً، وأعرفهم بالله، فيكون كالحائل بينهم وبين العذاب الذي يحلّ بقومه بعد خروجه؛ تنوياً ببركة الرسول ﷺ، وليجتهد في شكر الله وإدامة ذكره، ولئلا يشتغل قلبه بمن خلفه، فيكون مطّلعاً عليهم وعلى

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٣٢١.

(٢) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٢٠٠.

أحوالهم وهم يسرون أمامه، يراهم بأمّ عينيه، وحتى يحقق النهي فلا تفلت من أحدٍ منهم التفاتة خوفاً منه عليهم لأنه يرقبهم، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرضٍ له فيصيبه العذاب^(١).

د - ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾؛ حتّى لا يرى ما وراءه من عذابٍ لا يطيقه، أو لا يلتفت متحسراً على مفارقةٍ مثل هذا الوطن.

هـ - ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾؛ أي: إلى حيث يأمركم الله تعالى بالمضي إليه، وهذا دليلٌ على رحمته سبحانه وتعالى ولطفه بعباده المؤمنين؛ نجّاهم من الهلاك، وأرشدهم إلى مكان الأمن والسلامة^(٢).

- ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾؛ وجاء الفعلُ مبنياً للمجهول زيادة في الكتمان والسريّة^(٣).

واختلف المفسّرون في الوجهة التي توجّه لها لوط عليه السلام بين من يقول إلى مصر، ومن يقول إلى الشّام. والراجح أنه بقي في الشّام، ويذهب إلى مصر بين الحين والآخر. وهذا ما روي عن ابن عباس حيث بقي فيها إلى أن توفاه الله تعالى. وأمّا قبره فليس هناك دليلٌ على مكانه^(٤). ويقول الدكتور أحمد بهجت في كتابه (أنبياء الله): «وتوجّه لوطٌ إلى إبراهيم عليه السلام، وزاره، وقصّ عليه نبأ قومه، وأدهشه أنّ إبراهيم كان يعلم، ومضى لوطٌ في دعوته إلى الله مثلما مضى الحليم الأوّاه المنيب إبراهيم في دعوته إلى الله، ومضى الاثنان ينشران الإسلام في الأرض»^(٥).

(١) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٢٠١.

(٢) التفسير الموضوعي، (٤/٣٩٣).

(٣) تفسير سورة الحجر، ص ٣٢٢.

(٤) المثالب التي ذكرت في التّوراة للنبيّ لوط ورّد القرآن عليها، عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق،

جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠١٥م، ص ٤٦٥.

(٥) أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ص ١٣٢.

١٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾

[الحجر: ٦٦]:

يبدو أنَّ لوطاً عليه السلام كان يستعجلُ نزولَ العذاب بقومه، وذلك لكثرة ما رأى من جرائمهم، وكُفرهم، ومنكرات أخلاقهم، فأخبره الله تعالى أنه قدَّر أن يكون هلاكهم عند شروقِ الشمس في الصباح^(١).

أ - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾؛ أي: أوحينا له حكماً ثابتاً مبثوثاً، وقد استؤنف بالواو لأنه خبرٌ جديد، وأضاف (نا) و(قضينا) تعظيماً للموحي، وهو الله عزَّ وجلَّ، وللمرسل به.

وقد خصَّص الموحي له بقوله: (إليه) أي: لوط عليه السلام، وهو الموحي له أيضاً، كما أشار للوحي به باسم الإشارة (ذلك) للبعد تعظيماً له، وبياناً لعلو الموحي سبحانه^(٢).

وفي لفظ القضاء، والتعبير عن العذاب بالأمر، والإشارة إليه بذلك، وتأخيرهِ عن الجار والمجرور، وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً، من الدلالة على فخامة الأمر ما لا يخفى^(٣). وفُسِّر الحكم بعد إبهامه تفهيماً له بقوله:

ب - ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾: حيث بيَّن أنهم هالكون، حتى آخر واحد منهم، وموعد ذلك الصُّبح، وهذا كناية عن استئصالهم، وأنَّ آخرهم وأولهم في الأخذ سواء^(٤).

و(أنَّ) تأكيدٌ للحكم وتعظيم له، وقُدِّر اسم إنَّ (أن دابر هؤلاء) للتأكيد على هلاكهم، وأضاف إليه اسم الإشارة (هؤلاء) للقريب ليدلَّ على التعيين وعلى

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٢١٩.

(٢) النظم القرآني في قصَّة لوط عليه السلام، ص ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٠٢.

قدرته عليهم (واتصافهم بصفاتهم القبيحة)، وعبر عن عذابهم بصيغة اسم المفعول: ﴿مَقْطُوعٌ﴾، بياناً لسهولة الأمر عنده سبحانه، والتنوين للتعظيم والتفخيم.

و﴿مُصْبِحِينَ﴾؛ جمع (مصبح): اسم فاعل من أصبح، وهو حال منصوب بالياء، أي: داخلين في الصُّباح^(١).

وبعد أن استوفت الآيات الحوادث، وبادرت إلى كشف حقيقة ضيوف لوط، والمهمة التي جاؤوا من أجلها، عادت إلى الوراء لتبين شذوذ قوم لوط، وما فعلوا حين سمعوا بقدوم ضيوف لوط عليه السلام^(٢).

١٤ - قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعُلَمِيكِ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧١].

تفسير الآيات:

أ- ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

قال الدكتور فضل حسن عباس: إنَّ الذي ذكر في سورة هود أنَّ الرسل لما جاؤوه عليه الصلاة والسلام، سيء بهم، وضاق بهم ذرعاً، وقال: هذا يومٌ عَصِيب، وجاءه بعد ذلك قومه يهرعون إليه، وكل هذا لا تجده في سورة الحجر، لذلك فالذي يبدو لي - والله أعلم - أنَّ ما حدثتنا عنه سورة هود غير الذي حدثتنا عنه سورة الحجر، ففي سورة هود جاءه قومه يهرعون إليه، وكان بينه وبين قومه ما تحدثنا عنه من قبل، أمَّا في سورة الحجر، فقد جاء أهل المدينة مستبشرين فرحين، فهناك مجيئان:

المجيء الأول: لقومه، وهم فئةٌ جاءت مسرعةً لتظفر بالغنيمة، قاتلهم الله،

(١) النظم القرآني في قصة لوط، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٢) التفسير الموضوعي، (٣٩٣/٤).

فسيء بهم عليه السلام، وضاق بهم ذُرْعاً، فطمأنته الملائكة، ثم جاء بعد ذلك أهل المدينة بعد أن وصل إليهم النبأ، وكان لوط عليه السلام قد اطلع على أمر الملائكة عليهم السلام، فقال لهم ما قال على سبيل التبكيت، وتعمية الخبر عنهم.

والذي يُرجح ما قلناه، أنَّ آيات سورة الحجر لم تحدثنا بشيء عن ذلك القلق الذي يكتنف نفسه عليه الصلاة والسلام، وما ذهبنا إليه أولى بنظم الكتاب العزيز ونسقه^(١).

- ومعنى الآية: المجيء من قُربٍ واضح، ولا يحتاجُ إلى توضيح، فقد تناهت إليهم الأخبارُ أن عند لوط قوماً غرباء، فتحركت نوازعُ الشر ونزغات الشياطين فيهم، وما علموا أن قدومهم إلى لوط هو نهايتهم.

- ﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾: فلا يشير السياق إلى التمدن والتحضر، كما هو المتبادر من لفظ المدينة، وإنما المدينةُ هنا - وبحسب السياق - إشارة إلى السعة والانتشار، وكثرة العدد، وتعدد الروابط، كما أنهم لاتفاقهم على أمرٍ ما وتواطئهم عليه سُموا (أهل المدينة)، وهذا على الأعم الأغلب، لا عن مطلق الأحوال.

وإن من المهم أن نشير إلى أنَّ القرآن لا يستخدم أياً من هاتين الكلمتين المصطلح عليهما إلا لملحظ بياني واجتماعي، وجملة من المعاني، وإلماح إلى جملة معايير وقيم، وهذا من معجزات هذا القرآن الكريم في التعبير عن المعنى^(٢).

- ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: حضر أهل المدينة تملؤهم حالة من الاغتراب والبهجة

(١) قصص القرآن الكريم، ص ٣٦٦.

(٢) تفسير سورة الحجر، ص ٣٢٨.



والسرور والبشر، وأنَّ صيداً قد حضر دون جهد أو عناء، وما علموا أنَّ الذي حضر هو سوءٌ مصيرهم، وسوء المستقر^(١).

- قال المراغي (رحمه الله): «في هذا إيماءٌ إلى فظاعة فعلهم، إذ خالفوا ما جرى به العرف، ورُكِّب في الأذواق السَّليمة من إكرام الغريب، وحُسن معاملته، أما قوم لوط فقصدوا القيام بالفاحشة التي لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين»^(٢)، وهذه حالةٌ من الارتكاس معدومةٌ النظير^(٣).

ب- ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾^(٤) وَاقُولُوا لِلَّهِ لَا تُخْزُونِ:

قال: أي نبي الله لوط عليه السلام يُخاطب القوم الذين جاؤوا كالوحوش الكاسرة، وقد كُشِّرت عن أنيابها؛ إذ رأت طريدة أو فريسة. . قال مؤكداً مشيراً: إن هؤلاء الذين جئتم لأجلهم هم من أتحدث عنهم بصيغة التحديد، والإشارة للقريب^(٥).

- ﴿ضَيْفِي﴾: أي: ضيوفي، والمفرد والجمع مستعملان في هذه الكلمة، فتقول ضيف للمفرد، وضيف للجمع^(٦). وأضاف الضيوف إلى ضمير المتكلم، ليستخدم ما له عند قومِهِ من وجهِ اجتماعي.

- ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾؛ قال الزمخشري في تفسير هذه الكلمة: «بفضيحة ضيفي، لأنَّ من أُسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أُسيء إليه، وكما أنَّ من أكرم من يتصل به فقد أكرم»^(٧).

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٩.

(٣) في ظلال القرآن، ٤/ ٢١٤٩.

(٤) تفسير سورة الحجر، ص ٣٣١.

(٥) المصدر السابق، ٣٣١.

(٦) تفسير الكشاف، ٤/ ٥٠٢.

وقال المراغي: «وَحَقُّ عَلَى الرَّجُلِ إِكْرَامَ ضَيْفِهِ، فَلَا تَفْضَحُونِ فِيهِمْ، وَأَكْرَمُونِي بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ بِمَكْرُوهِ»^(١).

ج- ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾:

- ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ﴾: الواو للعطف، واتقاء الله تعالى يكون بما نهى عنه، وعمّا يغضبه، وعن انتهاك محارمه، وهذا من أشدّها عنده عز وجل.

وإنّ المشكل يتمثل في أنّ النَّاسَ تركوا مرجعية الشرع إلى مرجعية الهوى، فأصبح هواهم هو المرجع، بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير. ﴿وَأَقْبُوا﴾؛ أي: اجعلوا بينكم وبين غضب الله وقايةً وحاجزاً.

- ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾؛ الخزي شعورٌ من الداخل يفيض على الخارج ذلاً وانكساراً، ومهانة واحتقاراً، نتيجة فعلٍ أو عمل غير لائق^(٢).

من دروس وفوائد الآية:

- النفس مفطورةٌ على تجنّب ما يجلبُ الفضيحةَ والخزي والخيبة.

- الإنسان قيمة، وإنسان بلا قيم: عدم، والعدم خيرٌ منه.

- كم يعاني البشرُ من ضعف القيم، ويستمرّون في ذات النهج^(٣)!

د- ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: ذكّر لوطٌ عليه السلام قومه بالله، ونهاهم عن إلحاق الفضيحة به، وحاول أن يستنهض إنسانيتهم، ويستجيش بقايا الخير في نفوسهم، لكن يبدو أنّهم عدموا أي ذرة من هذا القبيل، فكان جوابهم ما سجّلته هذه الآية: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾؛ ألم نقل لك لا تستصف

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٧.

أحداً، ولا يقربك أحداً إن كنت لا تريد أن تُخرج نفسك، ولا توقعها فيما لا تحب؟! (١)

ولكنك لم تستجب! فيها أنت تستضيف هؤلاء، فلا لوم علينا، بل اللوم عليك. وتأمل كيف يفعل الكفر بصاحبه؛ إنه يُعَدُّ عنده الإحساس والإنسانية وأدنى درجات الشعور والحياء والمعاملة الحسنة مع الخلق، ويُحوّله إلى حيوان مندفع هائج لا يلوي على شيء.

وواضح أن ثمة كلاماً محذوفاً في قلوبهم ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي عن استضافتهم، أو دعوتهم، أو إحصارهم، أو أي شيء من هذا القبيل (٢).

ثم ذكّرهم لوط عليه السلام بالطريق الفطري الذي أحله الله تعالى لقضاء هذه الشهوة المتقدمة في نفوسهم (٣):

هـ- ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾؛ يعني: نساؤكم وأزواجكم، فإن للنبي مقام الأبوة في قومه، ويؤكّده ما حكاه الله عنه في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦]، ولكن الشذوذ والانحراف عن الفطرة السليمة سيطر عليهم، واستبدّ بهم، فغلب على عقولهم، وجمّد أحاسيسهم ومشاعرهم، ولهذا أقسم الله تعالى بعمر النبي ﷺ ليؤكد شدة الشذوذ عليهم.

١٥- قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]:

قال القاضي أبو بكر العربي (رحمه الله): قال المفسرون بأجمعهم: «أقسم الله تعالى هنا بحياة محمد ﷺ تشریفاً له». وهكذا قال القاضي عياض:

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٣) التفسير الموضوعي، ٣٩٤/٤.

«أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسمٌ من الله سبحانه وتعالى بمدة حياة محمد ﷺ»، وأصله ضم العين، من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال، ومعناه: وبقائك يا محمد ﷺ، وقيل: وحياتك، وهذا نهاية التعظيم، وغاية البر والتشريف^(١).

ولم يأت قسمُ الله تعالى بحياة النبي ﷺ معترضاً في قصة لوط كما رأى القرطبي في (تفسيره)، إذ الخطابُ موجهٌ منذ بداية القصة للنبي ﷺ، كما مرَّ معنا في قوله تعالى: ﴿نَبِيٍّ عَبْدِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِيَّهُمْ عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥١]، فهو إذاً متفق تماماً مع سياق الآيات، وستعود الآيات بعد قليل لتُخاطب النبي ﷺ كما سيأتي معنا^(٢).

فالخطابُ للنبي ﷺ، وليس لمن يشهد ذلك المشهد باتفاق المفسرين، وجاء مع سياق الآيات من أول القصة، ومع سياقها في نهايتها^(٣).

- ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: لقد استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنسَاهم طريقَ تقوى الله تعالى، وأفقدتهم سكرة الشهوة المحرمة عقولهم، وشلت تفكيرهم، ووأدَّت قيم النخوة والشرف والستر والغيرة في نفوسهم، فلم تجدِ النصائح محلاً في قلوبهم الغافلة.

وسكرة الشهوة المحرمة تعمي البصر عن رؤية قبح الفواحش، والبصيرة عن إدراك عاقبة مخالفة الغريزة وانتكاس الفطرة، فيُقدم تحت تأثيرها على اقتراف الذنوب، ومواقعة الفواحش، ومخالفة الفطرة السليمة، حتى يسقط في وحل الفواحش البهيمية، متخلياً عن عقله الذي كرمه الله تعالى به، وفطرته السليمة التي تميزه عن غيره من المخلوقات^(٤).

(١) تفسير القرطبي، ٣٩/١٠.

(٢) التفسير الموضوعي، ٣٩٥/٤.

(٣) المصدر السابق، ٣٩٥/٤.

(٤) في قصصهم عبرة، علي حسن العبدلي، دار كلمات، ٢٠٢١م، ص ٢٠٨.

- ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ؛ أي: ضلالتهم أو غوايتهم، وما أجمل قول البيضاوي (رحمه الله): «غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزال عقولهم وتميزهم»^(١).

- ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، أو يترددون، أو يلعبون^(٢).

وتبين الآية الكريمة شدة تأثير الشذوذ الجنسي على من ابتلي به، إذ يفقد معه تفكيره وتميزه وتوازنه، ويجعله منطمس البصر والبصيرة، فلا يرى ولا يبصر إلا ما يُطفئ غلمته، ويقضي شهوته.

وهذا يفسر لنا ما يُشر في الصحف عن فضائح لرجال كبار من ذوي المناصب العالية والوجاهة في مجتمعاتهم، ضبطوا وهم يمارسون هذا الشذوذ^(٣).

هكذا وقع هؤلاء الشَّهوانِيُّونَ في إغواء إبليس، وفي تزيينه لهم أقبح ما في الوجود من انحرافات خطيرة، فزَيَّنَ لهم الإلحاد، وهو نقيض الحق والعقل والفطرة في الماضي والحاضر، وزَيَّنَ لهم المخدرات والمسكرات، والشبهات والشَّهوات، ونجح في تدمير الكثير من عقول بني الإنسان، وأبدانهم، ومجتمعاتهم، واقتصادهم، وزَيَّنَ لهم الزنى، فلَمَّا ملَّوه، وتشبَّعوا منه تركوه إلى الشُّذُوز، ورأوه حسناً؛ لأن إبليس قد زينه لهم، ومالت نفوسهم إليه، فوقعت الطامة، وانطلت عليهم الغواية.

لقد قصرت أمة الإسلام في تبليغ رسالة الله للعالمين، وهي المهمة الأساس التي بُعث رسول الله ﷺ لأدائها. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، كما تخلَّفت عن الركب الحضاري، بسبب جمودها الفكري

(١) تفسير البيضاوي، ٥٧١/٣.

(٢) التفسير الموضوعي، ٣٩٥/٤.

(٣) المصدر السابق، ٣٩٦/٤.

وضياعها الاجتماعي، وانحرافها الاقتصادي، وضعفها القيمي، واستبدادها السياسي، وجَهْلها العلمي، وغيابها الإعلامي الدولي، فقد قصّرت في صَوْن دينها، وأداء رسالتها في الحياة، حتى عبَدَتْ حضارة إبليس التي تقود البشرية إلى الجريمة والبؤس والشقاء، وانطماس الفطرة، وإلى الدمار الشامل.

إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ لَتَعَالِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ومعرفة تاريخها من خلال قصص الأنبياء والمرسلين التي جاءت في الذِّكْر الْحَكِيمِ، لتلمسَ الطريقَ الصَّحِيحَ في إنجازاتها العقدية والروحية والأخلاقية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية، وهذه هي رسالةُ أمةِ الإسلام لكي تستأنفَ دورها، وتنهى عن المنكر على مستوى العالم، وتُقدِّمَ لهم النِّجَاةَ على نطاق البشرية، قال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إِنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ اسْتِئْصَالَ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي يَسُودُ فِيهَا الْفُسَادُ، ويستفحل فيها الداء، ولا يمكن إصلاحه، فقد أهلك الله تعالى الأمم المكذبة للأنبياء والمرسلين، واختلف نوع العذاب الذي وقع على تلك الأمم، لكن مصيرهم كان واحداً وهو الهلاك والدمار والاستئصال^(١).

١٦ - قال تعالى: ﴿فَاخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ [الحجر: ٧٣-٧٧]:

تفسير الآيات الكريمة:

أ - ﴿فَاخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾: في الآية السابقة تهديدٌ ضمنيٌّ لقوم لوط في

قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: هم غافلون عما يُدبّر لهم، وهنا في هذه الآية تمّ الإفصاح عن عذابهم وما حلّ بهم^(١).

- قال المراغي (رحمه الله): «أي فنزل بهم العذاب المنتظر، وأخذتهم الصّاعقة وقت الشروق، وكان ابتداءها من الصّبح، وانتهائها حين الشروق. ومن ثم قال أولاً: مصبحين، وقال هنا: مشرقين. وأخذ الصّيحة: قهرها لهم، وتمكّنها منهم، يقال للأسير: أخيد»^(٢).

وقال الهادي الشمراني في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصّيحَةُ مَشْرِيقِينَ﴾: وقال في سورة هود: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ فكيف؟ الجواب: أنّ ابتداء عذابهم كان صباحاً قبل شروق الشمس، واستمرّ حتى شروق الشمس، أو أنه ابتداء في الصباح وقت شروق الشمس^(٣).

وقال الشيخ مخلوف (رحمه الله) ﴿مُشْرِقِينَ﴾: «أي داخلين في وقت شروق الشمس، فكان ابتداء العذاب عند الصّباح وانتهائه عند الشّروق»^(٤).

ب - ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: هذه الآية تفصل أخذ قوم لوط بالصّيحة الذي ذكرته الآية السّابقة، وهنا البيان والتوضيح والتفصيل.

- ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا﴾؛ لما انقلبوا على الفطرة، قلب الله بأمره وبقدرته حياتهم ومساكنهم قلباً مادياً، فجعل أعلاها أسفلها، وأسفلها أعلاها، فنكسها، وحوّلها رأساً على عقب، والجزاء من جنس العمل، وهذا هو العدل^(٥).

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السّابق، ص ٣٤٨.

(٣) الدّروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية، عبد الهادي سعد هادي الشمراني، جامعة أم القرى، ١٤٢١ هـ، ص ٢٥٢.

(٤) صفوة البيان، ص ٢٩٥.

(٥) تفسير سورة الحجر، ص ٣٥٠.

- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: وهو النوع الثالث من أنواع العذاب الذي أنزله الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٧﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

فالمطر كان من حجارة، ولم يكن مطراً معهوداً كما زعم البعض، والحجارة من طين مستحجر، وكلُّ حجرٍ مُعَلَّمٌ بعلامة خاصة بصاحبه الذي أُعِدَّ له، فأهلكهم الله جميعاً؛ حاضريهم وغائبهم، إذ تبعتهم الحجارة، فضربتهم، وطهرت الأرض من فسقهم، ورجسهم^(١).

قال الرّازي: «واعلم أنَّ الآية تدلُّ على أنَّه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب:

أحدها: الصَّيحة الهائلة المنكرة.

ثانيها: أنه جعل عاليها سافلها.

ثالثها: أنه أمطر عليهم حجارةً من سِجِّيلٍ.

وكلُّ هذه الأحوال قد مرَّ تفسيرها في سورة هود»^(٢).

ثم عَقَّبَ الله سبحانه على ما نزل بقوم لوطٍ من أنواع العذاب، وذلك بقوله:

ج- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّالْمُتَوَسِّمِينَ﴾: لقد جاء التعقيب على إهلاك قوم لوط عليه السلام بهذه الآية. والمتوسِّمون: المتفرِّسون، المتفكرون، وأصحابُ الفراسة هم الذين يتدبَّرون الأمر، ويستنبطون منه العِظات والعبر والدُّروس^(٣).

قال الإمام الرَّاغِبُ عن التوسِّم: «الْوَسْم: التَّأثير، والسَّمة: الأثر، يقال:

(١) التفسير الموضوعي، ٣٩٨/٤.

(٢) التفسير الكبير، ٢١٣/١٩.

(٣) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، د. محمَّد عبد القادر أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥م، ص ٢٤٦.

وَسَمَّتِ الشَّيْءَ وَسَمًا: إذا أثرت فيه بسمّة، قال تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾؛ أي: للمعتبرين العارفين المتّعظين، وهذا التوسّم هو الذي سمّاه قوم: الزكّانة، وقوم: الفراسة، وقوم: الفطنة، وقال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». وتوسّمت: تعرفت بالسمّة... وفلان وسيم الوجه: حسنه^(١).

والمتوسّمون: هم المتفرّسون الباحثون عن الحق، والمتطلعون إلى معرفة ناموس الله في خلقه وكونه^(٢). ونحن نقول: توسّمت فيه خيراً منذ رأيتّه، أي تفرّست وتوقّعت، ففي كلمة فراسة بُعد نظر واستشراق^(٣).

- قال الشنقيطي (رحمه الله): «بيّن تعالى في الآية الكريمة، أنّ فيما أوقع الله تعالى من النكال بقوم لوط آيات للمتأملين في ذلك، تحصل لهم بها الموعظة والاعتبار، والخوف من معصية الله أن ينزل بهم مثل ذلك العذاب، الذي أنزل بقوم لوط لما عصوه، وكذبوا رسوله»^(٤).

- قال ابن القيم (رحمه الله): «مدح الله الفراسة وأهلها في مواضع من كتابه، هذا منها، والمتوسّمون هم المتفرّسون الذين يأخذون بالسيّماء، وهي العلامة، يقال: توسّمت فيك كذا، أي تفرّسته، وهي فعلاً من السّمة، وهي العلامة، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(١) المفردات في غريب القرآن، ص ٨٧١، ٨٧٢.

(٢) تفسير سورة الحجر، ص ٣٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥٢.

(٤) أضواء البيان، ٢/ ٢٨٦، التدبر والبيان، ١٧/ ٥٢٠.

وجاء في سنن الترمذي مرفوعاً: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(١).

- وقال السَّعْدِي (رحمه الله): «لِمُتَوَسِّمِينَ»؛ أي: المتأملين المتفكرين الذين لهم فكرٌ ورويةٌ وفراصةٌ، يفهمون بها ما أريد بذلك من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصاً هذه الفاحشة العظيمة، وأنَّ الله تعالى سيعاقبهم بأشنع العقوبات كما تجرَّؤوا على أشنع السيئات»^(٢).

- ﴿لِمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتأملين بعين بصيرتهم وبصرهم آثار هذه النِّقَم الظَّاهرة على تلك البلاد، فآثارهم في بحيرة لوط، أو البحر الميت لا تزال باقيةً وماثلةً للعيان في هذه المنطقة التي أصبحت نتيجةً ما حَدَثَ فيها أخفضَ منطقة في العالم عن مستوى سطح البحر، كما صارت بحيرةً منتنة لا يعيش فيها مخلوق مائي حتى الآن^(٣).

د- ﴿وَأَنَّهُمْ لَبِئْسَ لِمُقِيمٍ﴾: هذا التعقيبُ الثاني على القصَّة في هذه الآيات التي في سورة الحجر التي تتحدَّث عن قصَّة لوط عليه السلام.

والتعقيبُ الأول كان عن الدَّلالات العقلية، وهذه الآية تتكلم عن آية حسيَّة ملموسة مرئية، أعني آثارهم، فهي على طريق القوافل^(٤).

- ﴿وَأَنَّهُمْ لَبِئْسَ لِمُقِيمٍ﴾؛ أي: إنها واقعةٌ على الطريق الواضح الذي كان المشركون من أهل مكة يسиров فيه، عندما يسافرون من الحجاز إلى بلاد الشام، فيمرون عليها ليلاً ونهاراً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْحِحِينَ﴾^(٥) وَبِالْيَلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿[الصافات: ١٣٧ - ١٣٨]، ولكنهم لا يعقلون، فلا ينتفع بهذه القصص وما فيها من عبر ومواعظ إلا المؤمنون^(٥)؛ ولهذا قال سبحانه:

(١) التفسير القيم، ص ٣٣٦، تفسير سورة الحجر، ص ٣٥٥.

(٢) تفسير السَّعْدِي، ص ٥٥٧.

(٣) التفسير الموضوعي، ٤/ ٣٩٨.

(٤) تفسير سورة الحجر، ص ٣٥٥.

(٥) التفسير الموضوعي، ٤/ ٣٩٨.

هـ- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: قال السَّعْدِي (رحمه الله): «وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليله إبراهيم، فإن لوطاً عليه السلام من أتباعه، وممن آمن به، فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يَمروا على إبراهيم عليه السلام كي يبشروه بالولد، ويخبروه بما بُعثوا له، حتَّى أنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه، وكذلك لوط عليه السلام، لما كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرافة بهم، قدَّر الله من الأسباب ما به يشتدُّ غيظه وحنقه عليهم حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية، ازداد شرُّهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه»^(١).

إنَّ القرآنَ الكريمَ أمرَ المسلمين أن يسيروا في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، وقد وردَ ذلك في آياتٍ كثيرة:

- قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

نفهم من الآيتين الكريمتين أنَّ السير إذا قُصد منه الاعتبار والاعتاظ، فهو عبادةٌ يؤجر عليها المسلم، كما أنَّ السَّير في الأرض لا ينبغي أن يكون للهو واللعب، ولا يجوز أن تُرتكب فيه المحرَّمات^(٢)، وأنَّ القلوب المؤمنة مستعدةٌ للاتِّعاض، والتدبُّر، والانتفاع بالأحداث.

(١) تفسير السَّعْدِي، ص ٥٥٧.

(٢) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص ٣٧٧.

ثالثاً: قصّة لوط عليه السلام في سورة العنكبوت، وعلاقتها بقصة

إبراهيم عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَكَبَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ إِنِّي كُنتُ لَمِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٩﴾ وَتَقَطَّعُوا السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّبِّعْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ [العنكبوت: ٢٦-٣٥].

تحدثت سورة العنكبوت عن إبراهيم عليه السلام، ودعوته لقومه لتوحيد الله وتقواه وإفراده بالعبادة وشكره، وإقناعهم بالبعث والحساب والآخرة، وما تعرّض له من البلاء والامتحان، ونجاته من النَّار، وإيمان لوط به، وهجرة لوط مع إبراهيم عليه السلام، وتركهم لبلاد العراق في الله والله، ثم الانتقال إلى بلاد الشَّام، والدَّعوة فيها لله ربِّ العالمين، وموقف لوط عليه السلام من الانحرافات العظيمة التي وقع فيها القومُ المجرمون المفسدون المعتدون المفسدون.

تفسير الآيات الكريمة:

١ - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

بعد أن منَّ الله تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام بمعجزة النجاة من النَّار التي صَنَعَهَا له حاكمُ العراق، هاجر عليه السلام إلى أرض الشَّام بحثاً عن وطن يجدُّ فيه الأمن، الذي لم يجده في العراق، ويعبد الله سبحانه وتعالى على ما يُحِبُّ، ولا يُحَارِبُ من أجل معتقده، ولا يُجبر على عبادة ما لا يريد ولا يصحُّ أصلاً، ولا يُفْتَن في دينه، وينشر ما آمن به من التَّوحيد والدين، ويدعو النَّاس ويعلمهم كلَّ ذلك^(١).

أ - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾: وكان لوط عليه السلام قد آمن بنبوَّة إبراهيم عليه السلام، بعد أن رأى معجزة النَّار التي لم تحرق خليلَ الله إبراهيم عليه السلام، فتيقَّن أنه نبيُّ مرسل من الله سبحانه، وأن الذي حصل لم يكن حَدَثاً عابراً، وإنَّما كان معجزةً صنعتها يدُ الخالق العظيم، وفي هذا إشارة للنَّاس عامة وللمؤمنين خاصة في أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُنبت الفرج من بين أنياب الضَّيق، فحاكم العراق أراد حرق النبي الخليل إبراهيم عليه السلام، فكانت قصَّة الحرق سبيلاً لإيمان لوط عليه السلام. وكسب إبراهيم عليه السلام دعماً جديداً من مؤمن جديد بعد سارة زوجته، قال الإمامُ القرطبيُّ: في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾: إنَّ لوطاً أوَّل من صدق إبراهيم حين رأى النَّار عليه برداً وسلاماً^(٢).

وقال الشَّعراوي: في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾: «جاءت جملة

(١) ملة أبيكم إبراهيم، عبد الستار كريم المرسومي، ص ٨٠.

(٢) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، ٣٣٩/١٣.

اعتراضية في قصّة إبراهيم عليه السلام؛ لأنّه المحصّلة النهائية لدعوة إبراهيم في قومه؛ لذلك يعود السياق مرة أخرى إلى إبراهيم عليه السلام»^(١).

ب - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾؛ أي: إنني مهاجر إلى حيث أعبدُ ربي بحريّة، وأستأنسُ بطاعته، فلا أستوحشُ برؤية أصنامكم وأوثانكم، ولا أعاني من أذاكم وأنا بعيدٌ عنكم^(٢). و﴿إِلَى رَبِّي﴾؛ لا إلى غيره، بل إلى عبادته، وإقامة شعائر دينه، والقيام بدعوة الخلق إلى الحق، من شرّعه وتوحيده^(٣).

إنّما هاجر إلى ربّه ليكون متقرّباً له، ملتبجاً إلى حمّاه، هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجرَ بلحمه ودمه، هاجر إليه ليُخلّصَ له عبادته، ويُخلّصَ له قلبه، ويُخلّصَ له كيانه كلّ في مهجره، بعيداً عن موطن الكفر والضلال؛ بعد أن لم يبقَ رجاءٌ في أن يفِيء القومُ إلى الهدى والإيمان بحال^(٤).

إنّ هجرة الداعية إلى الله تعالى من بلد لا يتمكّن فيه من عبادة الله عزّ وجلّ إلى بلد يتمكّن فيه من ذلك، من أعظم أسباب نجاح دعوته، فإن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، وأعظمُ الدعاة بعد نبينا محمد ﷺ؛ وهو أولُ من اتخذ هذه الوسيلة لنجاح دعوته، فقد هاجر من بلاده وترك وطنه ورغب عنه، كلّ ذلك في سبيل الدّعوة إلى الله تعالى، فقد خرج من أرض العراق مهاجراً إلى بلاد الشّام، هو وابنُ أخيه لوط وامراته سارة عليهم السلام ليتمكّن من عبادة ربّه ودعوة الخلق إليه، وخرج من الشّام إلى مصر ثمّ رجع إلى الشّام، ثم خرج إلى مكّة المكرّمة

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ١٨/١١١٣٢.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٦/٣٨٣.

(٣) محاسن التّأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ١٣/١٤٧.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٢٧٣٢.

حيث ترك فيها ابنه إسماعيل وأمه هاجر كما هو مشهور معلوم، ولما هاجر هذه الهجرة رزقه الله أولاداً صالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب^(١).

وقد وضع إبراهيم (عليه السلام) بهجرته لبننة أخرى من لبنات ملة إبراهيم الحنيفية السمحة، فهجرته تقول لنا: إن المسلم لا ينبغي أن يبقى بأرض لا يستطيع أن يعبد الله سبحانه وتعالى فيها حق عبادته، ويعجز فيها أن يعلن عن عقيدته ودينه، ويمنع أن يقول مقالة الصدق والحق، ولا يسعه أن يفعل الخيرات ويرفض المنكرات، وإن هؤلاء الذين يبقون في أرض يشاركون الكفار حياتهم خوفاً وطمعاً، ولا يضعون اعتباراً لعقيدتهم ولدينهم؛ وسيحاسبهم الله سبحانه على ذلك؛ لأنهم لم يخرجوا إلى أرض يحققون فيها ما يحبون، أو على الأقل ما أمروا به مما جاءهم من ربهم من الحق^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وظالمي أنفسهم هنا في هذه الآية: أي الذين لا يهاجرون إلى حيث أمرهم الله تعالى عن طريق نبيه ﷺ، ولكن هذا الحكم ليس عاماً؛ لأن فيه استثناء للضعفاء الذين فقدوا الحيل، وانقطعت بهم الأسباب وإن كانوا رجالاً، فحسبهم العذر من الهجرة، وكذلك فيه رخصة للنساء والأطفال؛ لأنهم بحكم المستضعفين، فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ٩٨ ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨-٩٩]، وأمّا الرجال والشباب القادرين على الهجرة فلا استثناء لهم^(٣).

(١) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء، جدة، المملكة

العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ص ٤٦٥.

(٢) ملة أبيكم إبراهيم، عبد الستار كريم المرسومي، ص ٨١.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٢.

كما ينبغي أن تكون الهجرة لوجه الله عز وجل وفي سبيله، لا من أجل مصالح دنيوية أو مآرب شخصية، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

إِنَّ الله عز وجل قد وَعَدَ من يخرج مهاجراً في سبيل الله سبحانه وتعالى أن يفتح له المغاليق ويسر له أمره، ويوسع له في رزقه، ويفرج عنه ما كان ضيقاً، هذا ما دام على قيد الحياة، وأما إن مات فسينال ثواباً خاصاً به^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ إشارة إلى ما يقتضيه الإيمان بالله من ابتلاء بضروب من الشدائد والمحن، والهجرة إلى الله هي الاتجاه إليه سبحانه، والانخلاع عن كل ما يعوق مسيرة المؤمن عن طريق الإيمان، حيث يتخطى المؤمن المهاجر إلى الله كل ما يعترض طريقه من أهل ومال ووطن، وحيث لا يلتفت إلى ما يصيبه في نفسه من ضرر وأذى، ولو كان الموت راصدًا له.

وفي هذا إشارة للمؤمنين الذين كانوا تحت يد قريش، يُسامون الخسف، ويتجرعون كؤوس البلاء مترعة، إنهم في هجرة إلى الله وإن لم يهاجروا من بلدهم، ولم يخرجوا من ديارهم، وإنهم لفي هجرة إلى الله، إن هم خرجوا من ديارهم وهاجروا من بلدهم، فالمؤمن بالله إيماناً حقاً في هجرة إلى الله دائماً، ما دام قائماً على طريق الحق والخير، يهجر كل منكر، ويجتنب كل فاحشة،

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم ١.

(٢) ملة أبيكم إبراهيم، عبد الستار كريم المرسومي، ص ٨٢.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» (١).

وقد كانت هجرة لوط مع عمه إبراهيم عليهما السلام هجرة مباركة، إذ التقى على طريقه إلى الله بالنبوة، فكان من المصطفين الأخيار من عباد الله المكرمين (٢).

ج- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: ولما كانت هجرة إبراهيم عليه السلام هدفها إظهار دين الله عز وجل، والتّمكن له، كان من المناسب أن يقول: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، و﴿الْعَزِيزُ﴾؛ أي: له العِزَّة ولسوله وللمؤمنين، و﴿الْحَكِيمُ﴾؛ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدريّة والشرعية (٣).

وفي قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: الذي له القوّة، وهو يقدر على هدايتكم ولكنه حكيم ما اقتضت حكمته ذلك (٤).

وقد اختار إبراهيم عليه السلام في هذا الموضع من صفات ربه ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ أي: الذي لا يُغلب ولا يَغلب، وهذه الصفة تناسب ما كان من محاولة إحراقه، وكأنه يقول للقوم: أنا ذاهبٌ إلى ﴿الْعَزِيزِ﴾، الذي عزّ كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا يُنال جنابه لعزّته ولعظمته وجبروته وكبريائه (٥).

و﴿الْعَزِيزُ﴾؛ الذي له العِزَّة كلها: عزّة القوة، وعزّة الغلبة، وعزّة الامتناع،

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٤٨٤.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ١٠/٤٢٥ - ٤٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ٦/٢٨٢.

(٤) تفسير السّعدى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ١٣١١.

(٥) والله الأسماء الحسنی، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٤٠٥.

فامتنع أن يناله أحدٌ من المخلوقات، وقَهَر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته^(١).

وقد اختار إبراهيم عليه السلام اسمَ الله ﴿الْحَكِيمُ﴾؛ أي: في تصرفاته، فلا بُدَّ من أن سبحانه سينقله إلى مكانٍ يناسبُ دعوته، وأناس يستحقُّون الدَّعوة بما لديهم من آذان مُصْغية للحق، وقلوب متشوّقة إليه، وتنتظر كلمة الحق التي أعرضتم عنها^(٢).

﴿الْحَكِيمُ﴾؛ هو الله عزَّ وجلَّ، الموصوفُ بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم واسعُ العلم والاطِّلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، وواسعُ الحمد، تأمُّ القدرة، غزيرُ الرِّحمة، وهو الذي يضعُ الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدحُ في حكمته مقال^(٣).

ولما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه، وفارقهم وهم بحالهم البعيد عن عبادة الله؛ لم يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم. فأما ما يُذكر من الإسرائيليات أنَّ الله تعالى فتح على قومه بابَ البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقَّفُ الجزمُ به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعلَّ من أسرار ذلك أنَّ الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلهم؛ فلم يدعُ على قومه كما دعا

(١) والله الأسماء الحسنی، المصدر السابق، ص ٤٠٥.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ١١١٣٥/١٨.

(٣) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشَّافية، عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، دار ابن القيم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٥٠.



غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذاباً عاماً. ومما يدلُّ على ذلك أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال^(١).

٢ - قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]:

هذا فيضٌ من العطاء جزيل، يتجلَّى فيه رضوانُ الله سبحانه على الرجل الذي يتمثل فيه الخلوَصُ لله بكليته، والذي أجمع الطُّغيان على حرقه بالنار، فكان كلُّ شيء من حوله برداً وسلاماً، وعطفاً وإنعاماً، جزاءً وفاً^(٢).

أ - قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: لقد آنسه الله سبحانه وتعالى في غربته، ورزقه الذرية الطيبة الصالحة بعد أن تقدَّم به العمر، وعاش حتى قرَّت عينه برؤية حفيده يعقوب بن إسحاق، كما وهب له سبحانه إسماعيل قبل ذلك أيضاً من هاجر المصرية، ويبدو أنَّ الآيات سكنت عن ذكره هنا؛ لأنه عاش مع أمه هاجر منذ كان رضيعاً في أرض الحرم بعيداً عن إبراهيم عليه السلام، فما استأنس إبراهيم في العيش معه كما استأنس بإسحاق ويعقوب عليهما السلام^(٣).

وفي كلمة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾؛ تعني: أن الابن الصالح هبةٌ من الله عزَّ وجلَّ، فمن كان له ولدٌ صالح فليسجد لله عزَّ وجلَّ، وليتضرَّع إليه بقوله: يا ربَّ لك الحمدُ على هذه النعمة، فما من نعمة أعظم من أن يكون لك ولدٌ صالح، يعبدُ الله من بعدك، ويُعلِّم الناس الخير^(٤).

(١) تفسير السَّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ١٣١١.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٧٣٢.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٦/ ٣٨٤.

(٤) تفسير النابلسي «تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة»، ٩/ ٢٢١.

فكيف بإبراهيم عليه السلام الذي رزقه الله إسحاق ويعقوب، وجعلهما من الأنبياء والأئمة الذين يَهْدُونَ بأمر الله، وأوحى إليهم فِعْلَ الخيرات، والمحافظة على الصلوات وإعطاء الزكوات، ووصفهم بأنهم: ﴿وَكَاْنُوا لَنَا عٰبِدِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ب - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: لم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبيٌّ إلا من ذرّيته، ولا نَزَلَ كتابٌ إلا على ذرّيته حتى خُتِمُوا بابنه المصطفى محمد (صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين)، وهذا من أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح والفوز في ذرّيته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون^(١).

فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وأبٌ لجميع المؤمنين بالوحي، والرسالة، والملة الحنيفية التي بُعث بها إبراهيم عليه السلام، وأبناءؤه من الأنبياء والرسل الذين جاؤوا من بعده، وهي دعوة التوحيد^(٢). وفي قوله ﴿وَالْكِتَابَ﴾؛ أي: الكتب التي نزلت على الأنبياء من ذرّيته، وهي: القرآن، والإنجيل، والتوراة، والزبور^(٣).

ج - قوله تعالى: ﴿وَعَايَنْتَنَاهُ جَعْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِيْنَ﴾:

قال ابن كثير: «أي: جَمَعَ الله له بين سعادة الدنيا الموصلة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيء، والمنزل الرَّحْب، والمورد العذب، والزوجة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكلُّ أحدٍ يحبه ويتولاه - كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم - مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه»^(٤).

(١) تفسير السَّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ١٣١١.

(٢) أضواء البيان، ١/ ٨٥، ٨٦.

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ١٨/ ١١١٣٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٨٤، ٢٨٥.

- ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ يعني ليس له في هذه الدنيا المقام المحمود فحسب، بل له في الآخرة ثواب الدلالة والرسالة، وهو كونه من الصالحين، وله في الآخرة كلُّ ما يريد من حسن الثواب.

وهذه المرتبة التي نالها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كانت بسبب تحقيقه للتوحيد ودعوته إليه، وقد ذكر الله أخباره في القرآن، وبين موافقه العقدية، وأنه كان أمة قانتاً لله حنيفاً، وما كان من المشركين، والأنبياء كلهم على منهاجه؛ لكنه تميز بما ذكره الله من صلابته في الدعوة إلى التوحيد، وسعة علمه، وطول نفسه، وشمول دعوته^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٣٠].

تفسير الآيات الكريمة:

أ - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾:

ينتقل السياق من قصة إبراهيم لقصة أخيه لوط، ونلاحظ أن القرآن في الكلام عن نوح وإبراهيم ولوط بدأ الحديث بذكره أولاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

(١) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ٧١ / ٢٦.

قالوا: لَأَنَّ قَوْمَ نوح، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، لم يكن لهم اسمٌ معروف، فذكر أنبياءهم أولاً، أمّا عاد وثمود ومدين فأسماء لأناسٍ معروفين، ولهم قرى معروفة، فالأصلُ أَنَّ القومَ هم المقصودين بالرسالة والهداية، لذلك يُذكرون أولاً، فهم الأصلُ في الرسالة، أمّا الرسولُ فليست الرسالةُ وظيفةً يجعلها الله للواحد من الناس^(١).

وأمّا الآيةُ الكريمة، فمعناها: واذكر يا محمد لوطاً حين قال لقومه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وإن الفاحشةَ والفحشاء: هي ما عَظُمَ قبحه شرعاً وعقلاً وطبعاً من الأفعال والأقوال والتصرفات. وجمعه يدلُّ على تعدُّد الأنواع التي أطلق عليها الفواحش، وتنوعه إلى فواحش ظاهرة، وفواحش باطنة؛ ولذلك فقط كان مُستغرباً الفهم العجيب في قصر مفهوم الفاحشة على جريمة الزنى، فهذا يجعلُ النَّاسَ يعتادون الفاحشة الأخرى ولا ينكرونها، والله يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]^(٢).

فالفاحشةُ: هي القولُ والعملُ القبيحان، والحياةُ الدُّنيا طافحةٌ بالفواحش، فالقتلُ فاحشة، والخيانةُ الزوجية فاحشة، والزنى فاحشة، وتضييعُ العقل في شرب الخمر فاحشة، فعظم القبح في الأقوال والأفعال يُسمَّى فواحش^(٣).

وإتيانُ الذَّكران فاحشة، وهي التي اشتهر بها قوم لوط، وكانوا يأتون الفواحشَ كلّها، ولم يستحيوا من ارتكابها، فكانوا يأتون الفواحشَ ما ظهر منها

(١) تفسير الشعراوي، ١٨، ١١١٤٠.

(٢) تفسير القرآن بالقرآن، د. طه العلواني، ص ٨٣٣.

(٣) تفسير النابلسي، ٢٢٣/٩.

وما بطن، وأبرزها الفاحشة التي رفضها الشرع، ونفر منها العقل، وحقرها الطبع؛ وهي إتيان الرجال شهوة من دون النساء، كما أنهم لم يكونوا يتعففون عن أي قول فاحش، أو تصرف فاضح، أو فعل منافٍ لكرامة الإنسان وحيائه، وما يقوم عليه المجتمع والأسرة، وكل تلك الأمور بالنسبة لهم بعيدة عن تفكيرهم، خارجة عن اهتماماتهم، كما كانوا يقطعون الطريق، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ولا يتعففون عن منكر أبداً، ولا يترددون في مفارقة أي منكر تُوحي شياطينهم إليهم به في مُتندياتهم وأماكن اجتماعهم^(١).

- ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ إشارة إلى أن هذه الفاحشة، إنما فعلها قوم لوط أول الناس، ولم يسبقوا إليها، أو أنها شاعت في قوم لوط شيوعاً لم يكن من قبل^(٢).

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله): «لا يعني هذا أن أحداً لم يفعلها قبلهم، لكنها إن فعلت؛ فهي فردية ليست وباءً منتشرًا كما في هؤلاء»^(٣).

لقد استشرى بين القوم شذوذٌ عجيبٌ، وقد ذكر القرآن الكريم أنه يقع لأول مرة في تاريخ الإنسانية، ومن خطاب لوط عليه السلام يظهر أن الفساد قد انتشر بينهم بكل ألوانه، فهم يأتون الفاحشة الشاذة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، وهي فاحشة شاذةٌ قدرة، وهي تدلُّ على انحراف الفطرة وفسادها من أعماقها^(٤).

وقد انتشرت فيهم هذه الآفة، ونتج عن إتيانهم لها فواحش أخرى متصلة بها، قال تعالى:

(١) تفسير القرآن بالقرآن، ص ٨٣٤.

(٢) تفسير النابلسي، ٩/ ٢٢٤.

(٣) تفسير الشعراوي، ١٨/ ١١١٤١.

(٤) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٣.

ب - ﴿أَيِّنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾: كانوا يأتون الرجال، ويقطعون السبيل، ويأتون في ناديتهم المنكر، ونرى أنَّ هذه الجرائم مرتبطة بالفاحشة الشاذة، فكانوا يأتون الرجال شهوةً من دون النساء، وكانوا يقطعون السبيل طلباً لشذوذهم، فيجلسون على الطريق، ومن يمرُّ بهم من الرجال يأخذونه ليفجروا به، ويَرْضُوا بذلك نفسيتهم المنحرفة، وكانوا يأتون في ناديتهم المنكر؛ والمنكر هو الممارسات والتصرُّفات الشاذة المرتبطة بذلك الشذوذ^(١).

- ﴿أَيِّنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: استقلَّ قومُ لوط عليه السلام بالرجال دون النساء، وهو موضعُ قدر وطريق يؤدي إلى دمار النوع البشري، وتعطيل المرأة، فلم يكن انحرافهم عن مبادئ الشريعة فحسب، بل انحرفوا عن مبادئ الفطرة أيضاً، وسلَّكوا سبيلاً شاذاً، فكان هذا المرضُ العضالُ الذي يهدد البشرية اليوم من أقصاها إلى أقصاها.

ما من ناقوس خطر يُدقُّ الآن بأشدَّ إيقاعاً على النفس من ناقوسِ خطر هذا المرض العضال (مرض قوم لوط) الذي تعاني منه البلادُ المتحللة التي لا منهجَ لها^(٢)، إلاَّ منهج إبليس اللعين، والشيطان الرجيم، والتي لا تؤمنُ بمنهج الله عزَّ وجلَّ القائم على الطَّهر والعلاقات الزوجية بين الذكر والأنثى، وفَقَّ عقود النكاح التي شرعها الله عزَّ وجلَّ.

- ﴿أَيِّنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾؛ هذا انحرافٌ عن الطبيعة السَّوية، وطريقٌ لغضب الله وسخطه، ومثله إتيانُ المرأة في الدُّبر في غير مكان الحرث، وكذلك السَّحاق الذي ابتليت به بعض النساء.

(١) القصص القرآني، ١/ ٤٨٤.

(٢) تفسير النابلسي، ٩/ ٢٢٤.

- ﴿وَقَطَّعُوا السَّبِيلَ﴾؛ فينهبون المال، ويروِّعون المارة، ويعتدون على الرجال بالفاحشة كرهاً، وهي خطوة أبعد في الفاحشة الأولى، إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض^(١).

قال محمد راتب النابلسي في تفسيره للآية: «إنَّ هؤلاء القوم الشاذين، حينما يأتون الرجال؛ يقطعون النسل، ويقطعون سُبُلَ الزواج، ويقطعون سبيلَ الله في شرعه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]».

فالله عزَّ وجلَّ كرَّم هذه المرأة، وخلَقها خَلْقاً تُكَمِّل به الرجل، فتُنجب الأولاد الأطهار، وتكوِّن معه أسرة طيبة، لكن هذا الخلق الإلهي عُطِّل بفعل قوم لوط، وقُطعت هذه العلاقة الطيبة، ولا أكتمكم أنَّ هناك حقائق اجتماعية في بلاد الغرب يندى لها الجبين، قد لا تصدِّق لهولها، فالآن تجري عقود الزواج بين الشَّبَّان أنفسهم في بلاد أمريكية وأوربية، وهناك انحرافات لا عن منهج الله فحسب، بل عن أصل الفطرة الإنسانية^(٢).

والتفسير الآخر لقطعهم السَّبيل: أنَّ قومَ لوط عليه السلام كان إذا مرَّ بهم شَبَّان أخذوهم عَنوةً، وفعلوا بهم الفاحشة، وعذبوهم. وهذا المعنى هو المعنى التاريخي، وهو جريمة ثابتة، فالانحراف السلوكي جريمة أولى، والجريمة الثانية أن يُرغم الإنسان الشاذ إنساناً آخر على أن يفعل به الفاحشة^(٣).

- ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾: يأتونه جهاراً في شكل جماعي متفق

(١) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٣.

(٢) تفسير النابلسي، ٩/ ٢٢٥.

(٣) المصدر السابق، ٩/ ٢٢٥.

عليه، لا يخجلُ بعضهم من بعض، وهي درجةٌ أبعد في الفحش وفساد الفطرة، والتبجح بالرديلة إلى حدٍّ لا يُرجى معه صلاح^(١).

قال الحافظُ ابنُ كثير (رحمه الله): يفعلون ما لا يليقُ من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا يُنكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، فمن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضاً في الملاء، قاله مجاهد. ومن قائل: كانوا يتضارطون ويضحكون، قالت عائشة رضي الله عنها والقاسم بن محمد. ومن قائل: كانوا يُناتحون بين الكباش، ويُنافرون بين الدُّيوك، وكلُّ ذلك كان يصدرُ عنهم، بل كانوا شراً من ذلك^(٢).

وعن أمِّ هانئ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ قال: «كانوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الْأَرْضِ، ويسخرون منهم»^(٣).

وعن عبد الله بن مغفل (رضي الله عنه) قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الخذف، وقال: «إنَّه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو، وإنه يَفْقَأُ الْعَيْنَ، ويكسر السن»^(٤).
والخذف: الرميُّ بالحصاة^(٥).

قال النَّووي (رحمه الله): «في هذا الحديث النَّهْيُ عن الخذف، لأنه لا مصلحة فيه، ويُخاف مفسدته، ويلتحقُ به كلُّ ما شاركه في هذا»^(٦).
وحَدَّدَ المكانَ الذي يفعلون به منكرهم بقوله: ﴿فِي نَادِيكُمْ﴾؛ وهذا كنايةٌ عن المجاهرة بالمعاصي، وعدم الحياء من فعلها^(٧).

(١) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) سنن الترمذي، ٥/ ٣١٩، رقم ٣١٩٠. حديث حسن.

(٤) البخاري، رقم ٦٢٢٠، مسلم، رقم ١٩٥٤.

(٥) فتح الباري، ٩/ ٧٥٨.

(٦) شرح مسلم، ١٣/ ٨٩.

(٧) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ١١٨.



وحَدَّدَ الذي يأتونه: ﴿الْمُنْكَرُ^ط﴾؛ وهو ضدُّ المعروف. والمنكر: كُلُّ ما تحكُّمُ العقولُ الصَّحيحةُ بقبحه، وهو في الشَّرْع: كُلُّ ما استقبَّحه وأمر بتركه. واللام في كلمة ﴿الْمُنْكَرُ^ط﴾ للجنس، وهو يفيدُ العمومَ ليشملَ كلَّ أنواع المنكر وأشكاله^(١).

إنَّ جرائمهم متراكمة؛ جريمة الشُّذوذ الأخلاقي، وجريمة الإكراه عليه، وجريمة إتيانه أمام الملأ، وهذا الذي يأتي بهذه الجرائم واقعٌ بشيء مخيف، وبواقع مُدمر^(٢)، مع منكرات أخرى تدخل في المعاصي والذنوب والكبائر.

إن لوطاً عليه السلام استمرَّ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لأبناء قومه، وحذَّره من عذاب الله، وانتقامه، وسَطوته، وأنذرهم، وأوعدهم، فجاء جوابهم كما ذكرت الآية الكريمة:

ج - ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأُتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

هذا الذي يقول: ﴿أُتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ إنسانٌ جاهلٌ جهلاً مُطبّقاً، لا يعرف الله، ولا يعرف نفسه، ولو عرف نفسه لعرف ربّه، فالإنسانُ كلما زاد علمه زاد أدبه مع الله، وكلما زاد علمه زادت خشيته، وكلما زاد علمه زاد خوفه، وكلما زاد علمه زاد تواضعه؛ ولذلك قال الشَّافعي (رحمه الله): كلما ازدادتُ علماً ازدادتُ علماً بجهلي^(٣).

وعلاوة العالم التواضع، وعلامة الجاهل التكبر، والقضيّة قضيةٌ وقت، فهذه

(١) النظم القرآني، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٢) تفسير النابلسي، ٢٢٦/٩.

(٣) المصدر السابق، ٢٢٦/٩.

الحقائق كلها، لابد أن يعرفها الإنسان، وستكشف له عند الموت، كما قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. والمهم أن يعرف الإنسان الحقيقة قبل فوات الأوان^(١).

كانت إجابة قوم لوط تدل على جهلهم، وتكبرهم، وتبجحهم، وتحديهم المصحوب بالتكذيب، والشُّرود الذي لا تنتظر منه أوبة، وقد أعذر إليهم رسولهم، فلم يبق إلا أن يتوجّه إلى ربه طالباً نصره الأخير^(٢).

د- ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾: وهذه استغاثة من لوط عليه السلام، ودعاء منه لربه، وخالقه، ومالك أمره.

- ﴿قَالَ رَبِّ﴾؛ فالربُّ هو القادرُ الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر، الذي يُضِلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء، ويُسعد من يشاء، ويُشقي من يشاء، ويُعزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني الربوبية التي له منها ما يستحقُّ من الأسماء الحسنى^(٣).

ودعاء لوط: ﴿رَبِّ﴾؛ يدلُّ على قُربه وحُسن الصلة بالله عزَّ وجلَّ، وطلب النصرة من الله تعالى على القوم المفسدين. فرَّق بين الفاسد في ذاته والمفسد لغيره، فإيا ليتهم كانوا فاسدين في أنفسهم، إنما كانوا مفسدين يتعدَّى فسادهم إلى غيرهم^(٤).

(١) تفسير النابلسي، المصدر السابق، ٢٢٧/٩.

(٢) في ظلال القرآن، ٢٧٣٣/٥.

(٣) فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر، ص ٩٣، بدائع الفوائد، ٢/٢١٢.

(٤) تفسير الشعراوي، ١١٤٦/١٨.



فقد كانوا يفسدون النَّاسَ بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعاً وكرهاً، ولأنهم ابتدعوا الفاحشة، وسنّوها فيمن بعدهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]. فأراد لوطٌ عليه السلام أن يشتدَّ غضبُ الله عليهم، فذكر - لذلك - صفة المفسدين في دعائه^(١).

وذكر لوطٌ عليه السلام هذا الوصف: ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ تمهيداً للإجابة بالنصر؛ لأنَّ الله تعالى لا يحبُّ المفسدين^(٢).

وتعريفُ الفساد في الاصطلاح الشرعي: كلُّ المعاصي والمخالفات لأحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها^(٣)، فهو يتناول جميع الشر من المحرمات؛ إذ هو في حقيقته خروجٌ عن منهج الله تعالى^(٤). يقول ابن كثير (رحمه الله): «الفساد: هو العملُ بالمعصية»^(٥).

ويقول الشوكاني (رحمه الله) في تفسيره للآية الكريمة: «وإفسادهم هو ما سبق من إتيان الرجال، وعمل المنكر في ناديم»^(٦).

ويلاحظُ اليوم أنَّ مفسدي الأرض يتجهون إلى إشاعة اللواط والسحاق عبر وسائل الإعلام، فقد انتهى هؤلاء إلى التحايل لفرضهما على الساحة الفكرية بإثارة الموضوع، والكلام فيه بين أخذ وردّ، مرةً في معرض الاستنكار، وأخرى في معرض الدراسة، وثالثة في معرض الاطلاع، وقد انتقلوا اليوم إلى إبراز

(١) تفسير الكشاف، ٥٠٩/٦.

(٢) التحرير والتنوير، ٦٨٣/٨.

(٣) الفساد الإداري، محمد معاينة، ص ٧٤.

(٤) الفساد مفهومه أسبابه، عبد الله الجبوسي، ص ١٧٧.

(٥) تفسير ابن كثير، ٧٩/١.

(٦) المنهاج القرآني في مواجهة الفساد المالي، محمد سلطان الخور، ص ٣١.

بيوت الدَّعارة على أنَّها من المفِرزات الصحيَّة للحرية، وباتت أخبارُ متزعمي هذه الضَّلالات، وصورهم تتصدَّر وسائل الإعلام، ويُقدَّمون على أنهم نجومٌ يُصنِّق لهم المعجبون، ويتأثَّر بهم المراهقون^(١).

إنَّ انتشارَ هذا الفساد الكبير دون الوقوف ضده، وبيان مخاطره وتبعاته من خلال التَّاريخ الإنساني وسُنَّة الله في المفسدين؛ يندُرُ بقدوم كارثة لا يُمكننا تصوُّرها، إذا لم نَقم بواجب النصيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى العالمي، والشهود الحضاري.

إنَّ سُنَّة الله ماضيةٌ في المفسدين، ولن تجدَ لِسُنَّة الله تبديلاً، ولن تجدَ لِسُنَّة الله تحويلاً، وسُنَّة الله لا تجامل ولا تحابي.

إنَّ الفاحشة التي ابتدعها قومُ لوط من أكبر الفواحش وأشنعها، فهي انتكاسةٌ خطيرةٌ عن الطَّبيعة البشريَّة، تنتج عنها آثارٌ سيئة لا تقتصرُ على مرتكبها فحسب، بل تتعدَّى إلى المجتمع الذي تُرتكب فيه الفاحشة. وقد عدَّد ابنُ القيم (رحمه الله) الحكم العالية والمصالح الكبيرة في مِثْل الذكر للأُنثى والأُنثى للذكر، ثم قال: المفسدةُ في اللواط تقاوم ذلك كُلَّه، وتربو عليه بما لا يمكن حَصْر فساده، ولا يعلمُ تفصيله إلا الله^(٢).

ولِعَظَم هذه الفاحشة، وخطورتها على المجتمع، وللآثار السيئة التي تنجم عنها، وما تجرَّه من فواحش أخرى مما يجعلُ ضررها ما حاق لا بالنسبة للأفراد فحسب، بل للمجتمع الذي تُرتكب فيه برمته. ووصف لوطُ قومه بالمفسدين، ودعا ربَّه لنصرته عليهم: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)، فكان عاقبتهم ما سجَّله القرآن الكريم، ومرَّ معنا تفصيله.

(١) من أنباء القرى، د. أحمد الكبسي، ص ٢٥٣.

(٢) بدائع التفسير، ٢/ ٢٦٠.

(٣) السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، د. أمحزون، ٣/ ٣٧٠.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّوْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُمْ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿[العنكبوت: ٣١-٣٢].

تفسير الآيات الكريمة:

أ - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: هذا المشهد مشهد الملائكة مع إبراهيم عليه السلام، وجاء مختصراً في هذا الموضع، لأنه ليس مقصوداً، وقد سبق في قصة إبراهيم عليه السلام أن الله وَهَبَ له إسحاق ويعقوب، وولادة إسحاق في موضوع البشري، ومن ثم يُفصل قصتها هنا، والغرض هو إتمام قصة لوط، فذكر أن مرور الملائكة بإبراهيم كان للبشري، ثم أخبروه بمهمتهم الأولى، وهي إهلاك القرية الظالم أهلها^(١).

ب - ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: يُشعر الأسلوب القرآني في سورة العنكبوت، بأن المقصد الأصلي من مجيء الرسل، والهدف من إرسالهم هو إهلاك أهل القرية للظالمين، وقد ربط الله عز وجل مجيء الرسل والإهلاك بقوله: ﴿وَلَمَّا﴾؛ والمعنى: ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشارة بالولد والحفيد، قالوا لإبراهيم عليه السلام: إِنَّا مُهْلِكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وهي قرية سدوم التي فيها لوط عليه السلام، وعلموا ذلك بأنهم كانوا قوماً ظالماً أنفسهم بمعصيتهم لله عز وجل، وتكذيبهم رسول الله ﷺ، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا﴾؛ للدلالة على اتفاقهم جميعاً على الفساد، وأن منشأ فساد جبلتهم خُبث طينتهم^(٢).

ج - ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: فكيف تهلكونها؟ وقوله: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا

(١) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٤.

(٢) الحوار في قصة الخليل في القرآن، محمود سعد، ص ٣٥٣.

لُوطًا ﴿١﴾؛ ليس إخباراً لهم بكونه فيها، وإنما هو جدالٌ بشأنه، لأنهم لما علَّلوا إهلاكَ أهلها بظلمهم، اعترض عليهم بأنَّ فيها من هو بريء من الظلم، وأراد بالجدال إظهارَ الشفقة عليهم وما يجبُ للمؤمن من التحزُّن لأخيه، والتشهُر لنصرته، والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر^(١).

إننا نتعلَّم من إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا﴾، بأنَّ محبة المؤمن لإخوانه ورحمته بهم تقتضي الولاء لهم، والذبَّ عن أعراضهم، والوقوفَ معهم^(٢).

لقد أراد إبراهيم عليه السلام أن يطمئنَّ اطمئناناً كاملاً على ابن أخيه الذي يهتمُّ بأمره، وتزداد شفقتُه عليه، فكان ردُّ الملائكة حاسماً^(٣).

د- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾؛ أي: نحن أعلمُ منك بحالِ لوط وحالِ قومه، وامتيازَه عنهم الامتيازَ البين. والتعبير باسم التفضيل: ﴿أَعْلَمُ﴾، وحذف المفضلَّ عليه؛ فيه دلالةٌ على مزيدِ علمهم بلوط عليه السلام، وإشعارهم بتعميم علمهم بلوط وغيره، دلَّ على ذلك قولهم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾.

قال أبو السعود: «وأرادوا أنهم غير غافلين عن لوط عليه السلام فيها، بل عمَّن لم يتعرَّضْ له إبراهيم من أتباعه المؤمنين، وأنهم مُعتنون بشأنهم أتمَّ اعتناء»^(٤).

هـ- ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾؛ أي: والله لننجيَنَّهُ وأهله، إلا امرأته كانت من الباقيين في العذاب أو القرية، أي: إنَّ امرأةَ لوط من الهالكين؛ لأنها كانت تُمالئهم على كُفْرهم وبغيهم^(٥). وقد كان هواها مع

(١) تفسير الزمخشري، ٥١٠/٦.

(٢) الحوار في قصَّة الخليل، محمود سعيد، ص ٣٥٢.

(٣) أخلاق الأنبياء، د. محمد عبد السلام درويش، ص ٣٤٤.

(٤) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم)، ٣٨/٧.

(٥) صناعة الحوار، حمد السيف، ص ٣٥٣.

القوم، تُقرّ جرائمهم وانحرافهم، وهو أمرٌ عجيب^(١). وسيأتي الحديث عن ذلك مفصّلاً عند حديثنا عنها في سورة التّحريم بإذن الله تعالى.

والغابرون: جمع غابر، ولها استعمالاتٌ متعدّدة في اللغة، إذ يُقال: الزمانُ الغابرُ أي: الماضي. وغابر بمعنى باقٍ أيضاً، فهي إذاً تحملُ المعنى وضده، ذلك لأنّهم جاؤوا لإهلاك هذه القرية، وامرأة لوط باقية لتهلك معهم، وتذهب مع مَنْ سيذهبون بالهلاك، فهي باقيةٌ في العذاب، فجاءت كلمة: ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، لتؤدّي هذين المعنيين^(٢).

٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ^(٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ^(٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿[العنكبوت: ٣٣-٣٥].

تفسير الآيات الكريمة:

أ - ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: ولما جاءت الملائكة إلى لوط عليه السلام، وقد جاؤوا إليه في هيئة فتية؛ مليحي الهيئة، وهو يعلمُ عادات قومه، وما ينتظر ضيوفه هؤلاء منهم من سوءٍ لا يملك له دفعا، فضاقت صدره، وساءه حضورهم إليه خوفاً عليهم في هذا الظرف العصيب، وكيف يحميمهم من شرور قومه^(٣).

ولذلك ﴿سِئَ بِهِمْ﴾؛ أي: أصابه السوء بسببهم. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؛ الذَّرْع: هو طُول الذراعين، فتقول: فلان باعه طويل، يتناول الأشياء بسهولة؛

(١) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٤.

(٢) تفسير الشعراوي، ١٨/ ١١١٤٨.

(٣) التفسير الموضوعي، ٦/ ٣٨٧.

لأنَّ يَدَهُ طَوِيلَةٌ، فالمعنى: ضاق بهم ذرعاً، يعني: لم يتسع جهده لحمايتهم من القوم^(١). وقد فصلت سورة هود والحجر ما أجمل هنا كما مرَّ معنا.

وعندما اشتدَّ الأمرُ على لوط عليه السلام، وبلغ الغاية من الضيق والكرب، كشف الملائكة أمرهم له^(٢).

ب - ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾: قالوا للوط عليه السلام على سبيل التبشير وإدخال الطمأنينة على نفسه، وبدأت الآيات بالعطف الذي يفيد المشاركة، ويربط أحداث القصة ويرتبها.

﴿وَقَالُوا﴾؛ عبَّرَ بالماضي ليدلَّ على تحقق الفعل، وصدوره من الملائكة: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾؛ أي: لا تخف علينا منهم، فلن يصلوا إلينا، أو لا تخف من أن تهلك أنت، أو أحد من أهل الطاعة، ولا تحزن على قصدهم إيَّانا وعدم اكترائهم بك، ولا على أحدٍ ممن سنهلكه منهم، لأنَّه ليس في أحد منهم خيرٌ يؤسَفُ عليه بسببه.

فجاء بـ ﴿لَا﴾ النّاهية قبل الفعل المضارع، لمنع حدوث الخوف والحزن بعد قولهم، ولإزالة أثر الفعلين من نفس لوط عليه السلام، ثم علَّلوا النّهي بقولهم: ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾؛ منجوك وأهلك المؤمنين من العذاب الذي نُزِلَ به بقومك^(٣).

وأكدوا بـ ﴿إِنَّا﴾، وبصيغة المبالغة: ﴿مُنْجُوكَ﴾، على سلامة لوط عليه السلام وأهله المؤمنين من العذاب. واستبعدوا امرأته من النّجاة^(٤) بقولهم:

(١) تفسير الشعراوي، ١٨/١١١٤٩.

(٢) التفسير الموضوعي، ٦/٣٨٧.

(٣) النظم القرآني في قصة لوط، ص ٢٠٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٠٥.

ج - ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ﴾: فسيدركها العذاب معهم، وستهلك مع الهالكين بسبب تواطئها معهم ورضاها بأفعالهم القبيحة، وما جئنا إلا لنريحك منهم، ونقطع جذور هذه الفعلة القبيحة من أصله. وبهذا النظم البديع تُطمئن الملائكة لوطاً عليه السلام، ويزيلون ما وُجد عنده من خوف وحُزن وسوء من فعل قومه القبيح، مُطبِّقين سُنَّةَ الله تعالى في خَلْقِهِ في نَصْرِ المؤمنين وإهلاك الكافرين^(١).

د - ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

يصف لنا الله سبحانه وتعالى العذاب المنزل على قوم لوط بسبب كفرهم ومعاصيهم وفسقهم، وهو نزولُ العذابِ المتتابع المنهمر عليهم، وهو أنواع وأشكال كما يريد الله أن ينزل^(٢).

يقول الشوكاني (رحمه الله) مبيّناً معنى الرّجْز: الرّجْز: العذاب، أي: عذاباً من السماء، وهو الرمي بالحجارة. وقيل: إحراقهم بنارٍ نازلةٍ من السماء. وقيل: هو الخسفُ والحصب. ومعنى كون الخسف من السماء، أنَّ الأمر به نزل من السماء^(٣)، وقد يُسمَّى العذابُ المنزل من السماء بالرجْز، لأنه يُقلق من ينزل به، ويحلُّ عليه^(٤).

وحينما يريد القرآن أن يبيّن ما يترتّب على الانغماس في الرذائل من اضطراب في الحياة الدُّنيا، وسوء العاقبة في الآخرة؛ يذكر الرّجْز، فكأنه يذكر عاقبة الفعل ليستدعي الفعل المؤدي لتلك النتيجة التي سمّاها رَجْزاً، فأُنزل الله

(١) النظم القرآني، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٢) الآيات والأحاديث في نبي الله لوط، أشواق صالح، ص ٣٠٣.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ٢٠٢/٤.

(٤) تفسير البضاوي، ٣١٥/٤.

عليهم هذا الرجز من السماء بكل ما فيه، جزاءً وفاقاً لما كانوا يقتربونه من جرائم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، ومقارفة المنكر بأنواعه في نواديهم، وقطع الطرق، وإيذاء الناس، والاعتداء عليهم في أموالهم وأنفسهم، ورفضهم رسالة لوط عليه السلام وما جاء به، واستكبارهم على الاستجابة له، فاستحقوا هذا العذاب الأليم^(١).

- ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾؛ هذا سبب هلاك أولئك، وهو فسقهم عن أمر ربهم، وانتهاكهم لحرمة دينهم، واقتنائهم على رسولهم ونبيلهم^(٢).

هـ- ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي: ولقد تركنا من هذه القصة عبرة واضحة لمن يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار، ولا يزال موضع قراهم إلى الآن في أرض منخفضة، تسمى البحر الميت، أو بحر لوط^(٣).

فجعل الله تعالى مصرع هؤلاء القوم الهالكين آية بيّنة، وأن المنتفع من هذه الآية هم أصحاب العقول المستقيمة، والفطر السليمة^(٤). وكان هذا المصير الطبيعي لهذه الشجرة الخبيثة التي فسدت، وتعفنت، فلم تعد صالحة للإثمار، ولا للحياة، ولم تعد تصلح إلا للاجتثاث والتحطيم^(٥).

رابعاً: قصة لوط مع إبراهيم عليهما السلام في سورة الذاريات:

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ ضَلَّ فِيهِ الْبَرِّ الْكَاثِرِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا

(١) تفسير القرآن بالقرآن، طه العلواني، ص ٨٣٥.

(٢) دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد العدوي، ١/ ٣٠٠.

(٣) التفسير الموضوعي، ٦/ ٣٨٧.

(٤) الغفلة، أسبابها أقسامها مظاهرها آثارها علاجها، عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، دار

الإيمان، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤م، ص ١٥٧.

(٥) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٧٣٤.

قَالَ سَلِمْتُ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاعَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ مَجْزُورٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالُوا فَخِاطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿الذاريات: ٢٤-٣٧﴾.

تفسير الآيات الكريمة:

١- قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤]:

هنا نوعٌ جديدٌ في شأن قصة وموقف من أشهر قصص ومواقف إبراهيم الخليل عليه السلام. والسؤال: تبجيلٌ وتفخيمٌ؛ لأنه عبرةٌ وعظةٌ، وهو أسلوبٌ مألوفٌ في القرآن كله كقوله: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [النازعات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ [البروج: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا إِلَى الْحَرَبِ ﴾ [ص: ٢١]، ومقصده: حشدُ الاهتمام، وتوجيهُ النظر إلى القصة^(١).

أ- ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾: يُشَوِّقنا الحقُّ تبارك وتعالى إلى معرفة الشيء العجيب الذي يستحقُّ أن يُلفتَ إليه، وينبغي على النَّاسِ معرفته بصيغة السؤال هذه، كقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحَوُّرٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠]، يشوقنا لنقول: نعم يا ربِّ دلِّنا^(٢).

وقوله: ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾؛ بمعنى: قد أتاك، فهو سؤالٌ للتقرير، وفيه تذكيرٌ بالقصة، وسمَّاه الله تعالى حديثاً، إشارةً إلى أنه خبرٌ حقيقي^(٣).

(١) إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٢٩.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/ ١٤٥٨١.

(٣) إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٢٩.

ب - ﴿ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : جاءت كلمة ضيف مفردة مع أنهم كانوا جمعاً من الملائكة، فلم يقل: ضيوف ولا أضياف، إنما اختار اللفظ المفرد فقال: ﴿ ضَيْفَ ﴾، قالوا: لأنَّ ﴿ ضَيْفَ ﴾ تُطلق على المفرد والمثنى والجمع ممّن استدعيته إلى بيتك، أو جاءك فصار ضيفاً عليك، والمستضيف ينبغي أن يُعامل الأضيافَ معاملة واحدة، ويستقبلهم بوجه واحد لا يفضل أحداً على أحد، ولا يحتفي بأحدٍ دون أحد، فكأنهم عنده شخص واحد لا يميّز أحداً لا في مجلسه، ولا في نظره إليهم، لذلك عبّر القرآن الكريم عنهم بصيغة المفرد، فهم في حُكم الرجل الواحد.

وقد علّمنا سيدنا رسول الله ﷺ هذا الدرس، فقد روي عنه ﷺ أنه كان يُسوّي بين جلسائه حتّى في نظره إليهم، حتّى إنه ليظنُّ كلَّ واحد منهم أنه لا يوجد في المجلس غيره^(١).

وهناك في القرآن الكريم مواضع كثيرة يُستخدم فيها المفرد، ويُراد به الجماعة، ذلك حينما يكون توجُّههم واحداً وهدفهم واحداً، وحينما يجتمعون على أمر الله، وأمر الله دائماً واحداً لا اختلاف فيه، والجماعة حينئذٍ في حكم الواحد، اقرأ هذا مثلاً في قوله تعالى في قصّة سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام: ﴿ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦]، إذا؛ ضيف: معناها أضياف من الملائكة^(٢).

ج - ﴿ الْمُكْرَمِينَ ﴾ : وصفهم بالمكرمين، أي: جمع مكرم، وهو الذي يقع عليه الكرم من غيره، والفاعل مُكرم، والمفعول به مُكرم، فوصف الملائكة بأنهم مكرمون، فمن أكرمهم؟ قالوا: لها معنيان، الأول: أن الله تعالى هو الذي

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/ ١٤٥٨٤.

(٢) المصدر السابق، ٢٣/ ١٤٥٨٤.

أكرمهم، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧].

الثاني: أن يكون المكرم هو إبراهيم عليه السلام حينما أعدّ لهم طعاماً، وباشر خدمتهم بنفسه لا بعبده، وجعل امرأته تشاركه في خدمتهم، وأكرمهم بأن ردّ عليهم التحية بأحسن منها، ثم إنه لم يقدّم لهم الطعام الحاضر فقط، وإنما أكرمهم وذبح لهم عجلاً؛ مرة وُصِفَ بالسَّمين، ومرة بالحنيد^(١). وهذا كمالٌ في الوصف، فهو سمينٌ في ذاته، أي: ليس هزياً في تكوينه، وهو حنيدٌ كذلك، والحنيد: أفضل أنواع الشواء عندهم، فهو من حيث طريقة إعدادة حنيدٌ مشوي، وهذا منتهى الإكرام^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]:

أ- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: يُفيدُ هذا أنَّ دخولهم كان مفاجئاً، وكأنه لم يكن من بعد استئذان، وقد يكون بيت إبراهيم عليه السلام مفتوحاً للأضياف - كأن يكون له مقرٌّ خاصٌّ بالأضياف - لا يحتاجُ النَّاسُ فيه إلى استئذانٍ لكونه كريماً مضيافاً.

ب- ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾: أي: نسلم عليك سلاماً، فهو مفعول مطلق، فردّ عليهم سلامهم بأطيب منه.

ج- ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: أي عليكم «سلام»، والجملة الاسمية التي قالها إبراهيم عليه السلام أقوى وأثبت من جملتهم التي هي فعلية، والفعل ليس له ثبات^(٣)، وهذه بداية الكرم من إبراهيم عليه السلام.

(١) حذ اللحم: شواه على الحجارة، فهو حنيد أي مشوي، ولحمه يكون أطيب من المسلوق والمطبوخ في الماء.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/١٤٥٨٥.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي البروسوري، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٣م، ٩/١٦١.

د - ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ : وهذه الكلمة لم يقلها إبراهيم عليه السلام لهم مباشرة، وإنما قالها خفية عنهم^(١)، بمعنى أنه استنكر حالهم، فقد كانوا على هيئة شباب في نضارة وجمال، قيل : هم ثلاثة ملائكة ؛ جبريل وإسرافيل وميكائيل^(٢). وقيل : كانوا عشرة، أو اثني عشر، أو ثلاثة عشر^(٣).

وفي التّوراة ذكر هذا المعنى، وفي بعض الآثار أنهم كانوا ثلاثة في سنّ الشباب، وفي غاية الجمال، ولم يكن يعرفهم، وهذا جزء من الإنكار أنه لم يرهم من قبل، ربما كانت سحنات وجوههم غير مألوفة، كذلك سلامتهم كان شيئاً يستغرب، فالناس ما كانوا يُحسنون السلام فهم لما قالوا له : ﴿سَلَامًا﴾، كان هذا ما استنكره واستغربه فضلاً عن أنهم ربما دخلوا دون أن يستأذنه^(٤).

والأظهر أن إماماً مثل إبراهيم الخليل عليه السلام السيّد العظيم الذي اتّخذه الله تعالى خليلاً، لديه من قوّة الحُدى والبصيرة والعرفان ما يغوص فيه على دقائق المعاني والأسرار، حتى ولو لم يوجد في ظاهر الحال ما يدلّ عليها، فلذلك أحسّ أن الأمر ليس طبيعياً، وهذا فيه حكمةٌ عملية؛ أن الإنسان إذا استغرب شيئاً عليه أن يتعامل معه بشكل طبيعيّ، ويبحث بعد ذلك حتّى تتّضح له الأمور، ولا يتعجّل باتخاذ موقف ما، ولا يفاجئ النّاس بما يستغربون، وينتظر حتّى تنكشف الأمور بعد ذلك. ومن كمال الضّيفاءة عند إبراهيم عليه السلام التي

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٤/ ١٧٨.

(٢) التفسير الكبير مفاتيح الغيب (تفسير الرّازي)، ٢٨/ ١٧٤، إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٣٠.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التّأويل (تفسير النسفي)، ٣/ ٣٧٥، إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٣٠.

(٤) إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٣١.



عُرف بها، ألا يواجههم بوصفهم بالنكارة، لذلك قد يكونُ قالها في نفسه، أو يكون قالها لأهل بيته لما ذهب إليهم ليصنعوا طعاماً^(١).

٣- قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]:

أ- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: الرَّوْغان: الذَّهابُ بسرعةٍ واختفاء، وهو يتضمَّن المبادرةَ إلى إكرام الضَّيف، والاختفاء: يتضمَّن ترك تخجيله، وألا يعرِّضه للحياء، وهذا بخلاف من يتثاقل ويتبارد على ضيفه، ثم يبرز بمرأى منه ويحل صُرَّةَ النفقة، ويزن ما يأخذ، ويتناول الإناء بمرأى منه، ونحو ذلك مما يتضمَّن تخجيل الضيف وحياءه. فلفظ ﴿فَرَاغَ﴾ ينفي هذين الأمرين.

﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: مدح آخر لما فيه من الإشعار أنَّ كرامة الضَّيف معدَّةٌ حاصلة عند أهله، وأنه لا يحتاجُ أن يستقرضَ من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله؛ إذ قرى الضَّيف حاصل عندهم^(٢).

ب- ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: يتضمَّن هذا الجزء ثلاثة أنواع من المدح:

- أحدها: خدمة الضَّيف بنفسه، فإنه لم يرسل به، وإنما جاء بنفسه.

- الثاني: أنه جاءهم بحيوان تام، ولم يأتهم ببعضه، ليتخيروا من أطيب لحمه ما شاؤوا.

- الثالث: أنه سمينٌ ليس بمهزول، وهذا من نفائس الأموال؛ من وَلَدِ البقر السَّمين فإنهم يُعجَبون به، فَمِنْ كَرَمِهِ هَانَ عَلَيْهِ ذَبْحُهُ وَإِحْضَارُهُ^(٣).

(١) إشراقات قرآنية، المصدر السابق، ١/ ١٣١.

(٢) بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يسري السيد، صالح الشَّامي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ٢٤٣/٤.

(٣) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، ٣/ ١١٩.

٤- قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]:

أ- ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾: وهذا من تمام الضيافة، إذا حضر الطعام قربه إليهم حتى لا يُحوجهم إلى القيام، وإن كان هذا من العادات، والعادات بأبها واسع، وظروف الناس تختلف، واليوم جرت عادة الناس على إدخال الضيوف إلى الطعام؛ لكون الولائم كبيرة، ولكن ما جرى من خليل الرحمن هنا هو تحقيق كمال الضيافة في زمنه مع اليسر والعفوية وعدم التكلف، كما في الحديث: «نُهينا عن التكلف للضيف»^(١).

ب- ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: وهذا من حُسن الضيافة، لم يقل: «كلوا» على سبيل الأمر، وإنما على سبيل العرض المؤدّب^(٢)؛ لأنَّ «ألا» حرف استفتاح وعرض، ففيه الدعوة اللطيفة لهم^(٣).

ونستخلص من قصّة ضيف إبراهيم عليه السلام قواعد الضيافة في ملة إبراهيم عليه السلام التي منها:

- أنَّ الضيف مكرم، فهو يدخل البيت يسر وسهولة، وعلى المضيف ردُّ تحيته بتبسُّط وبشاشة وعدم تأخير القرى، ويُعدُّ أهل البيت الطعام له بأنفسهم، ويؤمرون بذلك خلسة لتجنب إحراج الضيف.

- ويأتي المضيف بأجود ما عنده من الطعام، ويقربه إلى الضيف، فلا يقوم إلى طعامه بل يؤتى بالطعام إليه في مجلسه.

- ومن تلك القواعد أيضاً: الدّعوة إلى الطعام بلطف، والتبسُّط بالحديث، والسؤال عن الغرض من الزيارة بعد انقضاء مدة الضيافة.

(١) مسند أحمد، رقم ٢٣٧٣٣، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، رقم ٢٤٤٠.

(٢) روح البيان في تفسير القرآن، ٩/ ١٦٢، إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٣٢.

(٣) إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٣٢.

- ومنها أنَّ المرأة تشارك في إكرام ضيف زوجها من الرجال، ويُعرف مدى تلك المشاركة بما كان من مسلك زوج إبراهيم عليه السلام، فلم يكن منها مجالسةً ومحادثةً مستفيضة، واكتفت بالقيام على خدمة الضيف، كمساعدة زوجها في تقديم الطعام والشراب والترحيب... إلخ.

- حقُّ الضيافة وإكرام الضيف من أخلاق أتباع ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام يُسمَّى أبا الضيفان، وكان يُحبُّ أن يُكرِّم ضيوفه بأعز ما يملك، وهذا دليل على كرمه العظيم، وسماحة نفسه، وأصالة معدنه، وتقربه إلى ربِّه بإكرام الضيوف^(١).

٥ - قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]:

أ- ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: حين لم يأكلوا خاف منهم، وجاء في الآية الأخرى في سورة هود: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وهذا يؤكِّد ما ذكرته آنفاً أنه لم يواجههم بقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، وإنما قال ذلك في نفسه، فهو لما ﴿رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وحقَّ له أن يُوجِسَ منهم خيفة، والضيف إذا لم يأكل، فإنه يُخشى منه الغدر، وقد يكون يُضمِر سوءاً. وإيجاسُ الخيفة لا يعني أنه خاف من أشخاصهم، لكن خاف مما وراءهم وسبب مجيئهم، فالأشياء الغامضة تبعث على الخوف عادةً؛ ولذا قالوا له: ﴿لَا تَخَفْ﴾^(٢).

ب - ﴿لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: ظهر لهم في ملامح وجهه ما يدلُّ على

(١) من أنباء القرى، أحمد عبيد الكبيسي، تحقيق: فاطمة محمد شنون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٥٠.

(٢) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، ١٣٣/١.

توَجُّسِه، فقالوا له تطميناً وتسكيناً: ﴿لَا تَخَفْ وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾، وسرعان ما انقلب الخوف بُشْرَى بغيام، وهو إسحاق من أمّه سارة زوج إبراهيم عليه السلام.

ويدلّ على ذلك ما جاء في الآية الأخرى، حيث نصّ الله تعالى على اسم هذا الغلام، فقال: ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١]؛ أي: من ولد إسحاق: يعقوب^(١).

وقد حدث من سارة موقفٌ إنسانيٌّ عظيم، فإنها لما كبرت ولم يُولد لها، وعرفت أنّها عقيم، تحاملت على نفسها، وأهدته هاجر من أجل أن تأتيه بغيام، فأذن الله تعالى أن يكون إسماعيل ولداً لهاجر، وأن يكون إسحاق ولداً لسارة، ولم يقل: (بغلام جميل) ولا (طويل) مثلاً، وإنما ﴿عَلِيمٍ﴾، وهذا دليلٌ على أنّ الصفات المعنوية هي التي يجب أن يُحرصَ عليها ويُمدحَ بها، وفي الآية الأخرى قال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، فالآية الأولى - آية الذاريات - في شأن إسحاق، وآية الصفات في شأن إسماعيل، فإسحاق «عليم»، وإسماعيل «حليم» عليهما السلام^(٢).

٦ - قوله تعالى: ﴿فَاقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾

[الذاريات: ٢٩]:

أ - ﴿فَاقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾:

﴿فَاقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ﴾: أي في صياح وصوت^(٣)، وذكر البيان القرآنيّ هنا أنّها صكّت وجهها، أي: ضربته^(٤)، وهي على عادة النساء ضربت خديها

(١) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، المصدر السابق، ١/ ١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٣٤.

(٣) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، ١٧/ ٤٦.

(٤) المصدر السابق، ١٥/ ٣٩٥.



بكفّيتها^(١)، وليست دليلاً على ضعف عقل المرأة كما يظنه بعضهم، ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام في هذا السياق، فيكفي من نضج عقلها التضحية التي بذلتها لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، والصبر معه، وهي حركة عفوية تلقائية، تعبر عن شدة التصديق مع شدة الاستغراب^(٢).

ب - ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: العجزة والعقم هما سببان لعدم الإنجاب، فهي لم تنجب، وهي فتاة شابة، فكيف وهي في سنّ اليأس، وكذلك زوجها شيخ كبير، كما قالت: ﴿يَوْنِلَيْتِ ٱلْأَيْدِىَ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، حتى في بيت النبوة يتكلّم أهلُه بعفوية، ويعبرون عن مشاعرهم دون تكلف^(٣).

لقد أخذتها المفاجأة العنيفة التي لم تكن تتوقعها أبداً، فنسيت أنّ البشري تحملها الملائكة، عندئذ ردّها المرسلون إلى الحقيقة الأولى، أي حقيقة القدرة التي لا يُقَيّدُها شيء، والتي تُدير كل أمر بحكمة وعلم ورحمة^(٤).

٧- قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠]:

هذا قول الملائكة، أخبروها أنه ليس دعاء ولا تمنياً، وإنما هو خبرٌ من الله سبحانه وتعالى^(٥).

أ - ﴿قَالَ رَبُّنَا﴾: في قولهم هذا إشارة إلى لطفه سبحانه وتعالى، وعطفه على عباده، ورحمته بهم، وخليق لمن يكون عنده معاناة من العقم أو الفقر أو المرض أو الهم والغم والحزن والنكد أن يستشعر مثل هذا الموقف، وكيف

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٣٨٣.

(٢) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، ١/١٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ١/١٣٤.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٣٨٣.

(٥) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، ١/١٣٤.

حرق الله تعالى النواميسَ والسُّنَنَ والعادات ورزقهم الغلام العليم، والتعبيرُ بالرَّب مع الضَّمير يُشعرُك باللفظ، فهو ﴿رَبُّكَ﴾ القريبُ المجيبُ الرحيمُ الذي يجيبُ دعوةَ الدَّاعي إذا دعاه^(١).

ب - ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾: فهو الحكيم في خلق هذا الغلام، وفي تأخيرهِ، وهو العليمُ الذي منح هذا الغلام من علمه، فجاء غلاماً عليمًا، وهو العليمُ بالأشياء والأسباب؛ ولذلك لا يعجزه شيءٌ، ولا تخفى عليه خافية^(٢).

ولأنه قولُ الله الحكيم العليم، فقد أصبح هذا الشيخُ المسنَّ، وهذا العجوزُ العقيمُ أباً لأجناس ممتدة من البشرية، فالعربُ من ذرية ابن إبراهيم: إسماعيل، واليهود من ذرية إسحاق عليهما السلام، فإذا بارك الله فلا حدَّ لبركته، ورحمته تكمنُ حيث يرى الناس، وحيث لا يرون^(٣).

وقد اقترن اسمُ الله ﴿الْحَكِيمُ﴾ باسمه ﴿الْعَلِيمُ﴾ في نحو سبعة وثلاثين موضعاً أكثرها بتقديم «العليم» على «الحكيم»، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وفي مواضع أخرى، وهي قليلةٌ ورود تقديم «الحكيم» على «العليم»^(٤).

ويلاحظُ أنَّ المقامات التي يتقدَّم فيها اسم «العليم» على اسم «الحكيم» منوطةٌ بالعلم أولاً ثم بالحكمة.

- ففي مقام الاعتراف بالعجز وقُصور العلم، يقابله - ولا بُدَّ - الإقرار والتسليم للعليم، فإذا كان «العليم» هو «الحكيم»، فذلك هو العلمُ البالغ حدَّ الكمال،

(١) إشارات قرآنية، المصدر السابق، ١/ ١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٣٥.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٣٥.

(٤) والله الأسماء الحسنی، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٣٠٤.

فيكون الاعترافُ مصحوباً بغاية الرضا والتسليم، كما في قوله تعالى عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

- في مقام ارتباط الصبر، وانتظار الفرَج باسم «العليم» ارتباطٌ قوي وثيق، وذلك أنَّ العبدَ إذا كان عظيمَ الإيمان، عميقَ الصَّلَة برَّبِّه، واستلث عليه الفَرَجُ، لم يتزعزعُ يقينه؛ لأنَّه معتمدٌ على علم الله عزَّ وجلَّ في اختيار الزمان الأنسب لما يرجوه من الفَرَجِ المعوَّل على حكمته في تهيئة الأسباب له؛ ليقع على أحسن ما يكون، كما في قول الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

- وفي مقام التشريع، وإقرار الحكم، الأمرُ فيه راجعٌ إلى العلم الشَّامِل أولاً؛ لأنَّ العلمَ هو أساسُ بناء الأحكام، ثم تأتي الحكمة لتُنزل الحكم على الواقع، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢] (١).

وتقديمُ اسم «العليم» على «الحكيم»؛ لأنَّ مبنى الأحكام على إحاطة العلم أولاً، ثم الحكمة في تنزيل العلم على الواقع، بما يحقق الانسجام والتوافق بين الأحكام الشرعية والطبائع البشرية، وذلك ما يُميز الشريعة الإسلامية عن الدساتير والشرائع الوضعية.

وأما تقدُّم اسمه سبحانه «الحكيم» على اسمه عزَّ وجلَّ «العليم»، فيلاحظ في مقامين متعلِّقين بسيرة إبراهيم عليه السلام (٢)، هما:

- مقام التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

(١) والله الأسماء الحسنی، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٤.

- مقام إجراء المعجزات كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠].

وذلك أن مضمون الألوهية في مقام التوحيد قهراً وقوة وغلبة، يقابلها من العباد طاعة وعبادة وخضوع، فتقديم الحكمة في هذا المقام - والله أعلم - ليعلم أن ألوهيته عز وجل السارية على من في السموات والأرض مسارها الحكمة، ولعله لما كان العلم الشامل هو رافد الحكمة، وعلى أساسه تنزل الأشياء منازلها، وتوضع الأمور في مواضعها التي بها تستقيم، أتبع اسم «الحكيم» باسم «العليم».

أما مقام إجراء المعجزات فهو كذلك راجع إلى القوة الغالبة والمشية الطليقة التي تعلق على سنن الكون ونواميسه، واقتران القوة بالحكمة هو ضمان انتظام الأمور، وألا تتحول إلى عبث يفضي إلى اختلال السنن وفساد الكون، فالحكمة هنا لها الصدارة، يليها العلم الذي على أساسه يكون إجراء السنن على ما قدر لها، أو تعطيلها لحكمة ترجع لعلم «العليم».

يقول ابن قيم الجوزية عن اقتران اسمه سبحانه «الحكيم» باسمه عز وجل «العليم»: العلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال، فالعلم يتضمن الحياة، ولوازم كمالها من القيومية، والقدرة، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم الثام، والحكمة تتضمن كمال الإرادة، والعدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووضع الأشياء مواضعها على أحسن وجوهاها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب^(١). والحكمة أخص من العلم، إذ هي إجراء العلم على نحو خاص، يحقق أسمى الغايات^(٢).

(١) أسماء الله الحسنى، ابن قيم الجوزية، ص ١٢٧.

(٢) والله الأسماء الحسنى، عبد العزيز ناصر الجليل، ص ٣٠٥.



اسم الله ﴿الْحَكِيمُ﴾:

هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فلا يخلق الله شيئاً عبثاً، ولا يشرع سُدى؛ الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه وفي قدره وجزائه، والحكمة: وَضْعُ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا وَتَنْزِيلُهَا مَنَازِلَهَا^(١).

اسم الله ﴿الْعَلِيمُ﴾:

هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، بالإسرار والإعلان، والواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء^(٢).

هذا؛ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ أحسن بحدسه أن إتيانهم لم يكن من أجل هذه البُشْرَى فحسب، بل البُشْرَى أمرٌ عارض؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَاخْطَبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣).

٨- قوله تعالى: ﴿فَاخْطَبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١]:

عادةً «الخطب» لا يُقال إلا في الشيء الجليل، وهو لما علم أنهم ملائكة أدرك أن الأمر الذي جاؤوا من أجله عظيم^(٤).

وهذه الكلمة جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَدَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٥١] أي: ما الأمر العجيب

(١) والله الأسماء الحسنی، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(٣) إشرافات قرآنية، سلمان العودة، ١/ ١٣٥.

(٤) المصدر السابق، ١/ ١٣٥.

الذي حملكنّ على هذا الفعل؟! وقالها موسى عليه السلام لما رأى ابنتي شعيب عليه السلام قد خرجتا لسقي الغنم: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [الفصص: ٢٣] أي: ما الذي ألجأكنّ للخروج، فكأنه أمرٌ عجيبٌ غير عادي، إذاً هذه الكلمة وُضعت للأمر العجيب الذي يدعو إلى الدهشة والتعجب^(١). فردّت الملائكةُ بقوله تعالى:

٩- قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ نُجَيْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٢]:

هم قومٌ لوط، ووصفهم بأنهم «مجرمين»؛ لأنهم كانوا يشركون بالله، ويفعلون الفاحشة الشاذة، كانوا يأتون ﴿الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، فلم يسبقهم بها أحدٌ من النَّاس، حتى إنهم كانوا يأتونهم في ناديتهم، ويتعاطون هذه الفاحشة جهاراً نهاراً، ويفترون قولاً وفعلاً، ولم يطيعوا نبيّهم لوطاً عليه السلام، فهم مجرمون من ثلاثة أوجه: أولها وأعظمها الشُّرك بالله، وتكذيب الأنبياء، وثانيها: إتيان الفاحشة، وثالثها: العدوان والبغي، حيث دلّ السِّياق على أنهم كانوا يتعرّضون لمن لا يوافقهم، ويعتدون عليه، ويكرهُونه على فعل الفاحشة، وقد همُّوا بأضيافِ نبيّهم دون حياءِ ظانّين أنهم من البشر^(٢).

١٠- قوله تعالى: ﴿لِنُزِيلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]:

هذه الحجارة من أنواع الحجارة الطينية البركانية، التي رفعها الله تعالى إلى السماء ثم أنزلها عليهم^(٣).

وقال الشيخ الشعراوي في تفسيره: إن مفهوم الحجارة يختلف عن الطين، الحجارة فيها صلابَةٌ وقساوةٌ تختلف قوةً وصلابةً حسب نوع الحجر، بداية من

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/١٤٥٨٩.

(٢) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، ١/١٣٦.

(٣) المصدر السابق، ١/١٣٦.



المرمر والجرانيت والرخام والجير، فكيف تكون الحجارة من طين؟! وهما وصفان في الظاهر متناقضان، قالوا: هو طينٌ أُحْمِيَ عليه في النار حتى صار صُلْباً قاسياً^(١).

١١ - قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٤]:

أي: مُعَلِّمَةٌ، فكلُّ حجرٍ منها يحملُ اسمَ صاحبه وعنوانه، فهو مخصَّصٌ له لا لغيره، وموجَّهٌ إليه لا يُخطئه، وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: دلٌّ على أنَّها نزلت من السماء وليست من حجارة الأرض، وأنها مُعَلِّمَةٌ من عند الله جاءت هكذا جاهزة، ومهمة الملائكة أن ترميهم بها بأسماء أصحابها، فلا يختلط حجرٌ بحجر.

ومعنى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾؛ المسرف: هو الذي تجاوز الحدَّ في المعصية، فكان هناك حدودٌ للأمر، وحدودٌ للحلال، وحدودٌ للحرام، وقد بيَّنها الحقُّ سبحانه، وعَلَّمنا كيف نقفُ عند هذه الحدود؛ فقال تعالى في الحلال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوها﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال في الحرام: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: قِفْ عند حدود الحلال لا تتجاوزهُ إلى غيره، أما الحرام فإياك أن تقربه، واحذر مجرد الاقتراب منه؛ لأنَّك لو اقتربت منه فإنَّك توشك أن تقع فيه، فحدودُ الله حماية لك^(٢).

ومن ذلك أن الله قال لآدم وحواء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال للمؤمنين: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، ففي الحرام لا يمنعنا الله من الفعل، بل يمنعنا من الاقتراب من أسبابه، ففي أي شيء أسرف هؤلاء المجرمون المسرفون؟ أسرفوا في فعلٍ محرَّم يناقض الطبيعة النقية، التي خَلَقها الله عزَّ وجلَّ^(٣).

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/١٤٥٨٩.

(٢) المصدر السابق، ٢٣/١٤٥٩٠.

(٣) المصدر السابق، ٢٣/١٤٥٩٢.

وإنَّ الجريمةَ التي ارتكبها هؤلاء القوم، واستحقوا بها ما حاقَّ بهم من ألوان العذاب، تتمثَّل في صرف هذه الغريزة التي جعلها الله في الإنسان عن وجْهِها الحلال إلى وجهٍ آخر محرَّم لا فائدةَ منه، ولا ثمرةَ له؛ وهذا وجهٌ ينافي الفطرة السَّليمة والأذواق المستقيمة، فكانوا يأتون الذُّكران بدل أن يأتوا النساء كما أحلَّ الله تعالى، ومعلومٌ أن الإتيانَ مقصور على مكان الحرث والاستنبات: ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، ويكون ذلك عن طريق الزَّواج الذي أباحه الله لعباده.

إنَّ قومَ لوطَ أسرفوا على أنفسهم، ووقعوا في جريمة إتيان الذُّكران، وتصريف الشَّهوة الجنسية بوسيلةٍ شيطانية، ولما كان هذا الفعلُ زنى يستحقُّ الرجم، رجمهم الله لا بحجارةٍ من الأرض، وإنما بحجارةٍ من السماء، تنزلُ على كلِّ واحدٍ منهم باسمه تخصُّصه دون غيره، بحيث لم تُبقِ منهم أحداً، فأبادتهم عن بكرة أبيهم^(١).

١٢ - قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥]:

أي: قبل أن ينزلَ بهم العذابُ أخرجنا مَنْ كان في القرية من المؤمنين، والمعنى: ما قلنا لهم اخرجوا، إنما هيئنا لهم سبيلَ الخروج بخواطِر قذفناها في نفوسهم، فخرجوا ولم يُصبهم العذاب^(٢).

أي: أخرجنا مَنْ كان في القرية، وهي سدوم في الشَّام، وهي قريبةٌ من البحر الميت، والذين خرجوا فعلاً هم آلُ لوط، إلا امرأته فلم تكن مؤمنة، ولكنها في الظَّاهر كانت معدودةً من المسلمين، والله يعلم أنَّها كانت تتظاهرُ بطاعة سيدنا

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/١٤٥٩٢.

(٢) المصدر السابق، ٢٣/١٤٥٩٢.

لوط عليه السلام، ووصفها الله في سورة «التحريم» بالخيانة ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، فهي ظاهراً كانت من المسلمين، لكن في باطنها كانت مع قومها^(١). وتمثلت خيانتها بأنها كانت تدلُّ قومها على أضيافه ليفجروا بهم، فهي ليست خيانة ارتكاب فاحشة الزنى، وإنما خيانة في الدين والأمانة^(٢).

١٣ - قوله تعالى: ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦]:

إن المنافق معدودٌ ظاهراً من المسلمين، ولكنه ليس من المؤمنين، ولذا وُصف البيت بالإسلام، ولكنه حدّد الذين أُخرجوا ونجوا بأنهم المؤمنون فحسب^(٣). وقد بينت آية العنكبوت أن زوجة لوط عليه السلام كانت من الغابرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

١٤ - قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧]:

في القرية التي حدثت فيها هذه العقوبة، جعل الله تعالى للعقوبة التي حلّت بهم أثاراً تدلُّ عليهم، وفي ذلك تحذيرٌ واضحٌ من فعلهم^(٤).

وقد قال الشيخ محمد متولي الشعراوي: الآية الباقية بعد هلاكهم هي الحجارة التي أهلكهم الله بها ما تزال موجودةً، ومن يراها يقول: هذه ليست حجارة الأرض، بل هي نوعٌ آخر، هي الحجارة التي نزلت على هؤلاء المجرمين، فأهلكهم الله تعالى بها، وهكذا تظلُّ هذه الآية الكريمة باقيةً؛ لردع كلٍّ من تُسَوَّل

(١) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، المصدر السابق، ١٣٧/١.

(٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ٥٥٧/٣٢.

(٣) إشراقات قرآنية، سلمان العودة، المصدر نفسه، ١٣٧/١.

(٤) المصدر السابق، ١٣٧/١.



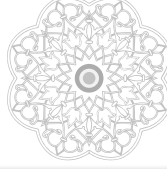
له نفسه أن يفعل فعلهم، وقالوا: بل الآية التي تركها الله تعالى شاهداً عليهم هي عينٌ مُنتنة، لا يطيقُ الإنسانُ أن يشمَّها^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾؛ فالذين يخافون هم الذين يرون الآية، ويدركونها، وينتفعون بها، ويعتبرون بها، ويعلمون أن الله شديد العقاب، وأن رُسُلَه صادقون مصدِّقون^(٢).

* * *

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٣/ ١٤٥٩٥.

(٢) تفسير السَّعدي، ص ١٠٩٧.



الْبَيْتُ السَّابِعُ

قِصَّةُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَالنَّمْلِ وَالصَّافَاتِ وَالْقَمَرِ

أولاً: لوط عليه السلام في سورة الأعراف:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٠-٨٤].

جاءت قصّة لوط عليه السلام في سورة الأعراف، بعد ذكر الآيات التي حدّثتنا عن آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام، وهي سلسلة مباركة من تاريخ الأنبياء والمرسلين، تناولت الحديث عن أمم وحضارات كبيرة حتّى وصلت إلى الحضارة الإنسانية في عهد إبراهيم عليه السلام، حيث انتشرت المجتمعات البشرية، وتكاثرت، وبرزت فيها عدّة حضارات، واختارت الآيات منها مجتمعاً بشرياً كان يقيم في أرض فلسطين في منطقة البحر الميت، أو بحر لوط. ولقد وقفت الآيات عند هذا المجتمع البشري، لكي تبين سبباً من أكبر أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات؛ أي بسبب خروجها عن سنن الفطرة

التي فُطِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا فِي شَأْنِ تَكَاثُرِهِمْ ، وَتَنَاسُلِهِمْ ، وَتَلْبِيَةِ رَغْبَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ الْجَنَسِيَّةِ^(١) .

تفسير الآيات الكريمة :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ :

أ - ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ : واذكُرْ عبدنا لوطاً عليه السلام إذ أرسلناه إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده ، وينهاهم عن الفاحشة التي ما سبقهم بها أحدٌ من العالمين^(٢) .

ب - ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ : هذا الاستفهام للتقريع ، والإنكار ، والتوبيخ^(٣) . قال ابن القيم (رحمه الله) في معنى الفاحشة : «هي ما ظهر قُبْحُهَا لكلِّ أحدٍ ، واستفحشها كلُّ ذي عقل سليم ، ولهذا فسرت بالزنى واللواط ، وسَمَّاها فاحشة لتناهي قُبْحِهَا ، وكذلك القبيح من القول يُسَمَّى فحشاً ، وهو ما ظهر قُبْحُهُ جداً من السَّبِّ القبيح والقذف ونحوه»^(٤) .

قال الشيخ الشنقيطي (رحمه الله) في أضواء البيان : بَيَّنَّ تعالى أن المراد بهذه الفاحشة : اللواط بقوله تعالى على لسان لوط عليه السلام : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ [الأعراف : ٨١] . وقوله سبحانه : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩]^(٥) .

(١) التفسير الموضوعي ، ٩٨/٣ .

(٢) تفسير السَّعْدِي ، ص ٣٦٠ .

(٣) تفسير الشعراوي ، ٧/٤٢٢٥ .

(٤) مدارج السَّالِكِينَ ، ١/٣٧١ .

(٥) أضواء البيان ، ٢/٣٥ .

ج - ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ : هنا الجملة مستأنفة؛ لتأكيد النكير، وتشديد التوبيخ والتقريع، فإنَّ مباشرة القبيح قبيحٌ، واختراعه أقبح، ولقد أنكر الله تعالى عليهم أولاً إتيان الفاحشة، ثم وبَّخهم بأنهم أول من عملها^(١).

فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها وسَنُّوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضاً^(٢). ومن ثم بيَّن عليه السلام هذه الفاحشة المنكرة والباعث عليها فقال^(٣):

٢- ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ :

أ- ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ : أي أمثالكم من الذكور، فالقوم كانوا شاذِّين جنسياً، يأتي بعضهم بعضاً دون تمييز بين صغير وكبير، وما ذكر (الرجال) هنا إلا زيادة في التنكير عليهم، وتوبيخهم^(٤).

ب - ﴿ شَهْوَةً ﴾ : أي من أجل الشهوة فقط، لا من أجل غرضٍ آخر، وهو التكاثر والتناسل وبقاء النوع، فالقوم عبيد الشهوة الشاذَّة.

ج - ﴿ مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ : أي متجاوزين النساء، ومعرضين عنهنَّ، وهنَّ محلُّ الاشتهااء الفطريِّ للرجال^(٥)، عن طريق عقد الزواج.

ثم بيَّن سبب الشذوذ ومجاوزة الفطرة، فقال :

د - ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ : أي خارجون عن حُدود الاعتدال^(٦) والحقُّ إلى الفساد^(٧).

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢٤٥/٣.

(٢) تفسير السَّعدي، ص ٣٦٠.

(٣) التفسير الموضوعي، ٩٩/٣.

(٤) المصدر السابق، ٩٩/٣.

(٥) المصدر السابق، ٩٩/٣.

(٦) المصدر السابق، ٩٩/٣.

(٧) التدبر والبيان، ٣٥١/١١.

وقد بيّن لوط عليه السلام في نهيه لقومه سبب دخولهم في عالم الشذوذ والانحراف، وهو الإسراف^(١). ومن ثم فإن حياة الترف والإسراف هي التي أدّت إلى الانحراف والشذوذ^(٢).

إنّ الإسراف عاملٌ من أقوى عوامل التفتت الاجتماعي؛ لأنّ الانغماس في مراتع الشهوات المحرّمة، وإشباع الغرائز الجامحة؛ يُميتُ الشعور بالنخوة، ويقتلُ الإحساسَ بالغيرة، ويجعل الرذائلَ من عادات الحياة في المجتمع الذي يقوده المسرفون، إذ يجعل هؤلاء الرذائلَ ميداناً للتنافس الفاجر، فلا يبقى أحدٌ يرفع رأسه إنكاراً لها، بل يجد المجتمعُ في كبرائه المترفين المسرفين من ينكرُ على من ينكر الرذائل، وتصبح الفضائل الخلقية، والقيم الروحية، غرائب في نظر هذا المجتمع المتحلل^(٣)؛ ولذلك كان ردُّ قوم لوط عليه:

٣- ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾:

هذه الآيةُ تبين موقفَ قوم لوط عليه السلام منه، بعدما أرسله الله تعالى إليهم بشيراً ونذيراً، فقد صدّعَ بالحق، وبيّن لهم:

- أنّ ما يفعلونه فاحشةٌ بكلِّ مقاييسِ الفحش والفجح .
- وأنهم أوّل من افتعل هذه الفاحشة على وجه الأرض، فلم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين .

- وأنّ موازينهم انقلبتُ بإتيانهم الرجالَ بدلاً من النساء .

- وأنّ ما يفعلونه مجردُ شهوة، لا غايةَ لها ولا هدفاً .

(١) قصّة لوط بين القرآن والتوراة، جهاد محمد، ص ٦٤ .

(٢) التفسير الموضوعي، ٩٩/٣ .

(٣) المصطلحات في القرآن، محمد أمحزون، ٢٢٨/١ .



- وَأَنَّ سَبَبَ دُخُولِهِمْ فِي عَالَمِ الشُّذُودِ: إِسْرَافُهُمْ، فَتَجَاوَزُوا الْحُدُودَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وأجابوه بوقاحةٍ عظيمةٍ، وفجورٍ زائدٍ على الحدِّ: أَنْ أخرجوا لوطاً وآله من قريبتكم، وَحَكَمُوا عَلَى كُلِّ مُخَالَفٍ لَهُمْ بِالنَّفْيِ وَالطَّرْدِ.

وجوابهم يدلُّ على الضعف والعجز، حيث لجؤوا إلى القوَّة والإيذاء، وهذه هي عادة الظالمين وسبيلهم. ويتجلى الانحرافُ في قولهم:

أ- ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾: فَقَدْ حَكَمُوا عَلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ بِالْإِخْرَاجِ وَالنَّفْيِ مِنَ الْقَرْيَةِ بِالْقُوَّةِ إِنْ اسْتَمَرَّ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَعْظِهِمْ. وَعَبَّرَ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَهْدِيدِهِمُ الْعَنِيفَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وإِنَّ الْإِخْرَاجَ: إِجْبَارُ الشَّخْصِ عَلَى تَرْكِ بَلَدِهِ وَبَيْتِهِ، وَهُوَ مِثْلُ النَّفْيِ. وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ (هُمْ) فِي (أَخْرِجُوهُمْ) عَائِدٌ عَلَى مُحذُوفٍ عَلِمَ مِنَ السِّيَاقِ، وَهُمْ لُوطٌ وَأَهْلُهُ^(١).

- ﴿مِّنْ﴾؛ بَيَانِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى عُمُومِ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْقَرْيَةِ كَامِلَةً، وَأَضَافُوا الْقَرْيَةَ إِلَيْهِمْ لِيَجْعَلُوهَا خَاصَّةً بِهِمْ، وَلِيَقَرُّوا غُرْبَةَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا^(٢).

ب- ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾: لَقَدْ عَابُوا عَلَيْهِمْ تَنَزُّهُهُمْ عَنْ حَمَاةِ الْفَوَاحِشِ الَّتِي انْغَمَسُوا فِيهَا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تَأْثِيرِ الشُّذُودِ عَلَيْهِمْ حَتَّى أُنْزِلَهُمْ إِلَى هَذَا الْمَسْتَوَى الْهَابِطِ، حَيْثُ اخْتَلَّتِ الْمَوَازِينُ، وَانْعَكَسَتِ الْقِيَمُ، فَأَصْبَحَتِ الرَّذِيلَةُ فَضِيلَةً فِي نَظَرِهِمْ، وَصَارَتِ الْعَقَّةُ جَرِيمَةً يَعَاقِبُ صَاحِبُهَا بِسَبَبِهَا، وَيُطَارَدُ مِنْ أَجْلِهَا، فَلَا مَكَانَ لَهُ بَيْنَ الْمَلُوثَيْنِ الْفَاسِدَيْنِ^(٣). وَهُمْ قَدْ عَلِمُوا هَذَا التَّطَهُّرَ مِنْ

(١) النظم القرآني في قصَّة لوط، ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣) التفسير الموضوعي، ١٠١/٣.

خُلِقَ لوط عليه السلام وأهله؛ لأنهم عاشروهم ورأوا سيرتهم؛ ولذلك جِيءَ بالخبر جملةً فعليةً مضارعة: ﴿يَنْطَهَرُونَ﴾؛ لدلالاتها على أنَّ التطهرَ متكرِّرٌ منهم ومتجدِّدٌ^(١).

- ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أُكِّدَتِ الجملةُ الاسميَّةُ بحرف التوكيد (إِنَّ)، لتدلَّ على حرص لوط عليه السلام وَمَنْ آمَنَ معه على تنزُّهِهم عن فعل الفاحشة، والدَّعوة إلى تركها.

- ﴿وَأَنَّا﴾؛ نكرة، وذلك للتقليل من شأن لوط عليه السلام، ومن آمن معه وللاشارة إلى ضَعْفِهِم، وقَلَّةِ عددهم، وَضَعْفِ تأثيرهم في النَّاسِ^(٢).

- ﴿يَنْطَهَرُونَ﴾؛ جِيءَ بالفعل المضارع، ليدلَّ على تجدُّدٍ وحدثٍ ذلك التنزُّه والتعقُّف من فعل القبيح، وقد اعتبر قومُ لوط التطهر عن الوقوع في الفواحش والمعاصي جريمةً يعاقب صاحبها بالإخراج والنفي من بلده ومكان إقامته، بدلَ التكريم والتشجيع. وَحُكْمُهُمْ هذا يتناسبُ مع قلبهم للطُّباع السَّليمة، وللمفاهيم والقيم الاجتماعية المستقيمة^(٣).

ونجح سُعاةُ الفسادِ في منع النَّاسِ من الدُّخولِ في دعوة لوط عليه السلام، الذي لم يجدْ من يستجيبُ له خارج حدود بيته، بل امتدت المعصيةُ إلى بيته في امرأته بكُفْرِها^(٤). وما زال الموقفُ هو نفسه عند كلِّ قوم مجرمين أو شاذِّين منحرفين، ونرى في المجتمعات الشَّاذَّةِ المعاصرة نماذجَ صارخة، يُعاقَب فيها صالحون لأنهم أناس يتطهَّرون، فيُعتبرون خارجين عن الأوضاع والأعراف والعادات الاجتماعية، وهي شاذَّةٌ منكِّرة، لكنَّ الشَّاذِّين لا يطبقون وجودَ

(١) النظم القرآني في قصَّة لوط، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٣) فقه السنن الإلهية، ص ١٩٦.

(٤) النظم القرآني في قصَّة لوط، ص ٧٤.

المتطهرين بينهم، ولا خير في مثل هذا المجتمع، ولا علاج له إلا بالاستئصال والحسم بسبب تحكّم الفساد وانتشاره^(١).

٤ - قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف:

٨٣].

عرضت السورة النهاية بإيجاز بليغ، فلا تفصيل لعرض أحداث القصة كما جاءت في سورة هود والحجر والعنكبوت، وتبدأ الآية بالعطف بفاء الترتيب والتعقيب، حيث إنّ جملة ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ جاءت تعقيباً لجملة: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْظَهُرُونَ﴾، وهي جملة خبرية مسوقة لبيان خلاص لوط عليه السلام وأهله المؤمنين من أذى قومه، ومن ضرر العذاب الذي حلّ بهم، وجاء بصيغة الماضي لتحقيق تلك النجاة ووقوعها.

أ - ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾؛ قدّم الخبر بإنجاء لوط عليه السلام على الخبر بإمطارهم مطر العذاب؛ لإظهار الاهتمام بأمر إنجاء لوط عليه السلام، ولتعجيل المسرة للسامعين من المؤمنين، فتطمئن قلوبهم لحسن عواقب أسلافهم من مؤمني الأمم الماضية، وتحقق سنة الله تعالى في عباده بنصر المؤمنين، وإهلاك الكافرين، وإنفاذ وعد الملائكة لإبراهيم عليه السلام حينما جادلهم في شأن قوم لوط، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]^(٢).

ب - ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾؛ أي: كانت من الباقيين في العذاب؛ لأنها كانت تُسرّ الكفر، وتوالي قومها^(٣).

(١) التفسير الموضوعي، ١٠١/٣.

(٢) النظم القرآني في قصة لوط، ص ٢١٣.

(٣) التفسير الموضوعي، ٣٧١/٣.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

بعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى نجاة قوم لوط وأهله المؤمنين وهلاك امرأته، ذكر هلاك قومه وعذابهم بقوله:

أ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾؛ من حجارة لا من ماء، كما ذكر سبحانه في سورة هود ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، وهذا تشبيهٌ بليغ، فقد شبه إرسال الحجارة بإنزال المطر لكون الكل من السماء، وسمّاه (مطراً)، وعبر بالماضي: (وأمطرنّا)؛ ليدلّ على تحقيق وقوع الفعل، وأسند الفعل إلى ضمير (نا) للتعظيم.

- وجاء بـ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ التي تدلّ على الاستعلاء، بياناً لتعظيمهم بمطر العذاب، لأنه عذابٌ استتصالٍ لم ينبُ منه أحد. وضميرُ الوصل في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعودُ على المعذَّبين من قوم لوط، وذكر ﴿مَطَرًا﴾ للتهويل. والتنوين للتعظيم، أي: مطراً عجبياً من شأنه أن يهلك القرى^(١).

ب - ﴿فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ فقد خُتمت القصة بالدعوة إلى التعقّل والتدبُّر والاعتبار، فانظر أيها العاقل نظرة تدبّر واتعاط في مآل أولئك الكافرين، المقترفين لأبشع الفواحش، واحذر أن تعمل عملهم فيصيبك ما أصابهم، واسلك الطريق المستقيم لتسعد في الدنيا والآخرة.

وأتى بفاء الترتيب بعد هلاك الكافرين، ليوجب على العاقل التدبُّر والنظر في آثار المعذَّبين، ثم حدّد النظر: ﴿فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، بجملة اسمية تدلّ على استمرار وثبوت العذاب لكلّ مرتكبٍ للفواحش^(٢).

(١) النظم القرآني في قصة لوط، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.



- ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ فالعاقبة أليمة؛ لأن الجريمة كبيرة وخطيرة، فجاءت العاقبة مناسبة لشدة الفاحشة وعظيم أثرها في المجتمع. إن انتشار الشذوذ الجنسي في مجتمع من المجتمعات مؤثر خطير إلى انحلال هذا المجتمع، وتآكله، وسقوطه حضارياً.

ومضى لوط عليه السلام بعيداً دون أن يتوقف أو يلتفت، فالمنظر مخيف لا يُحتمل، وتابع السير كما أمره ربه في قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥] ^(١).

إن الله عز وجل وصف قوم لوط بالمجرمين، وذكر صفات المجرمين، وهي تنطبق على قوم لوط، ومنها:

- نصرة الباطل، والدعوة إليه بشتى الوسائل؛ ولذلك أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين ببيان سبيل الباطل وكشفها؛ ولذلك كان لزاماً على المسلمين في كل عصر فضح مناهج أهل الباطل، وبيان عوارهم، وطرقهم المعوجة، ونظرياتهم الكفرية، وأنظمتهم الباطلة، وذلك باستعمال شتى صنوف الوسائل: كالكتابة، والخطابة، والصحافة، والإعلام، والدعوة الفردية، والدعوة الجماعية، والندوات، والمحاضرات، مما يؤدي إلى استبانة طريق الهدى من طرق وسبل الضلال، وطريق أنصار الخير من سبل أذعياء الشر ^(٢).

- الكفر بالله تعالى والشرك به، وتكذيب رسله، وعدم التصديق بالمعاد والثواب والعقاب، كلها من صفات المجرمين.

- من صفات المجرمين ارتكاب الفاحشة، واستحلال ما حرم الله عز وجل، واكتساب الذنوب، واجترام السيئات، والعمل بما يكره الله جل ثناؤه من

(١) التفسير الموضوعي، ١٠٢/٣.

(٢) المصطلحات في القرآن الكريم المعاني والدلالات، د. محمد أمجرون، ٨٣/٢.

المعاصي والمنكرات، وقد بين الله تقدّست أسماؤه في كتابه العزيز ما حدث للقرون الماضية، والمصائر التي آلت إليها بسبب الآثام والذنوب، واستحلّاهم ما حرم الله من المعاصي، والعمل بالفسق والفجور الذي أصبح ظاهرة اجتماعية، فمضت فيهم سنة الله في المجرمين، كما حدث مع قوم لوط عليه السلام.

ثانياً: لوط عليه السلام في سورة الأنبياء:

قال الله سبحانه: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٨﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٧٥-٧١].

من ضمن الأنبياء الذين ذكرهم الله عز وجل في سورة الأنبياء نبي الله لوط عليه السلام، فذكر عند هجرته مع عمّه إبراهيم، وما من الله على خليل الله من الذرية الصالحة المتمثلة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، وتحدثت الآيات عن فضل الله على لوط عليه السلام، وما امتنّ به عليه من الحكمة والعلم، ونجاته من القرية التي كانت تعمل الخبائث، ودخوله في رحمة الله، ووصفه بأنه من الصالحين.

١ - قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]:

أ - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾: وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا لوط، قيل: إنه ابن أخيه، فنجّاه الله وهاجر.



- ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: الشام، فغادر إبراهيمُ وزوجته سارة وابنُ أخيه لوط من العراق إلى الشام، وفلسطين هي أفضلُ أرض في بلاد الشام؛ لأن فيها أولى القبلتين المسجد الأقصى، ومسرى رسول الله ﷺ^(١).

إنَّ أرضَ الشام التي هاجر إليها خليلُ الرحمن إبراهيم عليه السلام وابنُ أخيه لوط عليه السلام كانت مهبطَ الوحي فترةً طويلة، ومبعثَ الرسل من نسل إبراهيم، وفيها الأرضُ المقدسة، وثاني الحرمين، وفيها بركةُ الخصب والرزق إلى جانب الوحي والنبوة جيلاً بعد جيل^(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾

[الأنبياء: ٧٢]:

ذَكَرَ اللهُ سبحانه وتعالى في هذه السُورة بعضَ المِنح والعطايا التي وَهَبَهَا لإبراهيم عليه السلام نتيجةً لهجرته، وتضحياته في سبيله، فلم يتركه الله وحيداً، بل وهب له ذرية، وعوّضه خيراً، فإسحاق هو ابن إبراهيم عليه السلام من سارة، ويعقوب هو ابن إسحاق، ولكنه يُحسب ولدًا لإبراهيم؛ لأن إسحاق رُزقه في حياة جدّه إبراهيم، فنشأ في بيته وحِجره، وكان كأنه ولده المباشر، وتعلّم ديانته، وكان نبياً كآبيه.

ولم يذكر السيّاق القرآنيّ إسماعيل عليه السلام، مع أنه الابنُ الأكبر لإبراهيم عليه السلام وولده هاجر؛ لأن القرآن يتكلم عن الأرض التي هاجر إليها إبراهيم، وعن أنبياء بني إسرائيل الذين سكنوا تلك المنطقة، بينما إسماعيل ذُكر في سياق الهجرة مباشرة في سورة الصّافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^(٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصّٰلِحِينَ ﴿[الصافات: ٩٩-١٠٠]، فكان غلاماً حليماً ذا أناة.

(١) التفسير الموضوعي، ٣٧٢/٥.

(٢) في ظلال القرآن، ٢٣٨٨/٤.

ومن ذرية إسحاق جاءت أمة بني إسرائيل اليهود، ومن ذرية إسماعيل جاءت أمة محمد ﷺ، وكانت هبة الله لإبراهيم بأن رزقه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وقد تلقاها خليل الله بالشكر والثناء، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] (١).

ومعنى ﴿نَافِلَةً﴾: هو وصفٌ ليعقوب عليه السلام لأنه وَلَدَ ولده، يعني أن يعقوب وَلَدَ إسحاق، وقال مجاهد: نافلة: عطية. وقال الرّازي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾، إجابة لدعائه، ووهبنا له يعقوب نافلة على ما سأل، كالصلاة النافلة التي هي زيادة على الفرض، وعلى هذا فالنافلة يعقوب خاصة.

- ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾؛ أي: جعلنا كلاً من إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء مرسلين، هذا قول الضحّاك. وقال آخرون: عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه (٢).

وحين هاجر إبراهيم عليه السلام، وترك وطناً وأهلاً وقوماً، عوّضه الله الأرض المباركة وطناً خيراً من وطنه، وعوّضه ابنه إسحاق، وحفيده يعقوب أهلاً خيراً من أهله، وعوّضه من ذريته أمة عظيمة العدد، وقوماً خيراً من قومه، فقد نشأت من ذريته أمتان عظيمتان كان لهما الدور المحوري في مستقبل الحضارة الإنسانية، وهاتان الأمتان المنحدرتان من صُلبه هما على التوالي: الأمة العربية التي أنشأها أبناء إسماعيل عليه السلام، وأمة بني إسرائيل التي تشكّلت من أحفاد يعقوب بن إسحاق عليهما السلام (٣).

(١) قصّة إبراهيم في القرآن الكريم، د. إسحاق محمد، ص ١٠٥.

(٢) تفسير الرّازي، ١٩١/٢٢ - ١٩٢.

(٣) سنن الله في الحضارة الإنسانية، أحمد سريرات، ص ٤٨.

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]:

قال الشنقيطي (رحمه الله) في «أضواء البيان»: «يشمل الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ كل المذكورين: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، كما جزم به أبو حيان في (البحر المحيط) وهو الظاهر، وقد دللت هذه الآية الكريمة على أن الله جعل إسحاق ويعقوب من الأئمة، أي جعلهم رؤساء في الدين، يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات».

- وقوله: ﴿بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي، أو يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم، وذلك بإرشاد الخلق ودعائهم إلى التوحيد.

- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: أن يفعلوا الطاعات، ويأمروا الناس بفعلها، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من جملة الخيرات، فهو عطف الخاص على العام^(١) تنويهاً بشرف هاتين العبادتين، فهما رأس أفعال الخير والبر^(٢).

- ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾: أي: كانوا مطيعين، وخاضعين لله تعالى وحده، وهي شهادة عالية رفيعة من الله تعالى، تدل على براءتهم من جميع افتراءات المفترين، وسهام المغرضين، والمذكورة في الكتب التي يتداولها أهل الكتاب، وفيها تشويه سمعتهم عليهم الصلاة والسلام^(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَاءَ آئِنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَيَّنَّاهُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]:

تحدثت الآيات بأن الله تعالى آتى لوطاً عليه السلام الحكم، أي: الحكمة

(١) أضواء البيان، ٤/ ٥٩٢-٥٩٣.

(٢) التفسير الموضوعي، ٥/ ٣٧٤.

(٣) المصدر السابق، ٥/ ٣٧٤.

والعلم، ونجّاه مرّة أخرى من قومه الفاسقين، وما حلّ بهم من عذاب، فالآيات نسيجٌ متداخل، مترابطٌ، متشابكٌ، متواتقٌ، متناسقٌ^(١).

أ- ﴿وَلَوْطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾؛ ابتداءً بكلمة ﴿وَلَوْطًا﴾ للاعتناء. ﴿ءَايَيْنَاهُ﴾؛ أعطيناه، ووهبنا له. ويبدو أن الإيتاء ثمرةٌ مجهود مع التفضّل، وأما الهبة ففضلٌ ومكافأة، والله أعلم.

والإيتاء بنون العظمة؛ لتعظيم ما أوتي، ومن أوتي ومن آتى بطبيعة الحال.

- ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾؛ أعطيناه الحكمة والعلم. والحكم ليس بالضرورة السُّلطة، ولكنّ الحكمة تجعل لك سلطاناً عند العقلاء والأسياء؛ ولذا يعبر عنها بالحكم، فهو يصبح بحكمته كأنه حاكمٌ بين الناس، ولا حكم إن لم يكن لصاحبه رصيّدٌ من الحكمة، وإلا فسرعان ما يقع فاقد العلم والحكمة في سقطات تُودي به.

ب- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾:

أي نجّيناه من عقوبة القرية التي كانت تعملُ الخبائث، والخبائث أولها الكفر، ثم ما اختصّوا به من إتيان الذكور، والمنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم^(٢).

ونجّيناه من مكر أهلها، حين حاولوا الاعتداء على ضيفه الكرام من الملائكة وهم لا يعلمون أنهم ملائكة، ونجّيناه من حقدهم وكيدهم، فكم تأمروا عليه وهم يقولون: ﴿أَخْرِجُوهُ أَلْ لَّوْطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦]؟!.

ج- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾؛ هذا ملخصٌ وصفٍ حال قوم لوط عليه السلام، إنهم كانوا قوم شرّ، وسوء، وفسق، وفحش، وفجور، وعدوان.

(١) تفسير سورة الأنبياء، أحمد نوفل، ص ٣٦٤.

(٢) التيسير من التفسير، أبو نصر القشيري، ٤٨/٥.



وأضاف القوم إلى سوءه، فكأنه ملتصق بهم، وهو وصفهم المقيم؛ لذا اختص بهم وصار سمة تدل عليهم.

- ﴿فَسِيقَينَ﴾؛ خارجين عن منهج الله، وعن فطرة الله، وعن سواء السبيل، وعن الأخلاق، وعن القيم، وعن الإنسانية^(١).

وفي وقتنا الراهن تريد القوى «الإبليسية» أن تفرض الشذوذ واللواط على الأفراد والشعوب والأمم، بقوتها وأساليبها الناعمة والخشنة؛ حتى تُشرعن هذه الخبائث، وتنتشر الفسوق بين الناس، وإن كانت هناك مقاومة إنسانية عالمية ترفض هذا الفحش، والسقوط الأخلاقي، والانهيال الروحي، وضياع العقل، وغياب المنطق في الدعوة إلى فاحشة قوم لوط.

إن من آثار الشرك المدمرة، والكفر الضار بالإنسان هو الوقوع في الخبائث والكبائر والمعاصي والذنوب.

٥- قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٥].

- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: لوط عليه السلام، والواو في أول الكلام للعطف، وعبر بنون العظمة لعظمة الرحمة وشرافها.

- ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ ﴿فِي﴾ للاستغراق؛ أي: شمول الرحمة وعمومها. وعبر عن الرحمة أيضاً بنون العظمة، وأضافها مولانا إلى نفسه، لإكسابها مزيداً من العظمة.

- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ التي من دخلها كان من الآمنين من جميع المخاوف، السائلين كل خير وسعادة وسرور وثناء، وذلك لأنه: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، الذين صلحت أعمالهم، وأصلح الله فاسدهم. والصلاح هو

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص ٣٦٥.

السبب في دخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد سببٌ لحرمانه الرحمة والخير، وأعظم الناس صلاحاً الأنبياء عليهم السلام، ولهذا يصفهم القرآن بالصلاح^(١).

ثالثاً: لوط عليه السلام في سورة الشعراء:

قال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ بَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَجَنِّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ١٦٠ - ١٧٥].

بعد أن ذكر الله عز وجل قصة نوح وهود وصالح في سورة الشعراء، جاءت قصة لوط (عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام).

ويبدأ لوط عليه السلام في هذه السورة مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح، يستنكر استهتارهم، ويستجيش في قلوبهم وجدان التقوى، ويدعوهم إلى الإيمان والطاعة، ويطمئنهم إلى أنه لن يفجعهم في شيء من أموالهم مقابل الهدى، ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عُرِفُوا بها في التاريخ^(٢).

ولأول مرة تحدثنا الآيات عما قاله لوط لقومه غير نهيمهم عن الفاحشة، فالذي رأيناه في سورة الأعراف كان إنكاره عليهم إتيان الفاحشة، أمّا هنا فهو يحدثهم عن رسالته وأمانته، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته، ويوبّخهم صراحة على فعلتهم القبيحة بإتيان الذكور وترك الأزواج، وأنه من شر أنواع الاعتداء على

(١) تفسير السّعدى، ص ٦٩٢.

(٢) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٦١٣.



الحرمان، واعتداء على الذكور، وهو مع ذلك اعتداء على النساء بحرمانهن حقوقهن.

وتحدثنا السورة حديثاً جديداً، وهو أنهم توعدوه بالرجم إن لم يكفَّ على ذلك وهنا - وبعد ذلك - يعلن أنه لما يعملون من المبغضين المستنكرين، ويطلب من الله أن ينجيه ومن آمن معه من عملهم، ويستجيب الله تبارك وتعالى دعاءه، فينجيه وأهله إلا من يستحق العذاب منهم. ثم تُذكر الآيات بأحوالهم في آخر القصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٤] ^(١).

تفسير الآيات الكريمة:

١ - قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(١٦٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ^(١٦٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ^(١٦٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١٦٧) [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٣]:

أ - ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ تلك هي النهاية - نهاية القصة - يبدأ بها لإبرازها منذ البداية، ثم يأخذ في التفصيل، وقوم لوط لم يكذبوا إلا لوطاً، ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين، فالرسالة في أصلها واحدة، وهي دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له، فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين، فهذه دعوتهم أجمعين.

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى، ويُقرّره في مواضع كثيرة، بصيغ متعددة؛ لأنه كَلِيَّة من كَلِيَّات العقيدة الإسلامية تحتضن بها الدعوات جميعاً، وتُقسم بها البشرية كلها إلى صفتين: صف المؤمنين وصف الكافرين، على مدار الرسالات، ومدار القرون، وينظر المسلم، فإذا الأمة المؤمنة لكل دين، ولكل عقيدة من عند الله، هي أمته، منذ فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام، دين التوحيد

(١) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص ٣٥٨.

الأخير، وإذا الصفُّ الآخر هم الكفار في كلِّ ملة وفي كلِّ دين، وإذا المؤمنُ يؤمن بالرُّسل جميعاً، ويحترمُ الرُّسل جميعاً؛ لأنهم جميعاً حَمَلَةُ رسالة واحدة هي رسالة التوحيد^(١)، وأيُّ أمة تكفر برسولها، فكأنما كفرت بجميع المرسلين، فسلسلةُ الأنبياء واحدة، ودعوتها واحدة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل.

دعا سيدنا لوطٌ عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن اقتراف السيئات والفواحش، واصطدمت دعوتُه بقلوب قاسية، وأهواء مريضة، ورَفَض متكبر، إذ أَبَوْا دعوة التوحيد وأركان الإيمان، وجأهروا بالعداء والتكذيب لنبي الله الكريم لوط عليه السلام^(٢).

ب- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾:

إنَّ سيدنا لوطاً لم يكن أخاً لقومه في النسب، ولكنه بسبب نزوله بينهم، ومعاشرته لهم، ومواطنته بينهم، ودعوته لهم أصبح من أقربائهم، وذَكَرَهم القرآن الكريم بصفته الأخوية^(٣).

قال صاحبُ التحرير والتنوير: «وجعل لوطاً أخاً لقومه، ولم يكن من نسبهم وإنما كان نزلياً فيهم، إذ كان قومُ لوط من أهل فلسطين من الكنعانيين، وكان لوط عبرانياً، وهو ابن أخ إبراهيم، ولكنه لما استوطن بلادهم، وعاش فيهم، وحالفهم، وظاهرهم جعل أخاً لهم»^(٤).

وهناك من قال: إن المقصودَ بأخوة لوط في الآية إخوة المصاهرة، ذلك لأن سيدنا لوط عليه السلام نزل بين قومه، وعاش معهم، وتزوَّج منهم، وأنجب

(١) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٦٠٧.

(٢) المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، ص ١٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٣٣٣.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ٨/ ٤٠١.

كذلك، وإن كان المقصود أخوة المعاشرة أو المصاهرة، فكلاهما متقاربان؛ لأنَّ المصاهرة لا تكون إلا بالمعاشرة والمواطنة^(١).

وقال الدكتور فضل حسن عباس (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ ﴿١١﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٢﴾ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ تُيُوسُفَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق: ١٢ - ١٤]، قال: «والذي يبدو لي أنَّ التعبير القرآنيَّ له أسبابه ومسوغاته، فالأنبياء الذين أرسلهم الله (عليهم الصلاة والسلام جميعاً) نشأ كلُّ منهم في قومه، فهم أهلُه وعشيرته وأهلُ بيته الذين نشأ منهم، إلا لوطاً عليه السلام، فمن المعلوم أنَّه جاء مع إبراهيم (عليهما الصلاة والسلام)، فالذين أرسل فيهم ليسوا من عشيرته. ولما كانت هذه أول سورة يُذكر فيها أولئك النَّاس حلَّ محلِّ كلمة قوم (الإخوان)، إشارة إلى تلك الأخوة الإنسانية، ولم نجد في كتاب الله تبارك وتعالى هذا الوصف (الإخوان) إلا في هذه السُّورة، ثم رأينا السُّورة الكريمة بعد ذلك يُذكر فيها القوم مثل: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ ﴿الشعراء: ١٦٠ - ١٦١﴾، خلاصة القول: أنَّ كلمة (أخوهم) هنا ذُكرت لحكمةٍ كان لا بُدَّ منها^(٢).

والأخوة لغة وشرعاً على درجات وطبقات، وأولها الأخوة الإنسانية التي وُصف بها الأنبياء مع قومهم وقبائلهم.

- قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥].
- وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣].
- وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].
- وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤].

(١) الآيات والأحاديث والآثار العقدية في نبي الله لوط، ص ١٥٧.

(٢) قصص القرآن، ص ٣٥٤.

- وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١].

وتكرّر ذلك في القرآن والسنة النبوية، وجاء في حديث الإسراء أَنَّ الأنبياء إخوة، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: «مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ»^(١). وأعلى درجات الأخوة: أخوة الإيمان؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن»^(٢)، وهي التي تستحقّ كاملَ الحقوق وأعلى الدرجات، ولكنّ ذلك دفع بعضَ المتعصّبين والمتشدّدين إلى حصر الأخوة في هذه الدرجة، وأنكر استعمالها في الدرجات الأخرى - مخالفاً بذلك القرآن والسنة - واستعمال الأخ حسب النسب والدرجات والقبائل والأعراف والأديان، وهو ما يجري عادة في جميع المناسبات وأحقاب التاريخ، والمجاملة في لقاء الآخرين مهما كانت صفاتهم وأحوالهم. وثبت في السيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال لأحدهم: «أخا العرب»، وهو من الكلمات اللطيفة والمحبة في الأدب والأخلاق والمعاملات طوال الدهر^(٣).

ج - ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: إذ لم تؤمنوا بالله، وتعبدوه، وتلتزموا بشرعه من أوامره ونواهيه، نزل بكم عقابه وعذابه، فالرشد والعقل يقتضيان منكم أن تتقوا ذلك، ومن أجل هذا؛ فإنني أعرض عليكم عرضَ حثٍّ وحضٍّ أن تتقوا الله وعذابه الذي أنذرتكم به في عاجل حياتكم وآجلها، ودلّ على كلّ هذا بالضرورة الذهني عبارة: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وإنّ الاستفهام في هذه العبارة يحمل معاني التعجّب، والاستغراب، والاستنكار من كونهم لا يتقون، وهي تتضمن معنى الحثّ والحضّ على أن

(١) شرعة الله للأنبياء، ص ٩٤.

(٢) سنن أبي داود، ٥٧٦/٢، شرعة الله للأنبياء، الزحيلي، ص ٩٤.

(٣) شرعة الله للأنبياء، ص ٩٤.



يَتَّقُوا، والفاء عاطفة على ما سبق من مقول قول نوح عليه السلام المصرّح به أو المطوّي الذي يفهمم باللزوم الذهني، وقدّم حرف الاستفهام عليها؛ لأن الاستفهام في العربية له الصّدارة دائماً^(١).

- ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ الحذر من عقابه العاجل والآجل، واتّخاذ ما بقي منه، وهو يستلزم الطمع بثوابه، واتخاذ ما يظفر به، بالنسبة إلى مَنْ آمَن وأسلم^(٢).

إنّ التقوى في مضمونها: هي اتّخاذ وقاية من عذاب الله بفعل الطاعات، واجتناب المنهيات، ثمّ إنّ عَطَفَ الطاعة على التقوى في كثير من الآيات فيه إشارة إلى أنّ التقوى المأمور بها لا تتحقّق إلا بطاعة الرّسول واتباعه^(٣).

إنّ المتدبّر لكتاب الله تبارك وتعالى يجد أنّ التقوى هي من أكثر الأمور التي وجّه القرآن لها العناية، وحملَ النفوسَ على الاهتمام بها، وأصلُ التقوى من الوقاية، وللتقوى مراحل، وهي:

- أولها: اجتناب الشّرك.

- المرحلة الثانية: اجتناب الكبائر.

- أما المرحلة الثالثة التي تكتمل بها التقوى، فهي: الابتعاد عن الصغائر^(٤).

وذكر العلماء تعريفات كثيرةً للتقوى، وتعدّدت في ذلك كلماتهم وأقوالهم، منها:

- إنّ التقوى أن يطاع الله فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

(١) نوح عليه السلام والطوفان العظيم، الصلّابي، ص ١٢٥.

(٢) نوح عليه السلام وقومه، عبد الرحمن حبنكة، ص ٦٤.

(٣) قصّة نوح عليه السلام، عمر إيمان نوح، ص ٣٨.

(٤) نوح عليه السلام والطوفان العظيم، ص ١٢٨.

- ومن تعريفات التقوى: أن يراك مولاك حيث أمرك، وألا يراك حيث نهاك^(١).

د- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾؛ لا يخون، ولا يغش، ولا يزيد شيئاً أو ينقص شيئاً مما كُلفه من التبليغ. والمعنى: إني لكم رسول مبعوث من عند الله، وأمين على رسالات ربي، أبلغها لكم كما أتلّوها بالوحي عنه، لا أزيد فيها، ولا أنقص منها. ويترتّب على كونه رسولاً لله، مبلغاً عن ربه رسالته؛ أنهم مأمورون من قبل الله بطاعته، فقال لهم:

هـ- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾؛ أي: فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أدعوكم إليه؛ لأنكم إن لم تطيعوني فيما أدعوكم إليه وأنا رسول مبلّغ عن الله، كنتم مستحقين لعقابه وعذابه، فليست القضية قضيتي، وإنما هي قضية الله ربّي وربكم^(٢).

٢- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٤]:

أ- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ لما كان يتبادر لأذهان الأقوام المدعوين إلى مبدأ، أو فكرة، أو علم، أو جماعة، اتّهامهم الدّاعي بأنّ له مصلحة شخصية، يحصل عليها من جرّاء اتّباعهم له؛ كان من الحكمة في الدّعوة أن يعلن الرسول تجرّده من أية مصلحة شخصية، يحصل عليها من قومه الذين يدعوهم إلى دين الله ربّه وربّهم. ومعلوم أنّ أدنى المصالح وأخفّها مطالبتهم بأجر على ما يقدّمه لهم من تعليم ونصح وإرشاد، والظاهر أن التبرّؤ من أدنى المصالح وأخفّها يستلزم بداهة التبرّؤ مما هو أصعب على نفوس القوم وأشدّ، فأبان لوط عليه السلام أنّه ما يسألهم على ما يبذل لهم من جهد الدعوة من أجر عليها، مهما كان قليلاً خفيفاً، دلّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

(١) نوح عليه السلام والطوفان العظيم، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

ب - ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ ليس معنى ذلك أنه لا يطلب أجراً مطلقاً، إنها مثالية بالنسبة إلى البشر، وهو لا يدعيها، بل هو ضامنٌ أجراً يظفر به عند رب العالمين، فقد تكفل الله عن المدعوين، بأجر الدعوة إلى دينه وعبادته، فقال لوط عليه السلام: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: ما أجري الذي أستحقّه إلا على كفالة رب العالمين؛ فهو وحده الضامن، وهو وحده الذي تكفل به، وهو وحده الذي أثقُ أنه سيمنحني إياه^(١). وبما أنّ أجري على رب العالمين، فإن دعوتي إليكم إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وأن تتقوه، وتطيعوني فيما أمركم به؛ أريد بها وجه الله عز وجلّ وحده.

٣ - قوله تعالى: ﴿آتَاوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿[الشعراء: ١٦٥-١٦٦]:

بعد دعوة نبيّ الله لوط عليه السلام قومه، وأمرهم بتقوى الله تعالى، وإخبارهم أنّ الله تعالى بعثه رسولاً إليهم، وأنه أمينٌ على تبليغ الرسالة أرشدهم إلى الخير والفضيلة، وأنكر عليهم أبرز رذائلهم، وأسوأ أعمالهم، بفعالهم الشنيع وعمَلهم الخبيث^(٢).

أ - ﴿آتَاوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ بدأت الآية باستفهام إنكارٍ توبيخي، فيه من الدهشة والعجب ما فيه، إذ كيف ينزو الذكر على مثله؟! وجاء الإنكار بالفعل المضارع ليدلّ على تجدد حدوث تلك الجريمة المرة بعد المرة؛ حتى أصبحت سنةً طبيعية في حياتهم، كأنها من أخصّ أعمالهم اليومية.

- ﴿الذُّكْرَانَ﴾؛ جمع ذكر، وهو مقابلُ الأنثى، والألف والنون في ﴿الذُّكْرَانَ﴾ للمبالغة، إشارة إلى المبالغة في الذكورية، و(ال) التعريف للمبالغة في

(١) نوح عليه السلام والطوفان العظيم، المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٢) النظم القرآني في قصة لوط، ص ١١١.

تعريفهم، فهؤلاء الذين يأتونهم من دُون النساء ليسوا إناثاً، وليسوا موضعاً لقضاء الشهوة، إنهم «ذُكْرَان» كاملو الذكورية، متمكّنون منها، ممتلئون بها، فكيف يُحوّلون هؤلاء الذُكران إلى نسوان؟!^(١)

- ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ هذا الجار والمجرور متعلّق بالجملة الفعلية، وهو في محلّ نصب حال.

- ﴿مِنْ﴾؛ للتبعيض، أي: أتأتون الذُكران من أولاد بني آدم، على فرط كثرتهم، وتفاوت أجناسهم، وعليه فالمراد بالعالمين: النَّاس؛ لأن الذين يأتون الذُكور منهم خاصة، والقرينة إيقاعٌ على المفعول به، أو للبيان تَعوُّدٌ على (المآتي)، أي: أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذُكران، لا يشارككم فيه غيركم؟! أي: أنتم يا قوم لوط وحدكم مختصّون بهذه الفاحشة، لا يفعلها أحدٌ غيركم^(٢).

بهذا الفعل الوضع والانحطاط الكبير، تفرّد قوم لوط بعملٍ لم يسبقهم إليه أحدٌ من البشر، فهذه جريمةٌ لم تحدث من قبل؛ لأنها فعلةٌ مستقدرة، ومسألةٌ فظيعةٌ للغاية، وقد جعل الله لهم بديلاً عن فعل هذا المنكر الكبير، والفساد المستطير:

ب - ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ يتابع لوطٌ على قومه الإنكار والتوبيخ، وعبرٌ بصيغة المضارع ﴿وَتَذَرُونَ﴾، الذي يدلُّ على التجدد والحدوث والاستقرار، وذلك لاستحضار الحالة السيئة العجيبة لذلك الفعل، أي: إنهم تركوا السبيلَ الحق، إلى شذوذ وانتكاس في الطباع تحقيقاً لمتعةٍ منحرفة.

- ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: تتركون الذي أوجده الله تعالى سبيلاً لقضاء

(١) القصص القرآني، ١/ ٤٩١، النظم القرآني في قصة لوط، ص ١١١.

(٢) النظم القرآني في قصة لوط، ص ١١٢.

الشَّهْوَة، وطريقاً لإيجاد النسل، محققاً به قَمَّةَ المتعة، لقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي هاتين الآيتين الطَّرِيقُ الصَّحِيحُ لقضاء الوطر^(١).

- ﴿لَكُمْ رِبُّكُمْ﴾؛ قدَّم الجار والمجرور الذي هو متعلِّق الفعل، ليدلَّ على الاختصاص، وأن الغاية من ذلك الخَلْق لأجلهم، وأخَّرَ الفاعل ﴿رَبُّكُمْ﴾؛ لأنه معلومٌ ومعروفٌ لديهم، وفي هذا إيماءٌ إلى الاستدلال بالصَّلاحية الفطرية لعملٍ على بطلان عملٍ يضادّه؛ لأنه منافٍ للفِطْرَة، فهو من وسوسة الشيطان وتغييره لخلق الله، وإفساده لسنة التكوين، لقوله: ﴿وَلَا مَرْهُمْ فَلْيَغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] (٢).

- ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾؛ (من) بيانيّة، والمعنى: تتركون إتيانَ فروج أزواجكم^(٣).

ج- ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾؛

- ﴿بَلْ﴾: لإضراب الانتقال من مقام الموعظة والاستدلال إلى مقام الذمِّ، تغليظاً للإنكار؛ لأن شرف الرسالة يقتضي الإعلان بتغيير المنكر، والأخذ بأصح مراتب الإعلان، وأنه يتدبَّر باللين فإن لم ينفع انتقل منه إلى ما هو أشدّ، فانتقل لوط عليه السلام من قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ دون أن يقول: بل كنتم عادين، مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم، وفي جعل الخبر: ﴿قَوْمٌ عَادُونَ﴾ دون الاقتصار على ﴿عَادُونَ﴾؛ تنبيهٌ على أنَّ العدوان سجيّة فيهم حتّى كأنّه من مقومات حياتهم^(٤).

والعادي: هو الذي تجاوزَ حدَّ الحق إلى الباطل، يقال: عدا عليه، أي:

(١) النظم القرآني في قصة لوط، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢) التحرير والتنوير، ٨/ ١١٣.

(٣) النظم القرآني في قصة لوط، ص ١١٣.

(٤) التحرير والتنوير، ٨/ ٤٠٣.

ظلمه، وعدوانهم: خروجهم عن الحدّ الموضوع بوضع الفِطْرَةِ، إلى ما هو منافٍ لها محفوف بمفاسد التغيير للطبع^(١).

قال الشيخُ محمدُ أحمدُ العدوي (رحمه الله): صاروا قوماً عادين^(٢) للحدود، متجاوزين لها، كما وصفهم في آيةٍ أخرى بأنهم: ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ و﴿قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾؛ أي: تجهلون سنّة الله في نظامه. فهم بذلك العمل جنواً جنائيتين:

الأولى: إفسادهم للذّكران والقضاء على شهائمتهم، وكسر ما فيهم من إباء وشيم.

والثانية: تعطيلهم النساء من التّمتع بهنّ، وقد خلّقن لذلك.

ويتبع ذلك: تعريضهن للزّنى والقضاء على النّسل، وذلك مضاداً لنظام الحياة، وهدم لكيان المجتمع^(٣).

قابله قومه على هذا النصّح والإرشاد، والخوف عليهم من غضب الله وسخطه، وعذابه وانتقامه، بقولهم:

٤- قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

إنّ قومَ لوط عليه السلام عجزوا عن الدفاع عن باطلهم أمام البراهين والحجج التي أقامها عليهم لوطٌ عليه السلام، وأفلسوا عقولهم حتى عن التفكير في الحصول على شبهة يتمسّكون بها للثبات على باطلهم، فاضمحلّ باطلهم أمام سطوع الحقّ، وتضاءلت جهودهم أمام ثبات لوطٍ، وفترت عزائمهم أمام صبره، وخارت قواهم أمام قوّة الحق، فما كان منهم إلا أن طلبوا منه أن يكفّ

(١) التحرير والتنوير، ٤٠٣/٨.

(٢) عادين: جمع عاد، وهو الظالم الجائر، مأخوذ من العدوان.

(٣) دعوة الرسل إلى الله تعالى، ١/٢٩٥.



عن دعوتهم إلى دينه، وعن بيان ما هم عليه من الضلال وانطماس الفطرة، والانتكاس في مستنقع الآثام، ولجؤوا إلى استعمال التهديد والقوة بإخراجه من قريتهم ونفيه، ظناً منهم أنَّ هذه الوسيلة تريحهم من الإزعاج، وتُنْجِيهم من هزائمهم المتكررة أمام حجج وبراهين لوط المقنعة؛ ولذلك: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

يا سبحان الله! رسولٌ يدعو النَّاسَ إلى الطهر، ويُحِبُّبهم بالنزاهة، ويحول بينهم وبين فساد الفطرة، يكون جزاؤه من قومه أن يهددوه بالنفي، ويتوعدوه بالتغريب، ولا ذنب له في ذلك سوى طهارة غايته، وسمو مبادئه، ونبيل مقاصده!! ذلك هو ذنبه عند قومه، وقد صرَّحوا بذلك في سورة الأعراف إذ يقولون: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] ^(١).

وهكذا حال الطُّغاة، إذ يلجؤون إلى القوة والتهديد والوعيد عندما يجدون أنفسهم وقد حاصرهم أصحاب الحق من كل جوانبهم؛ بالحُجَّة الواضحة، وبالرأي السديد، وهكذا أسفر العادون، المسرفون، المجرمون، الجاهلون، الظالمون، الفاسقون عن وجههم القبيح، وكشفوا عن وسيلتهم الخبيثة، وعرف لوط عليه السلام أن القلوب القاسية لن تلين، فردَّ عليهم بإنكاره وكُرهه لعملهم، والتجأ إلى الله طالباً له ولأهله النجاة منهم:

٥ - قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

[الشعراء: ١٦٨ - ١٦٩].

أ- ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾؛ أي: ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ المبغضين غاية البغض ^(٢).

- ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾: أبلغ في الوصف من أن يقول (لعملكم قال)، كما نقول:

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى، المصدر السابق، ١/ ٢٩٥.

(٢) التفسير الموضوعي، ٦/ ١٨٢.

فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: (فلان عالم)؛ لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زميرتهم، ومعروفاً بمساهمته معهم في العلم، ويجوز أن يريد: من الكاملين في قلاككم.

والقلبي: البغض الشديد، كأنه بغض يَقلبي الفؤاد والكبد، وفي هذا دليلٌ على عِظم المعصية، والمراد: القلي من حيث الدين والتقوى، وقد تقوى همه الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبليّة^(١).

لقد ردّ عليهم لوطٌ بالكره البالغ لعملهم، وقذف بكلماته الصّادقة في وجوههم المظلمة، باشمئزاز ظاهر لأفعالهم الدنيئة، ثم توجه إلى ربه بالدعاء المنيب الخاشع المنكسر بين يديه، بأن ينجيه وأهله من قرية السوء والخبائث والفجور.

ب - ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ فلما رأى لوط عليه السلام أنَّ العلاج قد استعصى، وأنَّ الداء قد استفحل، وأنَّ جهده قد نفذ دون جدوى، دعا بهذا الدُّعاء، وصدّر طلبه بلفظ الرب، استحقاقاً واستدراكاً لنجدة الله، مع طلبه النِّجاة لنفسه ولأهله المؤمنين.

ولقد كان القصد لدى لوط عليه السلام من طلب النِّجاة لنفسه هو رسالته، والحرص على بقائها أطول مدّة ممكنة حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها.

وتوجه لوط عليه السّلام إلى ربّه للمرة الثانية بالدُّعاء قائلاً: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وقد توجه لوط إلى الله بهذا الدُّعاء بعد أن كرّر نصّحه للقوم، وذكرهم، وحذّره من عقاب الله على ما يأتونه من الفواحش، ولكنّ القوم تمردوا واستكبروا، وقالوا للوط: إن كنت صادقاً فيما تهدّدنا به من العذاب فعجل وائتنا به.



إِنَّ لوطاً لما يئس منهم طلب النصرة من الله، ودعا بالنَّجاة له ولأهله المؤمنين^(١).

٦ - قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾^(١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِبِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ [الشعراء: ١٧٠ - ١٧٣].

أ- ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾:

الفاء للتعقيب، أي: كانت نجاته عقب دعائه حسبما يقتضي ذلك بأسرع مدة بين الدعاء وأمر الله إياه بالخروج بأهله من قرية السوء^(٢).

ب - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِبِينَ﴾؛ العجوز: المرأة المسنة، وهنا هي زوج لوط عليه السلام^(٣).

قال النسفي (رحمه الله): «﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأة لوط، وكانت راضيةً بذلك، والراضي بالمعصية في حُكم العاصي، واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وإن لم تشاركهم في الإيمان»^(٤).

- ﴿فِي الْغَايِبِينَ﴾؛ في الهلاك والعذاب غير الناجين، قيل: إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة^(٥).

ج - ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾؛ (ثم): للتراخي الزبني وهو الهلاك، وذلك أنهم استؤصلوا بالخسف وإمطار الحجارة عليهم.

(١) دعاء الأنبياء والرسل، د. محمد محمود، د. موسى الخطيب، ص ١١٥.

(٢) التحرير والتنوير، ٨/ ٤٠٣.

(٣) المصدر السابق، ٨/ ٤٠٣.

(٤) تفسير النسفي، ٣/ ١٩٣.

(٥) تفسير الكشاف، ٢٦١/.

د - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ؛ وَسُمِّيَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْحَجَارَةِ مطراً؛ لأنه نزل عليهم من الجو، وقيل: هو من مقدوفات براكين في بلادهم، أثارتهزالازل الخسف، وهو تشبيهٌ بليغ^(١).

- ﴿فَسَاءَ﴾؛ فعل ذمٍّ بمعنى: بس، وفي قوله: ﴿الْمُنْذَرِينَ﴾ تسجيلٌ عليهم بأنهم أُنذروا فلم ينصاعوا للإنذار^(٢).

٧ - قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء: ١٧٤-١٧٥]:

أ- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾؛ أي: في ذلك الذي جرى من عقاب ربانيٍّ شامل لقوم لوطٍ لآيةٍ يتعظ بها مَنْ تفكَّر وتدبَّر، ولم يُطغِه هواه، ولم تُعم بصيرته شهواته.

- ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ هذه العبارة تدلُّ على أن بعضهم - وهم قلة - كانوا يخشون هذه العاقبة، إلا أن تبعيتهم العمياء لقومهم جعلتهم يسرون مع قومهم، على الرغم من تخوفهم من تحقق ما أُنذروا به لوط عليه السلام.

ويُستدل من هذا، بأن من الظواهر الاجتماعية في المجتمع البشري موافقة بعض القوم للنسبة العالية منهم؛ متنازلين عن مفاهيمهم الخاصة بتأثير التبعية الجماعية، ولما كانت القصّة تشتمل على ظاهرتين متضادتين، الظاهرة الأولى: تدمير قوم لوط تدميراً شاملاً، وهو أثرٌ من آثار عزة الله وقوته الغالبة، والظاهرة الثانية: إنجاء لوط عليه السلام وأهله، محفوظين بالحفظ والعناية والرعاية البالغة، وذلك من آثار رحمة الله. قال الله عز وجل في آخر بيانه للقصّة:

(١) التحرير والتنوير، ٨/ ٤٠٤.

(٢) المصدر السابق، ٨/ ٤٠٤.

ب- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ :

- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ على أعدائه، و﴿الرَّحِيمُ﴾ لأوليائه^(١). فذكر في هذا الختام اسمه: ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ أي: القويُّ الغالب، واسمه: ﴿الرَّحِيمُ﴾، فما أكمل الدقة البيانية في كلام الله عز وجل وما أبدعها!^(٢)

وقد انتهت قصّة لوط عليه السلام في سورة الشعراء بخطاب إلهي كريم، من ربّ رحيم، وجّهه الحقّ سبحانه وتعالى إلى خاتم أنبيائه ورسله، مذكراً إياه أنه لأعدائه بالمرصاد، ولأوليائه بالرحمة والعون والإمداد.

رابعاً: لوط عليه السلام في سورة النمل:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٥﴾ أَيْتَكُمْ لَتَأْتُنَّ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ أَلْ لُوطِ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْتَظِرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَدَرَنَاهَا مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٤-٥٨].

تحدّث سورة النمل عن قصّة موسى عليه السلام، ثم أشارت إلى نعمة الله على داود وسليمان عليهما السلام، ثم أوردت قصّة سليمان عليه السلام مع النملة، ومع الهدد، ومع ملكة سبأ وقومها، ثم تحدّثت عن قصّة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، وتأمّر المفسدين على الحق، وختمت بقصة لوط عليه السلام مع قومه، المعرضين عن الحق، المخالفين للفطرة^(٣).

وهذه هي القصّة الرابعة في هذه السورة، فُصِد بها - كما قصد بغيرها من

(١) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، ٣٦٢/٤.

(٢) نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، الميداني، ص ٧٦.

(٣) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٥٨.

القصص السابقة - التحذير من مخالفة أوامر الله ، واقتراف الفواحش أو المعاصي الكبيرة ، لئلا ينزل بالعصاة من العذاب مثل ما نزل من قبلهم .

وتعقيب قصّة ثمود بقصة لوط جارٍ على منهج القرآن في ترتيب قصص تلك الأمم ، فإن قوم لوط كانوا متأخرين في الزمن عن قوم ثمود ، وإنما الذي يستثير السؤال هنا ، هو الاختصارُ على قصّة لوط دون قصّة عاد ، وقصة مدين ، وذلك لمجاورة ديار قوم لوط لمملكة سليمان ، ووقوعها بين ديار ثمود وفلسطين ، وكانت ديارهم في ممرّ قريش إلى بلاد الشام ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر : ٧٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الصفات : ١٣٧] فالشيء بالشيء يُذكر لقرّبه منه . وتبدأ القصّة بدعوة لوط عليه السلام لقومه ، ونُصحه لهم بترك الفواحش^(١) :

١ - قال تعالى : ﴿ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ ﴾ [النمل : ٥٤] :

وقد أعاد هذا النظم مرة أخرى تأكيداً للإنكار ، وإشارة لعلمهم بأن عملهم فاحشة ، والفاحشة هي : كل ما تنهى قُبْحه واشتدّ نكره ، والمراد هنا : جريمة اللواط ، وقد أكّد لوطُ إنكاره عليهم فعل الفاحشة ، ببيان حالهم أثناء فعلها بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ ﴾ الواو الحالية زيادة في التشنيع والتبكيث والتوبيخ ، وذكرُ الجملة الاسمية بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ ﴾ ؛ يدلُّ على ثباتهم في فعل الفاحشة . وجيء بالخبر فعلاً مضارعاً ليؤكد استمرارهم على فعل الفاحشة حتى أصبحت مما تعارف النَّاسُ عليها في حياتهم ، وألفوا مشاهدتها ، وكان جزءاً منها ، مشاهداً جهاراً نهاراً ، وفعل : ﴿ بُصُورٌ ﴾ من أبصر ، والبصر بمعنى حاسة الرؤية ، وهي : العين ، أو العلم ، وفيها - بناء على ذلك - ثلاثة معانٍ ذكرها أهلُ التفسير :

(١) النظم القرآني في قصّة لوط ، ص ٥٩ .



- أحدها: أَنَّهُمْ أَعْلَنُوا تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ، فَكَانَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، لَا يَسْتَتِرُونَ وَلَا يَتَحَاشُونَ مِنْ إِظْهَارِ ذَلِكَ، غَيْرَ مَكْتَرِثِينَ بِالْمَعْصِيَةِ الشَّنْعَاءِ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْكَرَ ذَلِكَ الْفِعْلَ مَعَ عِظَمِهِ، فَإِنَّ الْمَجَاهِرَةَ بِالْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةٌ أُخْرَى؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْسَانِهَا، وَذَلِكَ اسْتِخْفَافٌ بِالنَّوَاهِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ»، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يَصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ، وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ^(١).

- ثانيها: المرادُ بالبصر بصر القلب (البصيرة)، أي: تعلمون أنها فاحشةٌ لم تُسَبِّقُوا إِلَيْهَا، وَالْعِلْمُ بِالْمَعْصِيَةِ يُقَبِّحُهَا، وَإِتْيَانُهَا وَالْحَالُ هَذِهِ أَعْظَمُ فِي الذَّنْبِ^(٢).
- وثالثها: المعنى: تُبْصِرُونَ آثَارَ الْعَصَاةِ قَبْلَكُمْ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ، فَلَا تَتَعَطَّوْنَ بِهِمْ وَتَفْعَلُونَ فِعْلَهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَزِيَادَةً^(٣)، وَعَلَى هَذَا فَهُوَ أَسْلُوبٌ تَرْهيبٌ. وهذه التفسيراتُ الثلاثةُ تردُّ ضمن أسلوبِ التَّشْنِيعِ وَالتَّقْرِيعِ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ بِطَرِيقَةِ الْقَائِمِ عَلَى التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ هُوَ أَسْلُوبٌ نَاجِحٌ مِنَ الْوَجْهِةِ السُّلُوكِيَةِ، وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ لَدَى عُلَمَاءِ النَّفْسِ بِالْعِلَاجِ بِالتَّنْفِيرِ^(٤).

وبهذا النَّظْمَ الْبَدِيعَ، يُخْبِرُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ دَعْوَةِ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ، وَصِدْقِهِ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَإِنْكَارِهِ عَلَيْهِمْ فِعْلَ الْمَعَاصِي، وَتَأْكِيدِهِ عَلَى ذَلِكَ بَيَانِ سَوْءِ حَالِهِمْ، وَدَرَجَةِ الانْحِطَاطِ الَّتِي وَصَلُوا إِلَيْهَا فِي مَعَاصِيهِمْ، وَقَضَاءِ شَهَوَاتِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ لِلْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ، وَالطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلَا يَكْتَرِثُونَ بِالنَّظَرِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ^(٥).

(١) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٠.

(٤) الدّعوة إلى الله، عبد الرب نواب، ص ٢٧٤.

(٥) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٦٠.

٢- قوله تعالى: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

[النمل: ٥٥]:

- تبدأ الآية الكريمة بالاستفهام: ﴿أَيْنَكُمْ﴾؛ استفهام إنكاري توبيخي للتأكيد، سيق لبيان تلك الفاحشة التي أوغل فيها قوم لوط.

- ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: صرّحت الآية بذكر تلك الفاحشة التي يرغب القارئ عن معرفتها، وقد سبق الحديث عن مثل هذا النظم في آية سورة الأعراف.

جاءت الآية بإعادة إنكار لوط عليه السلام على قومه مرّة أخرى، والإعادة للتوبيخ. وبيان ما أتوه من الفاحشة بطريق التصريح بعد الإبهام؛ ليكون أوقع في النفس، وتأكيد الجملة بحرفي التأكيد؛ للإيذان بأنّ مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد لكمال شناعته. وتعليل الإتيان بالشهوة تقبيح على تقبيح، لما أنها ليست في محلّها، وفيه إشارة إلى أنهم مخطئون في محلّها فعلاً، متجاوزون النساء اللاتي هن محالّ الشهوة.

وتعريف ﴿الرِّجَالَ﴾ للعهد الذهني الذي يدلّ على العموم. وذكر لفظ الرجولة يدلّ على مزيد من التقبيح والإنكار؛ لأنهم رجالٌ مثلهم، والمراد أنهم آدميون، بخلاف لفظ الذكورة الذي يشمل الصغار والكبار من البشر ومن غيرهم^(١).

ثم وصفهم بوصف يدلّ على سذاجة العقول، وقصور الفهم، وعقم التفكير، وقلة المعرفة، مظهراً تردّي حالهم وسوء واقعهم، فقال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

- ﴿بَلْ﴾: إضراب انتقالي من الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب

(١) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ١١٦.



ارتكاب القبائح، وتدعو إلى اتباع الشهوات، وهي أنهم قومٌ جهلةٌ أدّى بهم ذلك لارتكاب تلك الفاحشة.

والجهل: نقيض العلم، أي: تجهلون عاقبة ما أنتم عليه، أو تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو أريد بالجهل: السفاهة والمجانة التي كانوا عليها^(١).

وإنَّ الغاية من ذلك الإضراب: الذمُّ والتحقير، والتنبيه إلى حقيقة حالهم. وعبرَ بالجملة الاسمية، والفعل المضارع ليدلَّ على استمرارهم على تلك الفاحشة، وثباتهم عليها^(٢).

ولقد شنَّ لوط عليه السلام حملةً تشنيعٍ شديدةً على هذه الفاحشة.

- فقله: ﴿الرِّجَالُ﴾؛ شذوذٌ ياباه الحيوان.

- وقوله: ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾؛ انحرافٌ عن الشيء الطَّبيعي، وأنه خطأ بالغ، وفعلٌ قبيح.

- ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾؛ وصفٌ ثابتٌ لازمٌ لهم بأنهم يفعلون أفعال الجهلاء السفهاء الذين لا يعقلون ولا يميّزون بين الحسن والقبيح^(٣).

إنَّ لوطاً عليه السلام وصف قومه - كما مرَّ معنا في سورة الأعراف والشعراء - بأنهم:

- مُسْرِفُونَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

- عَادُونَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

- وفي سورة النمل: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

(١) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١١٦.

وإن الجَهْلَ أَخْبَثُ الأَوْصَافِ الثلاثة، فهو داعيةُ الإسراف والاعتداء، وهو عامٌّ في متناوله:

- جهلوا حقيقةَ ما خَلَقَتْ له المرأة .
 - جهلوا ربَّهم وشرعه وتعاليمه التي جاء بها لوطٌ عليه السلام .
 - جهلوا أنفُسَهم وكرامتهم الإنسانية .
 - جهلوا خطرَ ما أقدموا عليه من الإسراف والاعتداء .
 - جهلوا طريقَ الرشد، والهدى، والفلاح .
- تبين هذه الآيةُ الكريمة: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، بأنَّ الجَهْلَ بالله تعالى - مع ما يجب له من طاعة، وبما لديه من عذاب، وما عنده من نعيم مقيم - هو سبب كلِّ شرٍّ وفسادٍ في الأرض، ولذا كان الطَّرِيقُ إلى إصلاح البشر وإعلاء هممهم لطلب المعالي والرقى في طاعة الله تعالى، والبعد عن معصيته بالعلم الرباني الذي يولِّد الخشية والخوفَ من الله، والرجاء فيه، ومحبته؛ هو الطَّرِيقُ الصَّحِيحُ لتصحيح أحوال النَّاسِ، للحصول على الكمال المطلوب.

فانظرْ إلى قوم لوط، وكيف أنَّ الله وصفهم بالجهل الذي قادهم للالتفات إلى الرذائل، فكانوا أبشعَ وصف وصورة، فكان العقابُ أشدَّ لفعلتهم القبيحة .

إنَّ الجَهْلَ ما هو إلا ظلمة من الظلمات، ومن جهل فإنه فقد نور الله، وأصبح يتخبط من غير هدى، فبدل أن تكونَ همَّته هي المصباح الذي ينيِّرُ طريقه، ويشجِّعه على اكتساب العلم من أي طريق كان، كانت همته الدَّنيئة سبباً في ظلمته، وذلك لانشغاله بكلِّ أمر يبعده عن الله تعالى، ويزيده جهالةً، وتخلِّفاً، وضياعاً، وسقوطاً في المستنقع الآثم المليء بالفواحش والمنكرات^(١).

(١) الهمة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، عبد العزيز سالم الرويلي، دار الصميعي،



إن لوطاً عليه السلام وصف قومه الشَّاذِّين بأنهم قوم يجهلون، ونلاحظ أن فعلَ ﴿تَجْهَلُونَ﴾ في الآية مُطلق، وذلك ليشمل كلَّ صُورِ الجهل وألوانه وحالاته^(١). ومن جَهْل قوم لوط الذي سيطر عليهم؛ لم يتحملوا نصائح لوط وإرشاداته، فقادهم جهلهم، وفسقهم، وظلمهم، وإسرافهم، وإجرامهم، إلى جريمة أخرى خطيرة عبَّر عنها القرآن بقوله:

٣- ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُو آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّنَظَّهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

بعدما دعا لوط عليه السلام قومه للفِطْرَةَ والعَقَّة والطهارة، وأمرهم بالحق ونهاهم عن المنكر، وأنكر عليهم، ونسبهم إلى الجهل، عدلوا إلى المبالغة والإيذاء^(٢)، وافتخارهم بالفاحشة، فكان جوابهم له عليه السلام بما لا يصلح أن يكون جواباً إلا من ذوي الفِطَر المنكوسة، والعقول المعطلة:

أ- ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾؛ تبدأ الآية بالعطف بفاء الترتيب مظهراً جوابَ القوم، الذي استقرَّ عليه أمرهم، ورضوا به من خلال الاستثناء المسوق بالنفي الذي يفيدُ الحصر: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾؛ معلنة التزام لوط عليه السلام بدعوة قومه ووعظهم وحِرْصه على هدايتهم، فبعد وعظهم وإرشادهم إلى سبيل النِّجاة، أشار إلى تعاليهم في الجهل، بقوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾؛ فلم يكنْ لهم حِجَّةٌ في دَفْع ما وصفوه به بل ولا شُبْهة في ردهم عليه، إلا أن صدَّقوه في نسبتهم إلى الجهل وافتخارهم به عدولاً إلى المغالبة، وتمادياً في الخبث^(٣)، فهذه دعوة إلى إخراج آل لوط عليه السلام من القرية قصر وها على هذا الجواب:

(١) التفسير الموضوعي، الخالدي، ص ٩٦.

(٢) النظم القرآني في قصة لوط، ص ٧٧.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ٢٧٠/٤.

ب - ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾؛ صرّحوا بمن يجب إخراجهم وهم آل لوط، ولم يذكروا لوطاً عليه السلام، مع أنّه الأولى بالإخراج في نظرهم؛ لأنه إمامٌ لهم، أو أرادوا بآل لوط: الصّنف النّاهي عما هم فيه، فشمّل لوطاً عليه السلام، ولم يشملوا ولا قصدوا بقولهم هذا امرأة لوط لأنّها لا تخالفهم، وهم بهذا التصريح للمخرجين (آل لوط عليه السلام)، يريدون أن يتخلّصوا من كلّ من يُذكرهم بفعلهم الفاحشة أو ينهاهم عنها^(١).

- ﴿مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أضافوا القرية إليهم، ليدلّ على اختصاصهم بهذه القرية؛ حتّى كأنّ لوطاً عليه السلام وآله ليسوا من أهل القرية، وأنّ عمليّة إخراجهم أمرٌ بسيط ويسير، وفي هذا إشارة لهوان أمر آل لوط عليه السلام، وقلة النّاصر، والمدافع عنهم^(٢).

ج - ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾؛ في هذا تقريرٌ لعلّة إخراجهم من القرية، أي: إنّهم أناسٌ يستخبثون الفواحش ويستقبحونها، وخاصة إتيان الأدبار ويتنزّهون عنها، ويصدّون عنها، ولهذا يجب إخراجهم من القرية، أي: إنّ القوم المجرمين يعاقبون آل لوط على تطهّرتهم وتعقّفهم^(٣).

٤ - قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾

[النمل: ٥٧]:

خلّص الله تعالى لوطاً عليه السلام وأهله من العذاب الذي نزل بقومه، ففي قوله تعالى:

- ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾؛ استثنى امرأته من العاقبة بقوله: ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا

(١) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٧٨.

(٢) المصدر السّابق، ص ٧٨.

(٣) المصدر السّابق، ص ٧٨.



مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿١﴾؛ أي: حَكَمْنَا عليها بعظمتنا وقدرتنا حكماً ثابتاً لا يتغير بسبب كفرها، فالتقدير واقعٌ على الحدث (الغبور) ومختصٌّ به، أي: قدرنا ثبوتها مع الباقيين في العذاب^(١).

قال الحافظُ ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره للآية: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْرِينَ﴾؛ أي: من الهالكين مع قومه؛ لأنها كانت عوناً لهم على ضلالهم، وعلى رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدلُّ قومها على ضيفان لوط، ليأتوا إليهم، ويفعلوا الفاحشةَ بهم.

٥- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٨]:

ولا تحسبنَ المطرَ الذي أهلكهم الله به مطراً محموداً، ومداراً بالخير والبركة، بل كان مطراً من حجارةٍ تناسبُ الحالةَ الشَّاذَّةَ غيرِ المعهودة، ومع القلوب القاسية المنتكسة إلى درك الشهوات الشَّاذَّة. ووصف الله عزَّ وجلَّ هذا المطر في عدة مواضع في كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ سَافِلِهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٦﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣]، ومنها قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَىٰ سَافِلِهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

فالقرآن الكريم يُفسِّر بعضُه بعضاً، وحاشا لكلام الله أن يتعارض أو يختلف^(٢).

- ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾؛ أي: بئس المطرُ مطرهم، وبئس العذاب عذابهم؛ لأنَّهم أُنذروا وخُوفُوا، فلم ينزجروا، ولم يرددعُوا؛ فأحلَّ الله بهم عقابه الشَّدِيد^(٣).

(١) النظم القرآني، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٢) التفسير الموضوعي، ٦/ ٢٦٦.

(٣) تفسير السَّعْدِي، ص ٨٠٧.

خامساً: لوط عليه السلام في سورة الصافات:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٦) إِذْ يَجْنِيهِ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٨﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّا لَنُفْرِنُ عَنْهُمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٤٠﴾ وَبِالْيَلِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤١﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨].

جاءت لمحة سريعة عن قصة لوط عليه السلام في سورة الصافات، تحدثنا عن إكرام الله لأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، فهم في مصاف المكرمين، بل هم المكرمون، وهذا ما اقتصرث عليه السورة من الحديث عن لوط عليه السلام، فهي لا تحدثنا عما جرى بينه وبين قومه، ولكنها تكتفي بالحديث عما خصه الله به، وما أصيب قومه به، ثم تذكر العرب الذين يمزون بديارهم صباح مساء، وتنعي عليهم عدم تذكركم، وتعنفهم؛ لأنهم لا يستعملون عقولهم فيما هو خير لهم^(١).

تفسير الآيات القرآنية:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

إن التأكيد من الله تعالى على رسالة لوط عليه السلام، فقد عطف النظم الحكيم قصة لوط عليه السلام على ما قبلها بالواو، وهي الأداة التي أوثرت بالربط بين جميع القصص التي ذكرت في سورة الصافات^(٢)، فقد سبقته في هذا السياق الذي جاء في سورة الصافات طرفاً من قصص نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وموسى وهارون وإلياس، ثم بعد ذلك لوط ويونس (عليهم جميعاً الصلوات والسلام).

و(إذ): ظرف متعلق بـ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ والمعنى في حين إنجاء الله إياه وإهلاك

(١) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص ٣٦٨.

(٢) بلاغة النظم القرآني في سورة الصافات، د. شؤمة محمد البلوي، دار الصميعة، ٢٠١٩م، ص ٥١٦.

قومه كان قائماً بالرّسالة عن الله، ناطقاً بما أمره الله، وإنما خصّ حين إنجائه بجعله ظرفاً للكون من المرسلين؛ لأن ذلك الوقت ظرفٌ للأحوال الدّالة على رسالته، إذ هي مماثلة لأحوال الرّسل من قبل ومن بعد^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ بَخَّيْنَهُمْ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾:

إنّ النّاطق إلى صيغة الفعل ﴿بَخَّيْنَهُ﴾، يسترعيه ذلك التّصنيف الذي ارتسم في الكلمة^(٢). ونلاحظ عند الحديث عن نجات لوط عليه السلام في السور الكريمة، أنّ الفعل جاء بصيغة الماضي الرّباعي بالهمزة في سورة الأعراف والنمل: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، وبصيغة الماضي الرّباعي مُضَعَّف العين في سورة الأنبياء والشّعراء والصّافات: ﴿بَخَّيْنَهُ﴾. وفي سورة القمر [الآية: ٣٤]: ﴿بَخَّيْنَهُمْ﴾. وبصيغة المضارع في سورة العنكبوت: ﴿لَنْنَجِّيَنَّهُ﴾. وبصيغة الدّعاء والطلب في سورة الشعراء: ﴿بَخَّيْنِي﴾. وجاء بصيغة الاسم في سورة العنكبوت: ﴿مُنْجُوكَ﴾. ونلاحظ هنا استعمال القصّة في آياتها لصيغ الأفعال الثلاثة؛ الماضي - وهو الأكثر استعمالاً - بصيغ مختلفة مع أنها بمعنى واحد وهو الإخبار عن تحقّق النّجاة، واستعمل الفعل الماضي للدّلالة على تحقّق حصول الفعل، فإنّ (أنجى) تستعمل للإسراع في النّتيجة، أمّا (نجى) فإنّها تستعمل للتّثبت والتمهّل فيها؛ وعليه فإنّ (أنجى) أسرع من: (نجى) في التّخلص من الشّدّة والكرب، هذا وإنّ البناء اللّغوي لكلّ منهما يدلّ على ذلك^(٣).

فإنّه لما قال تعالى في سورة الأعراف والنمل: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، وذلك بعدما بيّن حال القوم، ووصفهم بالإسراف والجهل، فكان حكمهم عليه الإخراج من

(١) التحرير والتنوير، ٤٤١/٩.

(٢) من بلاغة النّظم القرآني في سورة الصّافات، ص ٥١٧.

(٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السّامريّ، دار ابن كثير، ط ٢، ١٤٣٧هـ، ص ٧٠.

المدينة والتَّفي لإنكاره عليهم، وقد استحقَّوا العذاب لتكذيبهم. أما في سورة الأنبياء والشعراء والصفّات فقد قال تعالى: ﴿بَحَّتْهُ﴾، حيث كان الحديث في معرض الإخبار عن كفر قوم لوط ونجاته عليه السلام فلم يحتج الأمر إلى الإسراع في النتيجة، والله أعلم.

واستعمل الفعل المضارع: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ مرّة واحدة، وذلك حينما جادل إبراهيم عليه السلام الملائكة في أمر لوط عليه السلام، حيث قال لهم: ﴿قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢]؛ وهذا من فنّ الإشارة إذ ليس المراد إخبارهم بكونه فيها، وإنما جدال في شأنه؛ لأنّهم لما ذكروا أنّ سبب إهلاك أهلها الظلم، اعترض عليهم بأنّ فيها بريء من الظلم، مظهرًا للشفقة، وما يجب للمؤمن من نصرة أخيه، والخوف عليه من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر، وهذا من بليغ الإشارة وخفيّتها^(١).

وقد ردّوا على إبراهيم عليه السلام بما يحقّق الطمأنينة عنده، قال تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]؛ وهنا وعدوا إبراهيم بنجاة لوط عليه السلام والمؤمنين، بصيغة المضارع ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾، ووعدّ الكريم حتمًا لازم، يتحقّق ولو بعد حين.

واستعمل اسم الفاعل الذي يدلّ على الثبات في السورة نفسها، وذلك في قول الملائكة للوط عليه السلام: ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]؛ أي: إنّ ذلك واقعٌ منّا لا محالة^(٢).

واستعمل فعل الدّعاء والنداء: ﴿يَحْيَى﴾، بقوله: ﴿رَبِّ يَحْيَى وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩]؛ أي: أنّ لوطاً عليه السلام طلب السّلامة له ولأهله، من فعل قومه

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصّافي، انتشارات مدين، ط١، ١٤١١هـ، ٢٠/٣٣٣.

(٢) النّظم القرآني في قصّة لوط، ص ٣٠١.



ومن عاقبتهم، وفي هذا إشارة إلى أنَّ لوطاً عليه السلام لمَّا يئس من قومه طلب من الله العون، والثبات على الإيمان، والسَّلامة من العذاب^(١).

- قال الدكتور محمَّد هلال في قوله تعالى: ﴿إِذْ بَحَّيْنَهُ﴾ [الصافات: ١٣٤]؛ أي: اذكرْ إذ نجَّيناه، أو اذكرْ حين نجَّيناه وأهله. ونجَّيناه تدلُّ على طول الزَّمن في دعوته لقومه^(٢). والصَّيغة المشدَّدة: ﴿بَحَّيْنَهُ﴾ في سورة الصَّافات تدلُّ على تأكَّد هذا التَّخليس وشموله لكلِّ هؤلاء المؤمنين بلا استثناء^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٥]:

هذا أسلوبٌ استثناء، وفي الاستثناء إبرازٌ لخروجها منهم، أي من أهله النَّاجين، وإعلان مؤكَّد له.

- ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾؛ إِنَّ امرأةَ لوط عليه السلام كانت عجوزاً في الغابرين، وقدَّر الله أن تكونَ في الغابرين، وأن تبقى مع الغابرين، وأن تهلك مع الغابرين. و(الغابرون): جمع غابر. والمراد بهم: قومُ لوط المعبَّدون الهالكون. وعُدُّوا غابرين؛ لأنَّهم غَبَرُوا وبقوا منتظرين العذاب^(٤).

قال الرَّاعِبُ في معنى غابر: «الغابر: الماكثُ بعد مُضيِّ ما هو معه، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾؛ يعني فيمن طالَّت أعمارهم، وقيل: فيمن بقي ولم يَسِرْ مع لوط»^(٥).

والرَّاجح أنَّهم غابرون من البقاء، أي: الَّذِينَ بقوا في قريتهم ينتظرون وقوعَ

(١) النظم القرآني، المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٢) تفسير القرآن الشَّري الجامع، ٤٧٤/٩.

(٣) من بلاغة النِّظم القرآني في سورة الصَّافات، ص ٥١٨.

(٤) القصص القرآني، ٥١٤/١، من بلاغة النِّظم القرآني، ص ٥١٨.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ٦٠١.

العذاب بهم، فقد غبرت تلك العجوزُ مع الغابرين، وهلكت مع الهالكين المعذبين^(١).

٤ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾:

بعد أن بيّن سبحانه إنعامه على لوط عليه السلام بالرسالة، وبنجاته وأهله المؤمنين، قال مخوفاً ومحذراً: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾؛ فقد عطف على نعمة الرسالة والنجاة بـ: (ثم) التي تفيد الترتيب مع التراخي، وسبب المهلة أن التدمير والهلاك متراح عن نجاة لوط عليه السلام وأهله المؤمنين، فبينهما مهلة، والنجاة ليست بعد التدمير وإنما قبله. ثم قال تعالى محذراً مما حلّ بالظالمين: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾؛ أي أهلكنا بقدرتنا القومَ الباقيين على كفرهم، كما دمرنا من بقي على كفره من أهل لوط، كامراته التي كفرت وانحازت إلى قومها المفسدين، فلم يبقَ منهم أحدٌ.

وعبر بصيغة الماضي لتحقيق تدميرهم وهلاكهم، وأسند الفعل لنون العظمة بياناً لشدة هلاكهم إذ إنه أمرٌ غايةٌ في العظمة. وعرف ﴿الْأَخْرِينَ﴾ مجموعاً لاستغراق الجنس، وليدلّ على أنه لم يبقَ منهم أحد، ولم ينجُ إلا لوط عليه السلام وأهله المؤمنون^(٢). وقد ذكر سبحانه هذه القصة ليعتبر بها مشركو قريش الذين سيقّت هذه القصصُ لِعِظَتِهِمْ فقال:

٥ - قال تعالى: ﴿وَإِنْكُمْ لَتَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾^(٣) وَإِلَّا أَفَلَا تَعْقِلُونَ:

أي: إنكم يا أهل مكة لتمتّون بمنازل قوم لوط في تجارتكم للشام، وتشاهدون آثار هلاكهم نهاراً وليلاً، أفلا تتفكرون فتخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم^(٣).

(١) القصص القرآني، ١/ ٥١٥.

(٢) النظم القرآني في قصة لوط، ص ٢٤٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٣.

وأكد الخبر بـ (إِنَّ) واللام المزحلقة تأكيداً للمعنى في قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنُفْرُونَ﴾؛ وهذا الخبر مستعملٌ للتنبيه والتعقل، لا للإخبار المجرد. والباء في ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾، للظرفية، أي: في مسيركم بالليل. وفُرع على ذلك باستفهام إنكاريٍّ وبقاء الترتيب مع التعقيب: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مشيراً لعدم فطنتهم، لدلالة تلك الآثار على ما حلَّ بقوم لوطٍ من سخط الله، بسبب تكذيب رسول الله وانغماسهم في الفواحش وعدم توبتهم ورجوعهم. وفي تعيين وقتي الصُّباح والليل بقوله: ﴿مُصْبِحِينَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾؛ تذكيرٌ بحالهم، وإشارة إلى أنَّ أكثر الأوقات التي يمشي بها المسافرين هي الصُّباح والمساء، اتقاءً من حرِّ الشَّمس؛ لأنَّ رحلتهم كانت في الصَّيف. وقَدَّم ذَكَرَ الصُّباح على الليل لأنَّ المشاهدة تكون أوضح، والإدراك للآثار أكثر^(١).

- ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ الهمزة للاستفهام والتوبيخ، لعدم تفكيرهم وتدبُّرهم^(٢). وهنا الاستفهام إنكارٌ عليهم عَدَمَ التعقل، وفي الوقت نفسه يحثُّهم على التدبر والتعقل والتفهم^(٣).

- ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ الآيات والعبر، وتنزجرون عمَّا يوجب الهلاك^(٤).

- ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: أفلا تعتبرون بهم وكيف دَمَّرَ الله عليهم، وتعلمون أنَّ للكافرين أمثالها^(٥).

وما من شكٍّ في أنَّ نهايةَ كلِّ متكبرٍ تحملُ الكثيرَ من العظاات البالغة، والعبر الواضحة التي يعتبرُ بها أولو الألباب، ولاسيَّما إذا كان لنهاية المستكبرين آثارٌ

(١) النظم القرآني، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٢) تفسير القرآن الشري الجامع، ٤٧٦/٩.

(٣) من بلاغة النظم القرآني، ص ٥١٨.

(٤) تفسير السَّعدي، ص ٩٤٧.

(٥) تفسير ابن كثير، ٣٨/٧.

باقيةً، وديارٌ خاويةٌ، وأطلالٌ باديةٌ يمرُّ عليها النَّاسُ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، كقوم صالح وقوم لوط عليهما السلام.

ولقد وجَّه القرآن الكريم النَّاسَ إلى الاعتبار بقوم لوط الذين أُمطروا مطرَ السَّوءِ، وكانوا من العُتاة الغلاظ الذين لا يلينُ لهم قلب، ولا يرقُّ لهم طبع، فوجَّه القرآن الكريم النَّاسَ إلى الاعتبار بمصيرهم، وذلك لأمر:

- أنَّ لهم آثاراً خالدةً إلى يوم الدِّين لا تندثر على مرِّ الأيام وكرِّ الليالي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

- إنَّ الآثار الباقية متاحة لكلِّ ناظر وعاقل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨].

- في تلك الآثار بينات، وهي من مواطن العبرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥-٧٧]، فهي تُوحي بجبروت الواحد القَّهار، وتؤكد صدق المرسلين، وسوء مصير المكذَّبين^(١).

سادساً: لوط عليه السلام في سورة القمر:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنَّا عِندَنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِي ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر: ٣٣-٤٠].

جاءت قصَّة لوط عليه السلام في سورة القمر مختصرةً بعد ذكر قصَّة قوم نوح وعاد وشمود. وموضوعُ هذه السُّورة كسائر السُّور المكيَّة لتقرير أصول العقيدة الإسلاميَّة، كما أنَّها أُنذرت كفَّار مكَّة بعذابٍ مشابهٍ لعذاب الأمم السَّابقة التي تمَّ

(١) الدَّعوة إلى الله، عبد الرَّبِّ نَوَّاب الدِّين، ص ٢٨٨.



ذكرها في السُّورة، جزاءً على تكذيبهم الرُّسل، وأفردت كلَّ قصَّة عن الأخرى وأعقبتها بعبارة تثير الخوف، وتدعو للعجب وهي: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، وقرنها بقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، ثم وبخت مشركي قريش على غفلتهم عن هذه النذر، وحذرتهم مصرعاً مماثلاً لمصارع أولئك الأقوام، وهو القتل والهزيمة في الدنيا. وعذابُ الآخرة الأدهى، والأمْرُ الذي يصاحبه الذلُّ والمهانة بالسَّحب على وجوههم في النَّار، فهم في ضلالٍ وسُعر^(١).

وقد ذكر الله تعالى في سورة القمر القصَّة الرَّابِعة، قصَّة قوم لوط، التي بيَّنت عاقبة تكذيب الرُّسل، وارتكاب الفواحش، وبيان العقاب الشَّدِيد، وهو التَّدْمِير والإهلاك ليعتبر كلُّ النَّاس، ويعلموا أنَّه ما من هلاكٍ إلا بعد إنذارٍ بالعذاب على لسان رسولٍ من رسل الله، ثم تكذِبه^(٢).

١ - قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ [القمر: ٣٣]:

تبَيَّن الآياتُ الكريمةُ أنَّ قومَ لوط كذبوا رسولَهم، وخالفوه، وكذبوا بالآيات التي أنذرهم بها، واقترفوا الفاحشة^(٣). وقوله تعالى: ﴿بِالنُّذْرِ﴾؛ أي بالرُّسل، والأمور المُنذرة على لسانهم. وتكذيب نبيٍّ واحدٍ كتكذيب جميع الأنبياء، لاتفاقهم على أصول الشَّرائع، ولأن هدفهم واحد، ومنهجهم واحد. والآيات هنا تنقلنا مباشرةً إلى مشهد العقاب والانتقام^(٤):

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ سَحَرًا﴾ [القمر: ٣٤]:

أ- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾؛ أي: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا حَاصِبًا أَهْلَكَهُمْ، وقد

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ١٥٥/١٤.

(٢) المصدر السابق، ١٨٥/١٤.

(٣) المصدر السابق، ١٨٥/١٤.

(٤) تفسير الشعراوي، ١٤٧٨٢/٢٤.

أَكَّدَ العَذَابَ بحرف التَّوَكِيدِ (إِنَّا)، وجاء بالجملة الاسمية ليدلَّ على تحقُّق عذابهم وثبوته عليهم، وجعل خبرها بصيغة الماضي.

- ﴿أَرْسَلْنَا﴾: لبيان تحقيق إرساله عليهم، وكرَّر ذكر ضمير التعظيم تأكيداً على عظمة المرسل سبحانه، ونفاذ أمره. ودلَّ الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على هوانهما عند الله، وصغارهم، وفي ذلك بيان لتمكُّن العذاب منهم، واستقراره عليهم؛ حيث شبَّه حالَّ العذاب بحالٍ من اعتلى الشَّيء ورَّكبه. ثم وصف العذاب بقوله: ﴿حَاصِبًا﴾؛ والحاصِبُ: الرِّيحُ التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء، وهي الحجارة الصَّغيرة التي تهلك من تصيبه بأمر الله تعالى. وقد أقيمت الصِّفة مقامَ الموصوف حيث كثر استعمالُ الحاصب في الرِّيح الشَّديدة، أي: أرسلنا عليهم ريحاً حاصباً بالحجارة التي هي الحصباء. وجيء باسم الفاعل ليدلَّ على استمرار حَصْبهم وثبوته عليهم، حتَّى لا يبقى منهم أحد. وذكره لإرادة الجنس، إذ المقصودُ بيانُ جنس العذاب، لا بيان مَنْ على يده العذاب، والتَّنوين يدلُّ على العموم^(١). ولفظُ الحاصب ذو جرس يدلُّ على وقع الحجارة، وفيه شدَّةٌ وعنفٌ يتناسب جوَّ المشهد^(٢). ومن ثمَّ استثنى من عموم ذلك العذاب آلَ لوط بقوله:

ب - ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾؛ أي: خرجوا من آخر اللَّيْلِ فنجوا ممَّا أصاب قومهم، ولم يؤمِّنْ بلوطُ من قومه أحد، ولا رجل واحد، حتَّى امرأته أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبيُّ الله وبناتُ له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء^(٣).

- ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾؛ جاء الفعلُ بالماضي على صيغة المبالغة، تحقيقاً لنجاتهم،

(١) النظم القرآني في قصَّة لوط، ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ٧/ ٤٨٠.



وتأكيداً عليها، وأسند الفعل لضمير التعظيم (نا) تعظيماً للشأن. ﴿وَسَحَرِ﴾؛ الباء للمصاحبة، أي: حال كونهم متلبسين بوقت السحر، والمراد بالسحر هنا وقت ليلة العذاب، وفيه إشارة إلى أنَّ التَّنْجِيَةَ وقعت قبيل حدوث العذاب، حيث كانت بداية العذاب بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: حل بهم العذاب في الصباح^(١). ثم بيّن أسباب نجاة لوط عليه السلام، وآله من العذاب:

٣- قوله تعالى: ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٥]:

أ- ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا﴾؛ أي: فضل وإنعام من الله عليهم، أي: أنجينا لوطاً وآله من العذاب الذي نزل بقومه، على سبيل الإنعام الصادر من عندنا عليهم. و﴿نِعْمَةٌ﴾؛ في محل نصب مفعول مطلق، والتقدير: أنعمنا عليهم نعمة، إذ الإنجاء نعمة، وهي نكرة تفيد التخصيص، والتنوين للتعظيم، أي نعمة نجاتهم من أعظم النعم عليهم. و﴿مِّنْ﴾؛ بيانية تدلُّ على المنعم سبحانه و﴿عِندِنَا﴾؛ ظرفية مكانية تدلُّ على الاستثثار، أي أنَّ الأمر بنجاتهم من عنده سبحانه، لا من عند غيره. وضمير (نا) للتعظيم، والإشارة فيه إلى المنعم سبحانه، وفيه تنويه عظيم بهذا الإنعام؛ لأنه صادر من المنعم سبحانه، وهو الذي لا تُعدّ نعمة ولا تُحصى^(٢).

ب- ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾؛ أي: بمثل ذلك الجزاء من الإنعام. والنتيجة أننا نكافئ كل شاكِر لنا من الذين يفعلون ما نأمر، ويتنّهون عما نهى. وفي الآية بشارة للمؤمنين الشاكِرِينَ بالنَّجاة من كلِّ مكروه، وذلك حتَّى يزدادوا طاعة لربهم^(٣).

- وجاء اسمُ الإشارة (كذلك) للبعيد، بياناً لعظم نعمة النِّجاة من الله سبحانه.

(١) النظم القرآني في قصة لوط، ص ٢٢٦.

(٢) التحرير والتنوير، ١١/١٦٢، النظم القرآني، ص ٢٢٦.

(٣) روح المعاني، ١٤/٩٠، النظم القرآني، ٢٢٧.

وعبر بصيغة المضارع (نجزي) ليدلّ على تجدد وحدث نجات المؤمنين كلما جاء العذاب. وجاء بالاسم الموصول (مَنْ)، ليدلّ على العموم والشمول لكلّ أحد. وعبر عن صلة الموصول بالماضي (شكر) دلالةً على تحقق ذلك منه سابقاً. وقُدّم ذكر النعمة على الشكر من باب تقديم السبب على المسبّب، حيث قدّم النعمة التي توجب الشكر، وهي سبب فيه؛ لأنه لا شكر إلا بعد نعمة^(١).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦]:

أي: ولقد أنذرهم نبيهم بطشة الله تعالى بهم؛ وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة قبل حلوله بهم إن لم يؤمنوا، فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه، بل شكّوا في الإنذار، ولم يصدّقوه، وكذبوه^(٢).

- ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾؛ أي: تماردوا وشكّكوا فيها، وكذبوا بها، ثمّ تماردوا في الفاحشة التي يرتكبونها^(٣).

٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾

[القمر: ٣٧]:

أ- ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾؛ المرادة من الإرادة، قال الراغب: «الإرادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجُعِلَتْ اسماً لنزوع النفس إلى الشيء، مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل». والمرادة: «أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد، أو ترود غير ما يرود»^(٤).

وذكرت المرادة في القرآن في شأن امرأة العزيز ونسوة المدينة مع يوسف عليه السلام، حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه، ونازعتة في إرادته، إذ إنّ امرأة

(١) النظم القرآني، ص ٢٢٧.

(٢) التفسير المنير، ١٤/ ١٨٦.

(٣) تفسير الشعراوي، ٢٤/ ١٤٧٨٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧١.

العزیز تريد منه ارتكاب الفاحشة معها، وهو يريد أن يتعفف ويتطهر ويستعصم. وكانت نتيجة هذه المراودة هزيمة امرأة العزيز ونسوة المدينة في مراودتهن له، وتحطيم إرادتهن أمام إرادته، وانتصار يوسف في إرادته. وذكرت المراودة هنا في موقف قوم لوط، فقد أراد لوط عليه السلام الدفَاع عن ضيوفه، وأراد قومه أخذ ضيوفه، وتنازعت الإرادتان، فكانت المراودة: ﴿وَلَقَدْ رَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾، وكانت النتيجة هزيمة القوم الشاذين في إرادتهم الشاذة، وانتصار لوط عليه السلام في إرادته العالية الكريمة^(١).

ب - ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾؛ تُوحي هذه الآية الكريمة والتي بعدها أنَّ العذاب وقع بهم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: إِنَّ الله طمس أعينهم فأعماهم، وكان هذا في الليل، عندما راودوا لوطاً عن ضيوفه الملائكة، فأمرته الملائكة أن يسير مع أهله المؤمنين وقت السحر، وطمسوا أعين القوم الشاذين المتجمعين على باب منزل لوط عليه السلام، فأصيبوا بالعمى، فعادوا لا يرون شيئاً، ولا يلوون على شيء.

المرحلة الثانية: إيقاع الدمار بهم، وكان هذا عند صباح اليوم التالي: ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بِكَرَّةٍ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٣٨].

أخبرت الملائكة لوطاً عليه السلام أنَّ العذاب واقع بالقوم في الصباح، عندما يكونون مُصْبِحِينَ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، ولما جاء الصُّبْحُ وأشرقت الشمس أخذتهم الصَّيْحَةُ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]، وبعد الصَّيْحَةُ قلب الله القرية قلباً، فجعل عاليها سافلها^(٢)، وقد بيَّنا ذلك في السُّور السابقة.

(١) القصص القرآني، ١/٥٠١.

(٢) المصدر السابق، ١/٥١٧.

قال الإمام الطَّبْرِيُّ (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾؛ أي: فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، فلم يبصروا ضيفه. وفي قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ﴾؛ يقول - تعالى ذكره - فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثالات»^(١).

٦- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٣٨]:

قال الطَّبْرِيُّ (رحمه الله): «يقول (تعالى ذكره) ولقد صَبَّحَ قوم لوط ﴿بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾؛ ذكر أنّ ذلك كان عند طلوع الفجر».

- وقوله: ﴿عَذَابٌ﴾؛ وذلك بقلب الأرض بهم، ثمّ إتباعهم بحجارة من سجيل منصود؛ أي: متتابعة.

- وقوله ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾؛ يقول: استقرّ ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنّم^(٢).

٧- قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ﴾ [القمر: ٣٩]:

يقول (تعالى ذكره) لهم: فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذي أحلّته بكم، بكفركم بالله، وتكذيبكم رسوله، وإنذاري بكم الأمم سواكم، بما أنزلته بكم من العقاب^(٣).

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٤٠]:

قال الطَّبْرِيُّ (رحمه الله): «يقول (تعالى ذكره): ولقد سهّلنا القرآن للذكر

(١) جامع البيان، ٢٧/١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ٢٧/١٠٦.

(٣) المصدر السابق، ٢٧/١٠٧.



لمن أراد التذكّر به، فهل من متّعظ ومعتبر به، فينجزر به عمّا نهاه الله عنه إلى ما أمره به، وأذن له فيه»^(١).

قال صديق حسن خان (رحمه الله): لعلّ وجه تكرير تيسير القرآن بالذكر في هذه السورة: الإشعارُ بأنّه منّة عظيمة لا ينبغي لأحد أن يغفل عن شكرها؛ ولأنّ في كلّ قصّة إشعاراً بأنّ تكذيب كلّ رسول يقتضي نزول العذاب، واستماع كلّ قصّة مستدعٍ للادّكار والاتّعاظ، وهذا حكم التكرير في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٠]، عند كلّ آية أوردتها، وكذلك تكرير الأنبياء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب، مصوّرة للأذهان، مذكورة غير منسيّة في كلّ أوان^(٢).

سابعاً: امرأة لوط عليه السلام في سورة التحريم:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

في هذه الآية الكريمة حديثٌ صريحٌ عن موقف امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، فقد ظلت تلك المرأتين على كفرهما، فلم ينفعهما زواجهما من النّبيين الكريمين.

١- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾:

يأتي المثل هنا ليلفت الأذهان إلى أنّ الهداية تكون بأمر الله تعالى، فهو يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

(١) جامع البيان، المصدر السابق، ١٠٧/٢٧.

(٢) فتح البيان، ٣٠٤/١٣.

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [القصص: ٥٦]؛ فالكافر يكفر ولو كان يعيش في بيئة إيمانية وحوله رفاق مؤمنون وموحدون، ويعرف الحق من الباطل، والخير من الشر، وهذا هو الذي حصل مع هاتين المرأتين، فحاشا لنوح عليه السلام وللوط عليه السلام أن يُقَصِّرا في دعوة زوجتيهما إلى الله تعالى، وإلى الإيمان به، وإلى الحق والفضيلة، والمعروف والخير، ولكن القلوب المريضة تأبى إلا أن تكفر، ولو كانت برعاية نبي مرسل مبارك، أو رجل صالح^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿كَانَتْ تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾:

زكى المثل كلاً من نوح ولوط عليهما السلام بقوله تعالى: ﴿عَبْدَيْنِ﴾، وليس ذلك فحسب، وإنما أردفهما بقوله: ﴿صَالِحِينَ﴾؛ فهما حقاً العبودية الخالصة لله عز وجل، مع تحقيقهما الصلاح. وفيه الإشارة إلى صلاح الدين وصلاح العلاقة الصحيحة مع الناس، ولهذا كانت دعوة الصلاح هي دعوة الأنبياء، فقد قال يوسف عليه السلام بعد كل ما أُوتي من الملك والرفعة والمكانة والعزة والشرف، فقد كان نبياً ورسولاً وصديقاً وقائداً بتفسير الرؤى وعزيزاً وذا جاه وذا مال، قال داعياً ربّه (تبارك وتعالى): ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. وقالها سليمان عليه السلام كما ذكر سبحانه وتعالى عنه: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

كما وردت في هذا المثل الصريح كلمة (تحت) في إشارة إلى العلاقة

(١) اللّفتات المليحة للأمثال الصريحة في القرآن، عبد الستار المرسومي، دار المعراج،



الزَّوجِيَّة، بمعنى أن كلاً من نوح ولوط عليهما السلام كانا هما الأعلى في تسلسل الهرم في بيتِ الزَّوجِيَّة^(١).

٣- قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾:

يتبادر لذهن العامة من النَّاس، أنَّها الخيانة الزَّوجِيَّة، وهذا من الأمور التي لا ينبغي أن تكون في حقَّ الأنبياء عليهم السلام، فقد جعل للأنبياء صفات خاصَّة من أجل ألا ينفر النَّاسُ عنهم وعن دعوتهم، ومن ذلك:

الخلوُّ من الأمراض المعدية، والعصمة من الكذب والخيانة، وصيانة العرض، من أجل ألا يجد النَّاسُ سُبَّةً عليهم، ولكنَّ الخيانة هنا من نوع آخر^(٢). قال ابنُ كثير (رحمه الله): «﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: في الإيمان، فلم توافقهما على الإيمان ولا صدقتهما في الرِّسالة، فلم يُجِدِ ذلك كله شيئاً، ولا دَفَعَ عنهما محذوراً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: لكفرهما. وقيلَ للمرأتين: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾، وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، أنَّ الخيانة في فاحشةٍ ما، بل في الدِّين، فإنَّ نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء»^(٣).

أ- خيانة امرأة نوح عليه السلام:

لم تكن امرأة نوح تُصدِّق به عليه السلام، بل كانت تقول للنَّاس إنَّه مجنون - حاشاه - فقد جاء في تفسير ابن جرير الطُّبري: أنَّ ابنَ عباس سئل وهو إلى جانب الكعبة عن قول الله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، فقال: أما إنَّه لم يكن بالزَّنى، ولكن هذه تخبر النَّاسَ أنَّه مجنون، أو أنَّ خيانتها له أنَّها كانت تُخبر الولاة في ذلك

(١) اللَّفَتَات المليحة للأمثال الصَّريحة، المصدر السَّابق، ص ٣١٨، نوح والطوفان العظيم، ص ٣١٨.

(٢) نوح والطوفان العظيم، ص ٣١٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٩٣.

العصر بأسماء من يؤمن بنوح عليه السلام، وقد قال الماوردي في (النكت والعيون): «خيانة امرأة نوح عليه السلام أنَّها كانت تُخبر النَّاس أنَّه مجنون، وإذا آمن أحد به أخبرت الجبابة به»^(١). وقال بعضُ العلماء أنَّها قد ماتت قبل الطوفان^(٢).

ب - خيانة امرأة لوط عليه السلام:

إن خيانتها لزوجها لوط عليه السلام: أنَّها كانت تُعلم قومَ لوط عندما يأتيه الضَّيفان، وكانت كافرةً ومنحازةً لقومها الكفرة، ولم تكن خيانتها بارتكاب الفاحشة، قال الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس: ما بَعَثَ امرأةُ نبيٍّ قط. وقد أهلكها الله مع كفَّار قومها، إذ قلب الله بهم البلادَ عاليها سافلها^(٣).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾:

أي: حكم الله عليهما حُكْمًا مُبْرَمًا بدخول النَّار، إذ لم ينفعهما كونهما زوجتي رسولين من رسل الله، فهما يوم الدين ستكونان من أصحاب النَّار^(٤)، فلا كرامة ولا شفاعاة في أمر الكفر والإيمان وأمر الخيانة في العقيدة حتَّى لأزواج الأنبياء^(٥).

ثامناً: إشارات للاعتبار من قصّة لوط عليه السلام في سور أخرى:

جاء ذِكْرُ قصّة لوط عليه السلام في إشارات للاعتبار في سور متعدّدة، منها:

(١) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٨م، ٤٦-٤٧.

(٢) نوح عليه السّلام في القرآن المجيد، الميداني، ص ٣١٠.

(٣) المصدر السّابق، ص ٣١٠.

(٤) المصدر السّابق، ٣١٠.

(٥) في ظلال القرآن مع التصرّف، ٦/٣٦٢١.

١ - قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠]:

يقول الله تعالى محذراً الذين يسرون في طريق الهلكى، ولا يتعظون: ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم ممن ساروا في الطريق نفسه؛ قوم نوح، وقد غمرهم الطوفان، وطواهم اليم في تيار الفناء المرهوب، وأصبحوا في عالم البرزخ حيث العذاب إلى يوم القيامة. وعاد؛ وقد أهلكوا بريح صرصر عاتية، وثمود؛ وقد أخذتهم الصيحة، وقوم إبراهيم؛ وقد أهلك طاعتهم المتجبر وأنجي إبراهيم، وأصحاب مدين؛ وقد أصابتهم الرجفة وخنقتهم الظلة، والمؤتفكات: قرى قوم لوط؛ وقد قطع الله دابرهم^(١). وقلب الله بيوت قوم لوط لما دمرها قلباً، فجعل عاليها سافلها، فصارت (مؤتفكات) أي: مصروفات مقلوبات.

جاء عذاب قوم لوط عليه السلام بما يتناسب مع جرائمهم وشذوذهم، والعذاب والعقاب والجزاء من جنس العمل، فلقد ترك أولئك الشادون النساء إلى الرجال، وقصّوا شهواتهم عند أمثالهم من الجنس نفسه، وبذلك قلبوا الحقائق والقيم، وقلبوا الفطرة والمنطق، وحولوا الرجل الذكر الذي خلقه الله ليطلب النساء، ويكون فاعلاً في امرأته، جعلوه مطلوباً من قبل الرجال الشادين، مفعولاً فيه، مركوباً لهم، وهذا هو الإفك بعينه، وهذا هو قلب الحقائق، وهذا هو الصرف عن الفطرة إلى الشذوذ.

ولذلك ناسب أن يقلب الله تعالى بيوتهم، بعد أن قلبوا فطرتهم ورجولتهم، فجعل عاليها سافلها؛ لأنهم كانوا يركبون الرجال من العالمين، والأصل أن

(١) في ظلال القرآن مع التصريف، ٣/ ١٦٧٤.

يَكُونُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ رَاكِبِينَ طَالِبِينَ لِلنِّسَاءِ^(١)، وَفَقَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الزَّوْاجِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَعَقُودَ النِّكَاحِ الشَّرْعِيَّةِ .

وقد تحدّث الله في الآية الكريمة عن أمم ظلمت نفسها، ومضت فيها سُنَّةَ اللَّهِ: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، حيث تجرّؤا على معاصيه، وعصّوا رسوله، واتبّعوا أمر كل جبارٍ عنيد^(٢).

٢- ذكر قوم لوط في سورة الحج :

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٦﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٧﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٨﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِى مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٦]

يقول تعالى لنبيه المصطفى محمد ﷺ: إن يكذبك هؤلاء المشركون، فلست بأوّل رسول كُذِّبَ، وليسوا أوّل أمة كذّبت رسولها، ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٦﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٧﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾؛ أي: قوم شعيب. ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾؛ المكذّبين، فلم أعجلهم بالعقوبة، بل أمهلهم.

- ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم كيف حاله؟ كان أشدّ العقوبات وأفظع المثالات، فمنهم من أغرقناه، ومنهم من أخذته

(١) القصص القرآني، ١/٥٢١.

(٢) تفسير السّعدى، ص ٤٢٩.



الصَّيْحَةَ، ومنهم من أَهْلِكَ بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ، ومنهم من خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، ومنهم من أُرْسِلَ عَلَيْهِ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، فليعتبر بهم هؤلاء المكذَّبون أن يصيِّبَهُمْ ما أَصَابَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا كُتِبَ لَهُمْ بَرَاءَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ من الله، وكم من المَعْذِبِينَ الْمُهْلَكِينَ من أمثال هؤلاء.

- ولهذا قال: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكم من قرية!

- ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ بالعذاب الشَّدِيدِ، والخزي الدُّنْيَوِي.

- ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾؛ بكفرها بالله، وتكذيبها لرسله، فلم تكن عقوبتنا لها ظلماً بها.

- ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾؛ أي: فديارهم بقصورها وجدرانها، قد سقطت على عُرُوشها، فأصبحت خراباً بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت أهلةً بأهلها آنسة.

- ﴿وَبُئِرَ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾؛ أي: وكم من بئرٍ قد كان يزدحمُ عليه الخَلْقُ لشربهم وشُرْبِ مواشيهم، فَفَقِدَ أَهْلُهُ وَعُدْمَ مِنْهُ الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ، وكم من قصر تعب عليه أهله فشيدوه ورفعوه وحصَّنوه وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئاً، وأصبح خالياً من أهله، وقد صاروا عبرةً لمن اعتبر، ومثالاً لمن فكَّر ونظر^(١).

- لهذا دعا الله عباده إلى السَّيرِ فِي الْأَرْضِ لينظروا ويعتبروا، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ بأبدانهم وقلوبهم.

- ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ آياتِ الله، ويتأملون بها مواقعِ عبْرِهِ.

- ﴿أَوْ أَعَادَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارَ الأممِ الماضية، وأنباء القرونِ المَعْذِبِينَ،

(١) تفسير السَّعْدِي، ص ٧١١.

وإلا فمجرد نظر العين وسماع الأذان الخالي من التفكير والاعتبار غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب .

- ولهذا قال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ؛ أي : هذا العمى الضَّارّ في الدِّين عمى القلب عن الحقِّ حتّى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات ، وأمّا عمى البصر فغايبته بُلغة ، ومنفعته دنيويّة ^(١) .

٣- ذكر عذاب قوم لوط في سورة الفرقان :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرِ السَّوَاءِ أَكَلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٥-٤٠] .

أشار الله تعالى إلى هذه القصص ، وقد بسطها في آياتٍ أُخر ، ليُحذّر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم ، فيُصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين كانوا قريباً منهم ، ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم ، ومنهم من يرون آثارهم عياناً ، كقوم صالح في الحِجْر ، وكالقرية التي أمطرت مطر السَّوء بحجارةٍ من سجيل ، يمرُّون عليهم مُصْبِحِينَ ، وبالليل في أسفارهم ، فإن أولئك الأمم ليسوا شرّاً منهم ، ورسلمهم ليسوا خيراً من رسولٍ هؤلاء : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر : ٤٣] ، ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات ، أنّهم كانوا لا يَرْجُونَ بَعْثًا ولا نُشُورًا ؛ فلا يَرْجُونَ لقاء ربّهم ، ولا يخشون نكاله ، فلذلك استمرُّوا على عنادهم ، وإلا

فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب^(١).

٤- قوم لوط في سورة ص :

قال تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٧﴾ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٨﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص : ١٢-١٤].

يحذر الله عز وجل أهل مكة والناس أن يفعل بهم كما فعل بالأمم من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم، وأشد تحزباً على الباطل .

- ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴾ ؛ أي : ذو الجنود العظيمة، والقوة الهائلة .

- ﴿ وَثَمُودٌ ﴾ ؛ قوم صالح .

- ﴿ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴾ ؛ والأليكة : الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب .

- ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ ؛ الذين اجتمعوا بقوتهم وعددهم وعددهم على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئاً .

- ﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ ؛ أي : فحق عليهم عقاب الله^(٢) .

٥- ذكر إخوان لوط في سورة ق :

قال تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ ﴿١٧﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٨﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق : ١٢-١٤].

أي : كذب الذين من قبلهم من الأمم رسلهم الكرام، وأنبياءه العظام، كنوح كذبه قومه، وثمود كذبوا صالحاً، وعاد كذبوا نبي الله هوداً، وإخوان لوط كذبوا

(١) تفسير السعدي، المصدر السابق، ص ٧٧٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥٣ .

لوطاً، وأصحاب الأيكة كذبوا شُعيباً، وقوم تُبَّع - وتُبَّعَ كُلِّ مَلِكٍ مَلَكُ الْيَمَنِ فِي الزَّمَانِ السَّابِقِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ - فَقَوْمُ تُبَّعَ كَذَّبُوا الرَّسُولَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَخْبِرْنَا اللَّهُ مَنْ هُوَ ذَلِكَ الرَّسُولُ، وَأَيُّ تُبَّعٍ مِنَ التَّبَاعَةِ؛ لِأَنَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - كَانَ مشهوراً عند العرب العرباء الَّذِينَ لَا تَخْفَى مَا جَرِيَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ، خُصُوصاً مِثْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْعَظِيمَةِ، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ وَعِيدُ اللَّهِ وَعَقُوبَتُهُ، وَلَسْتُمْ أَتِيهَا الْمَكْذُوبُونَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ خيراً مِنْهُمْ، وَلَا رَسُلَهُمْ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ رَسُولِكُمْ، فَاحْذَرُوا جُزْمَهُمْ؛ لئَلَّا يَصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ^(١).

٦- ذِكْرُ الْمُؤْتَفِكَةِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ وَثَمُودًا ﴿٥٢﴾ فَمَا أَتَقَىٰ ﴿٥٣﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٤﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٥﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٦﴾ فَيَا أَيُّهَا لَآءَ رَبِّكَ نَتَمَارَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ [النجم: ٥٠-٥٥].

- ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾؛ هم قومُ هود عليه السلام، حين كذبوا هوداً، فأهلكهم الله بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية.

- ﴿وَتَمُودًا﴾؛ قوم صالح عليه السلام؛ أرسله الله إلى ثمود، فكذبوه، فبعث الله إليهم الناقة آية، فعقروها وكذبوه فأهلكهم الله تعالى.

- ﴿فَمَا أَتَقَىٰ﴾ منهم أحداً، بل أبادهم عن آخرهم.

- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من هؤلاء الأمم، فأهلكهم الله وأغرقهم.

- ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾؛ هم قوم لوط عليه السلام. ﴿أَهْوَىٰ﴾؛ أي: أصابهم الله بعذابٍ ما عذب به أحداً من العالمين، قلب أسفل ديارهم أعلاها، وأمطر عليهم



حجارةً من سجيل ؛ ولهذا قال : ﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾ ؛ أي : غشاها من العذاب الأليم اللوخيم ما غشَّى ، أي : شيء عظيم لا يمكن وصفه ^(١) .

٧- ذكر المؤتفكات في سورة الحاقة :

أشارت سورة (التوبة) و(النجم) و(الحاقة) إلى قوم لوط ، من دون ذكر اسمهم ، واتفقت في المسمَّى بـ (المؤتفكات) في سورتي (التوبة) و(الحاقة) ؛ بصيغة الجمع ، وبـ (المؤتفكة) في سورة (النجم) بالإنفراد ؛ لأنَّ كلَّ ما كان وصفاً لجمع المؤنَّث ، وهو يجوزُ أن يأتي بصيغة المفرد وبصيغة الجمع ^(٢) .

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ ^(٣) فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿ [الحاقة : ٩ - ١٠] ؛ أي : كما جاء هاتان الأمتان الطاغيتان عاد وثمود ، جاء غيرُهم من الطُّغاة العُتاة ، كفرعون مصر الَّذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ، وأراهم من الآيات البيِّنات ما تيقَّنوا بها الحقَّ ، ولكن جَحَدُوا وكفروا ظلماً وعلواً ، وجاء من قبله من المكذِّبين كذلك . ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾ ؛ أي : قرى قوم لوط ؛ والجميع جاؤوا ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ ؛ أي : بالفعل الطَّاغية ، وهو الكفر والتكذيب والظُّلم والمعاندة وما انضمَّ من ذلك من أنواع المعاصي والفسوق .

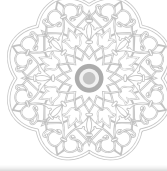
- ﴿ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ وهذا اسمٌ جنسيٌّ ؛ أي : كلُّ هؤلاء كَذَّبوا الرِّسُولَ الَّذي أرسله الله إليهم ؛ فأخذ الله الجميع ﴿ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴾ ؛ أي : زائدةً على الحدِّ ، وعلى المقدار الَّذي يحصلُ به هلاكهم ^(٣) .

* * *

(١) تفسير السَّعدي ، ص ١١١٤ .

(٢) الدُّروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم ، عبد الهادي الشَّمراني ، ص ٢٤٥ .

(٣) تفسير السَّعدي ، ص ١١٩٧ .



المبحث الخامس

أسباب هلاك قوم لوط، وأسباب نجاته عليه السلام

أولاً: أسباب هلاك قوم لوط:

إنَّ القرآنَ الكريمَ ذكرَ قصصَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِ الاسْتِئْصَالِ، وَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ، وَعَادٌ، وَثَمُودٌ، وَقَوْمُ لُوطٍ، وَقَوْمُ شُعَيْبٍ، وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَقَارُونُ، وَالْمُخَالَفُونَ فِي الدُّخُولِ إِلَى الْقَرْيَةِ، وَأَصْحَابُ السَّبْتِ، وَأَهْلُ الْقَرْيَةِ الْأَمْنَةِ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ، وَأَصْحَابُ الرَّسِّ، وَقَوْمُ ثُبَّعٍ، وَأَصْحَابُ الْفِيلِ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى الْفَتَرَاتِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ، تَبَيَّنَ أَنَّ عَذَابَ الاسْتِئْصَالِ الرَّبَّانِي بَدَأَ بِأَوَّلِ أُمَّةٍ انْحَرَفَتْ عَنِ الْجَادَّةِ، وَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ، ثُمَّ تَوَالَتْ الْأُمَمُ الَّتِي اسْتَكْبَرَتْ وَكَفَرَتْ وَظَلَمَتْ أَوْ الَّتِي كَذَبَتْ الرُّسُلَ، وَابْتَعَدَتْ عَنْ مَنْهَجِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، بَعْدَهُمْ تَتَرَا، تَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَلْقَى الْمَصِيرَ ذَاتَهُ. وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ إِلَى الْمَدَّةِ السَّابِقَةِ لِمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ كَانَ هَلَاكُ أَصْحَابِ الْفِيلِ. وَفِي حَدِيثِ الْقُرْآنِ عَنِ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ إِبْرَازٌ لْجَانِبِ ذِكْرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَذَتْ إِلَى هَلَاكِهِمْ، فَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ أَسْبَابَ هَلَاكِهَا^(١). وَفِي هَذَا الْمَبْحَثِ نَتَحَدَّثُ عَنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، الَّتِي مِنْ أَهْمِّهَا:

(١) أسباب هلاك الأمم السَّالِفَةِ كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد بابا سيللا، دار ابن الجوزي، ٢٠٠٠م، ص ٤٥٨.

١ - الشرك :

قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات : ٣٥-٣٦] .

ففي هاتين الآيتين دليلٌ على أنه لم يكن في قرية قوم لوط مؤمن ولا مسلم إلا آل لوط ، فإذا كان كذلك ، لم يبق إلا أن يكون الباقون إما مشركين أو كفاراً جاحدين للخالق ، فإذا كانوا مشركين فلا بد أن يكون لوطٌ عليه السلام دعاهم للتوحيد ، ودعوة الأنبياء جميعاً قائمة على دعوة الأمم والشعوب إلى التوحيد وإفراد العبادة لله عز وجل ، وقد بين ابن تيمية (رحمه الله) أن قوم لوط كانوا مشركين إلى جانب إتيانهم الفاحشة التي لم يسبقوا إليها^(١) .

فقد دعا لوطٌ قومه إلى التوحيد ، وركز في دعوته على النهي عن الفاحشة التي اشتهروا بها^(٢) .

٢ - الظلم :

الظلم : وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غير موضعه ، وهو ثلاثة أنواع :

الأول : الشرك بالله عز وجل .

الثاني : ظلم العبد لنفسه .

الثالث : ظلم العبد لغيره .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣١] .

(١) أسباب هلاك الأمم السالفة ، ص ١١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١١ .



وقد وقع قوم لوط في أنواع الظلم الثلاثة^(١).

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الظلم سبباً للهلاك:

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [يونس: ١٣].

- وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأُفُورُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩].

- وقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

- وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

- وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْتُرُ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

وغير ذلك من الآيات التي تذكر الظلم سبباً للهلاك من هلك من الأمم السابقة، وأول ما يدخل تحته الشرك، فهلاكهم كان بسببه وبما دونه من المعاصي^(٢).

٣- الإجماع:

هو شبيه بالظلم، قد يعمُّ الشرك وغيره من المعاصي. والشرك أشعُّ أنواع الإجماع وأشنعه، فالمشرك أجرم في حقِّ ربِّه لأنه جعل من لا يستحقُّ العبادة معبوداً مع من يستحقُّ العبادة، وأجرم في حقِّ نفسه، فأذلَّها لغير الله، وأوردها موارد الردى في الحياة الدُّنيا، وأحلَّها دارَ البوار في الآخرة^(٣). قال تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

(١) قصّة سيّدنا لوط، فتح الرّحمن عثمان، ص ٢٨.

(٢) أسباب هلاك الأمم السّالفة، ص ١١٣.

(٣) المصدر السّابق، ص ١١٣.

فكان الانتقام من قوم لوط بسبب إجرامهم في حق خالقهم بالشرك، وفي حق لوط عليه السلام بالتكذيب والإيذاء.

٤- تكذيب لوط عليه السلام:

كذب قوم لوط نبيهم، ولجّوا في العناد، فكانت عاقبتهم أن عاجلهم الله بالعذاب العظيم، وجعلهم عبرة لأولي الألباب، قال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي﴾ [القمر: ٣٣].

وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن تكذيب الرسل كان سبباً في هلاك الأمم السابقة، ومن بينها قوم لوط، وهذه الآيات واضحة الدلالة، وصريحة في العلاقة بين تكذيب الرسل وبين ما حاق بهم من الهلاك والدمار، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ [٤٢] وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ [٤٣] وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤].

وهذه الآيات ونظائرها واردة في سياق تسليية النبي ﷺ عما يلاقه من قومه من التكذيب والإعراض، فالله سبحانه وتعالى يقص على بينة قصص المكذبين من الأمم السالفة، وما واجهوا به رسلهم من التكذيب، وما صار إليه أمرهم من الهلاك، وفي ذلك تخفيف عليه ﷺ عما يجد في نفسه من الألم والأسى بسبب تكذيب هؤلاء الكفرة، فهو ليس بدعاً من الرسل، في التكذيب، بل كذب قبله رسل. وفيه إنذار وتحذير للمكذبين من قومه أن يكون مصيرهم كمصير أسلافهم الذين كذبوا رسولهم، فأخذهم الله بعاجل العذاب^(١).

(١) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص ١٩٢.

٥ - الفسق :

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

إنَّ من أسباب هلاكهم وقوعهم في الفسق، والآية وَصَفَتْ حال قوم لوط أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ وَشَرٍّ وَفَسَقٍ وَفَحْشٍ وَفَجُورٍ وَخَارِجِينَ عَنِ مَنِهْجِ اللَّهِ، وَعَنِ فِطْرَةِ اللَّهِ، وَعَنِ سِوَاءِ السَّبِيلِ، وَعَنِ الْأَخْلَاقِ، وَعَنِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ^(١).

إنَّ الخروجَ عن طاعة الله تعالى، والوقوعَ في الفسق مُؤَدِّ إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، وإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يهلكَ قرية، أمرهم بطاعته فأعرضوا، فأوقع الله بهم من العقوبات ما يستحقُّون، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

٦ - الإفساد :

لقد وقع قوم لوط في الإفساد في الأرض، وتحكمت فيهم هذه الصفة البغيضة، فأفسدوا في المعتقد، والسلوك، والأخلاق، وفي المجتمع، وبسبب المفاسد العظيمة التي ارتكبوها مضت فيهم سنة الله في إهلاك الفاسدين. وهم ارتكبوها من المفاسد ما أصبحوا به بلاءً على العمران وعلى المثل العليا، وقد دعا لوط عليه السلام عليهم، فقال: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]؛ فاستجاب الله دعاءه.

٧ - إيذاء لوط عليه السلام :

تعرَّض لوط عليه السلام للإيذاء من قومه، وتواصوا على إخراجهِ هو ومن معه، وحاولوا التَّعَدِّي على ضيوفه، وكانوا قوماً من أسوأ النَّاسِ، لا يُراعون

(١) تفسير سورة الأنبياء، د. أحمد نوفل، ص ٣٦٥.

حرمة جار ولا حقّ ضيف. ومن ضمن جرائمهم التي حكاها القرآن عنهم: محاولتهم التعدي على ضيوف لوط عليه السلام، وكان هؤلاء الضيوف الملائكة، الذين أتوا لإهلاكهم وقد جاؤوا في صورة بشر حسان الوجوه، فما إن علم المجرمون بذلك حتّى هرعوا إلى بيت لوط قاصدين فعل الفاحشة بضيوفه غصباً وإكراهاً، ونزل بلوط من الغمّ والهّم والضيق ما لا يعلمه إلا الله، ثم جاء الفرج من الله، فلم يصل المجرمون إلى مبتغاهم^(١).

وقد استجاب الله دعاء لوط عليه السلام، ونجّاه وأهله ممّا يعملون، ومضت فيهم سنة الله وأهلكهم.

٨- كُفّرهم بنعم الله عليهم:

ذَكَرَ لوطٌ عليه السلام قومه بنعمة من أعظم النعم على البشرية جمعاء، وهي نعمة خلق الذكر والأنثى، وجعل كلّ واحد منهما يميل للآخر، ويسكن إليه، فيكون التزاوج مع ما يجلبه من المودة والرحمة، ثم يكون التناسل والتكاثر، ويترتب على ذلك كثير من المصالح والمنافع الدنيوية والأخروية، وهذه النعمة كغيرها من النعم يجب أن تُشكر، وأن يُسلك فيها ما شرعه الله جلّ وعلا، وأن يوقف فيها عند حدوده، ولكنّ قوم لوط لشذوذ طباعهم، واعوجاج في غرائزهم، تجاوزوا حدود هذه النعمة إلى ما حرّم الله، فابتدعوا فاحشة إتيان الذكور شهوة من دون النساء، فأنكر لوط عليه السلام عليهم هذا الانحراف والشذوذ مذكراً إياهم بالنعمة المشار إليها آنفاً، فقال كما حكاها الله عنه: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿[الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦]، لكنّ حبّ الفاحشة كان قد تأصل فيهم، فلم تنفعهم المواعظ ولا التذكير، فهلكوا فيمن هلك^(٢).

(١) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٨.

٩- المجاهرة بالذنوب والخطايا والفواحش :

إِنَّ خُرُوجَ الْخَطِيئَةِ مِنْ نِطاقِ الْفِرْدِ إِلَى الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ الْمَجَاهِرَةُ بِهَا؛ يَنْذُرُ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَقَدْ ضُرِبَ بِقَوْمِ لُوطٍ أَسْوَأَ الْمَثَلِ فِي ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ، فَقَدْ انْحَرَفُوا عَنْ الْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ النَّقِيَّةِ، وَأَسْرَفُوا فِي تَجَاوُزِ مَنْهَجِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ وَصَفَهُمْ نَبِيُّهُمْ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِسْرَافِ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، وَبِالْعُدْوَانِ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، وَبِالْجَهْلِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، وَبِالْإِفْسَادِ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ قَرِبَتَهُم بِالْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخُبَاثَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ طَآءَنَّا يَنْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَحِيْنُهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخُبَاثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]؛ وَالْمَرَادُ بِهَا أَهْلُهَا^(١).

وَلَقَدْ وَصَفْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْفُسْقِ، وَجَاءَتْ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ: ﴿يَفْسُقُونَ﴾، لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنْ سَمَاءٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]، إِذْ اخْتَلَّتْ لَدَى قَوْمِ لُوطٍ كُلُّ الْقِيَمِ السَّالِمَةِ، وَاضْطَرَبَتْ لَدَيْهِمُ الْفِطْرَةُ النَّقِيَّةُ بِسُوءِ فَعْلِهِمْ^(٢).

وَهَكَذَا، أَصْبَحَ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعُ مُوصُوفًا بِالْفَحْشِ، وَالْعُدْوَانِ، وَالْفُسْقِ، وَالسُّوءِ، وَالْإِفْسَادِ، وَالْإِسْرَافِ، وَالظُّلْمِ، وَالْخُبْثِ، وَالْجَهْلِ، وَالْإِجْرَامِ، وَالْخِزْيِ، وَالْفُضِيْحَةِ... إلخ.

وَأَصْبَحَتِ الْمَجَاهِرَةُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي طَبِيعِيَّةً بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ، وَخَرَجَتْ مِنْ طُورِ الْحَيَاءِ، وَالِاعْتِيَادِ إِلَى طُورِ الشَّيْوَاعِ، بَلْ وَالتَّفَاخُرِ، لَدَرَجَةِ أَنْ جَعَلُوا سَبَبَ طَلْبِهِمْ خُرُوجَ لُوطٍ وَأَهْلِهِ أَنَّهَمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ، فَقَدْ صَارُوا فِي نَظَرِهِمْ شَاذِينَ عَنْ

(١) أسباب هلاك الأمم السَّالِفَةِ، ص ٤٢٦.

(٢) التداول الحضاري في القرآن الكريم، د. فرج علام، ص ١٧٨.

مجتمعهم، ولا يتماشون مع السائد فيهم من قيم وأعراف مهما بدت للمتبرّص غريبة ودنيئة. فكان العقاب الربّاني، وسنة الله في إهلاك هؤلاء حاضرة. ثم إنَّ العقاب الذي عُوقب به قوم لوط كان أشدَّ مما عُوقب به غيرهم، فقد أهلك الله قوم لوط بأنواع من العذاب:

- المطر: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

- الحجارة المسومة من سجّيل منضود: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

- الصيحة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣].

- قلب قراهم بأن جعل عاليها سافلها: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

- الحاصب: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

إنَّ قوم لوط عصوا الله وجاهروا بالمعاصي، حتّى أصبح فعلهم تحدياً لله تعالى ورسوله، وسخروا من نبيّهم، واعتدوا على بيته، فأنزل الله بهم أنواعاً من العذاب عقوبة لهم، فلم يُصب قوماً ما أصابهم، وقد ذكرها الله في القرآن الكريم، وفرّقها في سور، لتكون عبرة للمعتبرين، وعظة للمتّعظين^(١).

هذا العقاب الذي عُوقب به قوم لوط كان جزاء عاجلاً على انكبابهم على الفاحشة، وإصرارهم عليها، وهو ردعٌ وزجرٌ لغيرهم ممّن يأتي بعدهم. وما أعدَّ الله لهم في الآخرة أشدَّ وأخزى، والله سبحانه وتعالى ربّ حكيم لا يفعل شيئاً إلا بمقتضى حكمته، قد نعلمها وقد لا نعلمها. وعنده أنواعٌ من

(١) روح المعاني، ٢٧/٩٠.



العقاب غير ما عاقب به قوم لوط، فيُقَدَّر على مَنْ سلك مسلكهم ما شاء الله من أنواع العقاب إن في الدنيا أو في الآخرة^(١).

وقد قال تعالى عَقِبَ ذِكْر هلاك قوم لوط بما سبق وصفه: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]؛ قال ابن كثير (رحمه الله): «وما هذه النعمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه»^(٢).

١٠- سُنَّةُ الاستبدال :

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. مضت سُنَّةُ الله في الاجتماع البشري أنه ما أهلك قوماً إلا أنشأ من بعدهم قوماً آخرين؛ يقومون بعمارة الأرض، ذلك أن ذهاب أمة، وإنشاء أخرى، لا يكون عبثاً ومصادفة، ولكنه سُنَّةُ الله في الأمم والدول، لتتجدد خلايا الإنسانية، وتتداول الحياة الحضارية بين البشر، ليستمرَّ العالم قائماً على عقيدة سليمة، وأسس صحيحة صالحة للبقاء^(٣).

وكما أن للحضارات سُنن قيام وسقوط، فلها سُنن تجددٍ وانبعاث واستبدال، وقد تحدَّث القرآن الكريم عن الاستبدال الحضاري، وهذا ما حدث لقوم لوط حيث تجمَّعت فيهم أسباب الهلاك، فمضت سُنَّةُ الله فيهم بالاستئصال، واستبدلهم بقوم آخرين.

١١- سُنَّةُ الأجل الجماعي :

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

(١) أسباب هلاك الأمم السَّالفة، ص ٤٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ٤٧١.

(٣) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، ص ٧٣.

جعل الله لكل فرد أجلاً تنتهي به حياته الدنيا، وجعل سبحانه للأمم والحضارات آجالاً تنتهي إليها، وتسقط في نهايتها، ويُسدل الستار عليها. وكذلك لحركة التاريخ الجماعي للأمم سنن كثيرة دقيقة تسير عليها - قدرها الحكيم العليم - لا تُقصر عنها ولا تتجاوزها، أوقاتها مُحَدَّدة، وأحداثها مُقَدَّرة مكتوبة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾^(١).

ونظراً لارتباط هذه الآجال بمواعيد ثابتة مُحَدَّدة في علم الله، كجزء من نظام كوني مُتماسك، ووفق مقاييس زمنية قد تبدو للإنسان ذي القدرات النسبية المحددة طويلة، ونظراً إلى أنَّ إرادة الله سبحانه وتعالى وحكمته في خلقه شاءت أن تمتد في الأجيال، كي تمنح لكل قوم أو أمة التكفير عن ظلمها وطغيانها، وأن تسعى للالتزام الطريق العادل المستقيم، ونظراً لهذا وذاك يتصور البعض أنهم بمنأى عن عقاب الله تعالى، وأنه لا تدهور ولا سقوط: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

ويتطَّرف البعض الآخر، فيستعجل المصير قبل تحقيقه على سبيل التحدي والاستفزاز: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا فَاهْبِطْ عَلَيْنَا حِكْمَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، إلا أنَّ أولئك وهؤلاء لم يدركوا أنَّ كتابهم لم يبلغ أجله، وأنه إذا جاء فليس أمامهم إلا أن يُعانقوا مصائرهم التي صاغوها بأيديهم سلفاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [النحل: ٦١]^(٢).

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [يونس: ٤٩]؛ أي: لكل قوم ميقات لا نقضاء مدَّتْهم وأجلهم في الحياة، فإذا جاء

(١) السنن الإلهية في الخلق، عبد الحميد طهماز، ص ٣٥.

(٢) السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، ١/ ٣٦٧.



وقت انقضاء أجلهم، وفناء أعمارهم، لا يستأخرون ساعة ولا يُنقِصون ساعة. والإمداد بالسَّاعة أقلُّ مدَّة من الزَّمن، ولا يتقدَّمون بالقدر نفسه؛ لأنَّ الله قضى بذلك منذ حين^(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ مَّا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿[الحجر: ٤ - ٥]؛ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ كُلَّ الْقَرْيَةِ الْهَالِكَةِ كَانَ لَهَا أَجَلٌ مُقَدَّرٌ فِي سَبَابِ هَلَاكِهَا، وَذَلِكَ لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِهَا بِتَقْدِيمِ النَّذْرِ، وَفُرْصِ الْإِمْهَالِ، وَسُنَنِ الْاسْتِدْرَاجِ^(٢).

وتبقى سُنَنُ اللَّهِ ثَابِتَةٌ؛ وَهِيَ أَنَّ هَلَاكَ الْأُمَمِ مَرْهُونٌ بِأَجْلِهَا، فَالْهَلَاكُ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهَا، مُرْتَبٌّ عَلَى سَلُوكِهَا وَأَعْمَالِهَا، وَعَلَى اعْتِقَادِهَا وَتَصَوُّرِهَا، وَمِنْ خِلَالِ هَذَا تَنْفُذُ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَلَا يَغُرُّ الْمَكْذِبِينَ تَخَلُّفُ بِأَسِ اللَّهِ عَنْهُمْ مَدَّةٌ مِنَ الْوَقْتِ، وَمِنْ عَدَلِ اللَّهِ أَنْ يَذُوقَ كُلُّ وَاحِدٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَسُنَّةَ اللَّهِ فِي طَرِيقِهَا الْمَعْلُومِ تَمْضِي رَوِيداً رَوِيداً نَحْوَ الْأَجْلِ الْمُقَدَّرِ الَّذِي مَنَحَهُ اللَّهُ لِتِلْكَ الْقَرْيَةِ، وَحَتَّى لَا تَبْقَى بَقِيَّةٌ خَيْرٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبْلُغُ أَجْلَهَا وَتَنْتَهِي إِلَى مُصِيرِهَا^(٣).

وما من أُمَّةٍ عَرَفَتْ الْحَيَاةَ ثُمَّ تَمَرَّدَتْ عَلَى الْحَقِّ، وَتَوَلَّتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَّا وَاللَّهِ مُهْلِكُهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُهَا، وَهَذَا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ فِي الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الإسراء: ٥٨]؛ وَهَذَا مَا حَدَّثَ لِقَوْمِ لُوطَ، حَيْثُ بَعَثَ اللَّهُ لَهُمْ رَسُولاً لِهَدَايَتِهِمْ، فَرَدُّوا دَعْوَتَهُ كِبَرًا وَعِنَادًا، وَأَعْرَضُوا عَنْهَا جُحُودًا، وَطَلَبُوا مِنْهُ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ وَكَذَّبُوا وَجَحَدُوا وَظَلَمُوا وَبَطَرُوا وَأَتْرَفُوا، فَوَقَعَ عَلَيْهِمُ الْعِقَابُ الْإِلَهِيُّ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ مَعَ تَقْدِيرِ اللَّهِ لَهُمْ وَفَقِ سُنَّتِهِ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ

(١) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٢.

أَجَلٌ؛ ﴿١﴾ فَعِلْمُ اللَّهِ لَا يَتَبَدَّلُ، وَسُنَّتُهُ لَا تَتَحَوَّلُ، وَهِيَ جَارِيَةٌ وَحَاكِمَةٌ وَفَقْ مَشِئَتُهُ وَإِرَادَتُهُ وَعِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١).

١٢ - سُنَّةُ الْهَلَاكِ :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَضَى بِجَعْلِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ جَرَتْ سُنَّتُهُ بِالْفَصْلِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ فِي الدُّنْيَا لِحِكْمَةِ رَبَّانِيَّةِ عُلْيَا، وَذَلِكَ بِإِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ، وَإِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّرَاعِ الدَّائِرِ بَيْنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَعْدَائِهِمْ، وَفِي هَذَا الصَّرَاعِ دَارَتِ الدَّائِرَةُ وَفَقْ سُنَّةُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقَهُ اللَّهُ بِالطُّوفَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْمَدَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَطَرَهُمْ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَسُومَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُجْرِمِينَ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا كَمَا حَدَثَ لِقَوْمِ لُوطَ .

إِنَّ الْهَلَاكَ الَّذِي حَلَّ بِأُولَئِكَ الظَّالِمِينَ، إِنَّمَا هُوَ خِزْيٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَنُصْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، لِيَتَّعِظُوا بِمَصَائِرِ الْغَابِرِينَ، وَيَتَّعِدُوا عَنْ سُبُلِ الشَّيْطَانِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي إِهْلَاكِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الْمَحَادَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. وَإِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ مَاضِيَةٌ بَيْنَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ لِلْإِعْتِبَارِ وَالْإِتْعَازِ، وَمَضَتْ فِي قَوْمِ لُوطَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَظَلَمُوا غَيْرَهُمْ، وَارْتَكَبُوا الْفَوَاحِشَ الْمُخْزِيَةَ، وَاتَّبَعُوا شَهْوَاتِهِمُ الَّتِي أَشَقَّتْهُمْ فَأَرَدَتْهُمْ .

١٣ - سُنَّةُ الْخُسْرَانِ :

تَحَقَّقَتْ سُنَّةُ الْخُسْرَانِ فِي قَوْمِ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣]؛ وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يُفْلِحُونَ، وَأَنَّهُمْ خَاسِرُونَ، وَهِيَ سُنَّةٌ نَافِذَةٌ لَا تَتَخَلَّفُ، كَمَا أَنَّ الْفَلَاحَ

(١) نوح عليه السلام والطوفان العظيم، ص ٣٤٤.



للمؤمنين طرف من النّاموس الكبير^(١). فقد مضت سُنّة الخسران في قوم لوط، وكذلك هي تمضي في كل قوم يحدون عن الصّراط المستقيم.

١٤ - الغفلة عن أسباب الهلاك:

من أسباب هلاك قوم لوط، ومُضِيّ سُنّة الله فيهم، هي غفلتهم عن أسباب الهلاك، فلم ينتبهوا إلى خطورتها، بل مارسوها على مستوى الأفراد والمجتمع، وإنّ القرآن الكريم في قصّة لوط عليه السلام وجّه الأنظار إلى الاعتبار بأحوالهم، وهي مليئة بالدروس والعبر والفوائد والسّنن وقوانين الله في حركة الشعوب، وزوال الحضارات.

هذه بعضُ الأسباب التي وصلت إليها من البحث في معرفة عوامل هلاك قوم لوط، واللافت للنظر أنّ هذه الأسباب قابلةٌ للإعادة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

ثانياً: أسباب نجات لوط عليه السلام وأهله وأهم صفاته:

إنّ من أسباب نجات لوط عليه السلام وأهله: إيمانهم بالله عزّ وجلّ، وتقواه، وطاعته، وتحقيق توحيده، وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشّرك بأنواعه، والسّير على نهج شرع الله وهدايته سبحانه وتعالى، والتجاؤه إليه بالدّعاء، فقد ورد على لسان لوط عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩]. وأمّا أهمّ صفات لوط عليه السلام، فهي كما يأتي:

١ - المؤمن المهاجر في سبيل الله تعالى:

آمن نبيّ الله لوط عليه السلام بخليل الرحمن عمّه إبراهيم عليه السلام، وهاجر معه من أرض العراق إلى بلاد الشّام، قال تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ

(١) في ظلال القرآن، ٤/ ٢٤٨٣.

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ [العنكبوت: ٢٦]؛ في هذه الهجرة حدّد القرآن الكريم هدفها؛ هجرة لأجل الله ولأجل دينه^(١).

٢- رسول أمين:

وَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لوطاً عليه السلام بالرسول الدّاعي إلى الإيمان والتّقوى، والأمين على الرّسالة، الصّادق في النّصيحة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقِوُا﴾ [١٦٦-١٦٢]؛ أي: صادق فيما أبلغكم عن الله تعالى، أمين فيما بينكم، فهم قد عرفوا من قبل أمانته وصدقه في جميع أقواله وأفعاله، ومن كان صادقاً وأميناً في أمور الدّنيا، لا يمكن أن يكذب على ربّه، وكذلك أنبياء الله جميعاً^(٢).

٣- إخلاص لوط عليه السلام:

من الصّفات الّتي تمتع بها لوط عليه السلام وتّصف بها: إخلاصه لله تعالى، فكانت هجرته مع إبراهيم عليه السلام من أرض العراق إلى الشّام دليلاً عظيماً على إخلاصه لله تعالى، وكان هدفه الظّاهر والباطن في هذه الهجرة لله وفي الله، قال تعالى: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾؛ فالإخلاص صفة لصيقة بالأنبياء عليهم السلام، وبأتباعهم الصّالحين^(٣).

وكان هدف دعوة لوط عليه السلام: إنقاذ قومه من المعاصي والفواحش والفجور، وتعليمهم التّوحيد، وإفراد العبادة لله عزّ وجلّ، وكان مخلصاً في ذلك لا يريد منهم أجراً ولا مالاً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٤]. ولم يترك موقفاً ولا موقعاً إلا ذكر قومه

(١) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٤١.

(٢) المثالب التي ذكرتها التّوراة للنبي لوط، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٧.



بتقوى الله تعالى، وعانى هو وآل بيته من هؤلاء القوم الممارسين لأبشع أنواع الفواحش، إلا أنه لم يترك قومه يغرقون، وإنما كان يبذل قصارى جهده في إنقاذ قومه. وظهر إخلاص لوط عليه السلام بطاعته لله تعالى، واتباع أمره، حين أمره بالخروج هو وأهل بيته الظَّاهرين، وعدم الالتفات إلى مصارع قومه بمن فيهم زوجته، فقد مضى لوط ومن معه من المسلمين إلى حيث أمرهم الله تعالى، دون جدال ولا نقاش مؤكداً أنَّ رابطة العقيدة هي أقوى الروابط، أقوى من رابطة الدَّم والقربة والرابطة الزوجية، حيث قال: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥].

وهكذا، فإن إخلاص لوط عليه السلام، ومن معه كان سبباً للنَّجاة من الهلاك، فلم يلتفتوا تطبيقاً لأمر الله، ومضوا حيث أمروا، فاستحقوا النَّجاة في الدَّارين^(١).

٤ - طهارة لوط عليه السلام:

كانت طهارة لوط عليه السلام وآل بيته علامة بارزة، وسمّة واضحة في قومه المنغمسين في براثن الانحلال والانحراف عن مسار البشريّة، وعن الفِطْرة، التي فطر الله النَّاسَ عليها، فقد كان قوم لوط غريبين الأطوار في أفكارهم، وتصرفاتهم، حتى وصل جنوح الفكر عندهم إلى قلب المفاهيم والقيم، فأصبح الطُّهْرُ في نظرهم جريمة يعاقب عليها قانون المنحرفين، وأصبح لوط في نظرهم غريباً عنهم، لا يستطيعون أن يستوعبوه بينهم، والسبب في ذلك أنه طاهر، فهم كالجراثيم لا تستطيع أن تعيش في الأماكن الطاهرة النظيفة، وشهد قوم لوط له ولأهله بالطهارة، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]؛ أي: عابوهم - بغير عيب - بأنهم يتطهرون من أعمال السوء^(٢).

(١) المثالب التي ذكرتها التوراة، المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

كانت طهارة لوط عليه السلام وآل بيته سبباً من أسباب النجاة من الهلاك والدمار والبوار في القوم المنحرفين، فالطهارة صفة لازمة للأنبياء عليهم السلام، وكذلك للدعاة الربانيين من بعدهم، فلا بُدَّ من طهارة المعتقد والفكر والقلب والسلوك، وطهارة العين واللسان والجوارح، ليقوموا بالمعروف، والنهي عن المنكر في أقوالهم ومجمعاتهم، حتَّى يرتقوا بها نحو القيم العليا، والأخلاق الربانية الفاضلة^(١).

٥- توكل لوط عليه السلام على الله والتجاؤه إلى الدعاء :

إنَّ سيدنا لوط عليه السلام كان شديد التوكل على الله تعالى، وهي صفة أصليّة في قلوب المؤمنين، وحين يئس لوط عليه السلام من كلِّ الأسباب الدنيويّة في إنقاذه من الكروب والشّدائد والابتلاءات التي مرَّ بها، فهو التجأ إلى الله تعالى، وتوكل عليه، واستغاث به، فاستجاب الله دعاءه :

- ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

- ﴿ رَبِّ بَنِّ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

ودافع دفاعاً مستميتاً عن ضيوفه، وحرص على دعوة قومه، وأخذ بالأسباب الماديّة والمعنويّة، وكان معتمداً ومتوكلاً على الله.

٦- كرم لوط عليه السلام :

تظهر صفة الكرم جليّة في لوط عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ [الحجر: ٦٨]؛ حيث تُنبئ الآية الكريمة، بأنَّ الملائكة لما جاؤوا إلى قوم لوط نزلوا عنده ضيوفاً، وكان سخيّاً كريماً، يُقرّي الضيف إذا نزل به، فقال لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحقّ

(١) المثالب التي ذكرتها التوراة، المصدر السابق، ص ٢٨٢.



على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في ترككم التعرّض لهم بالمكروه. ويدلّ نهْيُ لوط قومه أن يمسّوا ضيوفه بأذى، فقد كان يأتيه الضيوف بين الفينة والأخرى، وهذا دليلٌ على كرمه^(١).

٧- أمر لوط عليه السلام قومه بالمعروف ونهيهم عن المنكر :

قال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٩﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَوْجِحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦].

يُنكِرُ لوطٌ عليه السلام على قومه أبرزَ معاصيهم، مُرَكِّزاً على الإصلاح الاجتماعي في دعوته لقومه، آخذاً بيدهم إلى الخير، مُبعداً لهم عن الانغماس في الشهوات^(٢).

٨- علم لوط عليه السلام وحكمته :

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ طَاءَ أَلَيْسَ لَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجِيَّةٌ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤-٧٥].

إنَّ الحكمَ والنبوةَ: العلمُ والمعرفة بأمر الدين، وما يقع به الحكم بين الخصوم. وَبَيَّنَّتْ الآيَاتُ الكريمة في سورة الأنبياء أصنافَ النعم على سيّدنا لوط عليه السلام على أربعة وجوه^(٣):

- الحكم ؛ أي : الحكمة ، وهي النبوة .

(١) جوانب الإصلاح في قصّة لوط في القرآن الكريم، د. عامر القيسي، د. علي أسعد، المجلة

الأردنية للدراسات الإسلامية، ٢٠١٧م، ص ٢٣٥.

(٢) النظم القرآني في قصّة لوط، ص ٤١.

(٣) تفسير الرّازي، ١٩٢/١١، تفسير القرطبي، ٣٠٩/٦.



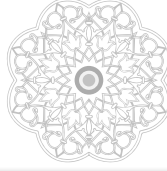
- العلم؛ وإدخال التنوين على الحكم والعلم فيه علو شأنهما . قال تعالى : ﴿حُكِّمُوا وَعِلِّمُوا﴾ .

- نجاة نبي الله لوط عليه السلام من القرية التي كانت تعملُ الخبائث .
- دخوله في رحمة الله بسبب النبوة .

وجاء تعدادُ تلك النعم على نبي الله لوط (عليه السلام) في القرآن الكريم تكريماً له بما عاناه مع قومه بسبب كفرهم ، وارتكابهم الفاحشة ، فكان أن تفضل الله عليه بأن آتاه الحكم والعلم ، ثم أكرمه بأن أنجاه من القرية الغارقة في الخبائث ، ومن ثم أدخله في رحمته مستحقاً هذه الرحمة ؛ لأنه من الصالحين^(١) .

* * *

(١) المثالب التي ذكرتها التوراة للنبي لوط ، ص ٢٨٩ .



المبحث السادس

الشُّذُوذ الجنسي في العصر الحديث؛ أسبابه وعلاجه

شكّلت العلاقات الجنسيّة «الشَّاذَّة» تحدّياً عظيماً للحياة الإنسانية، على وجه هذه الأرض، مؤذنةً بالخراب والدمار، والانتقام الربّاني، بسبب هذه الأعمال التي زيّنها الشَّيْطان الرّجيم لبني الإنسان، فأصبح البعض منهم متورّطاً في الشّهوات الآثمة، غارقاً فيها من مفرق رأسه حتى أخمص قدميه .

وتحدّث العلماء والمفكّرون والمثقفون عن خطورة العلاقات الجنسيّة الشَّاذَّة، ومن هؤلاء :

- الشيخ الدكتور عبد الملك بن عبد الرّحمن السّعدي، في كتابه : «العلاقات الجنسيّة غير الشرعيّة، وعقوبتها في الشريعة والقانون»، إذ أفرد في الباب الثاني ملحقات الزّنى، وهي قضايا الشُّذُوذ الجنسي، وفصّل فيها أحكام الشريعة الإسلامية، وذكر فيما ذكر ما يتعلّق بـ :

- اللّواط الكبري: وهي وطء الذّكر في دبره، ومثله دُبر امرأة غير حليّة، وقد ثبتت حرمتها بالكتاب والسّنة، والإجماع والعقول^(١).

(١) العلاقات الجنسيّة غير الشرعيّة وعقوبتها في الشريعة والقانون، د. عبد الملك بن عبد الرّحمن السّعدي، دار الأنبار-بغداد، ١٩٨٩م، ١/١٩١.

- اللّوَاطَةُ الصَّغْرَى : هي أن يأتي الرَّجُلُ زوجته في دبرها ، وسُمِّيت صغرى ؛ لأن الزوجة موضعُ جِماعِ الرجل في الجملة ، وبَيَّنَّ حرمة هذا الفعل الشَّنيع ، واستدلَّ بحديث رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ، لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ» (١) .

ويقوله ﷺ : «ملعون من أتى امرأة في دبرها» (٢) . واستدلَّ بأدلة أخرى متينة وقويّة في هذا الباب .

- المساحقة : هي إتيانُ المرأةِ المرأةَ ، وهذا الفعلُ متَّفَقٌ على تحريمه .
- وطء البهيمة : هو حرامٌ إجماعاً .

ولقد فصلَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ في بيان الأحكام ، والعلل ، وأقوال الفقهاء والعلماء ، وبيان حرمة العلاقات الجنسيّة (غير الشرعيّة) .

- الدُّكْتُورَةُ نهى عدنان القاطرجي : وقد اهتمَّت بهذا الموضوع ، وكتبتُ كتاباً كبيراً اسمه «الشُّذُوذُ الجنسي في الفكر الغربي» ، وقد تحدّثت فيه عن الشُّذُوذ الجنسي عبر التَّاريخ ، والتطوُّر التَّاريخي لمصطلح الشُّذُوذ ، والشُّذُوذ الجنسي لدى الأمم القديمة ، وفي الشَّرَائِع السَّماويّة ، وفي التَّاريخ الإسلامي ، وفي الفكر الغربي ودُّوله ، وتطوُّر الفكر الغربي حول الشُّذُوذ ، والحركة النَّسويّة في الغرب ، ودورها في دعم الشُّذُوذ ، وآثار تبني الفكر الشاذ على المجتمعات الغربيّة ، وطبيعة العلاقة بين المثليين ، والدعم الغربي الاجتماعي والقانوني ، وموقف المجتمع الغربي الرَّاغِب للشُّذُوذ الجنسي . وتحدّثت الدكتورة عن الشُّذُوذ في العالم العربي ؛ في مصر ودول شمال أفريقيا والعراق والشَّام وغيرها من الدُّول ، وعن العوامل المساهمة في انتشاره في الأدب والفن والإعلام وجمعيات

(١) مسند الإمام أحمد، ٦٥٥/٢ .

(٢) سنن الترمذي، ٥٨/٤ ، سنن أبي داود، ٤٩٨/١ .



المجتمع المدني الداعمة للشذوذ، وقدّمت مقترحاً في وسائل مواجهة التوجّه الغربي في الشذوذ، ومن ذلك :

- التّربية الأسريّة والمدرسيّة ودورها في التّصديّ للشذوذ الجنسي .

- دور العلاج الإيماني في القضاء على الشذوذ .

- التّصديّ للأفكار الغربية الشاذّة .

وهذا الكتاب سدّ ثغرة في موضوع الشذوذ الجنسي، وجمّع معظم ما تفرّق في هذا الموضوع، وناقش بالعقل والمنطق مرتكزات الشذوذ الجنسي، وأجهز عليها بالعلم والأدلة والبراهين .

ومن الكتب التي اهتمّت بهذا الموضوع: «المثليّة الجنسيّة؛ الدعاوى والرّد»، لمؤلفه الدكتور هيثم طلعت . وكتابه الآخر: «المثليّة الجنسيّة الجريمة والعقاب». وهناك كتاب «الإباحيّة الجنسيّة؛ حان وقت سداد الفاتورة»، لصاحبه إسماعيل عرفة . بالإضافة إلى كتاب «الجرائم الجنسيّة والشذوذ الجنسي في الشريعة الإسلاميّة والقوانين الوضعيّة»، للدكتور خليل إبراهيم علي الحلبوسي .

أولاً: الزّواج المثلي، والقوانين الشّيطانيّة:

جاءت الشريعة الإسلاميّة الغراء وغيرها من الشرائع السّماويّة، تنظّم طريقة إشباع تلك الغريزة الجنسيّة في الإنسان، وطريقة التناسل بين الجنسين؛ حفاظاً على مقصد حفظ النّسل، تلك القاعدة الكلّيّة، التي اتفقت الشرائع السّماويّة على المحافظة عليها؛ ضمانةً لبقاء النّوع الإنساني، وحفاظاً على حقوقهم على مرّ العصور والأزمان .

ولذلك شرّع الشّارع الحكيم الزّواج بين الذّكر والأنثى إشباعاً لتلك الغريزة الجبليّة، والشّهوة الطّبيعيّة، بصورة تتوافق مع الفطرة السّليمة، والحضارة

الإنسانية، وتُحقق مقاصدَ شرعيةً جليلة، وأهدافاً نبيلة، تكفل للفرد والمجتمع الصّلاح والفلاح، فلم يزل النَّاسُ منذ أن خلق الله أبيهم آدم عليه السلام، وأُمهم حواء عليها السلام يحصل التناسل والتناكح بين الذكور والإناث، وفُق ما جاءت به الشرائع إلى عهد قوم لوط، والَّذين انحرفت فطرتهم الجنسيّة، فأصبح الرّجال يأتون الرجال دون النّساء، كما وردت قصّتهم في القرآن الكريم، فكانت عاقبتهم ما ذكره الله سبحانه من سوء العاقبة، وهذه السّنة كونيّة فيمن انحرفت فطرهم عمّا فطرهم الله عليها إلى قيام السّاعة .

وظلَّ الشّذوذ الجنسيُّ واللّوطيّة على مرّ العصور، وتعاقب الدّهور فيمن انحرفت فطرتهم، وطغت شهوتهم «البهيمة» على عقولهم، فأصبحوا لا يعشقون إلا بني جنسهم من الذّكور أو الإناث، ولا يُشبعون رغبتهم الجنسيّة إلا بالشّذوذ الجنسي، فظلَّ الأمر هكذا إلى أن صار الزّواج المثليّ قانوناً مُقنناً في دساتير بعض الدّول في عالمنا المعاصر، ومنهجاً تعليمياً يُقرّر في المدارس الابتدائية فما فوقها، وحقاً تكفله كبريات المنظّمات العالميّة لمنحرفي الفِطرة الجنسيّة، وسوّقاً عالميّة تروّج له بعض القوى العظمى والمنظّمات الشّيطانيّة بشتى صنوف الوسائل العصريّة، مستغلّين في ذلك عولمة العالم المعاصر، من خلال شبكة الإنترنت، وبعض وسائل الإعلام الحديثة، فنجحوا في نشر وترويج هذه الدّعوة الخبيثة، والشّهوة الشّيطانيّة في شتّى أنحاء العالم المعمور، بما فيه العالم الإسلامي، فوجد - للأسف - من استجاب لهذه الدّعوة الإبلسيّة المدمّرة للإنسان حيثما كان، وتعلّت أصواتُ الإباحية بالتشريع لقوانين تبيح لهم الشّذوذ، على غرار دول ومجتمعات انحرفت عن الفِطرة، وعن التّشريعات الإلهيّة^(١).

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، إبراهيم بن تيجان جكيّتي، مركز باحثات لدراسات المرأة، ٢٠١٦م، ص ٨.



- وإنَّ الدَّعوة إلى الزَّواج المثلي، وسنَّ التشريعات والقوانين لحمايته يُعدّ:
- جناية على إحدى الكليّات الخمس التي جاءت الشَّرائع السماويّة بالمحافظة عليها، ألا وهي «كليّة حفظ النّسل».
 - الزَّواج المثلي هو انحرافٌ عن الفِطْرة السَّليمة الّتي فطر الله سبحانه وتعالى عليها النّوع الإنساني.
 - الزَّواج المثلي يتضمّن السَّبب الذي من أجله أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوط، فلا يُستبعد نزول نعمة الله سبحانه وتعالى وعذابه على أيّ مجتمع أضحي الزَّواج المثلي مظهراً من مظاهره.

إنَّ ضغوطَ القوى والأنظمة المسيطرة على دوائر الاقتصاد والإعلام في الدول العظمى، تركّزت على العالم الإسلامي بصفة خاصّة لتشريع قوانين ولوائح أنظمة تتيح الزَّواج المثلي، وتُلغي التَّظُم الّتي تحرّمه تحت مظلة حقوق الإنسان، أو في المواثيق الدوليّة الكاذبة الّتي تهدفُ إلى القضاء على الكيان الإنسانيّ عموماً، والكيان الإسلامي خصوصاً^(١).

١- تعريف الزَّواج المثلي في الاصطلاح:

هو عقدٌ يحلُّ الاستمتاع بين شخصين من جنس واحد؛ أي بين ذكّرين أو بين أنثيين، حيث يُعقد رسمياً بين شخصين من جنس واحد، كما يُعقد بين الرّجل والمرأة، فيصيران شريكين في الحياة الدُّنيا، ويجري بينهما ما يجري بين الرّجل والمرأة المتزوّجين، وهو أمر مستحدث لم يكن معروفاً من قبل، فقد كان هناك اللواط والسّحاق، ولكن لم يكن تشريعاً في قوانين ودساتير الدّول والأمم إلا في العصور المتأخّرة^(٢).

(١) الزَّواج المثلي، المصدر السّابق، ص ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩.

٢- الألفاظ ذات الصلة بالزواج المثلي :

أ- اللواط :

وفي الشرع عُرِّف بتعريفات كثيرة منها : إتيان الذكر للذكر بإيلاج الحشفة أو قدرها في دُبْره^(١).

ويُسَمِّيهِ الفقهاء بالواط الأكبر مقابل الأصغر الذي هو إتيان المرأة في دُبْرها، كما جاء تفسيرها في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : «هي اللوطية الصغرى» يعني الرجل يأتي امرأته في دُبْرها^(٢).

ب- السحاق :

السَّحَاقُ فِي اللُّغَةِ مِنْ : سَحَقَ الشَّيْءُ يَسْحَقُهُ سَحَقًا ، أَي دَقَّهُ أَشَدَّ الدَّقِّ .

- قيل : السَّحَقُ : الدَّقُّ الدَّقِيقُ .

- وقيل : هو الدَّقُّ بَعْدَ الدَّقِّ .

- ومساحقة النساء لفظ مولد^(٣).

وإنَّ المساحقة اصطلاحاً : أن تفعل المرأة بالمرأة مثل صورة ما يفعل بها الرجل^(٤).

ج- الشذوذ الجنسي :

وهو ممارسة الجنس بصورة تخالف شرع الله ، كالزنى بين الرجال والنساء

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، ١٨٦ / ٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ٣٠٩ / ١١ .

(٣) لسان العرب ، ١٥٢ / ١٠ .

(٤) الموسوعة الكويتية الفقهية ، ٢٥١ / ٢٥ .



اللاتي لا يحلن لهم، كاللواط بين الرجال والرجال، والسحاق بين النساء والنساء^(١).

د- المثلية الجنسية :

إنَّ المثليَّةَ الجنسيَّةَ مصطلحٌ وُضع للدلالة على العلاقة الجنسية بين فردين من نفس الجنس (ذكر - ذكر/ أنثى - أنثى)، وقد وضعه المفكر السويسري بنكرت عام (١٨٦٩م)، ثم انتشر هذا المصطلح حتى أصبح يستعمل ضمن المصطلحات في العلوم الطبيَّة والنفسية، والاجتماعية والقانونية^(٢).

وإنَّ العلاقة بين الزَّواج المثلي وهذه المصطلحات، هو أنَّ الزَّواج المثلي عبارة عن عقد يحلُّ الاستمتاع بين شخصين من جنس واحد، وزواج بين شخصين من الجنس نفسه، فهو شذوذٌ يخالفُ الصَّورة المشروعة، ومثليَّة جنسيَّة؛ لأنه علاقة جنسيَّة بين فردين من الجنس نفسه، فإذا كان بين رجلين سُمي لِواطاً، وإذا كان بين امرأتين فهو سحاق ومساحقة^(٣).

٣- تاريخ الزَّواج المثلي :

الشُّذوذ المثليُّ قبل أن يصير زواجاً رسمياً في قوانين بعض الدُّول في هذا العصر، مرَّ بمراحل عديدة، فأوَّل من عُرِف عنهم هذه الفاحشة الشَّنيعة، والجريمة النكراء هم قوم لوط عليه السلام، كما بيَّنت الآياتُ الكريمة فيما مضى، ودلَّت الآيات على أنَّهم كانوا يمارسون هذه الفاحشة علناً كما ذكر المفسِّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾ [النمل: ٥٤].

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣.

ويؤكد كثيرٌ من الباحثين أنَّ أوَّل من سنَّ السَّحاق والمساحقة نساء قوم لوط، وذلك لما شاع بين رجالهنَّ إتيان الذُّكور بعضهم بعضاً، والإعراض عن النِّساء، فلمَّا اشتدَّت شهوتهنَّ لجأن إلى التَّدالك والمساحقة حتَّى أدركهنَّ الهلاك. ومن ثمَّ عُرف العديدُ في الحضارات القديمة بالشُّذوذ الجنسي، كقدماء المصريين، والحضارة البابليَّة، والكلدانيَّة والكنعانيَّة والإغريقيَّة وغير ذلك. وقد وُجد هذا الفعلُ عند العرب قديماً كغيرهم، ولكن لم يكن سلوكاً ظاهراً ومنتشراً في المجتمع، مما جعل البعض ينفي وجوده عند العرب، بينما نفى بعضُ الباحثين وجودَ الشُّذوذ الجنسي عند العرب قديماً، مستندين في ذلك إلى قول الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان: لولا أنَّ الله قصَّ علينا قصَّة لوط في القرآن، ما ظننْتُ أنَّ ذكراً يعلو ذكراً^(١). وهذا يدلُّ على أن فكرة اللواط بعيدة عن الأذهان، لا يفكر فيها عاقل، ولا تخطر له على بال.

وإنَّ بعضَ القبائل البدائيَّة المعاصرة في الهند والصِّين وجنوب أفريقيا هي مثليَّة ذكوريَّة (اللَّواط) في الغالب، غير أنَّ المثليَّة الجنسيَّة الأنثويَّة (السحاق) أيضاً كانت موجودة، وإن لم تبلغ مبلغَ الأخرى، ذلك أن الأنثى تتسرَّ على فِعْلِها أكثر من الذَّكر، وتحتجب دونه، فلا يُعرف ذلك عنها، وإن كانت تفعله في السِّرِّ.

وفي الوقت الرَّاهن، أخذت دولٌ كثيرة في العالم تجرِّم الشُّذوذ الجنسي والمثليَّة الجنسيَّة بشتَّى صُورها في تشريعاتها، بل تعدُّها جريمةً اجتماعية قبل أن تصيرَ جريمةً تشريعيَّة، ووَضَعَتْ عليها عقوباتٌ تتراوح ما بين السِّجن لمدَّة سنة واحدة إلى السِّجن عشرين عاماً في بعض الدُّول، ويصل السِّجن إلى مدى الحياة في دول أخرى.

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة، ص ٢٦.



ثم ألغت بعضُ الدُّول تلك التَّشريعات التي تحرّم المثليّة الجنسيّة، مواكبةً المواثيق الدوليّة في منظمة الأمم المتحدة، وعدّت الميول الجنسيّة حقاً من حقوق الإنسان التي يجبُ حمايتها كبقية الحقوق. ففي مؤتمر السّكان والتّمية الذي عُقد في القاهرة تحت رعاية منظمّة الأمم المتحدة في (٥ - ١٣ / ٩ - ١٩٩٤م) دعا المؤتمر إلى تغيير هيكل الأسرة حتّى تستوعب الأسر المكوّنة من مثليّ جنسي، كما رحّبت لجانُ الأمم المتّحدة المعنيّة بحقوق الإنسان بذلك، وزجّت موضوعَ الجنسي المثلي ضمن قضايا حقوق الإنسان منذ عام (١٩٩٤م) ^(١).

وتعدُّ وثيقة بكين عام (١٩٩٥م)، التي كانت نتاجاً للمؤتمر العالمي للمرأة، نقطةً للاعتراف فيه بالحق للمثلية؛ حيث تبنت هذه الوثيقة مصطلح النوع كبديل عن الجنس، وذلك بهدف رفض حقيقة أن الاختلاف بين الذكر والأنثى هو من وضع الله عزّ وجلّ، وإنّما هو اختلاف ناتج عن التّشكّل الاجتماعيّة والأسريّة والبيئة التي يتحكّم فيها الرّجل، ومن ثمّ الاعتراف بالمثليّة الجنسيّة كحقّ من الحقوق ليرتّب عليه الاعتراف بحقّ الزّواج المثلي، وحقّ الحصول على أطفال بالتبني، أو تأجير رحم، وغير ذلك من المحرّمات الشرعيّة.

كما ادّعت الجلسة الخاصّة للجمعية العموميّة للأمم المتّحدة بعنوان (المرأة عام ٢٠٠٠: مساواة الجنسين والتنمية والسّلام) إلى الاعتراف بالمثليّة الجنسيّة كحقّ من حقوق الإنسان، حتّى صارت القضية قضيةً دوليّة تحت مظلة الأمم المتّحدة، وقامت عدّة دول بتشريع قوانين تبيح الشذوذ الجنسي، وتعتبره حقاً من حقوق الإنسان، فوضعت تشريعاً قانونياً حول أحكام الزّواج المثلي في كثير من دساتير تلك الدُّول ^(٢).

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة، ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

وإنَّ الدُّوْلَ التي شرَّعتِ الزَّوَاجَ المثلي رسمياً، وسنَّتْ تشريعات قانونية حول أحكام الزَّوَاجِ المثلي هي الدُّوْلُ التَّالِيَةُ حسب التَّرتيب الزَّمني :

- هولندا (عام ٢٠٠١م).
- بلجيكا (عام ٢٠٠٣م).
- ولاية ماساتشوستس الأمريكيَّة (عام ٢٠٠٣م).
- كندا (عام ٢٠٠٥م).
- إسبانيا (عام ٢٠٠٥م).
- جمهورية جنوب إفريقيا (عام ٢٠٠٦م).
- النرويج (عام ٢٠٠٩م).
- السويد (عام ٢٠٠٩م).
- البرتغال (عام ٢٠١٠م).
- الأرجنتين (عام ٢٠١٠م).
- المكسيك (ولاية كويتانا): عام (٢٠١١م).
- الدنمارك (عام ٢٠١٢م).
- أوروغواي (عام ٢٠١٣م).
- نيوزلندا (عام ٢٠١٣م).
- فرنسا (عام ٢٠١٣م).
- البرازيل (عام ٢٠١٣م).
- بريطانيا (إنجلترا وويلز وأسكتلندا): عام (٢٠١٤م).
- جمهورية إيرلندا (عام ٢٠١٥م).



- هكذا انتشر تشريع الزواج المثلي في دول عديدة في العالم، فأصبح المثليون يتزوَّجون غيرهم، ولا زالت منظَّمة الأمم المتَّحدة بفروعها ومؤسساتها وجمعياتها تُكرِّس جهوداً عظيمة؛ لإرغام بقيَّة دول العالم على قبول إلغاء تجريم المثليَّة الجنسيَّة عموماً كحقٍّ من حقوق الإنسان^(١).

ولا شكَّ في أنَّ المصالح التي ترعاها منظَّمة الأمم المتَّحدة، وجمعيات حقوق الإنسان في دعوتها إلى تشريع الشذوذ الجنسي والزَّواج المثلي، والمبرَّرات التي يذكرونها غير معتبرة شرعاً وعقلاً، لكونها وهميَّة لا حقيقة لها، بل الزَّواج المثلي (اللواط - السَّحاق) انحرافٌ عن الفِطْرة، ومفسدة مَحْضَة، لا ينطوي على أدنى مصلحة اجتماعيَّة أو فرديَّة على الإطلاق، وذلك للأسباب الآتية:

* حرَّم الله سبحانه وتعالى اللواط تحريماً قطعياً، ووصفه بأبشع الأوصاف، ونَعَت قومَ لوط بأفطع النُّعوت؛ ممَّا يدلُّ دلالة قطعيَّة على انحراف الفِطْرة السَّليمة التي فطر النَّاس عليها، وعُدول عن مقتضى الشرع والعقل، ومن تلك الأوصاف:

* الفُحْش: قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

وقد قال ابنُ القيم (رحمه الله): ومن تأمل قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [الإسراء: ٣٢]. وقوله في اللواط: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]؛ تبيَّن له تفاوت ما بينهما، فإنَّه سبحانه نكَّر الفاحشة في الزنى - أي هو فاحشة من الفواحش - وعَرَّفها في اللواط، وذلك يفيد أنَّه جامع لمعاني اسم الفاحشة، كما تقول: زيد الرَّجل ونعم الرَّجل

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة، ص ٣٠.

زيد، أي تأتون الخصلة التي استقرّ فحشها عند كل أحد، فهي لظهور فحشها ووضوحه، غنيّة عن ذكرها، بحيث لا ينصرف الاسم إلى غيرها^(١).

* العُدوان: قال تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

* الفسق والسوء: قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَ أَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

* الإفساد: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

* الإسراف: قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

* الظلم: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

* الخُبث: قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَ أَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

* الجهل: قال تعالى: ﴿أَبَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَٰجِلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

* الإجماع: قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

* الفضيحة: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحْنِ﴾ [الحجر: ٦٨]^(٢).

* الزَّوْاجُ المثلي انحرافٌ عن الفِطْرَةِ السَّليمة والجِيلة الصَّحيحة للإنسان؛

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٢٦٣.

(٢) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ٧٨.



ولذا يستقبحه العقلاء من كل الملل والنحل، ممن لم تتغير طبائعهم، ولم تنحرف فطرهم.

* الزواج المثلي سببٌ جوهريٌ لكثير من المفاصد الحياتية، والأضرار الدينية والصحية والنفسية والاجتماعية، ويأتي بيان ذلك مفصلاً في مبحثٍ مستقلٍّ (بإذن الله).

* الزواج المثلي مناقضٌ لإحدى الكليات الخمسة التي أجمعت عليها الشرائع السماوية، وهي كلية حفظ النسل، وطلب الولد، ممّا يؤكّد بطلان هذا النوع من الزواج، وتلك المصالح الوهمية التي من أجلها تدعو منظمة الأمم المتحدة إلى تشريع مثل هذه الزيجات^(١).

* إنّ الشذوذ الجنسي والزواج المثلي لا يحقق مقاصد الزواج في الشريعة الإسلامية.

٤ - مقاصد الشريعة الإسلامية المتعلقة بالزواج :

شرع الله سبحانه وتعالى الزواج، وحثّ عليه لمقاصد عظيمة، وحكم جليلة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١].

ومن مقاصد الزواج :

أ - مقصد التناسل وطلب الولد :

يُعَدُّ مقصدُ التناسل وطلب الولد المقصدَ الأصليّ لتشريع الزواج، بل هو من ضروريات المصالح الدنيوية والدنيوية، حيث أدرجه بعض العلماء ضمن الضروريات الخمس التي جاءت الشرائع كلّها للمحافظة عليها، فبه يتحقّق

(١) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ٧٩.

استمرار الحياة الإنسائية وبقاء النوع البشري وحفظه من الانقراض، ويتحقق مقصد الاستخلاف في الأرض وعمارتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: «أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل» (١).

فهو مطلبٌ فطريٌّ جُبِلَ عليه الإنسان، حيث فُطِرَ كُلُّ من الذكر والأنثى على الميل إلى الجنس الآخر طبعاً وجبلةً، وجاءت النصوص الشرعية بالحث على النكاح للتناسل، وطلب الولد. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَالْأُنثَىٰ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقد فُسِّرَ الابتغاء في هذه الآية بطلب الولد (٢).

وفي الحديث الصحيح عن معقل بن يسار (رضي الله عنه)، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجه؟» قال: «لا»، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الولود فإنني مكاثركم بكم الأمم» (٣).

فالمتمامل في الآيات والأحاديث الواردة في الزواج، يجد أنها متفقة على أنَّ المقصدَ الأسمى، والهدف الأعلى من النكاح هو التناسل، وطلب الولد، وذلك لضمان بقاء النوع الإنساني، وتحقيق مقصد الاستخلاف في الأرض؛ لإفراد رب العباد بالعبادة (٤).

أما المثلية الجنسية فلا هدف لها سوى نشر الفاحشة في أرجاء المجتمع، والنأي بالإنسان (ذكر أو أنثى) عن الفطرة الإنسانية السليمة، ومحاربة

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٢٤.

(٢) الزواج المثلي، ص ٣٤.

(٣) سنن أبي داود، رقم ٣٥٥، قال الألباني: حسن صحيح.

(٤) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة، ص ٣٥.



التشريعات السماوية بأحكامها ونُظمها الداعية إلى التحلي بالأخلاق الحميدة، والحفاظ على المجتمع نظيفاً من الموبقات .

ب - المحافظة على الأنساب والقربة :

من المقاصد الأصلية التي شُرِع من أجلها الزواج في الشريعة الإسلامية : المحافظة على الأنساب والقربة ، من أن تختلطَ بغيرها ، أو يعتريها شكٌّ أو ريبة ، فقد أمر الشارع الحكيم أن لا يُنسب الولدُ إلا إلى أبيه ، فقال عز وجل : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

ولولا التشريع الرباني للزواج بين الذكر والأنثى ؛ لاختلطت الأنساب ، وتحللت أسرة القربة بين الناس ، واختل نظام الأسرة ، وتفسخ المجتمع ، وأصبحت الحياة الإنسانية أقرب إلى الحياة البهيمة ؛ لا بُنوة ، ولا أبوة ، ولا مودة ، ولا رحمة ، ولا قرابة ، ولا صلة .

ولضمان تحقيق هذا المقصد العظيم ، حرّم الشارع الحكيم الزنى ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، لكونه يناقض مقصد المحافظة على الأنساب والفروج ، كما أنه اعتداءً على أعراض الآخرين ، وتعدّ على حدود الله عز وجل التي شرّعها للناس .

وكذلك حرّم الأنكحة الفاسدة والباطلة التي تناقض هذا المقصد ، كنكاح المتعة ، ونكاح التحليل ، وغير ذلك من الأنكحة الفاسدة المحرّمة ، التي تؤوّل إلى اختلاط الأنساب وضياعها^(١) .

ج - السّكن النفسي والتّودّد :

يُعَدُّ السّكن النفسي والروحي ، وراحة البال ، وشيوع المودّة ، والرحمة بين الزوجين مقصداً عظيماً من مقاصد الزواج ، والمراد بالسّكن سكن القلب إلى

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة ، ص ٣٦ .

قلب من جنسه، فتصبح الرُّوحان روحاً واحدة، والقلبان قلباً واحداً؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل به، وأنس، ويدلُّ على ذلك نصوصٌ كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ولقد أشار الكثير من العلماء والمفسرين إلى أنَّ من مقاصد الزواج؛ مقصد السَّكن النَّفسي، والتَّوَدُّد، والمودَّة، والرحمة، قال الكاساني (رحمه الله): «إنَّ من مقاصد النَّكاح: الولد والسَّكن».

د- مقصد تحقيق الفطرة الإنسانية، وإشباعها بالزَّواج:

مما شرَّع الزَّواج في الشريعة الإسلامية لأجله: قضاء الوطر، وإفراغ الشَّهوة في المحلِّ الحلال، وهذا المقصد لا يخالف فيه أحد، وأقرته الشرائع السماوية، واستساغته العقول والطُّباع السَّليمة على حدٍّ سواء، فإنَّ الله سبحانه وتعالى وَضَعَ في الرِّجل غريزة الميل إلى الجنس الآخر، وكذلك العكس، ورَكَّب في كلِّ واحدٍ منهم شهوة. ومن أجل حماية الأعراض والأنساب وحماية المجتمع من الانحلال الخُلقي والضياع السلوكي، وضع الشَّارع الحكيم ضابطاً لاستفراغ هذه الشَّهوة، ونظَّمها بالزَّواج^(١). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦].

حيث جعل الزَّواج وملك اليمين الطَّريقة الشرعية الوحيدة لإشباع الغريزة الجنسيَّة واستمتاع كلِّ من الزوجين بالآخر^(٢). وقد قال الشنقيطي (رحمه الله):

(١) الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة، ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨.



كذلك النكاح لقضاء الوطر مقصودٌ أيضاً؛ لأنَّ قضاء الوطر من مقاصده على الجملة^(١).

وبذا يتبين أن الزواج الشرعي هو الحل السليم، وما عداه خروجٌ عن القاعدة.

هـ- مقصد التعارف بين الناس، وتقوية آصرة المودة والمحبة بينهم:

من المقاصد العظيمة التي من أجلها شرع الزواج في الإسلام، تحقيق مقصد التعارف بين الناس، وتقوية آصرة المودة والمحبة بينهم، والتي ينتج منها التعاون والتناصر بين القبائل والأسر، قال عز وجل: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

تمتد الحياة بالزواج موصولة بالأسر من القربات والأصهار، مما له أثر كبير في إيجاد التعارف والمودة بين الناس، والتعامل الحسن بينهم، والتعايش السلمي.

والإنسان مدني بطبعه، فهو إحدى الرابطين الأساسيتين بين البشر، كما ورد ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

قال العلامة الطاهر ابن عاشور (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: «إذ أوجد من هذا الماء خلقاً عظيماً، صاحب عقل وتفكير، فاختص بإيصال أواصر النسب والصهر، وكان ذلك أصل نظام الاجتماع البشري لتكوين القبائل والشعوب وتعاونهم»^(٢).

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ٢٠٠٧م، ١/٣٩٧.

(٢) التحرير والتنوير، ١٩/٥٨.

وقال الخطيب الشربيني (رحمه الله): «من مقاصد النكاح، اتصال القبائل لأجل التعاضد، والمعاونة، واجتماع الكلمة»^(١).

وما ذكر غيظ من فيض في منافع الزواج في الشريعة الإسلامية، والزواج المثلي من اللواط والسحاق، يناقض هذه المقاصد الشرعية، والمعاني الروحية والأخلاقية والإنسانية كلها^(٢).

٥- حكم الزواج المثلي في الشريعة الإسلامية :

الزواج المثلي لا يخلو من إحدى الحالتين :

- إحداهما : أن يكون بين ذكرين (اللوواط).

- الثانية : أن يكون بين أنثيين (السحاق).

أ- حكم الزواج المثلي بين الذكرين :

أجمع فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم الفقهية على تحريم اللواط تحريماً قطعياً، واعتباره فاحشة نكراء، وجريمة شنعاء مخالفة للفطرة، ومناقضة للطبع، وذلك لما جاء في نصوص القرآن والسنة في ذلك. وقد ذكرت الآيات الدالة على ذلك، كما وردت أحاديث صحيحة في السنة النبوية تدل على تحريم اللواط، ومن تلك الأحاديث :

- عن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ»^(٣).

(١) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣) سنن الترمذي، رقم ٣٥٤، قال الألباني: صحيح.



- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لعن الله من عَمِلَ عمل قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عمل قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عمل قوم لوط»^(١).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٢).

وَوَجَّهَ الاستدلال بالأحاديث السابقة؛ أَنَّهَا دَلَّتْ دلالة صريحة على أَنَّ اللواط مما يوجب استحقاق لعن صاحبه، وإقامة حدِّ القتل على الفاعل والمفعول به، وأَنَّهُ من أعظم الأمور التي خاف منها الرسول ﷺ على أمته، فدلَّ ذلك على أَنَّ اللواط كبيرة من كبائر الذنوب، وقد نقل غير واحد من فقهاء الأمة الإجماع على تحريم اللواط، ومن ذلك النُّقُولَاتُ التَّالِيَةُ^(٣):

- قال ابن حزم (رحمه الله): «وَاتَّفَقُوا على أَنَّ وطء الرجل والرجل جرمٌ عظيم»^(٤).

- وقال ابن قدامة المقدسي (رحمه الله): «أَجْمَعَ أهل العلم على تحريم اللواط»^(٥).

- وقال الذهبي (رحمه الله): «أَجْمَعَ المسلمون على أَنَّ اللواط من الكبائر التي حرَّمها الله تعالى»^(٦).

ب- حكم الشريعة في الزَّوَاجِ المِثْلِيِّ (السَّحَاق):

دَلَّتْ نصوصُ الكتاب والسُّنة، وإجماع المسلمين على تحريم السَّحَاقِ

(١) مسند الإمام أحمد، ٢٦/٥.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، ٤/٣٥١، وفي إسناده مقال.

(٣) الزواج المثلي، ص ٤٧.

(٤) مراتب الإجماع، ص ٢١٥.

(٥) المغني، ٣٤٨/١٢.

(٦) الكبائر، الذهبي، ص ٥٥.

والمساحقة بين النساء تحريماً قطعياً، وقد وردت أحاديث كثيرة تدلُّ على تحريم السَّحاق بين الأنثيين، منها:

- قوله ﷺ: «لا ينظر الرَّجلُ إلى عورة الرَّجل، ولا المرأةُ إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرَّجلُ إلى الرَّجل في ثوب واحد، ولا تُفضي المرأةُ إلى المرأة في الثوب الواحد»^(١).

قال الشَّيْخُ عبد القادر عودة (رحمه الله): وهذا النصُّ صحيحٌ في تحريم السَّحاق لأنه إفشاء المرأة إلى المرأة^(٢).

وقد نقل غيرُ واحد من العلماء الاتفاقَ على تحريم السَّحاق، ومن تلك النقول ما يأتي:

- قال ابنُ حزم (رحمه الله): «واتَّفَقُوا أن سَحَقَ المرأةُ المرأةَ حرامٌ»^(٣).

- وقال سيد سابق (رحمه الله): «محرمٌ - أي السَّحاق - باتِّفاق العلماء»^(٤).

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية النص الآتي: لا خِلاف بين الفقهاء في أنَّ السَّحاق حرامٌ، لقول النبي ﷺ: «السَّحاق زنى النساء بينهن»^(٥).

ومما يدلُّ على تحريم الزَّواج المثليِّ بنوعيه في الشريعة الإسلامية، مناقضته المقصد الأصلي من الزَّواج، وهو مقصدُ التَّناسل، وبقاء النوع الإنسانيِّ إلى أن يرثَ الله الأرض ومن عليها، إضافة إلى ما يؤوِّلُ إليه هذا النوع من الزَّواج من أضرار دينية ونفسية وصحية على الفرد، وما ينتهي إليه من مفسدات عظيمة على

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، ١/٢٦٦.

(٢) التشريع الجنائي في الإسلام، ٢/٣٦٨.

(٣) مراتب الإجماع، ص ٢١٧.

(٤) فقه السنة، ٢/٢٧٨.

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٤/٢٥١.



المجتمع، ممّا لا يدعُ للنّاظر فيها مجالاً للشكّ في تحريمه، وإلحاقه بالكبائر، وتغليظ العقوبة على المتورّطين فيه^(١).

٦- عقوبة اللواط :

اختلف الفقهاء وعلماء التفاسير في عقوبة اللواط، وانقسموا إلى ثلاثة آراء :

أ- الرأي الأول: أنّ مرتكب هذه الفاحشة يُقتل مطلقاً؛ الفاعل والمفعول به، أحصنا أو لم يُحصنا، وبهذا قال عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم. وحكى بعضهم إجماع الصحابة عليه، وهو قول الأئمة مالك، والشافعي، وأحمد في رواية، ودليل هذا القول حديث ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط: فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٢).

وقد اختلف في كيفية قتله، فقليل: يُرجم حتّى الموت، وهو قول مالك، وأحد قولي الشافعي، وأحمد في رواية، وذلك تغليظاً للعقوبة؛ لأنّ هذه الفاحشة أغلظ من الزنى، فالمحرّمات كلّما تغلّظت؛ تغلّظت عقوبتها، ووطء من لا يُباح بحالٍ من الأحوال، أشدّ حرمة وأعظم جرماً من وطء من يباح في بعض الأحوال. وإتيان النساء مباح في حال النكاح الصحيح، أمّا إتيان الذكور فلا يُباح أبداً^(٣). وقيل: يُقتل بالسيف؛ لأنّ القتل إذا أطلق؛ انصرف إلى القتل بالسيف، والحديث أطلق ولم يُقيّد^(٤).

(١) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ٥١.

(٢) سنن أبي داود، رقم ٤٤٦٢، صحيح الجامع الصغير، رقم ٦٥٨٩.

(٣) زاد المعاد، ٤١/٥.

(٤) روضة الطالبين، النووي، ٩١/١٠.

وقيل: يُحرق بالنار، وقد رُوي أنَّ أبا بكر (رضي الله عنه) حرق لوطياً بمشورة الصحابة^(١).

وقيل: يُهدم جدارٌ عليه، أو يُرمى من شاهق ويُتبع بالحجارة، أخذاً بصفة هلاك قوم لوط^(٢).

ب - الرأي الثاني: أنَّه يُحدِّدُ حدَّ الزنى، فيُرجم إن كان مُحصناً، ويُجلد ويُغَرَّب إن كان غير مُحصن، وهذا هو المشهور من قولِي الشافعي، وأحد الروايتين عن أحمد، وبه قال صاحب أبي حنيفة، وقد استدلُّوا بحديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) مرفوعاً: «إذا أتى الرجلُ الرجلَ فهما زانيان، وإذا أتتِ المرأةُ المرأةَ فهما زانيتان»^(٣). ولأنه إيلاجٌ في فَرْج حرام، فأشبهه بالزنى فيأخذ حُكْمَهُ^(٤).

ج - الرأي الثالث: أنَّه ليس عليه حدٌّ، وإنما يُعزَّر، ويُزَجُّ بالسجن حتى يموت أو يتوب، وهذا قولُ الإمام أبي حنيفة، وقد خالفه صاحبه كما تقدَّم، وعنده أنَّه إذا اعتاد اللواطَ قتله الإمام سياسةً، مُحصناً كان أو غير مُحصن. وحجَّة مَنْ قال بهذا القول، أن هذا العمل ليس في معنى الزنى، ولا يترتَّب عليه إضاعةُ الولد، ولا اشتباهُ الأنساب كما في الزنى^(٥).

ورجَّح الشيخ سعيد محمد بابا سيلا الرأي الأول، وقال: هو الأرجح، لصحَّة الحديث الذي يستند إليه، ولعدم معارضته بدليل قويٍّ، ولأنَّ فيه رادعاً قوياً عن ارتكاب هذه الفاحشة القبيحة^(٦).

(١) السنن الكبرى، البيهقي، ٢٣٢/٨ - ٢٣٣.

(٢) أسباب هلاك الأمم السَّالفة، ص ٤٣٩.

(٣) سنن البيهقي، ٢٣٣/٨، وضعف الشَّنْقِطِي إسناده.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي، ٣١٧/٢.

(٥) شرح فتح القدير، ٢٦٣/٥، المبسوط، ٧٨/٩.

(٦) أسباب هلاك الأمم السَّالفة، ص ٤٤١.



وقال الدكتور إبراهيم بن تيجان جكيكي بعد إيراد الآراء في المسألة، ومناقشة أدلتها: الذي يظهر - والعلم عند الله - أن حدّ اللواط القتل على كل حال، وذلك لأمر:

* أن النصوص وردت صريحة بالقتل دون التفريق بين المحصن وغيره، فيحمل على العموم إذ لا دليل على التخصيص.

* أن الصحابة (رضوان الله عليهم)، لم يؤثر عن أحد منهم غير القتل، وإن اختلفوا في طريقة القتل، فيكون انعقد الإجماع في زمن الصحابة على قتل اللوطية.

* أنه لما كان هذا العمل شراً مستطيئاً، وضرراً عظيماً، استأصل الله سبحانه وتعالى قوم لوط من الأرض حتى لا يبقى منهم أثر، فينبغي استئصال كل من قام بهذه الفاحشة الشنيعة، بأي طريقة كانت. هذا فيما يتعلق بتحديد العقوبة، أما ما يتعلق بكيفية القتل وطريقة التنفيذ، فالأحسن أن يقتلوا رجماً بالحجارة، كما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوط، قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

وهو قول عمر، وعلي، وابن عباس وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكثير من السلف، ومعظم فقهاء الأمصار، وهو اختيار شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية (رحمه الله) ^(١).

وشرط إقامة حدّ اللواط على الفاعل والمفعول به، أن يكونا بالغين، وإلا قُتل البالغُ منهما رجماً، وعُزّر غير البالغ، وقد نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: وعلى هذا أكثر السلف، وقالوا: لأن الله رجم قوم لوط، وشرع رجم الزاني تشبيهاً برجم قوم لوط، فيُرجم الاثنان سواء كانا حُرَّين أو مملوكين، أو

كان أحدهما مملوكاً والآخر حرّاً إذا كانا بالغين، فإن كان أحدهما غير بالغ عُوقب بما دون القتل، ولا يُرجم إلا البالغ^(١).

٧- عقوبة السحاق :

اتَّفَق أصحاب المذاهب الأربعة على أنَّ في المساحقة التعزير :

أ - قال ابن عبد البر (رحمه الله) : «على المرأتين إذا ثبت عليهما السحاق الأدب الموجه»^(٢).

ب - قال الماوردي (رحمه الله) : «والواجب فيه - أي السحاق - التعزير دون الحد لعدم الإيلاج بينهما»^(٣).

ج - قال ابن قدامة (رحمه الله) : «ولا حدّ عليهما - أي المتساحقتين - لأنه لا يتضمّن إيلاجاً، فأشبهه المباشرة دون الفرج، وعليهما التعزير»^(٤).

وقد خالف ابن شهاب الزهري (رحمه الله) الإجماع السابق، فجعل حدّ السحاق مئة جلدة، فقال في ذلك : أدركت علماءنا في المرأة تأتي المرأة بالرفعة^(٥) وأشباهها، تجلدان مئة جلدة»^(٦).

والصحيح ما ذهب إليه العلماء على أنَّ في المساحقة التعزير .

ثانياً: الأضرار المترتبة على حياة الإنسان من الشذوذ الجنسي:

إنَّ لعمل قوم لوط مصائب كبيرة، وأضرار جسيمة متنوّعة ومتعدّدة، سواء

(١) مجموع الفتاوى، ٣٣٥/٢٨.

(٢) الكافي، ١٠٧٣/٢.

(٣) الحاوي الكبير في الفقه الشافعي، أبو الحسن الماوردي البصري، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٦م، ١٣/٢٢٤.

(٤) المغني، ابن قدامة، ١٢/٣٥٠.

(٥) كلمة تدل على ضعة ودناءة.

(٦) مصنف عبد الرزاق، ٧/٣٣٤، المحلى، ١٣/٢١٩.



على مستوى الأفراد والمجتمعات والأمم، منها الديني والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي والصحي . . .

١ - الأضرار الدينية:

إِنَّ عَمَلَ قَوْمٍ لَوْ طُوعَ يُعَدُّ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، بَلْ يُعَدُّ أَكْبَرَهَا مَعْصِيَةً بَعْدَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ (رحمه الله): ليس من المعاصي أعظم مفسدة من هذه المفسدة - أي مفسدة اللواط - وهي تلي مفسدة الكفر^(١).

ولا غرابة فيما ذهب إليه ابن القيم، بسبب فقدان المقاصد من ارتكاب هذه المفسدة، والفساد لا يأتي إلا بفساد.

إِنَّ اللَّوَاطَ جَرْمٌ عَظِيمٌ حَذَّرَ مِنْهُ رَبُّنَا (جَلَّ وَعَلَا)، وَعَاقِبَ الْأُمَّةَ الَّتِي فَعَلَتْهُ بِأَقْسَى الْعُقُوبَاتِ وَأَنْكَاهَا، فَهُوَ سَبَبٌ لِمَقْتِ اللَّهِ، وَأَلِيمٌ عِقَابُهُ، وَأَخَذَهُ الشَّدِيدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ هُوَ خَطَرٌ عَلَى التَّوْحِيدِ، إِذْ إِنَّهُ ذَرِيعَةٌ لِلْعَشَقِ، وَالْعَشَقُ ذَرِيعَةٌ لِلشِّرْكِ وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ (جَلَّ وَعَلَا).

قال ابن القيم (رحمه الله) بعد أن تحدّث عن الذنوب والمعاصي، وأنّ التوحيد يمحوها، ويزيل نجاستها، قال: «ولكن نجاسة الزنى واللواط أغلظ من غيرها من النجاسات؛ من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جداً، ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاً، فكُلَّمَا كَانَ الشَّرْكُ فِي الْعَبْدِ أَغْلَبَ، كَانَتِ النَّجَاسَةُ وَالْخَبَائِثُ فِيهِ أَكْثَرَ، وَكُلَّمَا كَانَ أَكْبَرُ إِخْلَاصاً كَانَ مِنْهُمَا أَبْعَدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]؛ فَإِنَّ عَشَقَ الصُّورِ الْمَحْرَمَةِ نَوْعٌ تَعَبُّدٌ لَهَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَعْلَى أَنْوَاعِ التَّعَبُّدِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْقَلْبِ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ، صَارَ تَتَبُّعاً، وَالتَّتَبُّعُ: التَّعَبُّدُ، فَيَصِيرُ الْعَاشِقُ عَابِداً لِمَعْشُوقِهِ، وَكَثِيراً مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ حُبُّهُ،

(١) الجواب الكافي، ص ٢٦٦.

وذكره، والشوق إليه، والسعي في مرضاته، بل كثيراً ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقاً بمعشوقه من الصُّور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو الإله من دون الله عز وجل، يُقدِّم رضاه وحبّه على رضا الله وحبّه، ويتقرَّب إليه ما لا يتقرَّب إلى الله تعالى، وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله، ويتجنَّب من سخطه ما لا يتجنَّب من سخط الله تعالى، فيصير أثره عنده من ربه، حباً وخضوعاً، وذلاً وسمعاً وطاعة.

وفي هذا يكون العشق والشُّرك متلازمين، وإنَّما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة، فكَلِّمًا قَوِيَّ شَرِّكَ الْعَبْدِ يَلِينُ بعشق الصور، وكَلِّمًا قَوِيَّ التَّوْحِيدِ صُرِفَ ذَلِكَ عَنْهُ.

والزَّنى واللواط كمال لذَّتهما إنَّما يكون مع العشق، ولا يخلو صاحبهما منه، وإنَّما لتنقله من محلٍّ إلى محلٍّ، لا يبقى عشقه مقصوراً على محلٍّ واحد، بل يتقسَّم على سهام كثيرة - لكلِّ محبوب نصيبٌ من تأله وتعبده - فليس في الذُّنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصيةٌ في تبعيد القلب من الله، فإنَّهما من أعظم الخبائث، فإذا انصبغ القلبُ خُبثاً ازداد من الله بُعداً^(١).

وقال ابن القيم (رحمه الله) في موطنٍ آخر متحدثاً عن العشق، وأنَّ اللواط سببٌ له: «وهو - والله - الدَّاء العضال، والسَّم القَتال، الذي ما عَلِقَ بقلبٍ إلا وعزَّ عن الورى استنقاذه من إيساره، ولا اشتعلت ناره في مُهْجَةٍ إلا وصعب على الخَلْق تخليصها من ناره.

والعشق أقسام؛ فتارة يكون كُفْراً، كمن اتَّخذ معشوقه ندّاً يحبه كما يحبُّ الله، فكيف إذا كانت محبَّته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشقٌ

(١) إغاثة اللفهان في مصاديد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزي شمس وآخرين، جدة، مجمع الفقه الإسلامي، ١٤٣٢هـ، ص ٧٠-٧١.



لا يغفره الله لصاحبه، فإنَّه من أعظم الشُّرك، والله لا يغفرُ أن يُشرك به، وإنَّما يُغفر بالتَّوبة الماحية ما دون ذلك. وعلامةُ هذا العشق الشُّركي الكُفري أن يقدِّم العاشقُ رضا معشوقه على رضا ربِّه، وإذا تعارض عنده حقُّ معشوقه وحقُّ ربِّه، وطاعة ربِّه وطاعته، قدَّم حقَّ معشوقه على حق ربِّه وطاعته، وآثر رضاه، وبذل لمعشوقه أنفُسَ ما يقدر عليه، وبذل لربِّه - إن بذل - أردأ ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرُّب إليه، وجعل لربِّه - إن أطاعه - الفضلة التي تتفضَّل عن معشوقه من ساعاته» (١).

ثمَّ قال (رحمه الله): «فتأمَّلْ حالَ أكثر عُشَّاق الصُّور هل تجدها إلا مطابقةً لذلك؟ ثمَّ ضَعْ حالهم في كَفَّة، وتوحيدهم في كَفَّة، وإيمانهم في كَفَّة، ثمَّ زِنْ وزناً يرضي الله ورسوله ويُطابق العدلَ، وستظهر لك الحقيقة. وربَّما صرَّح العاشقُ منهم بأنَّ وُضِلَ معشوقه أحبُّ إليه من توحيد ربِّه، كما صرَّح أحدهم بأنَّ وُضِلَ معشوقه أشهى إليه من رحمة ربِّه، نعوذُ بالله من الخذلان، ومن هذا الحال قول الشاعر:

وُضِّلَكَ أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالقِ الجليلِ
ولا ريبَ أنَّ هذا العشقَ من أعظم الشُّرك، وكثير من العُشَّاق يصرِّح بأنَّه لم يبقَ في قلبه موضعٌ لغير معشوقه البتَّة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كلَّه، فصار عبداً مخلصاً من كلِّ وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا استبدال عبودية الخالق - جلَّ وعلا - بعبودية لمخلوقٍ قد استغرق قوة حُبِّه وخضوعه وذلَّه لمعشوقه؛ فقد أعطاه حقيقة العبودية» (٢).

ومن أضرار هذا العشق الدينيَّة؛ أنَّه يجرُّ صاحبه إلى معاصي أخرى، كما يجرُّه

(١) الجواب الكافي، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٧، الفاحشة عمل قوم لوط، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٢٨.

إلى ترك طاعاتٍ كان يفعلها، فكم شرب بسببه من المسكرات؟! وكم أضاع بسببه من الجمع والجماعات؟! وكم أثيرت به من عداوات؟!!

ثمَّ إِنَّ الاسترسالَ بهذا الأمر يقوِّدُ الإنسانَ إلى محبَّته، فيحب الفاحشة ويبغض العقَّة، فيقع في محبَّة ما كرهه الله، وبُغض ما أحبه الله. وقد يقوده التَّمادي به، والاستمرار عليه إلى استمرائه، وعدم النُّفور منه، وربَّما قاده ذلك - عياداً بالله - إلى استحلاله^(١).

إِنَّ فاحشة اللواط تستوجبُ لعنةَ الله وغضبه؛ لأنَّه فعلٌ شاذٌّ محرم في الديانات السماويَّة، ويتنافى مع العقل السليم، والفِطْرة السَّويَّة، والأخلاق، والقيم الحميدة، ويدلُّ على انتكاس صاحبه في مستنقع الخبائث والضَّلال والفجور، وابتعاده عن صفات الرُّجولة، والحياء، والمروءة، وسجاياء أهل النجدة والنخوة والشَّهامة.

٢- الأضرار الخُلقيَّة:

وأما أضرارُ اللواط الخُلقيَّة فكثيرةٌ جداً، فاللوطيَّةُ لَوْثَةٌ خُلقيَّة وانحرافٌ عن الفِطْرة السَّويَّة، فمن تلك المفاصد الخُلقيَّة التي تجلبها تلك الفاحشةُ اللعينة:

أ - قلةُ الحياء: فمن ثمرات اللواط المنتنة: الوقاحة وقلةُ الحياء، فتجد من يمارسُ هذه الفعلة صُلْبَ الوجه، وقحاً، لا يبالي بما يفعل، ولا يراعى لأحد حقَّه، وربَّما انسَلخ من الحياء بالكلية، فلا يتأثَّر بعلم النَّاس بسوء حاله، وقبيح فعله، بل ربَّما قام هو بإخبارهم عمَّا يقومُ به من عمل سيِّئ. وإذا وصل الإنسانُ إلى هذه الحالة عزَّ إصلاحه، وصعُبَ علاجه.

ب - سوء الخلق: مع فعل اللواط المشين يظهر سوءُ خلقٍ منوطٌ بأشياء، منها:

- قسوة القلب وغِلْظ الأكباد.

(١) الفاحشة عمل قوم لوط، محمَّد إبراهيم الحمد، ص ٢٨.



- قتل المروءة والشَّهامة والنخوة والكرامة .
- الشرّ والعدوانية وحبّ الجريمة والجرأة على فعلها .
- انتكاس الفِطْرة ، وارتكاس الطُّباع ، واضمحلال ميزانِ الفضيلة^(١) .
- ذهاب الغيرة من القلب ، وحلول الدِّيَاثة محلّها .
- سقوط الجاه والمنزلة ، وحلول المهانة والحقارة والذّلة .
- الحُمق والتّرف ، وسوء التصرّف والخرق .
- ضعف الإرادة ، وسفول الهمة .
- نزع الثّقة من مرتكبه ، والنّظر إليه بعين الخيانة .
- سواد الوجه وظلمته ، حتّى يكاد لا يُعرف كلّ من يقومُ بهذا العمل ، كما قيل :

وعلى الفتى لطباعه سِمةٌ تلوحُ على جبينه^(٢)

- حرمان العلم والتّرقّي في مدارج الكمال ، ومراتب الفضيلة .
- ذهاب الشّجاعة ؛ فهذا العملُ القبيحُ يدسّي النفس ، ويقمعها ، ويصغّرها ويضعفها ، ويهينها ، فتذهب الشجاعة ، ويحلُّ الجبن والخور والهلع والفرع محلّها^(٣) .

٣- الأضرار الاجتماعية :

- من المفسد والأضرار التي تحدثُ للحياة الاجتماعية :
- زوال الخيرات والبركات .

(١) الفاحشة عمل قوم لوط ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

- حلول العقوبات والمثلات .
- قلة الأمن، وشيوع الفوضى، وانتشار الرعب، وكثرة الاضطرابات .
- حرمان الشعوب والأمم والمجتمعات والأسر من السعادة الحقيقية والقوة والعزة .
- تفسخ المجتمع وتحلله، وانتشار الرُّوح البهيمية، والأخلاق السبعية .
- تفكك الأسر، وتفرق البيوت .
- تفكك المجتمع، وانفصام روابطه .
- انهيار المثل العليا والقيم الأصيلة .
- القضاء على روح الجد والاجتهاد والجهاد .
- انتشار الأوبئة والأمراض التي تفتك بالمجتمع .
- عزوف الرجال عن الزواج .
- اللواط يهدد بقتل النسل .
- إنه يسبب التخلف والتبعية، فالأمة إذا تخلت عن أخلاقها ومبادئها، فإن الانحرافات ستبدأ تنخر في جسدها، مما يضعفها ويفقدها شخصيتها ومكانتها، فتصبح بذلك أمةً منهزمة تابعة مقلدة متخلفة في شتى الميادين . والتاريخ خير شاهد على ذلك، فكم من أمة بنت لها مجداً وحضارة، واشتهرت بالتقدم العلمي حينما كانت متمسكة بقيمتها ومبادئها، وبعد أن فقدت ذلك انحدرت إلى الحضيض، وهوت من عليائها^(١)!! وهذه سنة اجتماعية من سنن الحضارة وتدهورها .

(١) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ٣٤ .



٤ - الأضرار الاقتصادية :

هذا العمل المشين يؤثر على الاقتصاد، فمن أضراره الاقتصادية ما يأتي :

- إهدار الثروة المالية بحثاً عن الشهوة المحرمة .

- ما يُنفق من أموال لشراء المجلات الهابطة ، والأشرطة الماجنة التي تهيج الغرائز، وتحرك الكوامن .

- ما يُبذل من أموال لدراسة هذه الظاهرة ، والبحث عن سبل علاجها .

- ما يُنفق لعلاج المصابين بأمراض الشذوذ، فإذا كان مرض السيلان (يُصاب) به (٢٠٠ - ٥٠٠) ألف شخص في كل عام معظمهم في ريعان الشباب، وإذا علمنا أن تشخيص وعلاج المريض الواحد يُكلف (٢٥٠ - ٤٠٠) دولار لمرض السيلان، فما بالك بالزهري، أو الهربس؟! بل وما بالك بالإيدز وما هو أخطر من الإيدز؟!

- البطالة، فالمجتمع الذي ينتشر فيه اللواط، يكثر فيه أهل البطالة، فيؤثر ذلك على الاقتصاد تأثيراً سيئاً، بل إن تأثير هؤلاء سيكون مركباً- فلا يكفي أنهم لا ينتجون فحسب، بل إنهم سيستهلكون الثروات في سبيل عبثهم وشذوذهم، بل ويشغلون الناس عن الإنتاج بملاحقتهم ومحاولة كفهم وزجرهم، وهذا بلا شك يقود إلى التخلف في شتى الميادين، فاللواط يشغل الإنسان عن مصالحه الدينية والدنيوية، قال ابن القيم (رحمه الله): ليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطَةٌ بلمّ شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعيثاً وتشتيتاً له، وأما مصالح الدنيا فهي تابعة - في الحقيقة - لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت، فمصالح دنياه أضيع وأضيع^(١).

(١) الجواب الكافي، ص ٢٩٩.

٥- الأضرار النفسية :

من جملة أضرار هذا العمل المشين: الأضرار النفسية التي تركب صاحبها جرّاء هذا العمل الفاحش، ومنها:

أ- الخوف الشديد، والوحشة، والاضطراب: فالذي يمارسُ هذا العمل، لا تراه إلا خائفاً مذعوراً يحسب كلَّ صيحةٍ عليه، وكلَّ مكروه قاصداً إليه، فلا تجده إلا وقلبه كائن في جناحي طائر؛ ذلك لأنَّ الطَّاعةَ حصنُ الله الأعظم، الذي من دخله كان من الآمنين، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كلِّ جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أماناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه خوفاً، فمن خاف الله آمنه من كلِّ شيء، ومن لم يخفِ الله أخافه من كلِّ شيء^(١).

فالجزاء من جنس العمل، فمن بحثَ عن الأمن والأنس في معصية الله، انقلب عليه الأمر رأساً على عقِب، فأصبح آمنه خوفاً، وأنسه همماً وغمماً^(٢).

ب- الخوف والقلق: وهو جزاء عاجلٌ لمن أحبَّ لغير الله أو تعلّق بغير الله، فمحبّة الفواحش والمنكرات والكبائر تولّد للإنسان انحرافاً عن فطرته التي تُسعد بطاعة الله عزَّ وجلَّ.

وهذا جزاء عاجلٌ لمن أحبَّ غير الله، أو تعلّق بغير الله، فبقدر تلك المحبّة أو التعلّق بغير الله يصيبُ الإنسان ما يصيبه من العذاب والحزن والألم والقلق، قال ابن تيمية (رحمه الله): «واعلم أنَّ كلَّ من أحبَّ شيئاً لغير الله، فلا بدَّ أن يضرَّه محبوبه، ويكون ذلك سبباً لعذابه»^(٣).

(١) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، محمد محمود الصّواف، الشركة المتحدة، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٤٦ إلى ٥١.

(٢) الفاحشة عمل قوم لوط، ص٣٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣٨.



ج - الإصابة بأمراض مستعصية: هذه الفاحشة تجعل صاحبها عرضة لأمراض عصبية شاذة، وعقد نفسية شائنة؛ تُفقد له لذة الحياة، وتسلبه الأمن والطمأنينة^(١).

د - الرغبة في العزلة والانطواء: الممارس لهذه الفاحشة يُصاب برغبة في العزلة والانطواء، فلا يأنس إلا بمن يجانسه في الأخلاق ويشاكله، مما يسبب له أمراضاً نفسية أخرى:

- تقلب المزاج، وضعف الشخصية، وعدم استقلالها.

- الانهزامية، وانعدام الثقة بالنفس.

- الشعور بأن الناس يعلمون قبيح فعله؛ فليسوء فعله سوء ظنه.

- كثرة الوسوس والأوهام، والإصابة بمرض الهوس الجنسي.

- التوتّر النفسي والتّردد، والتخاذل، وعدم المبالاة، والارتباك، واليأس، والتشاؤم، والملل، والتبدّد العاطفي.

- التأثير على الأعصاب؛ فهذه العادة تغزو النفس، وتؤثر على الأعصاب تأثيراً خاصاً، وأحد نتائجه: الإصابة بالانتكاس النفسي في خلق الفرد، فيشعر داخلياً بأنه لم يخلق ليكون رجلاً، وينقلب ذلك الشعور إلى شذوذ جنسي، فيميل إلى بني جنسه، وتتجه أفكاره إلى أعضائه التناسلية، ومن هنا تتبين لنا العلة الحقيقية لإسراف بعض الشباب من السّاقطين في التزيّن وتقليد النساء^(٢).

هـ - التأثير على العقل: فاللواط يسبب اختلافاً كبيراً في توازن عقل المرء، وارتباكاً عاماً في تفكيره، وركوداً في تصوّراته، وبلاهة واضحة في عقله، وضعفاً شديداً في إرادته.

(١) الفاحشة عمل قوم لوط، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨.

وهناك علاقة وثيقة بين النيوروستينيا (الوهن العصبي neurosthenia) واللواط، فيصاب اللائط بالبله، والعبط، وشروذ الفكر، وضياح العقل والرشاد^(١).

٦- الأضرار الصحية :

يكشف لنا الطب الحديث بين الفينة والأخرى مرضاً حديثاً لم يعرفه الأسلاف، ولم يخطر بالبال، فلا غرابة في ذلك؛ لأن تلك الأمراض جاءت نتيجة الإعراض عن الله سبحانه وتعالى، وعن شرعه الحكيم، والتعدي على حدوده سبحانه وتعالى، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط؛ حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(٢)، فأتت هذه الأمراض والأوبئة عقوبة عاجلة لممارسي الشذوذ الجنسي والزواج المثلي، والآخرة أشد وأعظم عقوبة.

وقد ذكر الأطباء أن سبب مجموعة كبيرة من الأمراض الجنسية يعود إلى ممارسة الشذوذ الجنسي، ومنها^(٣):

- مرض الإيدز (طاعون العصر).

- الرغبة عن النساء.

- التهاب البروستات الحاد المزمن.

- ورم كابوسي ساركوما، وهو ورم خبيث ينتشر لدى الشاذين، ويُعد أحد العلامات الظاهرة لمرض الإيدز.

- التهاب الكبد، فيروس من نوع (B) المنتشر بين الشاذين.

(١) الفاحشة عمل قوم لوط، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، رقم ٦٦٨، قال الألباني: حسن.

(٣) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ٨٩.



- سرطان الفم واللسان؛ وهو مرضٌ يظهر على هيئة بُقَع بيضاء على جوانب اللسان والفم، وسرعان ما يتحوّل إلى سرطان، وهذا المرضُ يوصف في كثير من الشّواذّ جنسيّاً، وهو مصحوبٌ بانخفاض المناعة، ومرتبطة بنوعين من الفيروسات هما:

Papilloma virus

herpes virus

- سرطان الشّرج والمستقيم .
- ومن أراد التّوسّع في الأضرار الصحيّة؛ فليراجع ذلك في المصنفات الآتية:

- الجرائم الجنسيّة والشّذوذ الجنسي في الشّريعة الإسلاميّة والوضعيّة، للدكتور خليل إبراهيم الحلبوسي .
- الزّواج المثلي في ضوء مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، لإبراهيم بن تيجان جكيّتي .

- الفاحشة عمل قوم لوط، الأضرار والأسباب وسبل الوقاية والعلاج، لمحمد إبراهيم محمد .

- الجريمة الخلقية عمل قوم لوط، لمحمد بن إبراهيم .

- الإباحيّة الجنسيّة؛ حان وقت سداد الفاتورة، لإسماعيل عرفة .

ثالثاً: أسباب الوقوع في الفواحش والشّذوذ الجنسي:

ذَكَرَ العلماءُ وأهلُ التفسير أسباباً كثيرة للوقوع في الفواحش والشّذوذ الجنسي، وهناك من توسّع، والبعض الآخر اختصر، وخيرُ الأمورِ أوسطها، ومن أهمّ هذه الأسباب:

١ - ضعف الإيمان بالله :

الإيمانُ بالله عزَّ وجلَّ وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره؛ هو الدَّرع الواقي من الوقوع في الخطايا والفواحش والكبائر، وهو يحفظُ صاحبه من الوقوع في الذُّنوب والمعاصي، فإذا ضعف الإيمان وَجَدَ الشَّيْطَانُ مدخلاً لتزيين الفواحش، والوسوسة لدفع النَّاسِ للوقوع في حَبائله وشبائكه، وقد نفى النبي ﷺ الإيمانَ عن بعض أهل الكبائر حال ممارستهم لها، حيث قال ﷺ: «لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرقُ حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهبُ نهبةً يرفع النَّاسُ إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(١).

إنَّ كثيراً من النَّاسِ حادُّوا عن الجادة، وانحرفوا عن المسار الصَّحيح، ونسوا مراقبةَ الله تعالى، وتورَّطوا في مستنقعات إبليس من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فأصبح المنكرُ معروفاً والمعروفُ منكراً. وهل يمكن لرجل يؤمن بالله عزَّ وجلَّ واليوم الآخر، وآمن بتعاليم القرآن الكريم، والاقتداء بسيد المرسلين، أن يفعلَ فعلَ قوم لوط، وهو يعرف ما فعله الله بهم من العقوبة التي لم يُعاقب بها أحداً من العالمين؟!!

إنَّ ضعفَ الإيمان بالله هو السببُ الرئيسي في انتشار الفواحش عامَّة، والشُّذوذ الجنسي خاصَّة، فمن لم يردعه الإيمان، وتمنعه التَّقوى، فلن يلوي على شيء، وسيستمرَّ ماضياً في طريق الانحراف والشُّذوذ.

٢ - التقصير في تربية الأبناء :

إنَّ جهلَ النَّاسِ بوصيَّة لقمان عليه السلام في تربية ابنه، وعدم اقتدائهم به في غرس الإيمان بالله، وتوحيده وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشُّرك، وتربيتهم على

(١) رواه البخاري، رقم ٢٤٧٥.



مراقبة الله، وأن الله اللطيف الخبير سبحانه وتعالى مُطَّلِعٌ وعالمٌ ببواطن الأمور وخفاياها، ولو كانت مثقالَ حبةٍ من خردلٍ في السموات أو الأرض يأت بها الله، وما يترتب على الإيمان بالله ومراقبته من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على أقدار الله، والامتنال بالمنظومة الأخلاقية القائمة على التواضع، والابتعاد عن التكبر، ورفع الأصوات، والاختيال، والالتزام بأخلاق أهل الإيمان؛ كل ذلك جعل التقصير في تربية الأبناء واضحاً.

إن إهمال تربية الأبناء، والتقصير في حقوقهم التربوية، نتج عنه كوارث في المجتمعات والشعوب، تحتاج لإعادة النظر، والتفكير الجاد في تطوير المناهج التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لإنقاذ الشباب من مخالب الشياطين، ومؤسسات الإباحية، وأعداء الفضيلة والأخلاق الكريمة، والسقوط بأيدي الأندية الشيطنة في استقطاب الذكور والإناث للإيقاع بهن في مهاوي الرذيلة.

٣- الفراغ:

قال الشيخ عبد الله علوان: «من العوامل الأساسية التي تؤدي لانحراف الولد: عدم الاستفادة من الفراغ الذي يتحكم في الأحداث والمراهقين، ومن المعلوم أن الولد منذ نشأته مُولَعٌ باللعب، ميالٌ إلى المفاخرة، محبٌ للفسحة والتمتع بالمناظر الطبيعية، فإن لم يُيسرَوا له أماكن اللعب واللهو البريء، ونوادي صالحة للرياضة وإعداد القوة، ومساح للتدريب والتعليم، ونزهات للنشاط والحيوية؛ فإنه سيختلط غالباً بقرناء سوء، ورفقاء شرّ وفساد، يؤدي به حتماً إلى شقائه وانحرافه»^(١).

ويقرّر علماء النفس والتربية، أن الشاب إذا اختلى إلى نفسه وقت فراغه، تردّ

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، ط ٣، ١٤٠١هـ، ١/١٢٧.

عليه الأفكار الحالمة، والهواجس السَّارحة، والخيالات الجنسيَّة المثيرة، فلا يجدُ نفسه إلا وقد تحرَّكت شهوته، وهاجت غريزته أمام هذه الموجة من التخيَّلات^(١).

ولذلك فإنَّ من واجبنا وَضَعُ خططٍ مدروسة لتعبئة فراغ الشباب، وربطهم بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً وعملاً، والمحافظة على الصَّلوات الخمس والنوافل، وحَثُّهم على الصيام، وتحبيبهم بالنوافل، وتقديم نماذج ثباتية رائعة للاقتداء بها، مثل يوسف عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، وأصحاب الكهف، والشباب الذين كانوا حول الرسول ﷺ، كسعد بن أبي وقاص، والزيبر بن العوام، وعلي بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، وغيرهم كثير؛ ليستفيدوا من سيرهم، ويرسموا لهم نماذج حيَّة في عمارة الأرض وَفَقَ منهج الله.

٤ - الرفقة السيِّئة والخلطة الفاسدة :

إنَّ الإنسان بطبيعته مدنيٌّ، يُحب العِشرة والاختلاط والمجالسة والصدقة والتعارف والتعاون، وبطبيعة البشر أن يتأثَّروا بمن يجالسون؛ ولذلك وَجَبَ الحذر من الفجار الأشرار؛ لأنَّ مصاحبهم مرَّتُها وخيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً»^(٢).

(١) قصَّة سيدنا لوط عليه السلام، فتح الرحمن عثمان، ص ١٣٢.

(٢) البخاري، رقم ٥٥٣٤.



فجليسُ السوء مضرّةٌ على صاحبه من كلِّ وجه، وشؤمٌ عليه في الدُّنيا والآخرة.

ومن أضرار جليس السوء :

- أن يشتتكَ في معتقداتك الصّحيحة، وقرأ إن شئت قصّة وفاة أبي طالب على الكفر، والدور الذي قام به جليسُ السوء في موته على تلك الحال .
- أنّه يدعو جليسه إلى مماثلته في الوقوع في المحرّمات والمنكرات، قال عثمان رضي الله عنه : «ودّت الزّانية لو زنى النساءُ كلّهنّ»^(١).

- أن رؤيته تذكّر بالمعصية، سواء كانت ظاهرة عليه أو مخفية، فأنت تعرفُ ذلك منه، فتخطر المعصية في بالك بعد أن كنت غافلاً، أو منشغلاً عنها .
- أنّه يربطك بأناس سيّئين، يضرّك الارتباط بهم، وقد يكونون أسوأ منه .
- أنّك به تُعرف ويُساء بك الظنّ من أجل صحبتك له^(٢).

قال عبدُ الله علوان (رحمه الله): «ومن العوامل الكبيرة التي تؤدّي إلى الانحراف والشذوذ الجنسي، رفقاء السوء والصّحبة الفاسدة، لاسيما إن كان الولد بليد الذكاء، ضعيف العقيدة، مُتميّع الخلق، فسرعان ما يكسب منهم أخطأ العادات، وأقبح الأخلاق»^(٣).

هذا هو حال الصّحبة السيّئة، فهي تُحسّن القبيح، وتقبح الحسن، وتدعو إلى أنواع الفواحش، والصاحبُ صاحب، والمرء على دين خليله، وقيل: ما من شيء أدلّ على شيء، ولا الدخان على النّار، من الصّاحب على الصّاحب^(٤).

(١) قصّة سيدنا لوط عليه السلام، فتح الرحمن، ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٣) تربية الأولاد، ١/ ١٢١.

(٤) قصّة سيدنا لوط، ص ١٣٣.

وإنَّ هناك ممَّن أصبحوا من وسائل الشَّيطان في إغواء النَّاسِ، يصوِّرون معاصيهم على أشرطة مرئية، وغرضهم من ذلك عدَّة أمور، من أهمِّها: توريط الأطراف الأخرى في الجريمة، حتَّى يضمنوا أن لا يتوبوا؛ ولذلك يحولوا بينهم وبين التوبة، وذلك بتهديدهم ببعض الصُّور والأفلام التي عندهم^(١).

ولا ننسى قولَ الله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْنُؤُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧].

هذه هي الخاتمة البائسة لهؤلاء المجرمين، من أهل الخبائث، ولا ينفُجُ الندمُ في ذلك المشهد العظيم.

٥- تعاطي المخدَّرات :

المخدَّرات سلاح فتاك استغلَّه أتباعُ الشَّيطان، لتدمير المجتمعات والأخلاق والقيَم والمثل، ومن خلال هذه الآفة الخطيرة يصبحُ المدمن عليها عبداً للشَّهوة المحرَّمة والنزوة العابرة، فالمخدَّرات تجرُّ صاحبها إلى فِعْلِ المحرَّمات^(٢).

إنَّ المدمنَ على تعاطي المسكرات والمخدَّرات، يتَّصف بصفاتٍ ذميمة، ويعتاد على عادات قبيحة، كالكذب، والجبن، والاستهانة بالقيَم والأخلاق، والمثل العليا، ويندفع إلى ارتكاب الجرائم، كالسرقة، وتعاطي الدَّعارة، والاعتداء على الأنفس، ويُصاب بتميُّع الخُلُق، وتحلل الإرادة، وضعف الشُّعور بالواجب، هذا كما يقضي وقته في أوكار سرِّية، مع شرَّاذم من الأشرار، ورفقاء من الفُجَّار، حيث يستبيحُ معهم كلَّ مُوبقة، ويتنَهكُ بخلطتهم كلَّ حرمة^(٣).

(١) قصة سيدنا لوط، المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٦.



٦- التَّبْرُجُ والاختلاط :

إِنَّ الأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ اليومَ محفوفةٌ بالأخطار من كلِّ جانب، أخطار أمراض الشُّبُهَات في الاعتقادات والعبادات، وأخطار أمراض الشَّهَوَات في السُّلُوكِ والاجتماعات، ويزيد ذلك خطورة محاولات تعميقها في حياة المسلمين، في أخطر مخططٍ مسخَّرَ لحرب الإسلام، وأخطر مؤامرة على الأُمَّة الإِسْلَامِيَّةَ تبنَّها أتباع إبليس، من خلال المؤسَّسات والمنظَّمات، وأنظمة بعض الدُّول، في نظريَّة الخلط بين الحقِّ والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح. ونظريَّة الخلط هذه، هي أنكى مكيدة لتذويب الدِّين في نفوس المؤمنين، وتحويل أفراد الأُمَّة إلى دوابٍّ وقطعان مهزومة في أعماقها، غارقة في شهواتها، ودفع المجتمعات إلى التَّبْرُج والاختلاط والسُّفور وما يترتَّب عليه من فساد عريض، وفسق كبير، وفُجُور مدمر. ورفع الشُّعارات الآثمة لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التَّبْرَج والسُّفور والعُري والاختلاط، حتَّى يقول لسانُ حال المرأة المتبرِّجة، هَيْتَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِبَاحِيُّونَ. والدَّفْعُ الحثيث من المؤسَّسات والمنظَّمات الإفسادية لنشر التَّبْرُج والسُّفور، لكي تُتَهَكَّ الأَعْرَاضُ، ويتفشَّى الزَّنى والخلاعة، وتُخَنَّثَ الرجال واسترجال النِّساء، وزوال الحياء، وذهاب العِفَّة والحشمة، وانعدام الغيرة. وقد عُلِمَ تاريخياً أَنَّ التَّبْرَج والاختلاط وانتشار الفواحش من زنى ولواط؛ من أعظم أسباب انهيار الحضارات، وزوال الدُّول؛ لأنَّها سلكَتْ طريق المغضوب عليهم من أتباع إبليس، وتقبَّلت أفكارهم، واقتفت آثارهم، وترسَّمت خطاهم^(١).

إِنَّ المخطَّطات الهدَّامة تسعى لدعم تيارات الخلاعة والمُجون، وشيوع الفاحشة في عامَّة المجتمعات الإِسْلَامِيَّة، إلا من رحم الله، وقد يقول قائل: إِنَّ

(١) قصة سيدنا لوط، المصدر السابق، ص ١٣٦.

التَّبَرُّج والاختلاط يدعو إلى الزَّنى، لا إلى الشُّذُوذ الجنسي، ولو نظر هذا القائلُ نظرة فاحصة لَعَلِمَ أنَّ خروج النِّساء متبرِّجات عاريات، يُشعل في المراهقين نيران الشَّهوة، فلا يملك أحدهم نفسه أمام هذه المفاتن المبتذلة، والأزياء الفاضحة، فيَتَجَه المراهق - إذا لم يكن له عصاماً من الإيمان والتَّقوى - إلى إطفاء هذه الشَّهوة بالاستمناء، وباللواط، وربَّما بإتيان البهائم، وهكذا ينتشر الشُّذُوذ الجنسي، وتعدَّد أشكاله، ويتفنَّن الوالِغُون فيه بتنويع صُوره^(١).

٧- تفسير الزَّواج:

إنَّ الزَّواج يحفظُ المجتمع من الانحلال الخُلقي، ويؤمِّن الأفراد من التفسُّخ الاجتماعي، وبه يسلم النَّاسُ من الأمراض الفتَّاكة، التي تنتشرُ نتيجة الاتِّصال الحرام، وشيوع الفاحشة.

والمجتمع الآن عسَّر أمرَ الزَّواج، ووضع أمام الشَّاب والشَّابة عراقيل وعقبات كثيرة تحُول بينهم وبين الزَّواج، ومن أعظمها خطراً: غلاء المُهور، فينحرف الشَّاب أو الشَّابة طلباً لإشباع غرائزهم وشهواتهم، وبذا يكون المجتمعُ قد ساعد على انتشار الفساد عندما عسَّر أمر الزَّواج، ويزداد الأمر خطورةً عندما يُعرض كثيرٌ من الشَّباب عن الزَّواج، ما داموا قد وجدوا الطَّرِيق الحرام مُيسَّراً، فيقضي أحدهم شهوته في أي مكان وبأي شكل، فتُهدر طاقات الشَّباب، ويخسر المجتمعُ خسائر فادحة، ويترتَّب على ذلك آثار مدمِّرة للأفراد والأسر والشعوب والأمم. إنَّ الإسلام دينُ الفِطْرة، لذلك حارب الرِّهَابِيَّة، لتعارضها مع غريزة الإنسان، وحثَّ على الزَّواج؛ لأنَّه السَّيَّاج الذي يحتمي به المسلم^(٢)، وفي الصَّحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت النبي ﷺ

(١) قصَّة سيدنا لوط، ص ١٤٠.

(٢) المصدر السَّابق، ص ١٤٠.



يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها - أي رأوها قليلة - فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ: فقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر لا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوِّج أبداً، فجاء رسولُ الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟ أما والله إنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوِّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»^(١).

وهذه هي الوسطية التي دعا إليها الإسلام، فلا شطَط ولا انحراف، ولا إفراط ولا تفريط، مما يقود إلى دعوة الأهل في الأسر إلى تيسير أمر الزواج، ولربّ شاب مؤمن يعمل وفقَّ جهده، ولكنه لا يملك الكثير سوى محبته للعمل، واتصافه بالخلق الحميد، فنيّسّر له أمر زواجه، ولا نطالبه بما يرهقه، فسيوفقه الله تعالى، ويفتح أمامه طرق النجاح والتوفيق، ومن ثم نحفظ عليه دينه، ونصونه من الميل إلى الشهوات والمنكرات.

٨- إطلاق النظر في الحرام:

إطلاق النظر في الحرام سببٌ لأعظم الفتن، فكم فسد بسببه من عابد! وكم انتكس بسببه أناس في الزنى، والفاحشة والعياذ بالله! ولما كان إطلاق النظر سبباً لوقوع الفواحش، أمر الشارع بغضّ النظر عمّا يخاف عواقبه، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

يقول ابن القيم (رحمه الله): «فإنّ الحوادث مبدؤها من النظر، كما أنّ معظم النّار من مستصغر الشرر، فتكون نظرة، ثمّ خطرة، ثمّ خطوة، ثمّ خطيئة، ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربع حفظ دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات،

والخطوات، فينبغي على العبد أن يكون بَوَّابَ نفسه على هذه الأبواب الأربعة، فمنها يدخل عليه العدو، فيجوس خلال الدِّيار، ويتبرّ فيها تَبَرّاً. وقال: والنَّظَرُ المحرم أصلُ عامّة الحوادث التي تُصيب الإنسان، فالنَّظَرَةُ تولّدُ خطرةً، ثم تولّدُ الخطرةُ فكرةً، ثم تولّدُ الفكرةُ شهوةً، ثم تولّدُ الشَّهْوَةُ إرادةً تقوى، فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعلُ ولا بد، ما لم يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصَّبْرُ على غَضِّ البصرِ أيسرُ من الصَّبْرِ على ما بعده.

ومن آفات البصر أنه يورث الحسرات، والزَّفَرَات، والحرقات؛ فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا صابراً عنه، وهذا من أعظم العذاب»^(١).

إنَّ البصرَ المحرّم كثيراً ما أودى بصاحبه في وادي الهلاك، وصحارى الصِّياع، وخبائث الشَّهوات. قال أحمد شوقي:

نظرةً فابتسامةً فسلامٌ فكلامٌ فموعداً فلقاءً

فكم من نظرة أودت بصاحبها إلى مهاوي الردى!!

٩- صُحْبَةُ المردان والنَّظَرِ إليهم:

قال ابنُ تيمية (رحمه الله): «والنظر إلى وجه الأُمرد بشهوة، كالنظر إلى وجه المرأة الأجنبية بشهوة، سواء كانت الشَّهْوَةُ شهوةً الوطء، أو شهوة التلذُّذ بالنظر، كما يتلذَّذ بالنظر إلى وجه المرأة الأجنبية، ومن المعلوم لكلِّ أحد أن هذا حرام، فكَذلك النظر إلى وجه الأُمرد باتفاق الأئمة»^(٢).

وقال: «التلذَّذ بلمس الأُمرد كمصافحته، ونحو ذلك حرامٌ بإجماع المسلمين، بل الذي عليه أكثرُ العلماء، أنَّ ذلك أعظم إثماً من التلذَّذ بالمرأة الأجنبية»^(٣).

(١) الجواب الكافي، ص ٢٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٥/٤١٣.

(٣) المصدر السابق، ١٥/٤٢٤.



وقال: «وكذلك المردان الحسان، لا يصلح أن يخرجوا في الأمكنة والأزمنة التي يخاف فيها الفتنة بهم إلا بقدر الحاجة، ولا يُمكن الأمر من التبرج، ولا من الجلوس في الحمّام بين الأجانب، ولا من رقصه بين الرجال، ونحو ذلك ممّا فيه فتنة للناس»^(١).

وقال: أمّا صحبة المردان على الاختصاص بأحدهم كما يفعلونه، مع من ينضمُّ إلى ذلك من الخلوة بالأمرد الحسن ومبيته مع الرجل ونحو ذلك، فهذا أفحش المنكرات عند المسلمين وعند اليهود والنصارى وغيرهم... وكذلك مقدّمات الفاحشة عند التلذذ بقبلة الأمرد، ولمسه، والنظر إليه؛ هو حرامٌ باتفاق المسلمين^(٢).

قال: فإذا كان المستحلّ لما حرّم الله كافراً، فكيف بمن يجعله قربةً وطريقاً إلى الله تعالى؟ فكيف بمن يستحلُّ إتيان الفاحشة الكبرى وما دونها، ويجعل ذلك عبادةً وطريقاً؟! وإن كان طائفة من المتفلسفة، ومن وافقهم من ضلال المنتكسة جعلوا عشق الصور الجميلة من جملة الطرق التي تزكّي بها النفوس، فليس هذا هو دينُ المسلمين ولا اليهود ولا النصارى... فلو كانت صحبة المردان المذكور خالية من الفعل المحرّم فهي مظنة لذلك، وسبب له. قال سفيان الثوري (رحمه الله): «إنّ مع المرأة شيطاناً، ومع الحدث شيطانين»^(٣).

إنّ اتخاذ المردان لفعل الفاحشة محادثة لله ودينه وكتبه ورسله^(٤). والتعلّق بصور المردان طريقٌ مخيفٌ يؤدّي بصاحبه للمهلك، ويقع في شباك الشيطان،

(١) مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ١٥/٤١٧-٤١٩.

(٢) المصدر السابق، ١١/٥٤٢-٥٤٣.

(٣) قصّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٤٤.

(٤) إغاثة اللفهان، ص ٤٩٦.

ويجد نفسه مع قوم لوط في أفعالهم وإجرامهم وفسقهم وظلمهم وإسرافهم وجَهْلهم، وجَلَبَ على نفسه غَضَبَ الله وسخطه وعذابه .

١٠- العشق :

قال ابنُ القيم (رحمه الله): «ومن مكايده ومصايدِه - يعني الشيطان - ما يفتن به عَشَّاقُ الصُّور، وتلك لَعَمْرُ الله الفتنَةُ الكبرى، والبليَّةُ العظمى التي استعبدت النَّفوسَ لغير خالقها، وملَّكتِ القلوبَ لمن يسومها الهوان من عاشقها، وأشعلت الحربَ بين العشق والتَّوحيد، ودعتُ إلى موالاة كلِّ شيطانٍ مريد، فصيّرت القلبَ للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوبَ محنةً وملأتها فتنةً، وحالتَ بينها وبين رُشدِها، وصَرَفَتْها عن طريق قِصْدِها، ونادتُ عليها في سوق الرِّقيق، فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأبخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالي من عُرف الجنان، فضلاً عمَّا فوق ذلك من القرب من الرَّحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس، الذي ألُمَّها به أضعاف لذَّتها، ونيلُه والوصول إليه أكبر أسباب مضرَّتِها، فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً عن قريب . ويتبرأ منه محبه لو أمكنه حتى كأنه لم يكن له بحبيب . وإن تمتع به في هذه الدَّار، فسوف يجدُّ به أعظم الألم بعد حين . لاسيما إذا صار الأَحْلَاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين»^(١).

وفي خطورة العشق يقول ابنُ القيم (رحمه الله): «ثمَّ قد يشتدُّ بينهما الاتصال، حتَّى يسمُّونه زواجاً، ويقولون: فلان تزوَّج فلاناً، كما يفعلُه المستهزئون بآيات الله تعالى ودينه، من مُجَانِ الفسقة، ويقرَّهم الحاضرون على ذلك، ويضحكون منه، ويعجبهم مثل ذلك المزاح والنِّكاح، وربما يقول بعضُ زنادقة هؤلاء: الأمرُ دُحبيبُ الله، والملتحي عدو الله»^(٢).

(١) قصَّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٤٧ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩ .



وهذا الذي حكاه ابن القيم (رحمه الله) قبل ستة قرون، وقال: إنهم يسئونه زواجا، أصبح الآن واقعا ملموسا، وقد أباحت ذلك بعض الدول والأنظمة، حيث أصدرت قوانين تبيح عقد قران الرجل على الرجل، وتكونت آلاف الجمعيات والأندية والمؤسسات التي ترعى شؤون الشاذين جنسياً، وتدافع عنهم، وتطالب بحقوقهم في الفاحشة والخبائث والفسق والإجرام والإسراف.

١١ - الشيطان:

ما من سبب من أسباب الوقوع في الفواحش خاصة، والمعاصي عامة، إلا والشيطان مسببه، والداعي إليه، والمشجع عليه، كيف لا، وقد أقسم الملعون بربه ليغوينهم أجمعين إلا العباد المخلصين^(١)، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْنِي لِلْأَرْضِ لَهْمٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٩﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

أ- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْنِي﴾؛ قال الدكتور أحمد نوفل: «هذه أوقع كلمة قالها إبليس وهو يريد أن يقول أن الغواية حصلت له من الله، لا من عند نفسه، بل هي أفجر كلمة قالها هذا المجرم منذ فجر الخليقة»^(٢).

وقد قال الشيخ محمد متولي الشعراوي: «والحق سبحانه وتعالى لم يُغوه، بل أعطاه الاختيار الذي كان له به أن يؤمن ويطيع، أو يعصي ويعاقب، فسبحانه قد مكّن إبليس من الاختيار بين الفعل وعدم الفعل، فخالف إبليس أمر الله وعصاه»^(٣).

ب- ﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ لأحسن لهم كل قبيح، ولأجملن لهم كل

(١) قصّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٤٩.

(٢) تفسير سورة الحجر، ص ٢٣٨.

(٣) تفسير الشعراوي، ١٢/٧٧٠٣.

مستقذر مستهجن من الأخلاق والأعمال والعقائد والمذاهب والفلسفات والسلوكيات والخلافات؛ والقوانين والشُّرور والطُّباع والحروب؛ والأطماع والإفساد والفواحش^(١).

وما نراه منبثاً في بقاع الأرض ما هو إلا نتيجة طبيعية لتزيين الشيطان، وإغواء النفوس الضعيفة؛ لتساق في طريق الرذيلة، وتعيش في مستنقع الفساد والإفساد، دون رادع من عقل، أو وازع من دين.

- ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي في الدنيا التي هي دار الغرور، أي: لأزَيِّنْهَا فِي أَعْيُنِهِمْ. وجعل التزيين (في الأرض)، يفيد انتشاره في جميع ما على الأرض من الذوات وأحوالها^(٢)، وما فيها من شهوات كثيرة، وآمال طويلة، تجعلهم ينصرفون عن عبادة الله وطاعته، ويغفلون عن الآخرة وما فيها من حساب وجزاء^(٣).

إنَّ من أساليب الشيطان أن يُزَيِّنَ الباطلَ لبني آدم في الأرض، ويحسنَ لهم كلَّ قبيحٍ ومحرَّم، فهذه هي وظيفته التي عاهد نفسه على أدائها، فإبليس (لعنه الله) هو الذي زَيَّنَ الكفرَ والعصيانَ للأُممِ السَّابِقَةِ، وحسَّنَ لهم الصُّدُودَ والإعراضَ عن دعوة الله على لسان أنبيائه حتَّى أخذهم الله بجزاء أعمالهم^(٤).

لقد أضلَّ عدوُّ الله الشيطان - بأسلوب تزيين الباطل - كثيراً من النَّاسِ، فكم حسنَ من قبيح، وزَيَّنَ من فاحش، وجَمَّلَ من رذيلة، وملَّحَ من ذميم، وقنَّعَ عيوناً لترى الفواحش والمنكرات والمحرَّمات في قالب مزخرف وصورة حسنة، وهي تُخفي في حقيقتها السمَّ الزَّعَاف، والدَّاءَ الدِّفين^(٥).

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٢٣٨.

(٢) التحرير والتنوير، ٥٠/٧.

(٣) قصَّة بدء الخلق، الصلابي، ص ٧٥٩.

(٤) عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها، عبد المنعم حواس، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٥ هـ،

ص ٣٠٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٣١٥.



فهو يُظهر الباطلَ في صورة الحقّ، مع إضافة الشّهوات كي تندفعَ إليها النفوس المريضة، لتقع فريسةً للشيطان الذي يتربّص بها الشرّ، ويقودها إلى هلاكها وخسرانها، فعدوّ الله يعلم أنّ السبيلَ لإيقاع بني آدم في فخّ طاعته، ومن ثمّ إيصالهم إلى جهنّم؛ هو في اقتراف المحرّمات، والوقوع في الموبقات، وإطلاق العنان للشّهوات لتُشبع نهمها بكلّ طريق^(١).

إنّ الشيطان أعلن الحربَ على الأخلاق الحميدة والعفة والستر، وحثّ على استخدام نوادي العراة والمجلات والروايات، والتقنية الحديثة للإفساد، وجعلها حرباً على الأخلاق والمثل العليا باسم الحرّية، وهي في الحقيقة دعوةٌ إلى حياة الغاب والتزّوات الشهوانية والدمار في الدُّنيا، وسخط الله في الآخرة، ولقد بلغ تزوينُ الشيطان الباطل للنّاس، أن زَيّن لهم عبادته^(٢) من دون الله، فقد وُجد قديماً وحديثاً من يعبد الشيطان، ولقد وُجدت معابدُ للشيطان عبر التّاريخ وفي وقتنا الحاضر، في أمريكا وأوربا وغيرها، واشتهرت في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وغيرها من هذا العالم الغريب، ولها طقوسُها الخاصّة، ويتعاطون العلوم السريّة للشيطان^(٣).

إنّ الطقوسَ الشَّيطانيّة تُعتبر الجنس هو الأساس الذي يقومُ عليه، وهو أمرٌ مُلاحظ في المحافل التي تُقام فيها تلك العبادّة، فالرقصُ والعُري والتفسّخ والمُجون؛ هو شعارُ عبدة الشيطان، فهم أسوأ النّاس خُلُقاً وسلوكاً. تقول مجلة (تايم): «إنّ مُتعبدي الشَّيطان هم أكثر النّاس انغماساً في الشرّ والفسق والفجور، السّريّ والعلني»^(٤).

(١) عداوة الشيطان للإنسان، المصدر السّابق، ص ٣١٧.

(٢) المصدر السّابق، ص ٣٢٨.

(٣) المصدر السّابق، ص ٣٣٧.

(٤) المصدر السّابق، ص ٣٣٨.

ج- ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ الإغواء: من الغواية، والغِي: التّضليل عن طريق الإغواء والتّزيين والخداع، وضمير الغائب (هم) يُراد به آدم وذريّته^(١).

والغِيّ ضد الرّشد، والرّشد: درجة رفيعة في إدراك البصيرة، يهتدي بها المرء إلى حقائق الوجود، فلا يشتبه عليه الحقّ والباطل^(٢).

والفرق بين الرّشد والغِيّ، كالفرق بين النور والظلمة، والحياة والموت، والعقل والحمق، وما يريد لنا الله، وما يريد لنا الشّيطان، إنّ رُكنا الخطّة الإبليسيّة، التّزيين والإغواء. وقد استخدم الشّيطان أساليب عديدة لإغواء بني الإنسان، وهي تدلّ على المكر، وإجادة لأدوار تدميريّة لبني الإنسان، وهذه بعضها:

- التّشكيك يشمل أموراً منها: التشكيك بوجود الخالق سبحانه وتعالى، والتشكيك في اختصاص الله بالعبادة، وحمل النّاس على عبادة الأصنام، والتشكيك في العقائد الإيمانيّة مثل إنكار الملائكة، وبعث الرّسل، واليوم الآخر، وغير ذلك.

- ويقوم الشّيطان بتزيين الهوى والمعاصي، فمن هذه المعاصي التي يحرص الشّيطان على إغواء بني آدم بها: شرب الخمر، والفساد الجنسي من شذوذ وزنى ولواط، وربما وسفك الدماء بإشعال الحروب الظّالمة، إلى غير ذلك من الفواحش والمنكرات، حتّى يقعوا تحت تسلّطه، ويصبحوا من أتباعه، قال تعالى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]^(٣).

(١) تفسير سورة الحجر، ص ٢٤٠.

(٢) آدم عليه السلام، الخولي، ص ٨٤.

(٣) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات، دار إشبيلية، ط ٢، ١٤١٩هـ، ص ٥٤٢.



فالواجب: الحذر من هذا العدو، الذي لا يرضيه إلا هلاك الإنسان، وكفره، وشركه، وفسوقه، وإجرامه، وظلمه.

١٢- وسائل الإعلام:

أسهمت وسائل الإعلام التابعة لدعاة الشذوذ الجنسي في نشر فاحشة اللواط، واستخدموا وسائل الإعلام كمعاول هدم وتخريب، وأدوات فساد وانحلال، لتجميع الأخلاق والتدريب العملي على ارتكاب الفواحش، فاستخدموا كلاً من:

- الصحافة الهابطة.

- الكتب الجنسية.

- الإذاعة.

- الفضائيات.

- وسائل التواصل الاجتماعي، وكل وسائل الإعلام الحديثة، تمّ توظيفها لدعاة الفواحش، لنشرها بين الناس، فاخترقوا البيوت والمدارس والجامعات... إلخ.

١٣- المكر اليهودي:

يهدف المكر اليهودي إلى إفساد شباب المسلمين وبني البشر وإغراقهم في الشهوات، حتّى تتمّ السيطرة عليهم، فقد قامت مخططات اليهود بتنفيذ تعاليم الثّورة المحرّفة والتّلمود، التي تدعو لإفساد العالم بشئى أنواع الوسائل والطرق كافة، فاستخدموا بذلك كلّ وسيلة يمكن أن تخطر على البال، فحاربوا الأديان، ونشروا الإلحاد، وتحذّثوا عن ثورة الجنس والحرية الجنسيّة، وتمكّنوا من السيطرة على وسائل الإعلام ومراكز التوجيه، فعملوا على إشاعة الفاحشة،

ونُشِرَ جميع الرذائل، وفي مقدّماتها اللواط والزنى، فإنّها من أقوى معاولِ هدم الفضيلة، وضياع الأخلاق.

وما نظريّات فرويد الفاجرة، التي لا تنظرُ إلى الحياة إلا من خلال نافذة الشذوذ الجنسي، وما المجلاتُ الخليعة التي تؤجّج الغرائز، وتتاجر بالأعراض، وتدعو صراحة إلى الفاحشة، وما أفلام الفيديو، ولا صناعة السينما، ولا بيوت الدّعارة ومواخير الفساد، إلا نماذج من جرائمهم ومخططاتهم التي يهدفون من ورائها إلى إغراق النَّاس في مستنقع الرذيلة وأودية الضلالة. واستهدفوا في مخططاتهم مع أتباعهم إفساد أبناء المسلمين، وتمزيق الأمّة الإسلاميّة بنشر الفاحشة بينهم، وجرّهم إلى الرذيلة وإغراقهم في الشّهوات حتّى تتبلّد مشاعرهم، ويُصبحوا عبيداً للشّهوات، ويتورّطوا في الشُّبهات، ومن ثمّ تضعّف هممهم، وتنهار مقاومتهم، ومن ثمّ يسهل القضاء عليهم^(١).

وكذلك الصّليبيّون الجدد، فهم لا يألون جهداً في إفساد المسلمين، وردّهم عن دينهم، فهدفهم الأكبر هو إدخالُ من استطاعوا من المسلمين في النّصرانيّة، وإن أعيّتهم الحيلة في ذلك، فلا أقلّ من أن يسعوا في إفسادهم^(٢)، وإغوائهم، وإغراقهم في الفواحش والشّهوات والكبائر والمعاصي.

هذه هي أهمُّ الأسباب، وهناك أسبابٌ أخرى تركتها للاختصار.

رابعاً: سُبُل الوقاية والعلاج من فاحشة قوم لوط:

إنَّ أعظمَ سُبُل الوقاية والعلاج من الفواحش والكبائر والمعاصي والدُّنوب، معرفة العقيدة الصّحيحة، والعبادة الرّشيدة، والأخلاق الحميدة، وتبدأ هذه

(١) مذاهب فكريّة معاصرة، محمد قطب، ص ١٠٧ - ١١٤، رؤية إسلامية لأحوال العالم والمعايير، محمد قطب، ص ١٠٨.

(٢) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ٨١.



المعرفة القائمة على العلم المُستمد من كتاب الله العزيز، وشَرع الرسول الكريم، وتربيته العميقة التي تستهدفُ تزكية النفوس بالطاعة، وتخلّصها من المعاصي، معتمدة على الذكر الحكيم، والكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يُخاطب العقل الإنسانيّ الرشيد، والفطرة الإنسانية السليمة، والوجدان البشريّ، لكي تنطلق الروح في أنوارها وصفائها نحو مرضاة الخالق العظيم، وتنجلي أمام الإنسان حقائق العقائد والأفكار والتصورات، وعالم المشاعر والإخلاص بفقهِ الميزان القرآني الذي بيّنه الله عزّ وجلّ، من خلال موكب الأنبياء والمرسلين، وعرضه للتوحيد، وإفراد العبادة له، ومخاطر الكفر والشرك والمعاصي والفسوق على الأفراد والمجتمعات.

إنّ الوقاية والعلاج من المهلكات الشنيعة، تبدأ بترسيخ العقيدة الصحيحة وتثبيتها في قلوب الناس، وإيضاحها لهم، وتربيتهم عليها، وذلك ببيان توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان بكلّ ما أخبر الله به من الملائكة، والكتب، والنبين، والقدر خيره وشره، واليوم الآخر، وإثبات الرسالة للرسل عليهم السلام، والإيمان بكلّ ما أخبروا به. فنبداً على بركة الله في بيان ما نصّبوا إليه من توضيح منهج الوقاية والعلاج به:

١ - التعريف بالخالق العظيم:

لن نجدَ مثل القرآن الكريم في تعريف الناس بالآله العظيم الذي يجبُ أن يعبدوه، فقد كان النبي ﷺ يُربي أصحابه على تلك الآيات العظيمة، وترك لنا منهجاً متماسكاً مباركاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد حرص منذ اليوم الأول على أن يعرف الناس التصوّر الصحيح عن ربهم، وعن حقّه عليهم، مدركاً: أنّ هذا التصوّر سيورث التصديق، واليقين عند من صفت نفوسهم، واستقامت فطرتهم. ولقد كان تركيز النبي ﷺ في هذا التصوّر المستمد من القرآن الكريم قائماً على عدّة جوانب، منها:

- أنه منزّه عن النقصان، موصوفٌ بالكمالات التي لا تتناهى، فهو سبحانه واحد لا شريك له، لم يتخذ صاحبة، ولا ولداً.

- أنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومالكة، ومدبر أمره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- أنه سبحانه وتعالى مصدر كل نعمة، دقّت أو عظمت، ظهرت أو خفيت، في هذا الوجود: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

- أنَّ عِلْمَ الله محيطٌ بكلِّ شيء، فلا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

- أنه سبحانه يُقيّد على الإنسان أعماله بواسطة الملائكة، في كتاب لا يترك صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة، والوقت المناسب: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

- أنه سبحانه يتبلي عباده بأمور تخالف ما يُحبّون، وما يهوّون، ليعرف النَّاسُ معادنهم، ومنّ منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويُسلم له ظاهراً وباطناً، فيكون جديراً بالخلافة والإمامة والسيادة، ومنّ منهم يغضب ويسخط، فيكون جزاءه غضب الله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

- وأنه سبحانه يوفّق ويؤيّد، وينصرُ من لجأ إليه، ولاذّ بحماه، ونزل على



حكمه في كل ما يأتي: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

- أنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه، ويوحّدوه، فلا يشركوا به شيئاً: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

- أنه سبحانه حدّد مضمون هذه العبوديّة، وهذا التوحيد في القرآن العظيم^(١).

وحرص النبي ﷺ على تعليم أصحابه وتربيتهم على فهم صفات الله، وأسمائه الحسنى، وعبدوه بمقتضاها، فعظم الله في نفوسهم، وأصبح رضاه سبحانه وتعالى غاية مقصدهم وسعيهم، واستشعروا مراقبته لهم في كل الأوقات، فكبحوا جماح نفوسهم من أن تزّل، والله مطلع عليها. وتطهّر صحابة رسول الله ﷺ من الشّرك بجميع أنواعه، سواء من اعتقاد وجود متصرّف مع الله عزّ وجلّ في أي شيء، من تدبير الكون؛ من إيجاد أو إعدام، أو إحياء أو إماتة، أو طلب خير أو دفع شرّ، بغير إذن من الله سبحانه وتعالى، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، والعظمة، والكبرياء، والحاكميّة المطلقة، والطّاعة المطلقة، ونحو ذلك^(٢).

إنّ التّربية النبويّة الرشيدة للأفراد على التوحيد هي الأساس الذي قام عليه البناء الإسلامي، وهي المنهجية التي سار عليها الأنبياء والمرسلون من قبل، فكلّ رسول دعا قومه إلى إفراد الله بالعبادة، كنوح وصالح وهود وشُعيب وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وبالجملة فالرّسل عليهم

(١) منهج الرسول ﷺ في غرس الروح الجهادية، ص ١٦.

(٢) أهميّة الجهاد في نشر الدّعوة، علي العلياني، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٥٣.

الصلاة والسلام كلهم دَعُوا لتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، واجتناب الطاغوت والأصنام^(١).

هذا هو منهجُ الرسل جميعاً، وهو مبدأُ الرسالات السماوية كلها، فالمقصدُ المبتغى هو عبادة الله عبادةً صحيحة بعيداً عن الشرك والخلاف، ونَبذ الشرور وما يؤدي إلى الآثام والموبقات.

إنَّ الوقايةَ والعلاجَ من الفواحش والذنوب والكبائر، تبدأ بمعرفة الله، وتحقيق العبودية ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، وقد آتت تربيةُ الرسول ﷺ لأصحابه أَكْلَهَا وثمارها المباركة، في الالتزام بالمنهج الرباني في الأخلاق والقيم والعبادة والتشريع والمعاملات.

ولقد ركَّز القرآن الكريم على عقيدة التوحيد، وإثبات رسالة محمد ﷺ للإنس والجن، وبيان أركان الإيمان الستة بوضوح لامس القلوب المتعطشة للإيمان، وخاطب العقول، ولَبَّى نداءَ الفِطرة السَّليمة.

٢- الإيمان باليوم الآخر:

ركَّز القرآن الكريم على اليوم الآخر غاية التركيز، فقلَّ أن توجد سورة مكية لم يذكر فيها بعض أحوال يوم القيامة، وأحوال المنعمين، وأحوال المعذَّبين، وكيفيَّة حشر النَّاس ومحاسبتهم، حتَّى لكأنَّ الإنسان يرى يومَ القيامة رأيَ العين؛ من البعث والحشر والحساب والجزاء والشفاعة والموازين... إلخ.

وجاءت الآياتُ الكريمة مبيَّنة أوصافاً للجنة الموعودة، فأثر ذلك في نفوس الصَّحابة، وكذلك مَنْ سار على نهجهم أيَّما تأثير، ومما جاء في وصف الجنة أنها:

(١) السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث؛ دروس وعبر، علي الصلابي، دمشق، دار ابن كثير، ط ٩، ٢٠١٩م، ١/١٢٦.



- لا مثيلَ لها، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر.

- وأنها درجات حسب المستوى الإيماني لكل مؤمن ومقدار أعماله الصالحة.

- وفيها أنهار من عسل مصقّى.

- وعيون.

- وأشجار وفواكه وثمار.

- ووصف طعامهم وشرابهم.

- ولباسهم من إستبرق وحليّهم من أساور من ذهب.

- واجتماعاتهم وأحاديثهم.

- ونساء أهل الجنة المؤمنات والحدود العيون.

- وأفضل ما يُعطاه أهل الجنة هو رؤية ربهم ورضاه عنهم.

- وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

إنَّ النبيَّ ﷺ كان يُرَبِّي أصحابه على السَّعي لمرضاة الله تعالى حتَّى يدخلهم جنَّاته العظيمة، فكان يصفُ لهم الجنَّات من خلال المنهج القرآني، حتَّى لكأنَّ الصحابيَّ يرى الجنة معروضةً أمامه في تلك اللحظة، وينفعل بها كأنَّه يراها في عالم العيان بالفعل، وليس أمراً يتصوَّر حدوثه في المستقبل، وهذا من الإعجاز البياني في التعبير القرآني إلى حدِّ تصبح الآخرة - التي لم تأت بعد - كأنَّها الحاضر الذي يعيشه الإنسان، ويصبح الحاضر الذي يعيشه بالفعل كأنَّه ماضٍ سحيق، تفصله عن الإنسان آمادٌ وأبعاد^(١).

(١) دراسات قرآنية، محمَّد قطب، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٢١.

إنَّ هذا تصوُّر البديع للجنان، والاعتقاد الجازم بها، أسهم في نهى النفس عن الهوى، والابتعاد عن الذُّنوب والخطايا، ودفع الصَّحابة إلى تبليغ رسالات الله، والتَّصدي للاستبداد والأنظمة الظَّالمة المتمثلة في ذلك الوقت في الإمبراطوريَّة الفارسيَّة والرومانيَّة، وبناء الحضارة الإسلاميَّة الربانيَّة بنُظُمها التوحيدِيَّة، والأخلاقيَّة، والتعبديَّة، والتشريعيَّة، وطلبهم للشَّهادة في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وشوقهم لرضا الله عزَّ وجلَّ، ودخول جنانه الواسعة، والاهتمام بمعالي الأمور، والقيم النبيلة، والمبادئ الحميدة، وهذا المعتقد والتَّصوُّر أثر في أمة الإسلام، ولا يزال إلى يومنا هذا، فقد أمدهم بعزيمة وإصرار، ومثابرة على إعزاز دين الله، وقد لاحظت في المعارك الفاصلة والانتصارات العظيمة التي حققتها الأُمَّة في تاريخها المجيد؛ أنَّ من أسبابها الواضحة حبَّ القادة والجنود المقاتلين للشَّهادة في سبيل الله، والشَّوق لجنانه، وتعبدهم لله بفريضة الجهاد، والأمثلة على ذلك كثيرة، كالقاديَّة بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ضدَّ الفرس، وخالد بن الوليد في اليرموك ضدَّ الروم، ومعركة الزلاقة في الأندلس التي انتصر فيها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين على النصارى في الأندلس، وكمعركة حطين بقيادة صلاح الدِّين الأيوبي، وعين جالوت بقيادة قُطز، وفتح القسطنطينيَّة بقيادة محمَّد الفاتح، فمن يسمع وَصَفَ الجنة، ويعلم أن مصيره في الاندفاع ليكون مؤمناً حقاً كي يكون مع الداخلين إليها، فكل شيء يهون لديه، فتراه يعبد ربه بأوسع معاني العبادة الحقَّة .

وقد جمعت التَّربيةُ النبويَّة بين الرَّغبة والرَّهبة، وكان لوصف القرآن الكريم للنَّار أثره في نفوس الصَّحابة الكرام، فقد كانوا يخافون الله، ويخشونه، ويرجونَه . وكان لتَّربية الرسول ﷺ أثرٌ في نفوسهم عظيم، وكان للمنهج القرآني أثر عميق في نفوس الصَّحابة؛ لأنَّ القرآن الكريم، وَصَفَ أهوالَ يوم القيامة ومعالَمها من قبض الأرض ودكَّها، وطَيَّ السماء، ونَسَفَ الجبال، وتفجير



البحار، وتَسْجِيرُهَا، ومَوَّرَ السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسوف القمر، وتناثر النُّجُوم.

وصوَّر القرآن الكريم حال الكفَّار والمجرمين والظَّالِمِينَ والفاسقين وذلَّتْهُمْ، وهوانهم، وحسرتهم، وبأسهم، وإحباط أعمالهم، وتخاصم العابدين والمعبودين، وتخاصم الأتباع وقادة الضَّلالة، وتخاصم الضُّعفاء والسَّادة، وتخاصم الكافر وقرينه الشَّيْطَان، ومخاصمة الكافر أعضاءه، كتخاصم الرُّوح والجسد.

وتحدَّث القرآن الكريم عن الحكم في المظالم بين الخلق، وكيف يكون الاقتصاصُ يوم القيامة، ويُنَّ المولى عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم عِظَمَ شأن الدِّماء، ويُنَّ أَنَّ هناك يوم القيامة توضع الموازين التي توزن بها الأعمال، وأخبر النبي ﷺ عن الحوض، وَمَنِ الَّذِينَ يَرِدُّونَ عَلَيْهِ، وَمَنِ الَّذِينَ يُزَادُونَ عَنْهُ.

كما تحدَّث القرآن الكريم عن حشر الكفَّار إلى النَّار، ومرور المؤمنين والمنافقين على الصراط، وخلاص المؤمنين وحدهم^(١).

وقد كان لهذا الحديث أثرٌ عظيمٌ في نفوس الصَّحابة الكرام (رضوان الله عليهم).

وصوَّر القرآن الكريم ألوانَ العذابِ في النَّار، فأصبح الرَّعِيلُ الأولُ يراها رأيَ العين.

ومن حديثِ القرآن الكريم عن النَّارِ بيانه لكلِّ من :

- طعام أهل النَّار وشرابهم.

- لباس أهل النَّار.

(١) الوسيطية في القرآن الكريم، علي محمد الصَّلابي، مكتبة اقرأ، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٤٠٢.

- صُور عذاب أهل النَّار .
- تفاوت عذاب أهل النَّار حسب أعمالهم .
- حشرهم على وجوههم ، ولَفَح النَّارَ لهم ، وتسويد وجوههم .
- إحاطة النَّار بالكفَّار .
- اطلاع النَّار على الأفتدة .
- قيود أهل النَّار ، وأغلالهم ، وسلاسلهم .
- قَرَنَ معبوداتهم وشياطينهم معهم في النَّار .
- حسرتهم ، وندمهم ، ودعائهم على أنفسهم بالموت .
- كما أَنَّ التَّربيةَ النبويَّةَ اهتمَّت بمفهوم القضاء والقدر ، وأثره على الصَّحابة ، وتعريف الصَّحابة بحقيقة الإنسان من خلال قصَّة آدم عليه السلام في القرآن الكريم ، وتكريم الله لآدم وذريته عموماً ، ومِن صور تكريمه :
- اختصَّ الله الإنسان بأن خَلَقه بيديه .
- الصَّورة الحسنه ، والقامة المعتدلة .
- منحه العقل والنطق والتَّمييز .
- تكريم الله الإنسان بتفضيله على كثيرٍ من خَلقه .
- تكريم الله للإنسان بإرسال الرُّسل إليه .
- حَفَظَ الله للإنسان ورعايته .

٣- تزكية الأرواح بأنواع العبادات :

إنَّ ممَّا يساعد الإنسان على صفاء الرُّوح وتزكية النَّفس ، والابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؛ معرفة الهدى النبويِّ في تربية الأرواح ، فقد



رَبِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أصحابه على تركية أرواحهم، وأرشدَهم إلى الطَّرِيق التي تساعدُهم على تحقيق ذلك المطلوب، من خلال القرآن الكريم، ومن أهمَّها:

- التدبُّر في كون الله ومخلوقاته، وتفهُّم معاني ومقاصد كتاب الله تعالى، حتَّى يشعروا بعظمة الخالق وحِكْمته سبحانه وتعالى.

- التأمل في علم الله الشَّامل، وإحاطته الكاملة بكلِّ ما في الكون، بل بما في عالم الغيب والشَّهادة؛ لأنَّ ذلك يملأ الرُّوح والقلب بعظمة الله، ويطهِّر النفس من الشُّكوك والأمراض، قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٠].

- عبادة الله عزَّ وجلَّ، وهي من أعظم الوسائل لتربية الرُّوح وأجلَّها قدراً؛ إذ العبادة غايةُ التَّذلُّل لله سبحانه، ولا يستحقُّها إلا الله وحده؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وإنَّ العبادات التي تسمو بالرُّوح، وتطهِّر النفس نوعان:

النَّوع الأول: العبادات المفروضة؛ كالطَّهارة، والصلاة، والصيام، والزَّكاة، والحج، وغيرها.

النَّوع الثاني: العبادات بالمعنى الواسع؛ الذي يُشكِّل كلَّ عملٍ يعملُّه الإنسان، أو يتركه، بل كلَّ شعور يُقبلُ عليه الإنسان تقرباً به إلى الله تعالى، ما دامت نيَّة المتعبِّد بهذا العمل هي إرضاء الله سبحانه وتعالى، فكلَّ الأمور مع نيَّة التَّقَرُّب إلى الله تعالى عبادة يُثاب عليها صاحبها، وتُرَبِّي رُوْحَه تربيةً حسنة^(١)، وهذا

(١) قصَّة الدَّعوة، عبد الحليم محمود، ١/ ٤٧١-٤٧٢.

المعنى الواسع للعبادة في الإسلام هو ما قامت عليه فكرة كتاب (العبادة في الإسلام) للشيخ يوسف القرضاوي .

إنَّ تزكية الروح بالصلاة، وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم في الإسلام، فإنَّ النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها، وتتصل بخالقها، فلن تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، وستتورط في الفواحش والذنوب والكبائر .

إنَّ العبادة والمداومة عليها، تُعطي الروح وقوداً وزاداً ودافعاً إلى القيام بما تُؤمر به، ويدلُّ على هذا أمر الله الرسول ﷺ في ثالث سورة نزلت عليه، بالصَّلاة والذكر، وترتيل القرآن، قال تعالى: ﴿يَتْلُهَا الْمُزْمِلُ ۝١ قُلِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نَصَفَهُ ۝٣ أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٤ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٥ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٦ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٧ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٨ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٨] .

إنَّ الاستعداد للأمر الثقيل، والتكاليف الشاقة يكون بقيام الليل والمداومة على الذكر والتلاوة، وقد حرص رسول الله ﷺ بتوجيه من ربه عز وجل على تربية الصحابة من أول إسلامهم على تطهير أرواحهم، وتركيتها بالعبادة^(١) .

أ - أهمية الصلاة: حضَّ القرآن المكيُّ على إقامة الصلاة، وأثنى على الذين يخشعون في صلاتهم، والذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجل إحياء ليلهم بذكر الله، وعلى الذين يدعون الله، ويسبحونه ويذكرونه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٤] .

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة، ص ٦٩ .



وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ السُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠].

وهذه الآيات الأخيرة تدلُّ على أنَّ العُدَّة في حال الضيق والشدة، هي الإكثار من الصلاة، والذكر، وتلاوة القرآن، والالتجاء إلى الله سبحانه وحده، والإكثار من الدعاء^(١).

إنَّ الصلاة تأتي في مقدِّمة العبادات التي لها أثرٌ عظيمٌ في تزكية روح المسلم، ولعلَّ من أبرز آثارها على الإنسان المسلم:

- الاستجابة لأمر الله، وإظهار العبودية له سبحانه: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

ولا تتحقَّق معاني العبودية الصادقة لله سبحانه وتعالى إلا إذا اقترنت بصدق التوجُّه إليه، والإخلاص له سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

كما أنَّ لكلَّ عملٍ من أعمال الصلاة عبودية خاصة، وتأثيراً في النفس، وتزكيةً للروح، فقراءة سورة الفاتحة مع تدبُّرٍ تُشعرهم بعبوديتهم لله تعالى، فعندما يتلو العبد قولَ الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ يحمده على ما وفَّقه إليه من الطاعة، وما أنعم عليه من النعم، ويشني عليه بصفاته وأسمائه الحسنی^(٢). وكذلك عندما يتلو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(١) السيرة النبوية، الصلابي، ١/ ١٦١.

(٢) منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس كرزون، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤١٥هـ، ١/ ١٢١.

نَسْتَعِينُ ﴿ [الفاتحة: ٥] ؛ يقرُّ بالتَّوْحِيدِ والاستعانة به وحده، فالله هو المعبودُ، وهو المُستعان، وكلُّ استعانة بغير الله خذلانٌ وذُلٌّ.

وعندما يقول: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] ؛ فإنه يقرُّ أنه مفتقر إلى الهداية والثبات على الطَّرِيقِ الحقِّ، وأنه مُحتاجٌ إلى ثمار الهداية، والاستزادة منها، والبُعد عن سبيل المغضوبِ عليهم والضالِّين^(١). وعندما ينحني للركوع، يكبر ربَّه معظماً له، ناطقاً بتسبيحه، فيجتمع في هذا الركن خضوعُ الجوارح، وخضوعُ القلب، ثم يأتي السُّجود، فيجعل العبدُ أشرفَ أعضائه وأعزَّها متذللاً لله سبحانه، ويتبع هذا انكسارُ القلب، وتواضعه، فيسجد القلب لربِّه كما سجد الجسد^(٢).

وحرِّيٌّ في هذه الحال أن يكونَ أقربَ ما يكون من ربِّه، وكلَّما ازداد تواضعاً وخشوعاً لربِّه في سجوده ازداد منه قرباً، كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ﴾ [العلق: ١٩]. وفي الحديث النبوي الشريف: «أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأكثرُوا الدُّعاء»^(٣).

وعندما يعتدلُّ جالساً، يتمثَّلُ جاثياً بين يدي ربِّه، مُلقياً بنفسه بين يديه، معتذراً إليه ممَّا جنَّاه، راغباً إليه أن يغفرَ له، ويرحمه، وهكذا تتجلَّى في كلِّ أفعال الصَّلَاة العبوديَّة لله سبحانه، وإقبال العبد على ربِّه، وتوحيده، وتقوية الإيمان به، الذي هو أساسُ التَّزْكِيَةِ، وهذه أعظمُ ثمرة من ثمرات الصَّلَاة، وهي تنيرُ للعبد طريق حياته، وتمنحه طهارة القلب، وطمأنينة النَّفْسِ^(٤).

(١) الموازنة بين ذوق السَّماع وذوق الصَّلَاة والسَّماع، ابن قيِّم الجوزية، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٥ إلى ٤٠.

(٢) الخشوع في الصَّلَاة، ابن رجب الحنبلي، دار الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٢٠-٢١.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢.

(٤) منهج الإسلام في تزكية النفس، ١/ ٢٢٢.



- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: قال تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ إِنَّ المسلمين يؤدُّون صلاتهم، لكي تستريح بها نفوسهم، وتمدِّهم بقوة دافعة لفعل الخيرات، والابتعاد عن المنكرات، وتغرس في نفوسهم مراقبة الله عزَّ وجلَّ ورعاية حدوده، والتَّغْلُبُ على نوازع الهوى، ومجاهدة النَّفس، فكانت لهم سبيلاً منيعاً حماهم من الوقوع في المعاصي^(١).

ويعتقد المسلم أَنَّ الصلاة تُكفِّر السيئات، وترفع الدَّرَجَات، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي أَلْتَهَارِ ۖ زُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۖ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]. وغير ذلك من الآثار التربويَّة، والنفسية الطيبة التي تتصافر، فيغنمها العبدُ المصلِّي فتؤدِّي الصلاة دورها في تزكية النفس وطهارتها، ويتحقق قول رسول الله ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ»^(٢).

فهي تضيء لصاحبها طريق الهداية، وتحجزه عن المعاصي، وتهديه إلى العمل الصَّالح، وهي نورٌ في قلبه بما يجد من حلاوة الإيمان، ولذَّة المناجاة لربه، وهي نورٌ ظاهر على وجه المقيم لها في الدُّنيا، وتتجلَّى بها وضاعة الوجه وبهاؤه بخلاف تارك الصَّلَاة^(٣)، وهي نورٌ له يوم القيامة^(٤).

ب - الصوم: امتدح الله سبحانه شهرَ رمضان، واختصَّه من بين سائر الشهور؛ لِإِنزال القرآن العظيم، فقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، المصدر السابق، ١/ ٢٢٧.

(٢) مسلم، رقم ٢٢٣.

(٣) منهج الإسلام في تزكية النفس، ١/ ٢٢٣.

(٤) شرح النَّووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٠٠.

وقد وضّحت الآية الكريمة الثمرة العظمى التي يحظى بها الصائمون المخلصون، ألا وهي بلوغ درجة التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فالصيام بالنسبة للأمة الإسلامية مدرسة فريدة، ودورة تدريبية على طهارة النفوس، لكي تنخلع من آفاتنا، وتتحلّى بالفضائل، وترتقي في مدارج التقوى والصّلاح^(١).

ولأهمية الصيام في تربية المجتمع المسلم فقد رغب النبي ﷺ في أيام للصيام، وحثّ على صيامها، ورغب في الأجر والمثوبة من الله تعالى، وبذلك أصبحت مدرسة الصيام مفتوحة أبوابها طيلة السنة؛ لكي يبادر المسلم إليها كلما أحسّ بقسوة في قلبه، وحاجة لترويض نفسه، ورغبة في المزيد من الأجر والفضل عند الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله؛ باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»^(٢).

إنّ الصيام مدرسة من المدارس الربانية في زكاة النفوس وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، والأخلاق الرذيلة؛ ولذلك قال (جلّ وعلا): ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ لأنّ الصّوم فيه تزكية للإنسان، وتضييق لمسالك الشيطان، فيضعف نفوذه، ومن ثمّ يترك ما تهوى نفسه، ويبتعد عن المعاصي والذنوب، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصيام فإنّه له وجاء»^(٣).

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، ١/ ٢٥١-٢٥٢.

(٢) البخاري، رقم ٢٨٤٠.

(٣) البخاري، رقم ٥٠٦٢.



والوجاء يكسر الشهوة ويضعفها، فهذا توجيهٌ نبويٌّ لعلاج من عجز عن الزواج بالصيام، لما فيه من تخفيفٍ لغلواء الشهوة، وكسر لحدة الغريزة، وقمع النفس، وكبح لجماحها، حتى لا تأمر بالسوء. والصومُ طريقٌ للذة الطاعة، وحلاوة العبادة، والأنس بالله عزَّ وجلَّ، ومحبة، والشوق إليه، فمن ابتلي بالوقوع في الفواحش فيلتزم الصوم، فإنه دواءٌ هذا الداء، بل هو دواءٌ من جميع المعاصي والذنوب^(١).

ج - الإكثار من ذكر الله والدُّعاء: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بيَّن لأُمَّته حاجة القلب إلى غذائه، من ذكر ودعاء وتلاوة قرآن، ليكون ذلك تحصيناً له من الأمراض والآفات، وبيَّن لهم ما يُستحبُّ للمسلم من الأدعية والأذكار في الصُّباح والمساء، وعند دخول المنزل، أو الخروج منه، وعند دخول السوق، أو الأكل، أو اللبس، وغير ذلك من الأعمال اليومية؛ حتى يبقى في وقايةٍ دائمةٍ من كلِّ مرض، فإذا أصيب بمرض عارض، كالقلق، والكآبة، والاضطراب العصبي، أو غيرها، كانت تلك الأذكار والدَّعوات البلسم الشافي، الذي تطمئن به القلوب، وتحيا به النفوس، ومن بين تلك الأذكار والدَّعوات المأثورة التي علَّمها رسولُ الله ﷺ لأصحابه، دعاء الشَّدة والكرب، الذي يقول فيه: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السَّموات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم^(٢).

إِنَّ رسولَ الله ﷺ علَّم أصحابه كيف يلجؤون إلى الله سبحانه وقت الضيق، ليجدوا المأمن والسَّكينة، فلا يفزعوا، ولا يقلقوا، وهم موقنون بأنَّ الله معهم، وأنَّه ناصرهم ومتولِّي أمرهم، ومؤيِّدهم، وأنَّه يجيبُ دعاء المضطَّرين^(٣).

(١) قصَّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٩٥.

(٢) البخاري، رقم ٦٣٤٥.

(٣) منهج الإسلام في تزكية النفس، ١/ ٣٣١.

قال تعالى: ﴿أَمِنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُوكَ﴾ [النمل: ٦٢].

إنَّ الذكر والدُّعاء، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، والنوافل بأنواعها؛ لها أثرٌ عظيمٌ في تزكية النفس، وسموِّ الرُّوح، والابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٤ - التربية على مكارم الأخلاق:

إنَّ التربية على مكارم الأخلاق من أهداف رسالة الإسلام التي قام بها رسولُ الله ﷺ مع أصحابه، فالأخلاقُ الرفيعةُ جزءٌ من العقيدة، فالعقيدةُ الصَّحيحةُ لا تكون بغير خلق، وقد ربَّى رسولُ الله ﷺ صحابته على مكارم الأخلاق، بأساليب متنوعة، والمتدبِّر للقرآن الكريم يجده مليئاً بالحثِّ على مكارم الأخلاق، وعلى تنقية الرُّوح، وتصفيته من كلِّ ما يعوق سيرها إلى الله تعالى. ورسولُ الهدى ﷺ القدوةُ الكاملة، والمربيُّ النَّاصحُ للأمة، كان على خُلُقٍ عظيمٍ^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ ومعنى الآية واضح، أي: ما كان يأمر به هو من أمر الله، وما ينهى عنه هو من نهى الله، والمعنى: إنَّكَ لَعَلَى الخُلُقِ الذي آثرك الله به في القرآن^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلت عن خُلُقِ رسولِ الله ﷺ قالت: «إنَّ خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآن»^(٣).

وقد جمع الله تعالى لنبينا مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]؛ قال مجاهد في معنى الآية:

(١) أهمية الجهاد في نشر الدَّعوة، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) تهذيب مدارج السَّالِكين، ٦٥٣/٢.

(٣) مسلم، رقم ٧٤٦.

«يعني: خُذِ العفو من أخلاق النَّاسِ، وأعمالهم من غير تخصيص، مثل قبول الأعدار، والعفو، والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث، والتفتيش عن حقائق بواطنهم»^(١).

وكان النبيُّ يربِّي أصحابه على حُسْنِ الخُلُقِ، ويحثُّهم عليه، فعن النبيِّ ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ الله ليبغضُ الفاحشَ البذيء»^(٢).

إنَّ المنظومة الأخلاقية المتداخلة مع العقيدة والعبادات ارتقت بالإنسان المسلم إلى مستويات متقدِّمة في الطَّاعة، وأبعدته عن المعاصي والدُّنوب والفواحش، ولقد ترك لنا رسولُ الله ﷺ منهجاً متكاملًا في كيفية الاقتداء به في الأخلاق، استمدَّه من القرآن الكريم، وبيَّته للناس، وغرسه في نفوس أصحابه، فربط الأخلاق بالعقيدة والعبادة ربطاً قوياً متماسكاً.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١].

إنَّ الأخلاق في التربية النبوية شيء شامل، يعمُّ كلَّ تصرُّفات الإنسان، وكلَّ أحاسيسه، ومشاعره، وتفكيره، فالصَّلاة لها أخلاق، هي الخشوع، والكلام له أخلاق هي الإعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق هي الالتزام بحدود الله وحرماته، وهكذا.

(١) تهذيب مدارج السَّالِكين، ٢/ ٦٥٥.

(٢) سنن أبي داود، رقم ٤٧٩٩.

هذا أمر، والأمر الآخر - وهو الأهم - أنَّ الأخلاق في المفهوم القرآني هي لله، وليست للبشر، ولا لأحدٍ غير الله، فالصدق لله، والوفاء لله، واتقاء المحرّمات لله، والانتصار من الظلم لله، وإتقان العمل لله، كلّها عبادة لله تُقدّم لله وحده خشية لله، وتطلّعاً إلى رضاه، إنها ليست صفة بشرية للكسب والخسارة، إنّما هي صفة تُعقد مع الله^(١).

ومن أهمّ الأخلاق والقيم في وقاية وعلاج فاحشة قوم لوط :

أ - الصبر : فالصبرُ خصلةٌ محمودة، وسجيّةٌ مرغوبة، وخلقٌ فريد، عواقبه جميلة، وآثاره حميدة، وفؤاده جمّة، وعوائده كريمة، وهو علاجٌ ودواءٌ نافع، فعلى من ابتلي بهذا الأمر أن يتدرّع بالصبر ويتدرّع به، وأن يتكلّفه ويوطّن نفسه عليه، ويتجرّع مرارته، ليدوق حلاوته، ومن ثمّ يصبح سجيّة له^(٢).

يقول ابن القيم (رحمه الله): «والصبر عن الشّهوة أسهلّ من الصبر على ما توجبه الشّهوة، إنها إما أن توجب ألمّاً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضییع وقتاً وإضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضاً وتوفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب ما في بقائه خير من ذهابه للعبد، وإما أن تضع قدرّاً وجاهاً قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألدّ وأطيب من قضاء الشّهوة، وإما أن تطرق لوضع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب همّاً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشّهوة، وإما أن تنسى علماً ذكره ألدّ من تلك الشّهوة، وإما تشمّت عدوّاً وتحزن وليّاً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق»^(٣).

(١) دراسات قرآنية، محمد قطب، ص ١٣٩.

(٢) قصّة سيدنا لوط، ص ١٩٣.

(٣) الفوائد، ابن القيم، ص ٢٠٤.

ب - الإخلاص : هو إكسير الأعمال ، ما وُضِعَ في قليل إلا كثره ، ولا في ضعيف إلا قوّاه ، ولا يقبلُ الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] .

ويكفي الإخلاص رفعةً ومكانةً قولُ إبليس اللعين : ﴿ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢-٨٣ : ص] .

وما أحسنَ ما قاله ابن القيم (رحمه الله) : « وليس له دواء - عشق الصور وفعل اللواط - أنفع من الإخلاص لله ، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فأخبر سبحانه أنه صرفَ عنه السُّوءَ من العشق والفحشاء بإخلاصه ، فإنَّ القلبَ إذا أُخْلِصَ وأخْلَصَ عمله لله ، لم يتمكَّن منه عشق الصُّور ، فإنه يتمكَّن من قلب فارغ» ^(١) .

ج - التوبة النصوح : لابدَّ من الإقلاع عن المعصية في الحال ، والنَّدَمَ على فعلها ، والعزم على أن لا يعودَ إليها ، حتى تكون التوبة مقبولة ، والواجبُ على من ابتلي بهذه القاذورات أن يعقدَ العزم ، ويصحَّحَ النية ، ويستعين بالله ، ويبادر بالتوبة النصوح من جميع الذُّنوب ، بلا تردُّد في الرجوع ، وأن يخلِّصها من الشوائب التي تقدحُ في صحَّتها ، وأن يحذرَ من التسويف فإنَّه من أعظم أسلحة إبليس اللعين ، فالبدارَ البدارَ ، فعجل بالرجوع ، وبادر بالتوبة ، واحذر أن يسوَّلَ لك الشيطان بأن تتأخَّرَ بالتوبة ، فيختم عليك بخاتمة سيئة ، وعاقبة لا تُحمد ، فتُبْعَثَ على ما مِتَّ عليه من فِعْلِكَ القبيح ، فأين المفرُّ والملتجأ؟ وأين المهربُ والمنجى؟ فهذه هي الشقاوة والتعاسة ، وذلك هو الخسران المبين ، فشمر عن ساعد الجدِّ ، وفرَّ إلى ربِّك الرُّؤوف الرَّحيم الذي يفرحُ بتوبتك وإنابتك ، والذي

(١) الجواب الكافي ، ص ٣١٣ .

هو أرافُ بعبدته من الأمّ بولدها، فما زلتُ والله الحمد في فسحةٍ من أمرِك، فالحقُّ بقوافلِ التائبين، واركبْ سفينةَ النّاجين، فالله غفورٌ رحيم، يغفر الذنب، ويقبلُ التوبة، ويستر العيب، فبشراك أيّها التائب بالمغفرة والرحمة^(١).

واعلم أنّ من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه، فإنّك إذا صدقت في توبتك، وأنبت إلى ربك، وتركت ما تهواه رغبة في رضاه، وخشية من سخطه وأليم عقابه فإنه سيقبلك ولن يخذلك، واعلم أنّ العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية^(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٤]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ [التحریم: ٨].

وقال النبيّ الكريم ﷺ: «إنّ الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتّى تطلع الشمس من مغربها»^(٣).

وقال ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغْرِغْ»^(٤). وجاء في قصّة الغامديّة التي تابت، وأقيم عليها الحدّ، وصلى عليها رسولُ الله ﷺ، فقال له عمر: «تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟» فقال: «لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدتُ توبةً أفضل من أن جادتُ بنفسها لله تعالى؟»^(٥).

إنّ من شروط التوبة الإقلاع عن الذنب، والندم، والعزم على الاستقامة،

(١) قصّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٩١.

(٢) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ١٠٨.

(٣) مسلم، رقم ٢٧٥٩.

(٤) سنن الترمذي، رقم ٣٥٣٧.

(٥) مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ٥٣/٢.



وردّ المظالم إلى أهلها، وإظهار الاستقامة، والتمسك بالإصلاح الباطني والخارجي.

وإنّ من أهمّ وسائل التوبة النصوح؛ هجر أصدقاء السوء، ومكان المعصية، ومجاهدة الشيطان، ومحاسبة النفس، واستدامة النّدم، والإكثار من الاستغفار، وممارسة الأعمال الصّالحة، سواء كانت فرضاً أو نافلة، والرجاء، وحسن الظنّ بالله.

٥- الزّواج:

هو من أنفع الأدوية، وقد علّم شرعاً وعقلاً وعرفاً، أن الله عزّ وجلّ ركّب في الإنسان الغريزة الجنسيّة، وأنه لا بدّ من إشباعها، والزّواج هو الطّريق الوحيد الصّحيح لإشباعها، إلا ما كان من ملك اليمين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(١) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ^(٢) [المؤمنون: ٥-٦].

فالزّواج يتماشي مع فطرة الإنسان وميوله وأشواقه وغرائزه، قال ﷺ: «لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأنزّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»^(١)، فبالزّواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي، ويأمن الأفراد من التفسّخ الاجتماعي، ويسلم الإنسان من الأمراض الفتاكة التي تنتشر نتيجة للشذوذ الجنسي؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»^(٢).

(١) البخاري، رقم ١٤٠.

(٢) البخاري، رقم ٥٠٦٦.

وقال ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقَه فزوّجوه، إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»^(١).

وبالزّواج يتحقّق للشباب والشّابات الحبّ الحقيقي الذي ينشدونه، ويبذلون في سبيله كلّ غالٍ ورخيصٍ، قال ابنُ القيم (رحمه الله): «وأما محبة الزّوجات: فلا لوم على المحبّ فيها، بل هي من كماله، وقد امتنّ الله سبحانه بها على عباده فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، فجعل المرأة سكناً للرجل، وجعل بينهما خالص الحبّ»^(٢).

إنّ الزّواج أفضل الوسائل لاستئصال مرض الشّهوة، بل هو السبيل الحلال لتصريف هذه الشحنة العارمة منها^(٣).

إنّ تيسير النّكاح للشباب والفتيان يسهم في صيانتهم من الوقوع في هذه الرذيلة التي تمجّها الفطرة السليمة، وسيلاً من سُبُل وقاية المجتمع المسلم من مفسد هذه الفاحشة وأضرارها؛ التي تعصف بالمجتمعات والدول، وتأتي على الأخضر واليابس^(٤).

٦- غصّ البصر:

النظرُ سهمٌ مسموم من سهام إبليس، وكلُّ الحوادث مبدؤها من النظر، والإسلام حين أمر بغصّ البصر، يسعى إلى غاية عظيمة، هي إقامة مجتمع معافي نظيف، لا تُهاج فيه الشّهوات، ولا تُستثار فيه الغرائز، ومن أعظم السُّبل التي

(١) سنن الترمذي، رقم ١٠٨٤.

(٢) الجواب الكافي، ص ٣٤٩.

(٣) قصّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٩٤.

(٤) الزّواج المثلي، ص ١٠٣.



تقي من الشَّهوات : غَضُّ البصر ، يقول ابنُ القيم (رحمه الله) : فأما الطَّرِيقُ المانع من حصول هذا الدَّاء - يعني اللواط - فأمران : أحدهما غَضُّ البصر - كما تقدَّم - فإنَّ النظرة سَهْمٌ مسمومٌ من سهام إبليس ، ومَنْ أطلق لحظاته دامت حسراته ، وفي غَضِّ البصر عدة منافع :

- أنَّه امتثالٌ لأمر الله ، الذي هو غايةُ سعادة العبد في معاشه ومعاذه .

- أنَّه يمنع من وصول السَّهْم المسموم ، الذي لعلَّ فيه هلاكه إلى قلبه .

- أنَّه يورث القلبَ أنساً بالله ، وجمعه عليه ، فإنَّ إطلاق البصر يغرق القلب ، ويبعده من الله ، وليس على القلب شيء أضرَّ من إطلاق البصر ، فإنه يورث الوحشة بين العبد وربِّه .

- أنَّه يقوِّي القلب ويفرحه ، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه .

- أنَّه يلبسُ القلب نوراً ، كما أن إطلاق البصر يلبسه ظلمة .

- أنَّه يورث القلبَ فِراسةً صادقةً ، يميِّز بها بين الحقِّ والباطل ، والصَّادق والكاذب ، وكان شجاع الكرمانى يقول : «من عمَّر ظاهره باتباع السُّنة وباطنه بدوام المراقبة ، وغَضَّ بَصَره عن المحارم ، وكفَّ نفسه عن الشَّهوات ، واغتذى بالحلال ، لم تخطئ له فِراسة» . وكان شجاع هذا لا تخطئ له فِراسته ، والفِراسة الصَّادقة المصيبة إنما تُنال ببصيرة القلب ، وضدَّ هذا ما وصف الله به اللواطيين من العمَّة الذي هو ضدُّ البصيرة ، فقال تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] ؛ فوصفهم الله بالسَّكرة التي هي فسادُ العقل ، وعمَّة البصيرة ، وسكر القلب .

- أنَّه يورث القلب ثباتاً ، وشجاعة ، وقوَّة ، وفي الأثر : «الذي يخالفُ هواه يفرِّق الشَّيطان من ظله» .

- أنَّه يسدُّ على الشَّيطان مدخله إلى القلب ، فإنه يدخلُ مع النظرة ، وينفذ معها

إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء إلى المكان الخالي، فيجمل له صورة المنظور إليه ويزيئها، ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعده ويمنيه.

- أنه يفرغ القلب لتفكره في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

- بين العين والقلب منفذ وطريق، يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا صلح القلب صلح النظر، وإذا صلح النظر صلح القلب، وكذلك في جانب الفساد، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محلّ النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يتمكن من قلبه معرفة الله، وحبّه، والإنابة إليه، والأنس به، والسُرور بقربه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك^(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

٧- العناية بتربية الأبناء:

إنّ الواجب علينا السير على منهج الإسلام في تربية الأولاد، ومعالجة انحرافهم، وتقويم سلوكهم، وإصلاح نفوسهم بالعقيدة الصحيحة، والمبادئ الفاضلة، والمثل العليا.

إنّ من أهمّ ما ينبغي أن يُربى عليه الأبناء العقيدة الصحيحة، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصفات الكريمة، والأخلاق الفاضلة، كالنخوة، والشّهامه، والكرم، والحياء، والشّجاعة، كما ينبغي أن يحذروا من رذائل الأخلاق، كالميوعة، والانحلال، والجبن، والبخل،

(١) الجواب الكافي، ص ٢٦٤-٢٦٨.



والخسة، والدناءة، وذلك أن يبتعدوا عن أجهزة الفساد التي تنشر القبح، وتدعو إلى العُهر والفضائح، وتروّج للجنس، وتدعو إلى استثارة الغرائز، بالصُّور العارية، والأفلام المائعة، والقصص الغرامية^(١).

إنَّ الله عزَّ وجلَّ رَسَمَ لنا منهجاً في كتابه العزيز، في كَيْفِيَّةِ تَرْبِيَةِ الأبناء، فلا بُدَّ من الاستفادة من ذلك، ومن توجيهات النبي الكريم ﷺ، ومن أهم المعالم النيرة وصِيَّةُ لقمان لابنه في سورة لقمان، فترسيخ تلك الوصايا في نفوس الأبناء، وتربيتهم عليها من أهم الأهداف في الحفاظ على أبنائنا وأولادنا، ووقايتهم من النَّار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقال ﷺ: «كلُّكم راع، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(٢).

وقال النبي الكريم ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(٣).

قال المناوي (رحمه الله): «وفرّقوا بينهم في المضاجع، أي: فرّقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها، إذا بلغوا عشرًا حذرًا من غوائل الشهوة»^(٤).

وهذا يدخل في التدابير الشرعية، لحماية المجتمع المسلم من الرذيلة،

(١) قصّة سيدنا لوط عليه السلام، ص ١٨٢.

(٢) البخاري، رقم ٨٩٣.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ٩١.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ، ٥/٦٥٦.

والوقوع في الفاحشة، وهي تدابير وقائية عظيمة الشأن لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

إنَّ واجب الأسرة في حماية أبنائها من الدَّاخل، يزداد أهميةً وإلحاحاً في عصرنا؛ لأن الأسرة اليوم تتعرَّضُ لهجمات منظمة تهدفُ إلى تقويض بنيانها، وتغيير أشكالها، خاصة أنها باتت المؤسسة الوحيدة الصَّامدة في وجه العولمة، وما يُعينُ على القيام بهذه المهمة:

- التمسُّك بالشريعة الإسلامية، التي ارتضاها الله تعالى لنا، فوفقها ننظِّم حياتنا، ونربِّي أجيالنا، ونتبصَّر حقائق الحياة، ولنعلم بأننا من غير الإسلام لا نهوضَ لنا، ولا تقدِّماً، ولا شهوداً حضارياً.

- الاهتمام بالتربية الإسلامية داخل الأسرة، بما فيها التربية الجنسية، وذلك بتثقيف أفرادها، وتوعيتهم بحكم الشذوذ في الإسلام وعقوبته.

- التحذير من مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي للحضارة الغربية، التي تتميز أسرها بالتفكُّك، والتشتُّت، وغياب الروابط الدينية، والأخلاقية، والتربوية فيما بين أفرادها في مختلف وسائل الإعلام^(١).

٨- الدُّعاء:

إنَّ الدُّعاءَ من أقوى سُبُل الوقاية من كلِّ مكروه، وهو من أعظم ما يُستشفى به من جميع الأمراض، خاصة إذا كان الدَّاعي موقناً بالإجابة، جامعاً لشروط استجابة الدُّعاء، بعيداً عن موانعه، مُقبلاً بقلبه على ربِّه، مُلحاً في دعائه، فهو إذاً من أنفع الأدوية، ينفعُ مما وقع، ومما لم يقع، وهو عدوُّ الدَّاء والبلاء، يدافعُه

(١) الشذوذ الجنسي في الفكر العربي، د. نهى عدنان القاطرجي، دار الفكر العربي، ط١، ٢٠١٧م، ص٢٣.



ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «إن الدعاء سلاح المؤمن»^(١).

قال ابن القيم (رحمه الله): «وللدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء؛ فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء؛ فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»^(٢).

وقد روى الحاكم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة»^(٣).

إنَّ العبدَ المبتلى بالفواحش والمعاصي إذا أخلص في دعائه والتجأ إلى الله عزَّ وجلَّ، وطرق أبوابه، وتضرَّع بين يديه؛ أعانه الله من الخروج من المعاصي إلى الطاعات، ومن الظلمات إلى النور، فإن أزمّة الأمور من قبل ومن بعد بيدِ الله عزَّ وجلَّ.

٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ما أحوج الأمة إلى الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، على الوجه الشرعي المطلوب، وما أحوج أهل المعاصي والفسوق، والمتمرِّغين في أحوال

(١) المستدرک علی الصحیحین، الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ٣٩٢/١.

(٢) الجواب الكافي، ص ١٨.

(٣) الحاكم في المستدرک، كتاب الدعاء، ٤٩٢/١.

الفواحش والذنوب إلى من ينصحهم ويرشدهم، ويأمرهم وينهاهم، ويأطّرهم على الحق أطراً، ويقصّرهم على الحق قصراً، حتى تتحقق في الأمة الخيرية، ويرسخ الإيمان، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن ثمّ، فإن الواجب على الجميع حكماً ومحكومين، آباء وأمهات، مرشدين ومعلّمين، أن يحاربوا الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، والذين يتاجرون بالعُهر، والفجور، واللواط، والزنى، والسحاق، ويؤجّجون الغرائز، ويبيعون المثيرات الجنسيّة وغيرها^(١).

١٠ - سلطة الدولة :

عندما يتمكّن المجتمع المسلم من إقامة سلطةٍ سياسيّة تستند على مبادئ واضحة، وقواعد بيّنة، وأصول متينة، وتستمدّ القواعد والأصول من القرآن الكريم، ونظام الحكومة في عصر النبي ﷺ والزمن الرّاشديّ، حيث سيادة شريعة الله، والعدل بين الناس والمساواة، وظهور مسؤوليّة الحاكم والرعيّة، وتطبيق نظام الشورى، مع إقامة الحياة الإسلاميّة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وإقامة الحدود، وكلّ ذلك ترجمة عمليّة لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]؛ كما يقول الدكتور مصطفى السباعي (رحمه الله): «إنّ الآية الكريمة تصرّح بالنتائج التي تترتب على انتصار المؤمنين في هذا القتال المشروع، فهي ليست استعمار الشعوب، ولا أكل خيراتها، ولا انتهاك ثرواتها، ولا إذلال كرامتها، وإنما هي نتائج المصلحة الإنسانيّة ولفوائد المجتمعات، فهي :

(١) قصّة سيدنا لوط، ص ١٨٤.



- لنشر السموّ الروحيّ في العالم عن طريق العبادة: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.
- ولنشر العدالة الاجتماعيّة بين الشُّعوب عن طريق الزكاة: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾.
- ولتحقيق التعاون على خير المجتمع وكرامته: ﴿وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- وللتعاون على مكافحة الشرّ والجريمة والفساد: ﴿وَنَهَوُا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.
- تلك هي الأهداف المرسومة لسلطة الدولة ذات المرجعيّة الإسلاميّة.
- إنّ تنفيذ التشريعات التي وُضعت لحماية القيم الخُلقيّة، كشرائع الحدود والقصاص، التي تحمي الفرد والمجتمع من رذائل الفواحش، وانتهاك الأعراض بالزنى، واللّواط، والقذف، والسّحاق، والبغي على النفس، وإهدار العقل من واجب سلطات الدولة من خلال أجهزتها المتعدّدة. وعلى الدولة تفعيل كلٍّ من:

أ- المؤسّسات التعليميّة:

ومن أبرزها: المدارس، والمعاهد والإدارات القائمة عليها، فالواجب على هذه المؤسّسات عظيم، والدور المناط بهم جسيم؛ لأنها أكبر محاضن التربية والتوجيه والتعليم، فمما ينبغي أن تقوم به في سبيل الوقاية من هذه الظاهرة أو القضاء عليها أو الحدّ من انتشارها ما يأتي:

- إحياء العقيدة في نفوس الطلّاب، وإشاعة الإيمان داخل المدرسة.
- العناية باختيار المعلمين الأخيار الأكفاء، ديناً، وعلماً، ومروءةً، وصلاًحاً.

- نشر الوعي بخطر تلك الجريمة.

- العناية بالطلّاب، ومحاولة التعرّف على ما يدور في أذهانهم، إما عن

طريق صناديق الاقتراحات، أو عن طريق الاستبيانات، أو عن طريق الحوار الهادف بين الطلاب والمدرّسين، ليتسنى للمدرّسين معرفة ما يدور في أذهان الطلاب من مشكلات، ومن ثمّ معالجتها.

وينبغي على المعلمين أن يستشعروا المسؤولية الملقاة على عواتقهم لحماية طلابهم من الغزو المنظم لمجتمعاتنا بالفواحش، والمعاصي، والكبائر.

ب- المراكز الصيفية :

المراكز الصيفية لها دورٌ مشكورٌ في تربية الشباب، وحفظ أوقاتهم، وصقل مواهبهم، وحمايتهم من الانحراف، فعلى مؤسسات الدولة المعنية دعم هذه المراكز مادياً ومعنوياً، وتوفير العلماء والمربين للقيام بوظيفة التربية والتعليم، وغرس القيم النبيلة، والتحذير من الكبائر.

ج- المؤسسات الأمنية :

إنّ على المؤسسات الأمنية واجب قطع الطريق أمام المروجين للمعاصي والموبقات والدعاة إليها، بالقضاء على وسائلهم المختلفة، لنشرها في المجتمع، وإبطال عوامل انتشارها.

فإن للشاذين جنسياً في البلاد الإسلامية وغيرها أماكن وملتقيات - يلتقون فيها عادة - خفية للتنسيق لممارسة فاحشة اللواط أو السحاق فيها، وهذه الأماكن تختلف من بلد إلى آخر، ففي بعض البلدان يلتقون في المدارس والجامعات، وفي بعضها في الأسواق، وعلى ناصية بعض الشوارع، وفي أثناء الحفلات، وفي بلدان أخرى يلتقون في صالونات التدليك، والديسكوهات، والمقاهي.

ومن أجل وقاية المجتمع من مفاسد هذه الرذيلة، وغزو المنظمات المعادية الخارجية، والداعمة لها، لا بُدَّ من مراقبة هذه المؤسسات وأتباعهم، ووضع خطة أمنية مُحكمة لتفريق مجالس الشاذين ومواقعهم، وتقديمهم للمحاكم



لتطبيق شرع الله فيهم، والتصدي لهذه الآفات الماحقة للبركة، والجالبة لغضب الرب عز وجل.

ويوجد اليوم على الإنترنت آلاف المواقع الإباحية، وعدد كبير من القوائم الجنسية التي أصبحت أكثر تخصصاً، فهناك قوائم خاصة للشواذ من الجنسين، وهناك قوائم أخرى تصنف تحت دول محدّدة، ومما يندى له الجبين، ويحزن له القلب، أنّ هناك مواقع شاذّة بمسمّيات عربيّة، والأدهى من ذلك والأمر، الربط بين بعض القوائم الإباحية والإسلام، كموقع أطلق عليه (السّاحقات المسلمات) وهكذا^(١).

وإنّ من وسائل وقاية المجتمع المسلم من أضرار هذه الفاحشة: ضبط خدمة الإنترنت، وحجب المواقع المحظورة التي تبثّ الشذوذ الجنسي، والإباحية، والأفكار الهدّامة، وقيام الجهات المختصة بتتبع هذه المواقع والصّفحات والمجموعات، والتعرّف على أصحابها والمؤسّسات الدّاعمة لها، والتصدي لعملهم الإجرامي في تدمير المجتمع^(٢).

د- تفعيل دور شرطة الآداب:

إنّ كثيراً من أصحاب النفوس الضعيفة لا ينفعهم وعظ ولا إرشاد، ولا يؤثّر فيهم نصح ولا توجيه، بل يحتاجون إلى التخويف والضرب والجلد، وهذه هي الحكمة الشرعيّة من حدّ الحدود، فإنّ الله عز وجل يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن؛ ولذلك فإن لرجال الشرطة دوراً هاماً في محاربة الفساد، ومراقبة أهل الزّيف والفسوق والعناد، ولكن قبل كلّ شيء، ينبغي أن يقوم على هذا الجهاز الحساس من يُعرف بالفضل والديانة، والمروءة والأمانة، حتى يقوم بهذه

(١) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ١٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.

المسؤولية خير قيام . ومن الأمور التي ينبغي أن يقوم بها رجال الشرطة في هذا الصدد - زيادة على ما يقومون به - ما يأتي :

- استشعار خطر هذه الجريمة على الأمن، فانتشار الفواحش وانتهاك الأعراض من أعظم أسباب الفوضى، وفقدان الأمن .

- مراقبة التجمّعات المشبوهة، والحزم مع المجرمين .

- بذل الجهد في القضاء على الوسائل المعينة على هذه الجريمة، كالمخدّرات والمسكرات ونحوها .

فإذا قامت الشرطة بواجبها، وتمّ القبض على المجرمين الواقعين في هذه الفواحش، جاء بعدها دور المحاكم^(١) .

هـ- المؤسسة القضائية :

إنّ للقضاء دوراً كبيراً في القضاء على هذه الجريمة النكراء، وقطع دابرها، وذلك بإصدار الأحكام الصارمة، وإنزال العقوبات الرّادعة، وإقامة حُكم الله على مرتكبي هذه الجريمة؛ تأديباً لهم وردعاً لغيرهم، فالحزم مع المجرمين - زيادة على كونه تأديباً لهم وردعاً لغيرهم - حماية للمجتمع من الفواحش، ورحمة لمن وقعوا ضحية للمجرمين، بل هو رحمة للمجرمين أنفسهم من الفواحش، فبسبب ذلك يكفّون عن جرمهم، ويرجعون عن غيهم . وأما التّساهل والتّراخي وقلة الحزم، فإنه سيجرئ السّفهاء والمجرمين، ولن يوقفهم عند حدّ معيّن، وقد يقود بعض النّاس إلى أن يأخذ حقّه بيده، فربّما قتل الجاني عليه، أو على ابنه أو قريبه، وربّما فعل بالجاني ما لا تُحمد عُقباه^(٢) .

(١) قصّة سيدنا لوط، ص ١٨٥ .

(٢) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ٩٥ .



إنَّ تطبيقَ الأحكامِ القضائيَّةِ الشرَّعيَّةِ على السَّاذِّينَ، يحمي المجتمعَ من آفاتِهِم وفواحشِهِم، فمن المصالحِ المرتَّبةِ على تطبيقِ العقوبات، حلولُ الأمنِ والأمانِ والطمأنينةِ والاستقرارِ في المجتمع، وفي عدمِ إقامتها أو التَّهاونِ بها، انتشارِ الجرائمِ والفواحشِ بين أفرادِ المجتمع، وواقعِ العالمِ المعاصرِ يشهدُ على ذلك^(١).

- قال ابنُ تيمية (رحمه الله تعالى): «إنَّ العقوباتَ الشرَّعيَّةَ كُلَّها أدويةٌ نافعةٌ يصلحُ الله بها مرضَ القلوب، وهي من رحمةِ الله بعباده ورأفتهِ بهم الدَّاخِلَةُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فمن تركَ هذه الرحمةَ النَّافعةَ لرأفةٍ يجدها بالمريضِ فهو الذي أعانَ على عذابه وهلاكه»^(٢). وقال الشيخُ أبو زهرة (رحمه الله): «الغايةُ من العقابِ في الفقه الإسلامي، أمران: - أحدهما: حمايةُ الفضيلةِ، وحمايةُ المجتمعِ من أن تتحكَّم به الرذيلةُ.

- الثاني: المنفعةُ العامَّةُ أو المصلحة»^(٣).

ففي التزامِ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ بتطبيقِ عقوبةِ اللُّواطِ والسَّحاقِ في الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، ضمانٌ لحمايةِ المجتمعِ من أضرارِ ومفاسدِ هذه الرذيلةِ^(٤).

و- وسائل الإعلام:

إنَّ الإعلامَ له دورٌ كبيرٌ ومحوريٌّ في توجيهِ النَّاسِ، والتأثيرِ فيهم، فإذا ما وُضِعَ في أيِّدِ أُمينة، وحكَّمتَه سياسةٌ بناءةٌ هادفةٌ، كان له أطيُّبُ الأثرِ في صلاحِ المجتمعاتِ، وحمايتها من عواملِ الفسادِ والانحرافِ، فمما ينبغي على وسائلِ الإعلامِ أن تقومَ بدورها في حمايةِ المجتمعاتِ من الانحرافِ والفسادِ، وذلك لتبنيِ رؤيةٍ استراتيجيَّةٍ، حضاريَّةٍ، ثقافيَّةٍ تتصدَّى للوسائلِ الإعلامِيةِ المضادَّةِ،

(١) المقاصد الشرعيَّة للعقوبات في الإسلام، د. راوية أحمد، ص ٦٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٩٠/١٥.

(٣) العقوبة، ص ٢٧.

(٤) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ١٠٦.

وتنشر لواء الفضيلة، وتعاليم القرآن الكريم، والنماذج الطاهرة بين الناس بكل وسائل الإعلام الممكنة، ونشر الوعي الصحي بخطر الفواحش، والعناية بمشكلات المجتمعات، والبحث في سبيل علاجها^(١).

وعلى الدولة أن تسعى لتحجيم ومنع والتصدي للقنوات الفضائية ووسائل الإعلام التي تنشر الشذوذ الجنسي والإباحية بين الناس، ويتطلب من سلطة الدولة أن تضع خطة حكومية محكمة لتحقيق تلك المقاصد، التي من معالمها:

- تشجيع قيام وسائل إعلام هادفة وجاذبة كبداية للبث التلفزيوني الفضائي المباشر، والحد من القنوات غير الأخلاقية.

- إنشاء وحدة مكافحة جرائم المعلوماتية بالأمن العام؛ لاستقبال بلاغات وشكاوى المتضررين من جرائم المعلوماتية وضبطها، بما فيها الجرائم غير الأخلاقية.

- وضع آلية إلكترونية وهاتفية لتلقي البلاغات المتعلقة بالمحتوى والمواد غير الأخلاقية في وسائل الإعلام، والألعاب الإلكترونية، ووسائل التخزين، مع التعامل معها بشكل فوري من خلال التنسيق والتعاون بين الجهات ذات العلاقة.

- تزويد وزارة الثقافة والإعلام، وهيئة الاتصالات، وتقنية المعلومات بأرقام الاتصال بالقنوات الفضائية الإباحية غير الأخلاقية، من خلال آلية فنية وسريعة لحجبها، ومنع الاتصال بها من داخل البلاد، بالإضافة إلى دراسة لتطوير آليات وبرامج حاسوبية تسهم في التعرف على أرقام الهواتف المعلنه على تلك القنوات آلياً لتسهيل رصدها^(٢).

وعموماً، هناك دول إسلامية وضعت خططاً مفصلة لحماية مجتمعاتها من

(١) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ١٠٤.

(٢) الزواج المثلي في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ١١١.



الشذوذ الجنسي يمكن الاستفادة منها، كالتى قامت بها المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز (رحمه الله)، فقد ورد في الخطة الحكومية للمملكة في مكافحة الإباحية تسع وعشرون خطوة لتقنين المحتوى الأخلاقي لتقنية المعلومات في المملكة العربية السعودية، ومكافحة الإباحية على شبكة الإنترنت، والقنوات الفضائية، خلص إليها فريق عمل حكومي، دعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله (رحمه الله) لتشكيله، ويضم في عضويته (١٦) جهة حكومية، ووافق مجلس الشورى السعودي عليها^(١)، وهي خطة متقدمة يمكن الاستفادة منها للدول الإسلامية، والدول التي تقف موقفاً مناهضاً للشذوذ الجنسي.

إنَّ سلطان الدولة يمكن أن يقوم بعمل عظيم من خلال توجيه مؤسسات الدولة، ونشر وعي شعبي أصيل، وإعداد إنسان يعتز بهويته، وحضارته، وثقافته، وأعرافه، وقيمه، ودينه، ويكون ذلك من خلال:

- تكثيف حلق القرآن في المجتمع، ونشر تعاليمه.

- العناية بالشباب.

- الاهتمام بالدور الإصلاحي والتربوي في السجون.

- تقوية الإدارة العامة لمكافحة المخدرات.

- رعاية المطلقات وزوجات المساجين.

- الأخذ بأيدي المساجين بعد الإفراج عنهم.

- إنشاء مراكز صحية ومستشفيات لمعالجة هذه الأمراض.

- دور أئمة المساجد والخطباء في التوعية.

- نشر المكتبات الثقافية النافعة في المدن والأرياف.

(١) الزواج المثلي، المصدر السابق، ص ١١١.

- الارتقاء بالمستوى الثقافي، والحضاري، والديني للأندية الرياضية.

- الاهتمام بدور الرعاية الاجتماعية... إلخ^(١).

- ١١ - تكاثف الدول الإسلامية مع الشعوب والدول :

على الدول الإسلامية أن تشكّل جبهةً مناهضةً مع الشعوب والدول الرافضة لطمس الفطرة الإنسانية والقوانين المشرعة للشذوذ الجنسي، وعدم التوقيع على القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة التي تنصّ على شرعنة الشذوذ الجنسي، أو إلغاء تجريم المثلية، لمناقضتها الصريحة لتعاليم الشريعة الإسلامية والفطرة الإنسانية. وهذا العمل يُعطي مجالاً واسعاً لتفعيل سنة التدافع بين الثقافات والحضارات، والخير والشر، والفطرة السليمة والمنحرفة، وثبوت الخير وذهاب الزبد، والقرب من الله وشرعه، والابتعاد عن غضبه وسخطه.

وهذه قيم ومبادئ عامة للتصدي لهذه الجريمة، والعمل على الوقاية منها، وعلاج من وقع فيها.

إنّ تكاثف جهود الأفراد مع المجتمعات والدول، كفيل بإضعاف هذه الفاحشة التي يعمل إبليس وأتباعه على نشرها بين الناس. وقد قال تعالى: ﴿ إِن تَحْتَبِئُوا كِبَارًا مَّا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١].

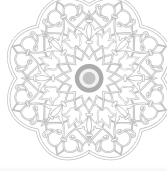
وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾

[طه: ٨٢].

(سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) الفاحشة عمل قوم لوط، ص ٨٦-١٠٦.



الخلاصة والنتائج

القرآن الكريم كتابُ الله المُحكّم، أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد ﷺ؛ ليكون خاتمَ الكتب السّماويّة، ودستوراً، ومنهاجاً لأتباع الدّين الّذي ارتضاه الله للعالمين، وهو روحُ الوجود الإسلامي، جعله الله هدى للعالمين من الإنس والجن، وهو معجزةٌ دائمةٌ مستمرةٌ من معجزات خاتم أنبيائه، غير أنّ إعجازَ هذا الكتاب العظيم لم يقتصرْ على الجانب البلاغيّ والبيانيّ، إنّما فيه وجوهٌ إعجازٍ أخرى لا تنتهي.

وإنّ من وجوه إعجاز القرآن العظيم الإخبار عن الأمم السّابقة والإنباء بقصص الأنبياء والمرسلين السّابقين، وقد عرض ذلك كلّهُ بأساليب متنوّعة، كان منها أسلوبُ القصّة القرآنيّة. وإن كلّ شيءٍ فيها لحكمة، وقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه أحسنَ القصص، في قوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

ومن هنا تأتي أهميّة دراسة القصص القرآنيّ، فمثل هذه الدّراسات مجالٌ لبيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ومنها الإعجازُ الإنبائيّ التّاريخيّ، كما أنّها مجالٌ لاستنباط العديد من الأحكام، والإرشادات، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر. فالقصصُ القرآنيّ فيه تحريكٌ للمشاعر في القلوب، وإثارة الوجدان، ودلائل على حقيقة الرسالة الرّبانيّة، وإثبات حقيقة الوحي ووحدته، فالدّين كلّهُ خرج من مشكاة واحدة، وبعث الله أولي العزم من الرّسل والنّبیین

لتبليغ رسالة الإسلام من أبينا آدم حتّى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

كانت تلك المسائل من دوافع تأليف هذا الكتاب الذي تناول قصّة نبيّ الله لوط عليه السلام؛ التي وردت في سور عديدة من القرآن الكريم، فربطت بين حلقات القصّة في هذه السور، وبيّنت وجوه الاختلاف في عرضها من إجمال أو تفصيل، وحاولت في بعض المواضع بيان بعض وجوه البلاغة والبيان ودلالات الألفاظ، كما أشرت إلى بعض الإرشادات والأحكام التي يمكن استنباطها من القصّة.

ويمكن تلخيص النتائج التي وصلت إليها في كتاب «لوط عليه السلام ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين»، فيما يأتي:

١ - أول عقيدة عُرفت في الأرض عقيدة الإسلام القائم على توحيد الله عزّ وجلّ، وإفراد العبودية له وحده لا شريك له.

٢ - إنّ الإسلام هو دينُ الأنبياء والمرسلين جميعاً، فمنذ أن أهبط آدم عليه السلام، ودينه الإسلام، ودعوته إلى الإسلام الذي هو الاستسلام لله عزّ وجلّ، وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له.

٣ - الإسلام يتضمّن الاستسلامَ لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشارك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمّن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دينُ الإسلام الذي لا يقبلُ الله غيره.

٤ - ورد ذكرُ لوط عليه السلام في القرآن الكريم تسعاً وعشرين مرة في أربع عشرة سورة، وجاء ذكره في تلك السور في ثلاث حالات؛ الحالة الأولى: ذكرُ بعض التفاصيل لقصته مع قومه، وذلك من خلال بيان انحرافهم، وشذوذهم،

ودعوة لوط عليه السلام، ثم إيقاع العقاب والعذاب عليهم. الحالة الثانية: ذكر بعض الإشارات السريعة عن قصته. الحالة الثالثة: ذكر اسم لوط عليه السلام ضمن أسماء بعض الأنبياء عليهم السلام.

٥ - اختلف علماء اللغة في أصل اسم لوط واشتقاقه، وهو اسم أعجمي، والأسماء الأعجمية لا تشتق. وأمّا كلمة (لاط) فلها اشتقاق ومعانٍ في اللغة مختلفة، ولكن كلمة (لوط) التي هي علم لهذا الرسول الكريم عليه السلام، فليست داخلية في اشتقاقات هذه المادة، كما هو الصحيح.

٦ - اتفقت الروايات أنّ لوطاً عليه السلام هو من بيت إبراهيم، لكنهم اختلفوا أهو من ولده أو من ولد أخيه، والصحيح أنّ إبراهيم عليه السلام عمّه، ولوطاً ابن أخيه هاران.

٧ - وُلد لوط عليه السلام في أرض الكلدانيين بالعراق، في منطقة بابل. ونشأ عليه السلام في بيئة تعبد الأصنام، ومتوسطة الحال، وكان متأثراً بدعوة عمّه إبراهيم كثيراً، إذ لم يعبأ بما عليه جدّه ووالده، بل المجتمع بأكمله، ورأى في عمّه قدوة حسنة، فسار على نهجه باستقامة، وتربّى على يديه، واستفاد من علمه، وآمن بدعوته، ولم يتزعزع في ذلك.

٨ - يتألف مجتمع لوط عليه السلام في بلاد ما بين النهرين من ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: طبقة الأحرار. والطبقة الثانية: الطبقة الوسطى، وتسمى (المسكينوم)، تتكون من أبناء الطبقة المتوسطة الذين يؤلفون الكتائب العسكرية، ويكونون مزوّدين بالأسلحة، وذلك للعمل في المعسكرات. والطبقة الثالثة: طبقة الأرقاء والعييد؛ وتتكوّن هذه الطبقة من أسرى الحروب والسبي ومن يُباعون في أسواق العبيد.

٩ - آمن لوط عليه السلام بنبوّة إبراهيم عليه السلام، بعد أن رأى معجزة النّار التي لم تحرق خليل الله إبراهيم عليه السلام، فتيقّن أنه نبيّ مرسل من الله

سبحانه، وأن الذي حصل لم يكن حَدَثًا عابراً، وإنما كانت معجزة صَنَعَتْهَا يَدُ الخالق العظيم.

١٠ - هناك فرق بين (النَّبِيِّ) و(الرَّسُولِ)؛ فالنَّبِيُّ جاء لتقرير شريعة مَنْ كان قبله، وأما الرَّسُولُ فهو من جاء بشريعة جديدة، اختصَّ بها، ووترَّبَ على هذا أنَّ كلَّ رسولٍ نبيٍّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

١١ - (الرَّسالة) ضروريَّةٌ للعباد، ولا بُدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى أيِّ شيءٍ آخر، فالإنسانُ محتاجٌ إلى الرَّسالة لإصلاح أحواله في معاشه ومعاده، فلا صلاح في آخرته إلا باتباع الرَّسالة، ومن ثَمَّ هو مضطَّرٌّ إلى الشَّرع، ولهذه الضَّرورة جاء الرُّسُلُ لإصلاح النُّفوس وتزكيتها وتطهيرها، وتحذيرها من المعصية، ودلالة الخَلْق على الطَّرِيق القويم، وإرشادهم إلى المنهج الصَّحيح، وتوجيههم إلى المكارم ومحاسن الأخلاق، وتنفيرهم من المساوئ والشُّرور.

١٢ - الأنبياء عليهم السلام من بني آدم، ولهم خصائصُ البشر وصفاتهم، ويُصيبهم ما يُصيب البشر من السَّهو والنَّسيان، والنوم واليقظة، والرِّضا والغضب، والحزن والفرح، وتناول الطَّعام والشَّراب، والمشي بين النَّاس في الأسواق، والتَّعَرُّضُ للابتلاءات والمكاره، وبتزوُّجون، ويكون لهم ذرِّيَّة وأولاد وآباء وأمَّهات وأقارب وعشيرة، وهم في ذلك كُلِّه لا يخرجون عن صفتهم البشريَّة، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ اختارهم من بين عباده، وأنعم عليهم باصطفائهم لتبليغ الرِّسالات، وخصَّهم ببعض الخصائص، والحكمة البالغة في كون الأنبياء من البشر هي أن يكونوا قُدوةً، وتكون أحوالهم محلًّا للتَّأسِّي، ومن هذه الخصائص: اصطفائهم بالوحي والرَّسالة، وأنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وأنهم يخَيَّرُون عند الموت، ويُقبر النبي حيث يموت، ولا تأكل الأرض أجسادهم، وهم أحياءٌ في قبورهم، ولا يورثون بعد موتهم.



١٣ - لا تدرك عقولُ البشر الكثيرَ من الغيب، فهم بحاجة لمن يُعلّمهم ذلك، مثل معرفة أسماء الله جلَّ وعلا، وصفاته، ومعرفة الملائكة، والجن والشياطين، ومعرفة ما أعدَّ الله للطائعين في دار رضوانه وكرامته، وما أعدَّ للعاصين في دار سخطه وإهانته؛ ولذلك فإن حاجتهم إلى مَنْ يُعلّمهم هذه الحقائق، ويُطلّعهم على هذه المغيّبات ضرورة.

١٤ - جاء الرُّسل عليهم السلام لإصلاح النفوس، وتركيّتها، وتطهيرها، وتحذيرها من المعصية، فهم بُعثوا لدلالة الخلق على الطريق المستقيم، وإرشادهم إلى المنهج القويم، وتوجيههم نحو الأخلاق الحميدة، وتنفيرهم من المساوئ والأخلاق الذميمة.

١٥ - كَلَّفَ الله عزَّ وجلَّ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ لتحقيق غايات عظمت، ووظائف كبرى، وأهداف سامية، ومنها: دعوة النَّاس إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وتبليغ الشريعة الربانية إلى النَّاس، وتبيين ما أنزل من الدين، وتبشير وتحذير العباد، وإقامة شَرع الله بين العباد وتطبيقه.

١٦ - إنَّ دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خلال القصص القرآني، تُعرِّف البشر على سُننِ الله عزَّ وجلَّ في التغيير والتبديل والاختبار، وتُعرِّف على سنته سبحانه في الدفع والمدافعة والاصطفاء، كما أنَّها تكشفُ للدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ ذلك الصِّراع الطويل المستمر بين الحق والباطل، وبأنَّ العاقبة في نهاية الأمر للحق وأهله.

١٧ - دعا لوط عليه السلام قومه للإيمان بالله وحده، ونهّاهم عن الكفر والشرك، ودعاهم إلى الخير والمعروف، ونهّاهم عن الفحشاء والمنكر، وقام بواجبه خير قيام، وأدّى رسالته كما ينبغي، وكان مُستوعباً لدعوة عمّه رسول الله إبراهيم عليه السلام قبل النبوة، بل إنَّ منهج إبراهيم عليه السلام في الدَّعوة، هو الذي سار عليه لوط عليه السلام.

١٨ - جاءت قصّة لوط عليه السلام في سورة هود متداخلةً مع قصّة إبراهيم عليه السلام، وقد احتفى القرآن الكريم بإبراهيم عليه السلام في طفولته، وشبابه، ورجولته، وكذلك يستمرُّ الاحتفاءُ به في مرحلة شيخوخته في موطنه الجديد، وما أسبغ الله تعالى عليه من المال والإنعام، والمنزلة العالية عند الله تعالى، حيث تمرُّ به ملائكةُ الربِّ سبحانه مُبشِّرةٌ مُخبِرةٌ، كما أنها أخبرته بالعذابِ على قوم لوط الذين أسرفوا وأجرموا وطغوا واعتدوا على حدود الله تعالى.

١٩ - القصصُ القرآني حقٌّ مطلقٌ نقيٌّ، لا يجوزُ خلطُه بخرافات بني إسرائيل، وتلفيقاتهم، وافتراءاتهم على الأنبياء؛ من إسقاطاتٍ صفاتٍ بني إسرائيل على الأنبياء، حاشاهم.

٢٠ - قصّرت أمةُ الإسلام في تبليغ رسالات الله للعالمية، وتخلّفت عن الركب الحضاري والشهود الإنساني، بسبب جُمودها الفكري، وتخلّفها الاجتماعي، وانحرافها الاقتصادي وضعفها القيمي، واستبدادها السياسي، وجَهْلها العلمي، وغيابها الإعلامي والدعائي الدعوي والثقافي والتوعوي الدولي والعالمي؛ ولذلك قصّرت في دينها ورسالتها في الحياة حتى تبعت حضارة إبليس التي تقوّد البشرية إلى الجريمة، والشذوذ، والبؤس، والشقاء، وتشويه الفِطْرة، وتدمير القيم والمعاني الإنسانية والأخلاقية.

٢١ - الإنسانيةُ في أشدِّ الحاجة لتعاليم القرآن الكريم، ومعرفة ماضي الشعوب والحضارات من خلال قصص الأنبياء والمرسلين التي ذُكرت في القرآن الكريم؛ لتلمس الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ في إنجازاتها العقدية والروحية الأخلاقية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية، وهذه رسالةُ أمةِ الإسلام لكي تستأنف دورها على مستوى العالم، وتنهى عن المنكر على مستوى عالمي، وتقدّم لهم النّجاة على مستوى البشرية.

٢٢ - إنّ من سنن الله في خلقه استئصال المجتمعات التي يسود فيها الفساد،

ويستفحل فيها الدَّاء، ولا يمكن إصلاحه، فقد أهلك الله تعالى الأمم الضَّالة عن سَيْر الأنبياء والمرسلين، كل أمة بنوع من أنواع العذاب، وأما قوم لوط فقد أهلكهم بأنواع من العذاب، يكفي كل واحد لإهلاكهم واستئصالهم.

٢٣- تحدثت سورة العنكبوت عن قصّة إبراهيم عليه السلام، ودعوته لقومه إلى توحيد الله وتقواه، وإفراده بالعبادة وشكره، وإقناعهم بالبعث والحساب والآخرة، وما تعرّض له من البلاء والامتحان، ونجاته من النَّار، وإيمان لوط به، وهجرة لوط مع إبراهيم عليه السلام، وتركهم لبلاد العراق في الله، والله، ومن ثم الانتقال إلى بلاد الشَّام، والدَّعوة فيها لله ربّ العالمين، وموقف لوط عليه السلام من الانحرافات العظيمة التي وقع فيها القوم المجرمون المسرفون والمفسدون.

٢٤- لم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبيٌّ إلا من ذريّته، ولا نزل كتابٌ إلا على ذريته حتى خُتموا بابنه الأعظم محمد (ﷺ) وعليهم أجمعين)، وهذا من أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون أسباب الهداية والرَّحمة والسعادة والفلاح والفوز في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلاح الصّالحون.

٢٥- لم يكن لقوم نوح، وقوم إبراهيم، وقوم لوط (على أنبياء الله الصلاة والسلام)، اسمٌ معروف، فذكر أنبياءهم أولاً، أمّا عاد وثمود ومدين فأسماء لأناسٍ معروفين، ولهم قرى معروفة، فالأصل أن القوم هم المقصودين بالرسالة والهداية، لذلك يُذكرون أولاً، فهم الأصل في الرسالة، أمّا الرسول فليست الرسالة وظيفة يجعلها الله للواحد من النَّاس.

٢٦- شاع بين قوم لوط الشُّذوذ والفاحشة، وذكر القرآن الكريم أنه يقع لأوّل مرّة في تاريخ الإنسانية، ومن خطاب لوط عليه السلام كما أظهره البيان القرآني، يظهر أن الفساد قد استشرى فيهم بكلّ ألوانه، فهم يأتون الفاحشة التي لم يسبقهم

بها أحد من العالمين، وهي سلوكٌ شاذٌ وقذر، وهو يدلُّ على انحرافِ الفِطرة، وفسادها من أعماقها.

٢٧ - إِنَّ مَفْسِدِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ يَتَّجِهُونَ إِلَى إِشَاعَةِ اللُّوَاطِ وَالسَّحَاقِ عِبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، فَقَدْ انْتَهَى هَؤُلَاءِ إِلَى التَّحَايِلِ لِفَرْضِهِمَا عَلَى السَّاحَةِ الْفِكْرِيَّةِ، بِإِثَارَةِ الْمَوْضُوعِ، وَالْكَلَامِ فِيهِ بَيْنَ أَخْذٍ وَرَدٍّ، مَرَّةً مِنْ مَعْرِضِ الْإِسْتِنْكَارِ، وَأُخْرَى فِي مَعْرِضِ الدِّرَاسَةِ، وَثَالِثَةً فِي مَعْرِضِ الْإِطْلَاعِ، وَقَدْ انْتَقَلُوا الْيَوْمَ إِلَى إِبْرَازِ بَيُوتِ الدَّعَاةِ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْمَفْرِزَاتِ الصَّحِيَّةِ لِلْحَرِيَّةِ، وَبَاتَتْ أَخْبَارُ مَتَزَعْمِي هَذِهِ الضَّلَالَاتِ وَصُورِهِمْ تَتَصَدَّرُ وَسَائِلَ الْإِعْلَامِ، وَيُقَدَّمُونَ عَلَى أَنَّهُمْ نَجُومٌ يُصَفَّقُ لَهُمُ الْمَعْجَبُونَ، وَيَتَأَثَّرُ بِهِمُ الْمَرَاهِقُونَ.

٢٨ - إِنَّ انْتِشَارَ اللُّوَاطِ (الْمِثْلِيَّةِ الْجِنْسِيَّةِ الْيَوْمَ) دُونَ الْوُقُوفِ ضَدَّهُ، وَبَيَانِ مَخَاطِرِهِ، وَتَبْعَاتِهِ مِنْ خِلَالِ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ، وَسُنَّةِ اللَّهِ فِي الْمَفْسِدِينَ؛ يَنْذِرُ بِقُدُومِ كَارِثَةٍ لَا يُمَكِّنُنَا تَصَوُّرَهَا، إِذَا لَمْ نَقُمْ بِوَاجِبِ النَّصِيحِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيِّ، وَالشُّهُودِ الْحَضَارِيِّ.

٢٩ - إِنَّ الْفَاحِشَةَ الَّتِي ابْتَدَعَهَا قَوْمُ لُوطَ مِنْ أَكْبَرِ الْفَوَاحِشِ، وَأَشْنَعِهَا، فَهِيَ انْتِكَاسَةُ خَطِيرَةٍ عَنِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، تَنْتَجُ عَنْهَا آثَارٌ سَيِّئَةٌ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مَرْتَكِبِهَا فَحَسَبَ، بَلْ تَتَعَدَّى إِلَى الْمَجْتَمَعِ الَّذِي تُرْتَكَبُ فِيهِ الْفَاحِشَةُ.

٣٠ - وَصَفَ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ بِأَنَّهُمْ «مَجْرِمِينَ»؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَيَفْعَلُونَ الْفَاحِشَةَ الشَّاذَّةَ، إِذْ كَانُوا يَأْتُونَ ﴿الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَأْتُونَهُمْ فِي نَادِيهِمْ، وَيَتَعَاطُونَهُ جَهَاراً نَهَاراً، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَطِيعُوا نَبِيَّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَهُمْ مَجْرِمُونَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: أَعْظَمُهَا الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِثْيَانُ الْفَاحِشَةِ، وَالْعُدْوَانُ وَالْبَغْيُ، حَيْثُ دَلَّ السِّيَاقُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ لَا يُوَافِقُهُمْ، وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِ، وَيُكْرِهُونَهُ عَلَى فِعْلِ الْفَاحِشَةِ، وَقَدْ هَمُّوا بِأَضْيَافِ نَبِيِّهِمْ دُونَ حَيَاءِ ظَانِّينَ أَنَّهُمْ مِنْ



البشر .

٣١- أسرف قوم لوط عليه السلام على أنفسهم ، ووقعوا في جريمة الإتيان للذكران ، وتصريف الشهوة الجنسية بوسيلة شيطانية ، ولما كان هذا الفعل زنى يستحقُّ الرجم ، رجمهم الله تعالى ليس بحجارة من الأرض ، وإنما بحجارة من السماء ، تنزل على كل واحد منهم باسمه تخصُّه دون غيره ، بحيث لم يُبق منهم أحداً ، وأبادتهم عن بكرة أبيهم .

٣٢- جاءت قصَّة لوط عليه السلام في سورة الأعراف بعد ذكر الآيات التي حدَّثتنا عن آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام ، وهي سلسلة مباركة من تاريخ الأنبياء والمرسلين تحدثت فيها عن أمم وحضارات كبيرة حتَّى وصلت إلى الحضارة الإنسانية في عهد إبراهيم عليه السلام ، إذ انتشرت المجتمعات البشرية ، وتكاثرت ، وبرزت فيها حضارات مختلفة .

٣٣- إنَّ الإسراف عاملٌ من أقوى عوامل التفتت الاجتماعي ؛ لأنَّ الانغماس في مراتع الشهوات المحرَّمة ، وإشباع الغرائز الجامحة ، يميئُ الشعور بالنخوة ، ويقتل الإحساس بالغيرة ، وعزة النفس ، ويجعل الرذائل من مألوفات الحياة في المجتمع الذي يقوده المسرفون ، إذ يجعل هؤلاء الرذائل ميداناً للتنافس الفاجر ، فلا يبقى أحدٌ يرفع رأسه إنكاراً لها ، بل يجد المجتمع في كبرائه المترفين المسرفين من يُنكر على من يُنكر الرذائل ، وتصبح الفضائل الخلقية ، والقيم الروحية غرائب في نظر هذا المجتمع المنحل المتحلل .

٣٤- نجح دعاة الفساد في منع النَّاس من الدخول في دعوة لوط عليه السلام ، فلم يجد من يستجيب له خارج حدود بيته ، بل امتدت المعصية إلى بيته في امرأته بكفرها .

٣٥- وصف الله عزَّ وجلَّ قوم لوط بالمجرمين ، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ صفات

أولئك المجرمين، ومنها: نصرة الباطل، والدعوة إليه بشئى الوسائل، والكفر بالله تعالى، والشرك به، وتكذيب رُسُلِهِ، وعدم التصديق بالمعاد، والثواب والعقاب، وارتكاب الفاحشة، واستحلال ما حرم الله عزَّ وجلَّ، واكتساب الذُّنوب، واقتراف السيِّئات دون خوفٍ أوردع.

٣٦- ذكر الله تعالى في سورة الأنبياء لوطاً ضمن الأنبياء الذين ذُكروا فيها، فذكر عند هجرته مع إبراهيم وما منَّ الله على أبي الأنبياء من الذرية الصالحة المتمثلة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، وتحدثت الآيات عن فضل الله على لوط عليه السلام، وما امتنَّ به عليه من الحكم والعلم، ونجاته من القرية التي كانت تعملُ الخبائث، ودخوله في رحمة الله، ووصفه بالصالح.

٣٧- إنَّ من آثار الشرك المدمِّرة، والكفر الضَّار بالإنسان؛ الوقوع في الخبائث، والكبائر، والفواحش، والذنوب.

٣٨- يبدأ لوطٌ عليه السلام في سورة الشعراء مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح؛ يستنكر استهتارهم، ويحرك في قلوبهم وازعَ التقوى، ويدعوهم إلى الإيمان وطاعة الله، ويُطمئنهم إلى أنه لن يفجعهم بشيء من أموالهم مقابل الهدى، ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عُرفوا بها في التاريخ.

٣٩- الرسالة الإلهية في أصلها واحدة، وهي دعوةٌ إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له، فمن كَذَّبَ بها فقد كَذَّبَ بالمرسلين أجمعين، فهذه دعوتهم أجمعين.

٤٠- يؤكِّد القرآن الكريم دعوة التوحيد، ويُقرِّرها في مواضع كثيرة، وبصِيغٍ متعدِّدة؛ لأنه كَلِيَّة من كَلِيَّات العقيدة الإسلامية تحتضنُّ بها الدعوات جميعاً، وتُقسم بها البشرية كلّها إلى صَفَيْن: صف الموحِّدين المؤمنين، وصف الضَّالِّين الكافرين، عبر العصور.



٤١ - لم يكن لوطٌ عليه السلام أخاً لقومه في النسب، وإنما كان نزيلاً فيهم، إذ كان قومٌ لوط من أهل فلسطين من الكنعانيين، وكان لوطٌ عبرانياً، وهو ابنُ أخ لخليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولكنه حين استوطن بلادهم، وعاش بينهم، وحالفهم وظاهرهم، جُعل أخاً لهم.

٤٢ - تقوى الله من أكثر الأمور التي وجّه القرآنُ إليها العناية، وحمل النفوسَ على الاهتمام بها، وأصلُ التقوى من الوقاية، وللتقوى مراحل؛ أولها: اجتناب الشرك، والمرحلة الثانية: اجتناب الكبائر. وأما المرحلة الثالثة التي تكتمل بها التقوى: فهي الابتعاد عن الصِّغائر.

٤٣ - دعا لوطٌ عليه السلام قومه، وأمرهم بتقوى الله تعالى، وأخبرهم أنَّ الله تعالى بعثه رسولاً إليهم، وأنه أمينٌ على تبليغ الرسالة، وأرشدهم إلى الخير والفضيلة، وأنكر عليهم أبرز رذائلهم وأسوأ أعمالهم، بفعلهم الشنيع وعملهم الخبيث.

٤٤ - تفرّد قومٌ لوط بعملٍ لم يسبقهم إليه أحدٌ من العالمين (إتيان الذكور)، وهي جريمةٌ لم تحدث من قبل؛ لأنها فعلةٌ مستفدرة، ومسألة فظيعة للغاية. وهم بذلك العمل جنّوا جنائتين؛ الأولى: إفسادهم للذكور، والقضاء على شهادتهم، وكسر ما فيهم من إباء وشيم. والثانية: تعطيلهم النساء من التمتع بهنَّ، وقد خُلِقن لذلك. ويتبع ذلك: تعريضهن للزنى، والقضاء على النسل، وذلك مضادٌ لنظام الحياة، وهدم لكيان المجتمع.

٤٥ - إنَّ قومَ لوط عليه السلام عجزوا عن الدِّفاع عن باطلهم أمام البراهين والحُجج التي أقامها عليهم لوطٌ عليه السلام، وأفلسوا عقولُهم حتى عن التفكير في الحصول على شبهةٍ يتمسكون بها للثبات على باطلهم، فاضمحلَّ باطلُهم أمام سطوع الحقِّ، وتضاءلت جهودُهم أمام ثبات لوطٍ عليه السلام.

٤٦ - تحدّثت سورة النمل عن قصّة موسى عليه السلام، ثم أشارت إلى نعمة الله على داود وسليمان عليهما السلام، ثم قصّة سليمان عليه السلام مع النملة، ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ، وقومها، ثم تحدّثت عن قصّة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، وتأمّر المفسدين على الحق، وخُتِمت بقصّة لوط عليه السلام مع قومه، المعرضين عن الحق، المخالفين للفِطْرة.

٤٧ - جاءت لمحةً سريعةً عن قصّة لوط عليه السلام في سورة الصّافات، تحدّثنا عن إكرام الله لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهم في مصافّ المكرمين، بل هم المكرّمون، وهذا ما اقتصرَتْ عليه السُّورة من الحديث عن لوط عليه السلام، فهي لا تحدّثنا عمّا جرى بينه وبين قومه، ولكنّها تكتفي بالحديث عمّا خصّه الله به، وما أصيب قومه به، ثمّ تذكّر العرب الذين يمرون بديارهم صباح مساء، وتنعي عليهم عدم تذكّرهم، وتعنّفهم؛ لأنهم لا يستعملون عقولهم فيما هو خيرٌ لهم.

٤٨ - وجّه القرآن الكريم النَّاسَ إلى الاعتبار بقوم لوط الذين أمطروا مطر السَّوء، وكانوا من العتاة الغلاظ الذين لا يلين لهم قلب، ولا يرقُّ لهم طبع، فوجّه القرآن الكريم النَّاسَ إلى الاعتبار بمصيرهم وذلك لأمر: أنّ لهم آثاراً خالدةً إلى يوم الدِّين لا تندثر على مرّ الأيام وكرّ الليالي، وأنّ الآثارَ الباقيةَ متاحةً لكلّ ناظر وعاقل، وأنّ في تلك الآثارِ بَيِّنات، وهي من موطن العبرة.

٤٩ - جاءت قصّة لوط عليه السلام في سورة القمر مختصرة، بعد ذكر قصّة قوم نوح وعاد وثمرود. وموضوع هذه السُّورة كسائر السُّور المكيّة لتقرير أصول العقيدة الإسلاميّة، كما أنّها أُنذرت كقارمكة بعذابٍ مشابه لعذاب الأمم السّابقة التي تمّ ذكرها في السُّورة، جزاءً على تكذيبهم الرُّسل، وأفردت كلّ قصّة عن الأخرى وأعقبتها بعبارةٍ تثير الخوف، وتدعو للعجب وهي: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾.



٥٠ - كانت قصّة لوط عليه السلام وقومه في سورة القمر القصّة الرّابعة، والتي بينت عاقبة تكذيب الرّسل، وارتكاب الفواحش، وبيان العقاب الشّديد، وهو التّدمير والإهلاك ليعتبر كلّ النّاس، ويعلموا أنّه ما من هلاك إلا بعد إنذارٍ بالعذاب على لسان رسولٍ من رسل الله، ثم تكذيبه.

٥١ - وقوعّ العذاب على قوم لوط جاء على مرحلتين؛ المرحلة الأولى: أنّ الله طَمَسَ أعينهم فأعماهم، وكان هذا في الليل، عندما راودوا لوطاً عن ضيوفه الملائكة، فأمرته الملائكة أن يسيرَ مع أهله المؤمنين وقتَ السحر، وطمسوا أعين القوم الشّاذين المتجمّعين على باب منزل لوط عليه السلام، فأصيبوا بالعمى، فعادوا لا يرون شيئاً، ولا يلوون على شيء. المرحلة الثانية: إيقاع الدّمار بهم، وكان هذا عند صباح اليوم التّالي: ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكَرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٣٨].

٥٢ - جعل الله للأنبياء عليهم السلام صفاتٍ خاصّةً من أجل ألا ينفر النّاس عنهم، وعن دعوتهم، ومن ذلك: الخلوّ من الأمراض المعدية، والعصمة من الكذب والخيانة، وصيانة العِرض، من أجل ألا يجد النّاسُ سبّةً عليهم.

٥٣ - كانت خيانة زوجة لوط عليه السلام له، أنّها كانت تُعلّم قومَ لوط عندما يأتيه الضّيفان، وكانت ضالّةً، ومنحازة لقومها الكفّرة، ولم تكن خيانتها بارتكاب الفاحشة، فما بَعَثَ امرأةُ نبيِّ قط.

٥٤ - جاء عذابُ قومٍ لوط عليه السلام بما يتناسبُ مع جرائمهم، وشذوذهم، والجزاء من جنس العمل، فلقد ترك أولئك الشّاذون النّساء إلى الرّجال، وقصّوا شهواتهم عند أمثالهم من الجنس نفسه، وبذلك قلبوا الحقائق والقيم، وقلبوا الفِطْرة والمنطق.

٥٥ - أشار الله تعالى إلى قصص الأنبياء عليهم السلام في بعض الآيات،

وبسطها في آيات أخر، لِيُحذِرَ الْمُخَاطَبِينَ من استمرارهم في تكذيب رسولهم، فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الَّذِينَ كانوا قريباً منهم، ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم، ومنهم من يرون آثارهم عياناً، كقوم صالح في الْحِجْر، وكالقرية الَّتِي أمطرت مطر السَّوء بحجارةٍ من سَجِيل .

٥٦ - أشارت سورة (التوبة) و(النجم) و(الحاقة) إلى قوم لوط دون ذكر اسمهم واتفقت في المسمى بـ (المؤتفكات) في سورتي (التوبة) و(الحاقة) بصيغة الجمع وبـ (المؤتفكة) في سورة (النجم) بالإنفراد؛ لأنَّ كُلَّ ما كان وَصْفاً لجمع المؤنَّث يجوزُ أن يأتي بصيغة المفرد وبصيغة الجمع .

٥٧ - حديث القرآن الكريم عن الأمم الهالكة هو إبرازٌ لجانب ذكر الأسباب الَّتِي أدَّت إلى هلاكهم، فما من أمةٍ من هذه الأمم إلا ذكر الله تعالى أسباب هلاكها، فذكر أسباب هلاك قوم لوط، ومنها: الشرك، والظلم، والإجرام، وتكذيب الرسول، والفسق، والإفساد، وإيذاء لوط، وكفرهم نِعَم الله عليهم، والمجاهرة بالذنوب، والغفلة عن أسباب الهلاك .

٥٨ - وَقَعَ قومُ لوط في الإفساد في الأرض، وتحكَّمت فيهم هذه الصِّفة، فأفسدوا في المعتقد والسلوك والأخلاق، وفي المجتمع، وبسبب المفاسدِ العظيمة الَّتِي ارتكبوها مضت فيهم سُنَّة الله في إهلاكِ الفاسدين .

٥٩ - أهلك الله قومَ لوط بأنواع من العذاب، وهي: المطر، والحجارة المسوَّمة من سَجِيل منضود، والصَّيحة، وقَلْب قراهم بأن جعل عاليها سافلها، والحاصب .

٦٠ - تحقَّقت سُنَّة الخُسران في قوم لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣]؛ ومن سُنَّة الله أنَّ الكافرين لا يُفلحون، وأنَّهم خاسرون، وهي سُنَّة نافذةٌ لا تتخلف .



٦١ - من أسباب هلاك قوم لوط، ومُضَيِّ سُنَّةِ الله فيهم، غفلتهم عن أسباب الهلاك، فلم ينتبهوا إلى خُطُورتها، بل مارسوها على مستوى الأفراد والمجتمع، وإنَّ القرآنَ الكريمَ في قصَّةِ لوط عليه السلام وجهَ الأنظار إلى الاعتبار بأحوالهم، وهي مليئةٌ بالدُّروس والعِبَر والفوائد، والسُّنَن وقوانين الله في حركة الشُّعوب، وعوامل زوال الحضارات.

٦٢ - إنَّ من أسباب نِجاةِ لوط عليه السلام وأهله، إيمانهم بالله عزَّ وجلَّ وتقواه، وطاعته، وتحقيق توحيده، وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشُّرك بأنواعه، والسَّير على نهج شَرَعَ اللهُ وهدايته سبحانه وتعالى، والتجاوُّه إليه بالدُّعاء، قال تعالى: ﴿رَبِّ بَنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

٦٣ - من صفات لوط عليه السلام التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه: أنه مؤمنٌ مهاجرٌ في سبيل الله، وأنه رسولٌ أمينٌ، ومخلصٌ طاهر، ومتوكلٌ، وكريم، وأمار بالمعروف نهَاءً عن المنكر.

٦٤ - كانت طهارة لوط عليه السلام وآل بيته علامةً بارزة، وسمَةً واضحة في قومه المنغمسين في برائن الانحلال والانحراف عن مسارِ البشريَّة، وعن الفِطْرَةِ السوية، الَّتِي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، فقد كان قومُ لوط غريبِي الأطوار في أفكارهم، وتصرفاتهم، حتى وصل جنوحُ الفكر عندهم إلى قلب المفاهيم والقيَم، فأصبح الطَّهر في نظرهم جريمة يعاقب عليها قانون المنحرفين، وأصبح لوطٌ في نظرهم غريباً عنهم، لا يستطيعون أن يستوعبوه بينهم، والسَّبَبُ في ذلك أنَّه طاهر.

٦٥ - كانت طهارة لوط عليه السلام وآل بيته سبباً من أسباب النِّجاة من الهلاك والدَّمار والبوار في القوم المنحرفين، فالطَّهارة صفة لازمة للأنبياء عليهم السلام، وكذلك للدُّعاة الرِّبَّانِيِّين من بعدهم.

٦٦ - أصبحت العلاقات الجنسية «الشاذة عن الفطرة» تشكل تحدياً عظيماً للحياة الإنسانية، على وجه هذه الأرض، وإنها مؤذنة بالخراب والدمار، والانتقام الربّاني، بسبب هذه الأعمال التي زينها الشيطان الرجيم لبني الإنسان.

٦٧ - جاءت الشريعة الإسلامية الغراء، وغيرها من الشرائع السماوية، تنظم طريقة إشباع تلك الغريزة الجنسية في الإنسان، وطريقة التناسل بين الجنسين حفاظاً على مقصد حفظ النسل، تلك القاعدة الكلية، التي اتفقت الشرائع السماوية على المحافظة عليها ضماناً لبقاء النوع الإنساني، وحفاظاً على حقوقهم على مرّ العصور، ولذا جاء الشارع الحكيم بالزواج بين الذكر والأنثى؛ إشباعاً لتلك الغريزة الجبلية، والشهوة الطبيعية، بصورة تتوافق مع الفطرة السليمة، والحضارة الإنسانية، وتحقق مقاصد شرعية جليلة، وأهدافاً سامية.

٦٨ - إنّ المثلية الجنسية هي مصطلح وُضع للدلالة على العلاقة الجنسية بين فردين من الجنس نفسه (ذكر - ذكر/ أنثى - أنثى)، وقد وضعه العالم السويسري (بنكرت) عام (١٨٦٩م)، ثم انتشر المصطلح حتى أصبح يُستعمل ضمن المصطلحات في العلوم الطبيعية والنفسية والاجتماعية والقانونية.

٦٩ - إنّ الدّعوة إلى ما يُسمى بالزواج المثلي، وسنّ التشريعات والقوانين لحمايته يُعدّ جنايةً وتعدياً على إحدى الكليات الخمس التي جاءت الشرائع السماوية بالمحافظة عليها، ألا وهي كلية حفظ النسل. وكما أن الزواج المثليّ هو انحراف عن الفطرة الغريزية التي فطر الله سبحانه وتعالى النوع الإنساني عليها، فالزواج المثليّ يتضمّن السبب الذي من أجله أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوط، فلا يُستبعد نزولُ نقمة الله سبحانه وتعالى، وعذابه على أي مجتمع أضحى الزواج المثليّ مظهراً من مظاهره.

٧٠ - إنّ ضغوط القوى العظمى في هذا العصر، تركّزت على العالم الإسلامي بصفة خاصّة لتشريع قوانين تُتيح الزواج المثليّ، وتُلغي النظم التي

تُحرّمه تحت مظلة حقوق الإنسان، أو المواثيق الدوليّة الكاذبة التي تهدف إلى القضاء على الكيان الإنسانيّ عموماً، والكيان الإسلاميّ خصوصاً.

٧١ - لقد مرّ الزّواج المثليّ بمراحل عديدة، فأوّل من عرّف عنهم هذه الفاحشة الشّنيعة والجريمة النكراء هم قوم لوط عليه السلام، كما بيّنت الآيات الكريمة فيما مضى، ودلّت الآيات على أنّهم كانوا يمارسون هذه الفاحشة علناً.

٧٢ - تُعدّ وثيقة بكّين عام (١٩٩٥م)، التي كانت نتاجاً للمؤتمر العالمي للمرأة، نقطة للاعتراف بالحق للمثلية، حيث تبنت هذه الوثيقة مصطلح النوع بديلاً عن الجنس، وذلك بهدف رفض حقيقة أن الاختلاف بين الذكر والأنثى هو من وضع الله عزّ وجلّ، وإنّما هو اختلاف ناتج عن التنشئة الاجتماعية والأسريّة والبيئة التي يتحكم فيها الرّجل، ومن ثمّ الاعتراف بالمثليّة الجنسيّة كحقّ من الحقوق ليرتّب عليه الاعتراف بحقّ الزّواج المثلي، وحق الحصول على أطفال بالتبني أو تأجير رحم.

٧٣ - شرع الله سبحانه وتعالى الزّواج، وحثّ عليه لمقاصد عظيمة، وحكم جليّة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١].

٧٤ - إنّ من مقاصد الزّواج في شريعة الإسلام: مقصد التّناسل وطلب الولد، ومقصد المحافظة على الأنساب، ومقصد السّكن النّفسي والتّودّد، ومقصد تحقيق الفطرة الإنسانيّة وإشباعها بالزّواج، ومقصد التّعارف بين النّاس، وتقوية أسرة المودّة والمحبة بينهم.

٧٥ - يُعدّ مقصد التّناسل وطلب الولد؛ المقصد الأصليّ لشرع الزّواج، بل هو من ضروريّات المصالح الدينيّة والدنيويّة، حيث أدرجه بعض العلماء ضمن الصّروريّات الخمس التي جاءت الشّرائع كلّها للمحافظة عليها.

٧٦ - ومن المقاصد الأصليّة التي شرّع من أجلها الزّواج في الشّريعة

الإسلاميّة؛ المحافظة على الأنساب، والقرباة من أن تختلطَ بغيرها، أو يعتريها شكّ وريب.

٧٧ - ممّا شرّع الزّواج في الشّريعة الإسلاميّة لأجله قضاء الوطر، وإفراغ الشّهوة في المحلّ الحلال، وهذا المقصد لا يختلفُ حوله أحد، وأقرّته الشّرائع السّماويّة، واستساغته العقول، والطّباع السّليمة على حدّ سواء.

٧٨ - إنّ من المقاصد العظيمة التي من أجلها شرّع الزّواج في الإسلام، تحقيق مقصد التعارف بين النّاس، وتقوية آصرة المودّة والمحبة بينهم، التي ينتجُ منها التّعاون والتّناصر بين القبائل والأسر والمجتمعات.

٧٩ - أجمع فقهاء الإسلام وعلماءه على اختلافِ مذاهبهم الفقهيّة على تحريم اللواط، واعتباره فاحشة نكراء، وجريمة شنعاء مخالفة للفطرة ومناقضة للطّبع، وذلك لتضافر نصوص الكتاب والسّنة على ذلك.

٨٠ - اختلف الفقهاء في عقوبة اللواط على ثلاثة أقوال؛ القول الأول: أنّ مرتكبَ هذه الفاحشة يُقتل مطلقاً؛ الفاعل والمفعول به، أحصناً أو لم يُحصن. والقول الثاني: أنّه يُحدّد حدّ الزّنى، فيُرجم إن كان مُحصناً، ويُجلد ويُغزّب إن كان غير مُحصن. والقول الثالث: أنّه ليس عليه حدّ، وإنّما يُعزّر ويزجّ به في السجن حتى يموت أو يتوب، ورجّح كثيرٌ من العلماء قديماً وحديثاً القول الأول، ورأوه هو الموافق للأدلة الشرعية الصّحيحة. كما اتفق أصحاب المذاهب الأربعة على أنّ عقوبة المساحقة تكون تعزيراً لا حداً.

٨١ - إنّ عملَ قوم لوط له عواقبُ كبيرة، وأضرار جسيمة متنوّعة ومتعدّدة على مستوى الأفراد والمجتمعات والأمم، منها الديني والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والنّفسي والصّحي، وتشمل أضراراً دينية، وخلقية، واجتماعية، واقتصادية، ونفسية، وصحية.

٨٢ - من المفاسد والأضرار التي تحدثُ للحياة الاجتماعيّة في المجتمعات:



زوال الخيرات والبركات، وحلول العقوبات والمثلات، وقلة الأمن، وشيوع الفوضى، وانتشار الرعب، وكثرة الاضطرابات. فضلاً عن حرمان الشعوب والأمم والمجتمعات، والأسر من السعادة الحقيقية والقوة والعزة. وكذلك تفسخ المجتمع وتحلله، وانتشار الرُوح البهيمية والأخلاق السبعية، وتفكك الأسر وتفرق البيوت، وتفكك المجتمع، وانفصام روابطه، وانهيار القيم العليا والمعاني الأصيلة، والقضاء على روح الجد والاجتهاد، ومن نتائجه انتشار الأوبئة والأمراض التي تفتك بالمجتمع، وعزوف الرجال عن الزواج، وفوضى اجتماعية لا مثيل لها.

٨٣ - من أضرار اللواط الاقتصادية: إهدار الثروة المالية بحثاً عن الشهوة المحرمة، وما يُنفق من أموالٍ لشراء المجالات الهابطة، والأشرطة الماجنة التي تهيج الغرائز، وتحرك الكوامن. وكذلك ما يُبذل من أموالٍ لدراسة هذه الظاهرة، والبحث في سبل علاجها، وما يُنفق لعلاج المصابين بأمراض الشذوذ، بالإضافة إلى البطالة، وقلة الأيدي العاملة.

٨٤ - من جملة أضرار اللواط الأضرار النفسية التي تصيب طرفي اللواط جرّاء هذا العمل، ومنها: الخوف الشديد، والوحشة، والاضطراب، والخوف، والقلق، وكذلك الإصابة بأمراض مستعصية، والرغبة في العزلة، والانطواء.

٨٥ - من جملة الأمراض التي ذكرها الأطباء المختصون التي تصيب ممارسي الشذوذ الجنسي: مرض الإيدز (طاعون العصر)، والرغبة عن النساء، والتهاب البروستات الحاد المزمن، وورم كابوسي ساركوما، وهو ورمٌ خبيثٌ ينتشر لدى الشاذين، ويُعدُّ أحد العلامات الظاهرة لمرض الإيدز، والتهاب الكبد، وفيروس من نوع (لا) المنتشر بين الشاذين، وسرطان الفم واللسان والشرج.

٨٦ - ذكر العلماء أسباباً كثيرةً للوقوع في الفواحش والشذوذ الجنسي، وهناك من توسّع، والبعض الآخر اختصر، ومن أهمّ هذه الأسباب: ضعف

الإيمان، التقصير في تربية الأبناء، الفراغ، الرفقة السيئة، تعاظم المخدرات، التبرج والاختلاط، تعسير الزواج، إطلاق النظر في الحرام، ضُحبة المردان والنظر إليهم، العشق، الشيطان، وسائل الإعلام.

٨٧- إنَّ إهمالَ تربية الأبناء، والتقصير في حقوقهم التربويّة، نتج عنه كوارث في المجتمعات والشعوب، تحتاجُ لإعادة النّظر والتفكير الجاد في إيجاد المناهج التربويّة المستمدّة من القرآن الكريم والسُّنة النبويّة الشريفة، لإنقاذ الشباب من مخالب الشياطين ومؤسسات الإباحية، وأعداء الفضيلة والأخلاق الكريمة.

٨٨- من واجبنا وَضْع خطط مدروسة لتعبئة أوقات الشباب، وربطهم بالقرآن الكريم؛ حِفْظاً وفَهْماً وعملاً، والمحافظة على الصلوات الخمس والنوافل، وحثّهم على الصيام، وتحبيبهم بالنوافل، وتقديم نماذج ثابتة رائعة للاقتداء بها، مثل يوسف عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، وأصحاب الكهف، والشباب الذين كانوا حولَ الرسول ﷺ، كسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، وغيرهم كثيرون؛ ليستفيدوا من سيرهم، ويرسموا لهم نماذج حيّة في عمارة الأرض بمنهج الله.

٨٩- المخدّرات سلاحُ فتاك، استغلّه أتباعُ الشيطان، لتدمير المجتمعات والأخلاق والقيم، ومن خلال هذه الآفة الخطيرة يصبحُ المدمنُ عليها عبداً للشهوة المحرّمة والنزوة العابرة.

٩٠- حاقت بالأمّة الإسلاميّة في وقتنا الحاضر الأخطارُ من كلّ جانب، ومن بينها أمراضُ الشبهات في الاعتقادات والعبادات، وأخطار أمراض الشهوات في السلوك والاجتماعات، ويزيد ذلك خطورة محاولات تعميقها في حياة المسلمين، في أخطر مخطط مسخّر لحرب الإسلام، وأخطر مؤامرة على الأمّة الإسلاميّة تبناها أتباع إبليس، من خلال المؤسسات والمنظّمات، وأنظمة بعض الدّول، في نظريّة الخلط بين الحقّ والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح.



٩١ - أعلنت شياطينُ الإنس والجن الحربَ على الأخلاق الحميدة والعفة والستر، وحثَّتْ على استخدام نوادي العُراة والمجالات والروايات، والتقنية الحديثة للإفساد، وجعلها حرباً على الأخلاق والمثل العليا باسم الحرية، وهي في الحقيقة دعوة إلى حياة الغاب، والنزوات الشهوانية، والدمار في الدنيا، وسخط الله في الآخرة.

٩٢ - ساهمت وسائلُ الإعلام التابعة لدعاة الشُّذوذ الجنسي في نشر فاحشة اللواط، واستخدموا وسائلَ الإعلام كمعاول هدم، وتخریب، وأدوات فساد وانحلال، لتُميع الأخلاق، والتدريب العملي على ارتكاب الفواحش، ووظفوا الوسائل المتاحة لذلك، مثل الصحافة الهابطة، والكتب الجنسية، والإذاعة، والفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي.

٩٣ - يهدف المكرُّ اليهوديُّ إلى إفساد شباب المسلمين وبني البشر وإغراقهم في الشَّهوات، حتَّى تتمَّ السيطرةُ عليهم، فقد قامت مخططات اليهود بتنفيذ تعاليم التَّوراة المحرَّفة والتلمود، التي تدعو لإفساد العالم بشتَّى أنواع الوسائل والطرق كافَّة، فاستخدموا بذلك كلَّ وسيلةٍ يمكن أن تخطر على البال، فحاربوا الأديان، ونشروا الإلحاد، وتحدَّثوا عن ثورة الجنس والحرية الجنسيَّة، وتمكَّنوا من السيطرة على وسائل الإعلام ومراكز التوجيه، فعملوا على إشاعة الفاحشة، ونشر جميع الرذائل، وفي مقدِّمتها اللواط والزنى.

٩٤ - أعظم سبُل الوقاية والعلاج من الفواحش والكبائر والمعاصي والدُّنوب: معرفة العقيدة الصَّحيحة، والعبادة الرَّشيدة، والأخلاق الحميدة، وتبدأ هذه المعرفة القائمة على العلم المُستمد من كتابه العزيز، ومنهج الرسول المصطفى ﷺ، وتربيته العميقة التي تستهدف تزكية النفوس بالطاعة، وإنجاءها من المعاصي.

٩٥ - حرص النبي ﷺ منذ بدء الدَّعوة الإسلامية، على أنَّ يعرف النَّاسُ

التَّصَوُّرُ الصَّحِيحُ عَنْ رَبِّهِمْ، وَعَنْ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ، مَدْرِكًا: أَنَّ هَذَا التَّصَوُّرَ سَيُورَثُ التَّصَدِيقُ وَالْيَقِينُ عِنْدَ مَنْ صَفَتْ نَفُوسُهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ فِطْرَتُهُمْ. وَلَقَدْ كَانَ تَرْكِيزُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا التَّصَوُّرِ الْمُسْتَمَدِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَائِمًا عَلَى عِدَّةِ جَوَانِبٍ، مِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْزَهُ عَنِ النِّقْصَانِ، وَمُوصُوفٌ بِالْكَمَالَاتِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ، وَأَنَّهُ مُصَدِّرُ كُلِّ نِعْمَةٍ دَقَّتْ أَوْ عَظُمَتْ، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَقْبِذُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْمَالَهُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِأُمُورٍ مُخْتَلِفَةٍ اخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا لَهُمْ؛ وَأَنَّهُ يُوَفِّقُ وَيُؤَيِّدُ وَيَنْصُرُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَلَاذِ بِحِمَاةِ، وَأَنَّ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

٩٦ - إِنَّ التَّربِيَةَ النَّبَوِيَّةَ الرَّشِيدَةَ لِلْأَفْرَادِ عَلَى التَّوْحِيدِ هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ الْإِسْلَامِيُّ، وَهِيَ الْمُنْهَجِيَّةُ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ مِنْ قَبْلُ، فَكُلُّ رَسُولٍ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، كَنُوحٌ وَصَالِحٌ وَهُودٌ وَشُعَيْبٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبِالْجَمَلَةِ فَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّهُمْ دَعَوْا لِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ، وَاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ، وَتَبَذِّ الْأَصْنَامِ.

٩٧ - رَكَزَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ غَايَةَ التَّرْكِيزِ، فَقُلَّ أَنْ تَوْجَدَ سُورَةً مَكِّيَّةً لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا بَعْضُ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَحْوَالِ الْمُنْعَمِينَ، وَأَحْوَالِ الْمَعْذِينَ، وَكَيْفِيَّةُ حَشْرِ النَّاسِ وَمَحَاسِبَتِهِمْ، حَتَّى لَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَأْيَ الْعَيْنِ؛ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْمَوَازِينِ... إلخ.

٩٨ - اِهْتَمَّتِ التَّربِيَةُ النَّبَوِيَّةُ بِمُفْهَمِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَثَرَهُ عَلَى الصَّحَابَةِ، وَتَعْرِيفِهِمْ حَقِيقَةَ الْإِنْسَانِ مِنْ خِلَالِ قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَكْرِيمِ اللَّهِ لآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ عَمُومًا، وَمِنْ صُورِ تَكْرِيمِهِ: اخْتِصَّ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِأَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ، وَالصُّورَةَ الْحَسَنَةَ، وَالْقَامَةَ الْمَعْتَدِلَةَ، وَمَنْحَهُ الْعَقْلَ وَالنُّطْقَ

والتمييز، وتكريم الله الإنسان بتفضيله على كثير من خلقه، وتكريم الله للإنسان بإرسال الرُّسل إليه .

٩٩- ربِّي رسولُ الله ﷺ أصحابه على تزكية نفوسهم، وأرشدهم إلى الطَّريق المستقيم الذي يساعدهم على بلوغ هذا المطلب من خلال القرآن الكريم، ومن أهمِّها: التدبُّر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى، حتَّى يشعروا بعظمة الخالق وحكمته سبحانه وتعالى، والتأمّل في عِلْم الله الشَّامل، وإحاطته بكلِّ ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشَّهادة، وعبادة الله عزَّ وجلَّ .

١٠٠- إنّ التَّربية على مكارم الأخلاق من أهدافِ رسالة الإسلام التي قام بها رسولُ الله ﷺ مع أصحابه، فالأخلاق الرفيعةُ جزءٌ من العقيدة الإسلامية . وإنَّ العقيدة الصَّحيحة لا تكون بغير خلق، وقد ربَّى رسولُ الله ﷺ صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوّعة .

١٠١- من أهمِّ الأخلاق والقيم في وقاية وعلاج فاحشة قوم لوط: الصبر، والإخلاص، والتوبة النصوح، والزواج، وغيض البصر، والعناية بتربية الأبناء، والدُّعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجود سُلطة رادعة لهذه الفاحشة من قبل الدولة، وعمل المؤسسات التعليمية على التوعية لخطر هذه الفاحشة، وتفعيل دور الشرّطة والآداب، وتفعيل دور المؤسسات القضائية بتجريم هذه الفواحش، للقضاء عليها وقطع دابرها .

١٠٢- على الدول الإسلامية أن تشكّل جبهةً مناهضةً مع الشعوب والدول الرافضة لطمس الفِطرة الإنسانيّة والقوانين المشرّعة للشُّذوذ الجنسيّ، وعدم التوقيع على القرارات الصّادرة عن الأمم المتّحدة التي تنصُّ على شرّعة الشُّذوذ الجنسيّ، أو إلغاء تجريم المثليّة، لمناقضتها الصّريحة لتعاليم الشّريعة الإسلاميّة والفِطرة الإنسانيّة . وهذا العملُ يعطي مجالاً واسعاً لتفعيل سنّة التدافع بين الثقافات والحضارات، والخير والشرّ، والفِطرة السّليمة والمنحرفة،

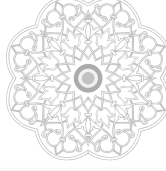


وثبوت الخير وذهاب الزَّبد، والقرب من الله وشرعه، والابتعاد عن غضبه وسخطه.

١٠٣ - إِنَّ تَكَاتَفَ جُهُودَ الْأَفْرَادِ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ مَعَ الْمَجْتَمَعَاتِ وَالْأُمَمِ، لَهُوَ كَفِيلٌ بِإِضْعَافِ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي يَعْمَلُ إِبْلِيسُ وَأَتْبَاعُهُ عَلَى نَشْرِهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَهَذَا الْجِهَادُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُوَدِّي فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَى مَغْفَرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ تَعَالَى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].





المصادر والمراجع

- ١ - إبراهيم خليل الله، علي محمد الصّلابي، دار ابن كثير، ط ٢، ٢٠٢٣ م.
- ٢ - إبراهيم عليه السّلام في أسفار اليهود عرض ونقد، فاطمة بنت خالد درمان، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدّعوة وأصول الدّين، قسم العقيدة، ١٤٢١ هـ.
- ٣ - إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، دار المنار، جدة، السعودية، ١٤٠٦ هـ.
- ٤ - أثر الذّنوب في هدم الأمم والشعوب، محمد محمود الصّواف، الشركة المتحدة، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
- ٥ - الأحاديث الصّحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م.
- ٦ - أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٤ هـ.
- ٧ - أخلاق الأنبياء عليهم السلام، د. محمّد بن عبد الله الدويش، دار الحضارة، الرياض، ط ١، ١٤٤١ هـ.

- ٨- آدم عليه السلام فلسفة وتقويم الإنسان وخلافته، البهي الخولي، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٤م.
- ٩- أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد بابا سيلا، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١٠- إشراقات قرآنية، سلمان العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، السعودية، ط١، ١٩٧٠م.
- ١١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ١٢- إغاثة اللفهان في مصادب الشيطان، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزي شمس وآخرين، جدة، مجمع الفقه الإسلامي، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ١٣- أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ط١، ١٩٥٠م.
- ١٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٥- أهمية الجهاد في نشر الدعوة، د. علي العلياني، دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ١٦- الآيات والأحاديث والآثار في نبي الله لوط، أشواق بنت صالح محمد حمصاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، الدراسات العليا، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ.
- ١٧- أيسر التفاسير، أسعد محمود حومد، ط٤، ١٤١٩هـ-٢٠٠٩م.
- ١٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر الكاساني، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩م.



- ١٩ - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي محمد العمران، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٢٠ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامري، دار ابن كثير، ط٢، ١٤٣٧هـ.
- ٢١ - تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، الطبري، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- ٢٢ - تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، د. صالح أحمد العلي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ٢٠٠٨م.
- ٢٣ - تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة الدينوري، المكتب الإسلامي، ومؤسسة الإشراف، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ٢٤ - التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، المؤلف: فالح بن مهدي آل مهدي الدوسري، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط٣، ١٤١٣هـ.
- ٢٥ - التداول الحضاري في القرآن الكريم؛ دراسة في عوامل قيام الحضارات وانهارها في القرآن الكريم، فرج علام، دار روابط وتقنية المعلومات، ط١، ٢٠١٦م.
- ٢٦ - التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مكتبة مشكاة الإسلامية، لبنان، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- ٢٧ - تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، ط٣، ١٤٠١هـ.
- ٢٨ - التشريع الجنائي في الإسلام مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، ط١، ٢٠١٣.

- ٢٩ - تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار المصحف ومكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٣٠ - تفسير البغوي «معالم التنزيل»، البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الرياض، ط ٣، ١٤١٦ هـ.
- ٣١ - تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤ م.
- ٣٢ - تفسير السَّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤٣٥ هـ.
- ٣٣ - تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣ م.
- ٣٤ - تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن»، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م.
- ٣٥ - تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، د. محمد الهلال، دار المعراج، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- ٣٦ - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٣٧ - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

- ٣٨- التفسير الكبير مفاتيح الغيب (تفسير الرّازي)، فخر الدّين الرّازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٣٩- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠م.
- ٤٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ٤١- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، عبد الحميد بن محمود طهماز، دار القلم، ط ١، ١٤٣٥هـ.
- ٤٢- تفسير النّابلسي «تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة»، د. محمد راتب النّابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
- ٤٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ١، ١٩٩٧-١٩٩٨م.
- ٤٤- تفسير سورة الحجّر «دراسة تحليلية موضوعية»، أحمد نوفل، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، الأردن، ط ١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- ٤٥- تفسير سورة هود «دراسة تحليلية موضوعية»، أحمد نوفل، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، الأردن، ط ١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- ٤٦- تقديم لوط ابنتيه لقومه في التّوراة والقرآن دراسة مقارنة، عائض الدّوسري، تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٤٣هـ.
- ٤٧- تهذيب مدارج السّالّكين، ابن قيم الجوزية، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٤٨- تهذيب مدارج السّالّكين، عبد المنعم العزي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

- ٤٩ - التوبة في ضوء القرآن الكريم، د. آمال بنت صالح، دار الأندلس الخضراء، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٥٠ - التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٥١ - التيسير في التفسير، أبو نصر القشيري، دار اللباب، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- ٥٢ - التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (ت: ٥٣٧ هـ)، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرين، إستانبول، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، ط ١، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- ٥٣ - ثمانون شخصية مشهورة في القرآن الكريم، حنفي المحلاوي، دار النشر للجامعات، ٢٠١٣ م.
- ٥٤ - جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني، جدة، السعودية، ط ٢، ١٤٠٥ هـ، ط ١، ١٩٨٤ م.
- ٥٥ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد الأنصاري شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٦٤ م.
- ٥٦ - الجامع لشعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي وآخرين، مكتبة الرشد، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- ٥٧ - الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيان، محمود الصافي، انتشارات مدين، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٥٨ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٧ هـ.

- ٥٩ - جوانب الإصلاح في قصّة لوط في القرآن الكريم، د. عامر القيسي، د. علي أسعد، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، ط ١، ٢٠١٧م.
- ٦٠ - الحاوي الكبير في الفقه الشافعي، أبو الحسن الماوردي البصري، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ٦١ - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن القيم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٦٢ - الحوار في قصّة الخليل عليه السلام في القرآن دروس وعبر، محمود سعد عبد الحميد شمس، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠٠٨م.
- ٦٣ - الخشوع في الصلّة، ابن رجب الحنبلي، دار الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ٦٤ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدّين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٤٣١هـ.
- ٦٥ - دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ٦٦ - الدّروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية، عبد الهادي سعد هادي الشمراني، جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٦٧ - دعاء الأنبياء والرسل، محمد محمود أحمد وموسى الخطيب، مركز الكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.
- ٦٨ - دعوة الرسل إلى الله، محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

- ٦٩ - الدَّعوة إلى الله في سورة إبراهيم، محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٧٠ - الدَّعوة إلى الله في سورة النمل، عبد الرّب نَوّاب، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المنصورة، السعودية، ١٤٠٨ هـ.
- ٧١ - الدِّيانات الوضعية المنقرضة، محمد العريبي، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥ م.
- ٧٢ - رسالة الأنبياء من شعيب إلى عيسى، عمر أحمد عمر، دار الحكمة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ٧٣ - الرُّسل والرِّسالات، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، لبنان. دار النفائس، الكويت، ط ٤، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.
- ٧٤ - روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي البروسوري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠١٣ م.
- ٧٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ٧٦ - روضة الطالبين، الإمام أبو زكريا النَّووي، دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ٧٧ - رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، مكتبة السنة، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٧٨ - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢٨، ١٤١٥ هـ.
- ٧٩ - الزَّواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، إبراهيم بن تيجان جكيّتي، مركز باحثات لدراسات المرأة، ط ١، ٢٠١٦ م.
- ٨٠ - سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، الإمام محمّد بن يوسف الصّالحي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٨ هـ.

- ٨١ - سلسلة الأحاديث الصَّحيحة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٨٢ - السُّنَّة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ٨٣ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٨٤ - السُّنَن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول، د. محمد أمحزون، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٢١م.
- ٨٥ - السُّنَن الإلهية في الخلق، عبد الحميد طهماز، الدَّار الشَّامية، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٨٦ - سنن الترمذي الجامع الكبير، أبو عيسى محمد الترمذي، ط١، ١٩٩٦م.
- ٨٧ - سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٦م.
- ٨٨ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- ٨٩ - سنن الله في الحضارة الإنسانية، أحمد سريرات، دار السلام، ط١، ٢٠١٣م.
- ٩٠ - السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث؛ دروس وعبر، الصلابي، دار ابن كثير، دمشق، ط٩، ٢٠١٩م.
- ٩١ - الشُّذوذ الجنسي في الفكر الغربي، د. نهى عدنان القاطرجي، دار الفكر الغربي، ط١، ٢٠١٧م.
- ٩٢ - شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- ٩٣- شرح فتح القدير على الهداية، محمد بن عبد الواحد السواسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- ٩٤- شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ٢٠١٨ م.
- ٩٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٢ م.
- ٩٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- ٩٧- صحيح سنن أبي داود، الألباني، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.
- ٩٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٢ م.
- ٩٩- صفوة البيان لمعاني القرآن، محمد حسنين مخلوف، طبعة لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨١ م.
- ١٠٠- صناعة الحوار «مقاربة تداولية جمالية لحوارات سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم»، حمد عبد الله السيف، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٥ م.
- ١٠١- الطبقات، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م.
- ١٠٢- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات، دار إشبيلية، ط ٢، ١٤١٩ هـ.



- ١٠٣ - عداوة الشَّيْطان للإنسان وعلاجها، عبد المنعم حواس، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- ١٠٤ - العراق في التَّاريخ القديم، مجموعة من الباحثين، دار الجيل، بيروت.
- ١٠٥ - العصمة في الفكر الإسلامي، د. حسن حميد عبيد الغرباوي، دار طيبة الدمشقية، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ١٠٦ - العلاقات الجنسيَّة غير الشرعية وعقوبتها في الشريعة والقانون، د. عبد الملك بن عبد الرَّحمن السَّعدي، دار الأنبار، بغداد، ١٩٨٩ هـ.
- ١٠٧ - الغفلة، أسبابها، أقسامها، مظاهرها، آثارها، علاجها، عبد الرَّحمن عبد القادر المعلمي، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- ١٠٨ - الفاحشة عمل قوم لوط، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ١٠٩ - فبهدهم اقتده «قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء»، عثمان محمد الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١١٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- ١١١ - فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، المكتبة العصرية، ١٤١٢ هـ.
- ١١٢ - الفتح الرَّبَّاني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- ١١٣ - فتح القدير، الشَّوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ١١٤ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشَّيْطان، ابن تيمية، تحقيق:

- عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١١٥ - الفساد الإداري وعلاجه في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة بالقانون الإداري، محمود محمد معبرة، دار الثقافة، عمان، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- ١١٦ - الفساد مفهومه أسبابه وسبل القضاء عليه: رؤية قرآنية، عبد الله الجيوسي، جامعة مؤتة، الأردن، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ١١٧ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي، مكتبة السلام العالمية، ١٣٤٨هـ.
- ١١٨ - فقه أسماء الله الحسنى، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد، الرياض، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- ١١٩ - فقه الدَّعوة، عبد الحليم محمود، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ١٢٠ - فقه السنن الإلهية، وفاء محمد سعيد، رسالة جامعية، جامعة مكة المكرمة المفتوحة، ط ١، ١٤٣٧هـ.
- ١٢١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٢، ٢٠٠٣م.
- ١٢٢ - في قصصهم عبرة، علي حسن العبدلي، دار كلمات، ط ١، ٢٠٢١م.
- ١٢٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.
- ١٢٤ - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ.
- ١٢٥ - قصة إبراهيم في القرآن الكريم، إسحاق محمد حمدان البدارين، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ط ١، ١٩٩٢م.
- ١٢٦ - قصّة الحضارة، ول وايريل ديورانت، دار الجيل، ٢٠١٣م.

- ١٢٧ - قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام، علي محمد الصلابي، دمشق، دار ابن كثير، ط ١، ٢٠٢١ م.
- ١٢٨ - قصّة سيدنا لوط في القرآن الكريم: دراسة في التفسير الموضوعي، فتح الرحمن عثمان محمد، رسالة جامعيّة، جامعة أم درمان الإسلاميّة، السودان، ٢٠١١ م.
- ١٢٩ - قصة لوط بين القرآن والتوراة، جهاد محمّد حماد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- ١٣٠ - قصة نوح عليه السّلام، عمر إيمان أبو بكر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٤٣٨ هـ.
- ١٣١ - قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط ٣، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١٣٢ - القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق - الدّار الشّاميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٣٣ - الكبائر، شمس الدّين الذهبي، مكتبة الفرقان، ط ١، ٢٠١٢ م.
- ١٣٤ - كتاب النبوّات، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٣٥ - الكشف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، ط ٣، ١٤٣٠ هـ.
- ١٣٦ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- ١٣٧ - اللّفات المليحة للأمثال الصّريحة في القرآن، عبد الستار المرسومي، دار المعراج، ط ١، ٢٠١٦ م.

١٣٨ - لوط وقومه على ضوء الكتاب والسنة، ناصر أحمد نصّار، جامعة أم القرى
مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا
الشريعة، فرع الكتاب والسنة، ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ.

١٣٩ - المبسوط، ابن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٧ م.
١٤٠ - المثالب التي ذكرت في التّوراة للنبي لوط ورد القرآن عليها، عبد الرزاق
أحمد عبد الرزاق، جامعة بغداد كلية التربية للبنات، ٢٠١٥ م.

١٤١ - مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ.
١٤٢ - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت،
لبنان، ط ٢، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١٤٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، ابن عطية
الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٤٤ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن
محمود النسفي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٤٥ - مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، ط ٣، ١٤٠٨ هـ.
١٤٦ - المرأة في القصص القرآني، أحمد الشرقاوي، دار السلام، القاهرة،
ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

١٤٧ - مراتب الإجماع، ابن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت،
ط ٣، ١٤٠٢ هـ.

١٤٨ - المسائل العقدية في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، تهاني
إبراهيم عبد الرحمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النيلين،
الخرطوم، السودان، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

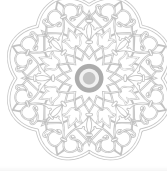
١٤٩ - المستدرك على الصحيحين، الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري،

- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ١٥٠ - مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨م.
- ١٥١ - مصر والشرق الأدنى القديم مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة، نجيب ميخائيل إبراهيم، المكتبة التاريخية، ط ٤، ١٩٦٣م.
- ١٥٢ - المصطلحات في القرآن الكريم المعاني والدلالات، محمد أمحزون، دار ابن كثير، ط ٢، ٢٠٢٣م.
- ١٥٣ - المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، دار التأصيل، ط ١، ١٤٣٦هـ.
- ١٥٤ - مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، د. محمد عبد القادر أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٥م.
- ١٥٥ - معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٥٦ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني الرّازي، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ١٥٧ - المغني، الموفق بن قدامة، دار عالم الكتب، ط ٣، ٢٠١٧م.
- ١٥٨ - المفردات في غريب القرآن، الرّاغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٥٩ - مقارنة الأديان «اليهودية»، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٩، ١٩٩٠م.
- ١٦٠ - ملة أبيكم إبراهيم، عبد الستار كريم المرسومي، دار المعراج، دمشق، ط ١، ٢٠٢١م.

- ١٦١ - من أنباء القرى، أحمد عبيد الكبيسي، تحقيق: فاطمة محمد شنون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ١٦٢ - من بلاغة النظم القرآني في سورة الصافات، د. شؤمة محمد البلوي، دار الصميعي، ط ١، ٢٠١٩م.
- ١٦٣ - المنهاج القرآني في مواجهة الفساد المالي، محمد سلطان الخوار، ط ١، ٢٠١٧م.
- ١٦٤ - منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس كرزون، رسالة دكتوراه ٥١، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤١٥هـ.
- ١٦٥ - منهج الرسول ﷺ في غرس الرُّوح الجهادية، السيّد محمّد نوح، دار الوفاء، ط ١، ١٩٩١م.
- ١٦٦ - الموازنة بين ذوق السَّماع وذوق الصَّلابة والسماع، ابن قيّم الجوزية، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ١٦٧ - الموافقات، إبراهيم بن موسى الشَّاطبي، دار ابن عفان، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ١٦٨ - موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، أبو هاجر محمّد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
- ١٦٩ - الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من العلماء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.
- ١٧٠ - موسوعة نساء الأنبياء (أمهات وزوجات وبنات الأنبياء من آدم إلى الرسول ﷺ)، إسماعيل حامد، مكتبة النَّافذة، الجيزة، مصر، ط ١، ٢٠١١م.
- ١٧١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



- ١٧٢ - النظم القرآني في قصة لوط، حمزة ماجد محمد، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠١٣ م.
- ١٧٣ - النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ١٧٤ - نوح عليه السلام والطوفان العظيم، د. علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ٢٠٢٠ م.
- ١٧٥ - الهجرة في القرآن، أ. حزمي سامعون، مكتبة الرشد، ١٩٩٦ م.
- ١٧٦ - الهمة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، عبد العزيز سالم الرويلي، دار الصميعي، ٢٠١٥ م.
- ١٧٧ - الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، مكتبة اقرأ، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ١٧٨ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٧٩ - الوصف في القصّة القرآنية، أرشد يوسف العباس، دار المعتر، عمّان، ط ١، ٢٠١٦ م.
- ١٨٠ - وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١٨١ - والله الأسماء الحسنى، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط ٣، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.



فهرس الموضوعات

الإهداء	٥
تقديم (١)	٧
تقديم (٢)	١٣
مقدمة الكتاب	٢٣

المبحث الأول

لوط عليه السلام؛ اسمه، ونسبه، ومولده، وظروف عصره

أولاً: لوط عليه السلام: اسمه، ونسبه	٣١
١- اسم لوط عليه السلام في القرآن الكريم	٣١
٢- اسم لوط عليه السلام عند أهل اللغة	٣٢
٣- الفرق بين اسم لوط واللواط	٣٤
٤- نسب لوط عليه السلام	٣٦
ثانياً: مولد لوط عليه السلام، وعصره، ومدة هجرته	٣٧
١- الحياة الدينية	٣٨
٢- الحياة الاجتماعية والسياسية	٣٩
ثالثاً: هجرة لوط عليه السلام مع عمه إبراهيم عليه السلام	٤٥
١- ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾	٤٥
٢- ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ..	٤٥

المبحث الثاني

لوط عليه السلام في موكب النبيين والمرسلين

- أولاً: النبي والرسول والنبوة والرسالة ٥٢
- ثانياً: الحكمة من بعث الرُّسل ٥٥
- ١- حاجة الخلق إليهم ٥٥
- ٢- دعوة النَّاس إلى عبادة الله ٥٦
- ٣- إقامة الحُجَّة على البشر بإرسال الرسل ٥٦
- ٤- الأنبياء هم الطَّرِيق لمعرفة العقائد الغيبية ٥٧
- ٥- حاجة الخلق للقدوة الحسنة ٥٧
- ٦- إصلاح النفوس وتزكيتها ٥٩
- ٧- تحقيق غايات عظمى ووظائف كبرى ٦٢
- ٨- الاستفادة من سُنَن الله في الأفراد والشعوب والأمم والدول ٦٤
- ٩- تعليق القلوب والأرواح بالانتظام في سلوكهم، والسير في موكب الأنبياء والمرسلين المبارك ٦٦
- ثالثاً: خصائص الأنبياء والمرسلين ٦٧
- ١- اصطفاؤهم بالوحي والرسالة ٦٩
- ٢- عصمة الأنبياء ٧٠
- ٣- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ٧٢
- ٤- تخييرهم عند الموت ٧٢
- ٥- يُقبر النبي حيث يموت ٧٣
- ٦- لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ٧٣
- ٧- أحياء في قبورهم ٧٣
- ٨- لا يورثون بعد موتهم ٧٤
- ٩- إعداد الله لهم وتهيئتهم لرسالاته ٧٥
- رابعاً: دين الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام واحد، ودعوتهم واحدة ٧٥
- ١- الإيمان بالأنبياء والمرسلين من أركان الإيمان ٧٥

- ٢- الإسلام دين الأنبياء جميعاً ٧٧
- ٣- أول عقيدة في الأرض هي توحيد الله ٨٠
- ٤- دعوة الأنبياء والمرسلين واحدة خالصة ٨١
- خامساً: دعوة لوط عليه السلام إلى توحيد الله ، وإفراده بالعبادة ، ونهيه عن المنكرات ٨٣

المبحث الثالث

قصة لوط عليه السلام في سورة هود والحجر والعنكبوت والذاريات

- أولاً: تداخل قصة لوط مع إبراهيم عليهما السلام في سورة هود ٨٥
- ١- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى . . . حَنِيدٌ ﴾ ٨٦
- ٢- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ . . . قَوْمَ لُوطٍ ﴾ ٩٢
- ٣- ﴿ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَآيَمَةً فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ٩٤
- ٤- ﴿ قَالَتْ يَوْنَتْنِيءُ الدُّ . . . إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ٩٩
- ٥- ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ . . . إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ ١٠٣
- ٦- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى مُجْدِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ١٠٩
- ٧- ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ١١١
- ٨- ﴿ يَتَّبِعُ إِبْرَاهِيمَ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا . . . وَإِنَّهُمْ عَنِ اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ١١٤
- ٩- ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا . . . وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ ١١٧
- ١٠- ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ . . . أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ ١٢٠
- ١١- ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ ١٢٩
- ١٢- ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴾ ١٣١
- ١٣- ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ . . . أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ١٣٥
- ١٤- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا . . . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴾ ١٣٨
- ١٥- ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعِيدٍ ﴾ ١٤٠

ثانياً: قصة لوط عليه السلام في سورة الحجر ، وارتباطها بقصة إبراهيم عليه

- السلام ١٤٢
- ١- ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ١٤٤

- ٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ ١٤٦
- ٣- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ ١٤٨
- ٤- ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسْنَىٰ الْكِبَرِ فِيمَ يُبَشِّرُون﴾ ١٤٩
- ٥- ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاطِنِينَ﴾ ١٥٠
- ٦- ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ١٥١
- ٧- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ١٥٢
- ٨- ﴿قَالُوا إِنَّا أَزْسلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ١٥٣
- ٩- ﴿إِلَّا ؤَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٥٥
- ١٠- ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَىٰ مِنْهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ١٥٦
- ١١- ﴿فَلَمَّا جَاءَ ؤَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ . . . وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ ١٥٧
- ١٢- ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ . . . وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ١٥٩
- ١٣- ﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ ١٦٢
- ١٤- ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ . . . قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ١٦٣
- ١٥- ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ١٦٧
- ١٦- ﴿فَاخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ . . . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧٠

ثالثاً: قصّة لوط عليه السلام في سورة العنكبوت ، وعلاقتها بقصة إبراهيم

- عليه السلام ١٧٦
- ١- ﴿فَقَامَن لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٧٧
- ٢- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . . . وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٨٣
- ٣- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ . . . عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ١٨٥
- ٤- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ . . . كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ١٩٥
- ٥- ﴿وَلَمَّا أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا . . . لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٩٧
- رابعاً: قصّة لوط مع إبراهيم عليهما السلام في سورة الذاريات ٢٠٠
- ١- ﴿هَلْ أَنتَ إِلَّا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ٢٠١
- ٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ ٢٠٣
- ٣- ﴿فَرَأَىٰ إِلَىٰ آهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ ٢٠٥

- ٤- ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٠٦
- ٥- ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ ٢٠٧
- ٦- ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفةٍ فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٢٠٨
- ٧- ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّائِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ٢٠٩
- ٨- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ٢١٣
- ٩- ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ٢١٤
- ١٠- ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ٢١٤
- ١١- ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ٢١٥
- ١٢- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢١٦
- ١٣- ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٢١٧
- ١٤- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٢١٧

المبحث الرابع

قصة لوط عليه السلام في سورة الأعراف والأنبياء والشعراء

والنمل والصفاء والقمر

- أولاً: لوط عليه السلام في سورة الأعراف ٢١٩
- ١- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ... أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٢٠
- ٢- ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ... قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ٢٢١
- ٣- ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ... إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ ٢٢٢
- ٤- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ... إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِرِينَ﴾ ٢٢٥
- ٥- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٢٦
- ثانياً: لوط عليه السلام في سورة الأنبياء ٢٢٨
- ١- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ٢٢٨
- ٢- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ٢٢٩
- ٣- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا... وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ ٢٣١
- ٤- ﴿وَلُوطًا أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا... كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَسَقِينَ﴾ ٢٣١

- ٥- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٢٣٣
- ثالثاً: لوط عليه السلام في سورة الشعراء ٢٣٤
- ١- ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ... فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ ٢٣٥
- ٢- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٤٠
- ٣- ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ... بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ٢٤١
- ٤- ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ٢٤٤
- ٥- ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (٢٤٥) ﴿رَبِّ بَنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤٥
- ٦- ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ... وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ٢٤٧
- ٧- ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨) ﴿وَلِنْ رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٢٤٨
- رابعاً: لوط عليه السلام في سورة النمل ٢٤٩
- ١- ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ٢٥٠
- ٢- ﴿أَبَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ٢٥٢
- ٣- ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ... إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ ٢٥٥
- ٤- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٢٥٦
- ٥- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ٢٥٧
- خامساً: لوط عليه السلام في سورة الصافات ٢٥٨
- ١- ﴿وَإِنْ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٢٥٨
- ٢- ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٢٥٩
- ٣- ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ٢٦١
- ٤- ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ٢٦٢
- ٥- ﴿وَلِإِكْرٍ لِمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ (٢٦٢) ﴿وَبِالْيَلِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٢٦٢
- سادساً: لوط عليه السلام في سورة القمر ٢٦٤
- ١- ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ ٢٦٥
- ٢- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٢٦٥
- ٣- ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ٢٦٧

- ٤- ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ ٢٦٨
- ٥- ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ٢٦٨
- ٦- ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ٢٧٠
- ٧- ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ٢٧٠
- ٨- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ٢٧٠
- سابعاً: امرأة لوط عليه السلام في سورة التَّحْرِيم ٢٧١
- ١- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ ٢٧١
- ٢- ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ ٢٧٢
- ٣- ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ٢٧٣
- ٤- ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ﴾ ٢٧٤
- ثامناً: إشارات للاعتبار من قصة لوط عليه السلام في سور أخرى ٢٧٤
- ١- ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ بَأُ الذِّكْرِ مِنْ قَبْلِهِمْ... كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٢٧٥
- ٢- ذكر قوم لوط في سورة الحج ٢٧٦
- ٣- ذكر عذاب قوم لوط في سورة الفرقان ٢٧٨
- ٤- قوم لوط في سورة ص ٢٧٩
- ٥- ذكر إخوان لوط في سورة ق ٢٧٩
- ٦- ذكر المؤتفكة في سورة النجم ٢٨٠
- ٧- ذكر المؤتفكات في سورة الحاقة ٢٨١

المبحث الخامس

أسباب هلاك قوم لوط ، وأسباب نجاته عليه السلام

- أولاً: أسباب هلاك قوم لوط ٢٨٣
- ١- الشُّرك ٢٨٤
- ٢- الظُّلم ٢٨٤
- ٣- الإِجرام ٢٨٥
- ٤- تكذيب لوط عليه السلام ٢٨٦

- ٥- الفسق ٢٨٧
- ٦- الإفساد ٢٨٧
- ٧- إيذاء لوط عليه السلام ٢٨٧
- ٨- كُفِرَهم بِنِعَمِ الله عليهم ٢٨٨
- ٩- المجاهرة بالذنوب والخطايا والفواحش ٢٨٩
- ١٠- سُنة الاستبدال ٢٩١
- ١١- سُنة الأجل الجماعي ٢٩١
- ١٢- سُنة الهلاك ٢٩٤
- ١٣- سُنة الخُسران ٢٩٤
- ١٤- الغفلة عن أسباب الهلاك ٢٩٥
- ثانياً: أسباب نجات لوط عليه السلام وأهله وأهم صفاته ٢٩٥
- ١- المؤمن المهاجر في سبيل الله تعالى ٢٩٥
- ٢- رسول أمين ٢٩٦
- ٣- إخلاص لوط عليه السلام ٢٩٦
- ٤- طهارة لوط عليه السلام ٢٩٧
- ٥- توكل لوط عليه السلام على الله والتجاؤه إلى الدعاء ٢٩٨
- ٦- كرم لوط عليه السلام ٢٩٨
- ٧- أمر لوط عليه السلام قومه بالمعروف ونهيهم عن المنكر ٢٩٩
- ٨- علم لوط عليه السلام وحكمته ٢٩٩

المبحث السادس

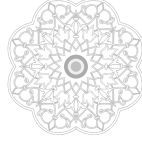
الشذوذ الجنسي في العصر الحديث ؛ أسبابه وعلاجه

- أولاً: الزَّواج المثلي، والقوانين الشَّيطانيَّة ٣٠٣
- ١- تعريف الزَّواج المثلي في الاصطلاح ٣٠٥



- ٢- الألفاظ ذات الصلة بالزَّواج المثلي ٣٠٦
- ٣- تاريخ الزَّواج المثلي ٣٠٧
- ٤- مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة المتعلِّقة بالزَّواج ٣١٣
- ٥- حكم الزَّواج المثلي في الشَّريعة الإسلاميَّة ٣١٨
- ٦- عقوبة اللواط ٣٢١
- ٧- عقوبة السَّحاق ٣٢٤
- ثانياً: الأضرار المترتبة على حياة الإنسان من الشُّذوذ الجنسي ٣٢٤
- ١- الأضرار الدينيَّة ٣٢٥
- ٢- الأضرار الخُلقيَّة ٣٢٨
- ٣- الأضرار الاجتماعيَّة ٣٢٩
- ٤- الأضرار الاقتصاديَّة ٣٣١
- ٥- الأضرار النَفسيَّة ٣٣٢
- ٦- الأضرار الصحيَّة ٣٣٤
- ثالثاً: أسباب الوقوع في الفواحش والشُّذوذ الجنسي ٣٣٥
- ١- ضعف الإيمان بالله ٣٣٦
- ٢- التقصير في تربية الأبناء ٣٣٦
- ٣- الفراغ ٣٣٧
- ٤- الرفقة السيئة والخلطة الفاسدة ٣٣٨
- ٥- تعاطي المخدَّرات ٣٤٠
- ٦- التبرُّج والاختلاط ٣٤١
- ٧- تعسير الزَّواج ٣٤٢
- ٨- إطلاق النَّظر في الحرام ٣٤٣
- ٩- صحبة المردان والنَّظر إليهم ٣٤٤

- ١٠- العشق ٣٤٦
- ١١- الشَّيْطَان ٣٤٧
- ١٢- وسائل الإعلام ٣٥١
- ١٣- المكر اليهودي ٣٥١
- رابعاً: سُبُل الوقاية والعلاج من فاحشة قوم لوط ٣٥٢
- ١- التَّعْرِيف بالخالق العظيم ٣٥٣
- ٢- الإيمان باليوم الآخر ٣٥٦
- ٣- تزكية الأرواح بأنواع العبادات ٣٦٠
- ٤- التربية على مكارم الأخلاق ٣٦٨
- ٥- الزواج ٣٧٣
- ٦- غَضِّ البصر ٣٧٤
- ٧- العناية بتربية الأبناء ٣٧٦
- ٨- الدُّعَاء ٣٧٨
- ٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٧٩
- ١٠- سلطة الدولة ٣٨٠
- ١١- تكاثف الدول الإسلاميَّة مع الشعوب والدول ٣٨٨
- الخلاصة والنتائج ٣٨٩
- المصادر والمراجع ٤١٣
- فهرس الموضوعات ٤٣١
- السِّيرة الذاتية للمؤلف ٤٤١
- كتب صدرت للمؤلف ٤٤٣

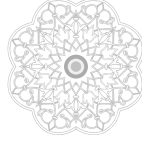


المؤلف في سطور

د. علي محمّد محمّد الصّلاّبي
مفكر ومؤرخ وفقيه



- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدّعوة وأصول الدّين من جامعة المدينة المنورة عام (١٩٩٣م)، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدّين في جامعة أم درمان الإسلامية عام (١٩٩٦م).
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التّمكن في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام (١٩٩٩م).
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.
- زادت مؤلفات الدكتور الصّلاّبي على الثمانين مؤلّفًا.



كتب صدرت للمؤلف

- ١- السيرة النبوية : عرض وقائع وتحليل أحداث ، دروس وعبر .
- ٢ - الانشراح ورفع الضيق عن سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : شخصيته وعصره .
- ٣ - فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شخصيته وعصره .
- ٤ - تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : شخصيته وعصره .
- ٥ - أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شخصيته وعصره .
- ٦ - خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب : شخصيته وعصره .
- ٧- الدولة العثمانية : عوامل النهوض وأسباب السقوط .
- ٨- تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتّمكن في القرآن الكريم .
- ٩- تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا .
- ١٠- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي .

- ١١ - عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين .
- ١٢ - الوسطية في القرآن الكريم .
- ١٣ - الدولة الأموية ، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار .
- ١٤ - معاوية بن أبي سفيان ، شخصيته وعصره «الدولة السفينانية» .
- ١٥ - الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز ، معالم التجديد والإصلاح الراشدي .
- ١٦ - خلافة عبد الله بن الزبير .
- ١٧ - عصر الدولة الزنكية المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين الشهيد .
- ١٨ - عماد الدين زنكي .
- ١٩ - نور الدين زنكي .
- ٢٠ - دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي .
- ٢١ - الإمام الغزالي وجهوده في حركة الإصلاح والتجديد .
- ٢٢ - العالم الكبير والمربي الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني .
- ٢٣ - أسد الصحراء عمر المختار .
- ٢٤ - عبد الملك بن مروان وبنوه .
- ٢٥ - فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة .
- ٢٦ - حقيقة الخلاف بين الصَّحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم .
- ٢٧ - وسطية القرآن في العقائد .



- ٢٨- السلطان عبد الحميد الثاني .
- ٢٩- دولة المرابطين .
- ٣٠- دولة الموحدين .
- ٣١- عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج .
- ٣٢- الدولة الفاطمية .
- ٣٣- حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي .
- ٣٤- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس .
- ٣٥- استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية .
- ٣٦- الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الأمراء .
- ٣٧- الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين .
- ٣٨- المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار .
- ٣٩- السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك .
- ٤٠- الشورى فريضة إسلامية .
- ٤١- الإيمان بالله جل جلاله .
- ٤٢- الإيمان باليوم الآخر .
- ٤٣- الإيمان بالقدر .
- ٤٤- الإيمان بالرسول والرسالات .

- ٤٥ - الإيمان بالملائكة .
- ٤٦ - الإيمان بالقرآن والكتب السماوية .
- ٤٧ - السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره .
- ٤٨ - المعجزة الخالدة، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .
- ٤٩ - الدولة الحديثة المسلمة : دعائمها ووظائفها .
- ٥٠ - البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة .
- ٥١ - التداول على السلطة التنفيذية .
- ٥٢ - الحريات من القرآن الكريم : حرية التفكير والتعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية .
- ٥٣ - العدالة والمصالحة الوطنية : ضرورة دينية وإنسانية .
- ٥٤ - المواطنة والوطن في الدولة الحديثة .
- ٥٥ - العدالة من المنظور الإسلامي .
- ٥٦ - كفّاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى .
- ٥٧ - الأمير عبد القادر الجزائري .
- ٥٨ - كفّاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني .
- ٥٩ - سنة الله في الأخذ بالأسباب .
- ٦٠ - كفّاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي .



- ٦١ - أعلام التصوف السُّني : «ثمانية أجزاء» .
- ٦٢ - المشروع الوطني للسلام والمصالحة .
- ٦٣ - الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ - ١٩٢٢) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر .
- ٦٤ - الإباضية : مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج .
- ٦٥ - المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام : الحقيقة الكاملة .
- ٦٦ - قصّة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام .
- ٦٧ - نوح عليه السلام والطوفان العظيم . . ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية .
- ٦٨ - إبراهيم خليل الله عليه السلام : «داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة» .
- ٦٩ - موسى عليه السلام كلّم الله عدو المستكبرين وقائد المستضعفين .
- ٧٠ - موسى عليه السلام والخضر .
- ٧١ - موسى عليه السلام في سورة طه .
- ٧٢ - موسى عليه السلام في سورة القصص .
- ٧٣ - موسى عليه السلام في سورة الشعراء .
- ٧٤ - مؤمن آل فرعون في سورة غافر .
- ٧٥ - لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات) .
- ٧٦ - سقوط الدولة العثمانية (الأسباب - التداعيات) .
- ٧٧ - سقوط الدولة الأموية (الأسباب - التداعيات) .
- ٧٨ - مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام .



٧٩- النبي الوزير يوسف الصديق عليه السلام من الابتلاء إلى التمكن .

٨٠- ذكريات لا تنسى .

٨١- الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام ، وهيكل سليمان
المزعوم .

٨٢- النبي لوط عليه السلام ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي
وعقاب الله للظالمين .

* * *